بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة آل البيت

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

رسالة ماجستير بعنوان

فن المقالة عند أحمد السقّاف

دراسة موضوعية فنية

The Article art at Ahmad Alsaqqaf

Objective and Artistic study

إعداد الطالب

مبارك عادل علي الميع

(1570301004)

إشراف الدكتورة

منتهى طه الحراحشة

2018م

التفويض

أنا الطالب: مبارك عادل علي الميع، أفوض جامعة آل البيت بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع: .....

التاريخ: / /

إقـــرار والتزام بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها

أنا الطالب: مبارك عادل علي الميع الرقم الجامعي: 1570301004

التخصص: اللغة العربية وآدابها كلية: الآداب والعلوم الإنسانية

أعلن بأنني قد التزمت بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المعمول بها المتعلقة بإعداد رسالة الماجستير والدكتوراه، عندما قمت شخصياً بإعداد رسالتي

بعنوان:

" فن المقالة عند أحمد السقّاف"

دراسة موضوعية فنية

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطاريح أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية، وتأسيسًا على ما تقدم، فإنني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها، وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها، دون أن يكون لي الحق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيـع الطالب: التاريخ: / /

قرار لجنة المناقشة

فن المقالة عند أحمد السقاف

دراسة موضوعية فنية

The Article art at Ahmad Alsaqqaf
Thematic and Artistic study

إعداد الطالب: مبارك عادل الميع

الرقم الجامعي: 1570301004

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها في جامعة أل البيت

بإشراف

الدكتورة منتهى طه الحراحشه

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
1- الدكتورة .منتهى الحراحشة	مشرفاً ورئيساً	.....
2- الأستاذ الدكتور .عبد الباسط المراشدة	عضواً	.....
3- الدكتور محمود القضاة	عضواً	.....
4- الأستاذ الدكتور عبد الباسط الزيود	عضواً خارجياً	.....

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية

في كلية ..الآداب والعلوم الإنسانية.. في جامعة آل البيت

نوقشت وأوصيبإجازتها، تعديلها، رفضها بتاريخ..١/٩/٢٠١٨..

الإهداء

إلى والدي العزيز الذي كان يدعمني طيلة مسيرتي العلمية وينتظر مناقشتي بشغف كبير وقلق.

وإلى أمي الغالية التي كرست نفسها للدعاء لي كي أصل إلى أعلى الدرجات وأكون مدعاةً للفخر لها طوال الوقت.

وإلى إخوتي (علي، عبدالرحمن، حمد) الذين لم يدخروا جهداً ولم يقصروا في تقديم الدعم لي لأحقق ما تصبو إليه نفسي من نجاح.

وإلى أختي (هاجر) التي طالما انتظرت هذه الفرحة لتشاركني بها.

وإلى الدكتورة الفاضلة منتهى الحراحشة التي دعمتني كثيراً وشجعتني على أن أنجز هذه الرسالة بأفضل صورة ولها كل الشكر والتقدير.

وإلى من كل دعمني وساعدني في إنجاز هذا العمل نصحاً وإرشاداً وإشرافاً.

الباحث

شكر وتقدير

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتوجه بجزيل الشكر والامتنان للدكتورة منتهى الحراحشة لتبنيها فكرتي حول هذه الدراسة، ومساعدتها لي على تخطي كثير من العقبات التي وقفت في طريق البحث، فكانت الأب الروحي لأفكاري التي قوّمتها ووجّهتها وجعلتها تصبّ في أكثر البحار زرقةً وسعةً ودفئاً.

من حسن حظ المرء أن يجد صديقاً يجمع كل الصفات الجميلة، وإني لأغبط نفسي أن وجدت الدكتورة منتهى الحراحشة أباً ومعلماً وأخاً وصديقاً.

وإني أدرك أنه لم يكن لهذه الدراسة أن تكتمل، وأن تأخذ صيغتها الأخيرة، وطريقها إلى رواق المناقشة لولا حصافة وحرفيّة وجهود الدكتورة المشرفة منتهى طه الحراحشة مشرفةً ومدقّقة وموجهةً وراعيةً وأستاذةً.

وإذا قدّر لهذه الدراسة بمضمونها المتواضع أن تشكّل لبنةً في هيكل البحث الأكاديمي، أو قدّر لها أن تشكّل إضافةً ما في هذا الهيكل، فإنّ الفضل لا شك يعود أولاً لما رسمته الدكتورة المشرفة، وما حدّدته من نقاطٍ دلّتني على الطريق الأقصر والأسلم لبلوغ الهدف، وأخرجتني من متاهاتٍ لم أكن أتوقّع الخروج منها كما لم أكن أتوقّع أنني سأدخلها أصلاً.

وبعد:

فإنني أكرر شكري للأستاذة المشرفة على هذه الفرصة الغالية التي أتاحتها لي كطالبٍ يخطو أوّل خطوةٍ له في مشوار الألف ميل النقدي والبحثي، كما أبوء لها بالعرفان والامتنان على كلّ ما قدمته لي من عونٍ ذكرت نصيباً منه، وبقي منه كثير لم أذكره، راجياً من الله أن أكون بالفعل على قدر المسؤولية التي حمّلتني إياها، زارعةً في نفسي الثقة وروح المغامرة والمثابرة على الاطّلاع.

والشكر موصول لأعضاء لجنة المناقشة: الأساتذة الفضلاء الأستاذ الدكتور عبد الباسط المراشدة، والأستاذ الدكتور عبدالباسط الزيود، والدكتور محمد القضاة.. فلهم مني جمعياً الشكر أجزلة.

الباحث

فهرس المحتويات

التفويض ..... ب

إقـــرار والتزام بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها ..... ج

قرار لجنة المناقشة ..... د

الإهداء ..... ه

شكر وتقدير ..... و

فهرس المحتويات ..... ز

الموضوعات ..... ح

ملخص الرسالة ..... ل

المقدمة 1

تمهيد 6

تمهيد مفهوم المقالة وتطوّرها في الأدب الحديث 7

الفصل الأوّل مراحل تطور المقالة عند السقاف 34

الفصل الثاني أنواع المقالة وموضوعاتها عند أحمد السقّاف 82

الفصل الثالث خصائص المقالة عند أحمد السّقاف 146

الخاتمة 250

المصادر والمراجع 253

الملاحق 266

Abstract 276

الموضوعات

الإهداء.....
شكر وتقدير.....
فهرس المحتويات.....
ملخص.....
المقدمة.....
تمهيد: مفهوم المقالة وتطورها في الأدب الحديث.....
أولاً. تعريف المقالة في اللغة والاصطلاح .....
ثانياً. جذور المقالة.....
ثالثاً. ظهور المقالة.....
رابعاً. محدّدات المقالة.....
خامساً. عناصر المقالة ومكوّناتها.....
سادساً. المقالة وأنواعها.....
1ـ المقالة الذاتيّة، ميادينها وأنواعها.....
2ـ المقالة الموضوعيّة، ميادينها وأنواعها.....
3ـ المقالة الصحفية، ميادينها وأنواعها.....
سابعاً. المقالة العربيّة الحديثة.....
ثامناً. فن المقالة في الكويت، النشأة والتطور.....
تاسعاً. المقالة في أدب السقاف.....
الفصل الأول: مراحل تطور المقالة عند السقاف.....
أولاً. روافد المقالة عند السقاف.....
ثانياً. تطوّر المقالة عند السقاف.....
ثالثاً. العوامل المؤثرة في تطور المقالة عند السقاف.....

رابعاً. التأطير الزمني لمراحل تطور المقالة عند السقاف.....
مرحلة البدايات .....
مرحلة التأصيل.....
مرحلة التجديد.....
مرحلة النضج.....
الفصل الثاني: أنواع المقالة وموضوعاتها عند السقاف.....
أولاً. المقالة الذاتية وأنواعها .....
مقالة النقد الاجتماعي.....
مقالة وصف الرحلات.....
المقالة التأملية.....
ثانياً. المقالة الموضوعيّة، وأنواعها.....
المقالة النقدية.....
مقالة العلوم الاجتماعية.....
المقالة التاريخية.....
ثالثاً. المقالة الصحفية، ميادينها وأنواعها.....
المقالة الصحفية السياسية.....
المقالة الصحفية الاجتماعية.....
مقالة التقرير.....
مقالة الموضوعات المتعددة.....
المقالة النزالية.....

الفصل الثالث: خصائص المقالة عند السقاف.....
أولاً. الخصائص الشكلية.....
العنوان .....
المقدمة .....
العرض .....
الخاتمة .....
الطول .....
ثانياً. الخصائص الفكرية للمقالة.....
الالتزام .....
مقولات السقاف وقضاياه الفكرية.....
النزوع القومي.....
قضايا الإنسان العربي.....
مناهضة الاستعمار والصهيونية.....
مناهضة الشيوعية.....
مناهضة الحزبية الدينية.....
التوفيق بين العروبة والإسلام.....
الموسوعية .....
التحرر من النثر القديم.....
الخروج على شكل المقالة.....
الخصائص الفكرية.....

ثالثاً. الخصائص الأسلوبية للمقالة عند السقاف.....
اللغة والأسلوب.....
نماذج لدراسة أسلوب السقاف.....
خصائص أسلوب السقاف في المقالة.....
على مستوى الشكل.....
على مستوى المضمون.....
الانزياح وأنواعه.....
الانزياح التركيبي.....
الانزياح الدلالي.....
نماذج من الانزياح التركيبي عند السقاف.....
نماذج من الانزياح الدلالي عند السقاف.....
التناص وأنواعه.....
التناص بالتضمين الجزئي.....
نماذج التناص بالتضمين الجزئي.....
التناص بالتضمين التام.....
نماذج التناص بالتضمين التام.....
الخاتمة.....
المصادر والمراجع.....
ملحق رقم (1) المصطلحات النقدية المستخدمة في الدراسة.....
ملحق رقم (2) التعريف بأحمد السقاف.....
ملخص باللغة الإنكليزية.....

ملخص الرسالة

فن المقالة عند أحمد السقّاف

دراسة موضوعية فنية

إعداد الطالب: مبارك عادل علي الميع

إشراف الدكتورة: منتهى طه الحراحشة

تتناولت هذه الدراسة مقالات الأديب الكويتي أحمد زين السقّاف، وقد تميّزت مقالاته بخصائصَ وسماتٍ أعطته كينونته الأدبية الخاصة، ورسمت ملامحها ضمنَ بيئته الكويتية والعربية، وقد تحدّدت هذه المِيزات بجملةٍ من الخصائص الأسلوبية والشكلية والفنية للمقالة، كما برزت فيها مقولاته الفكرية التي عبّر عنها في مُجمَل نتاجه الأدبي.

وقد اكتسبت المقالة في أدب السقّاف مشروعية الدراسة بسبب قلة الدراسات المتوافرة حول هذا الموضوع، إذ اقتصرت على دراستين لم تحيطا بموضوع المقالة عند السقاف، هما للدكتور محمد حسن عبد الله، والدكتور أحمد بكري عصلة، وثمّة رسالة ماجستير تناولت السقاف ولكن من الناحية الشعرية، لقد شكّل الأمر السابق عائقاً كما شكّل مسوّغاً لمشروعية الدراسة وأهميتها، إذ إنَّ الكاتب أحمد السقاف ترك تراثاً نثرياً كبيراً تجلّى في المقالة، وقد تنوعت مضامين مقالاته وأنواعها، وكان على هذه الدراسة إبراز مختلف الجوانب الفنية والأسلوبية واللغوية في مقالات السقّاف.

ولذلك فقد جاءت مقسّمة إلى تمهيد وثلاثة فصول، تناول التمهيد تعريف المقالة في اللغة والاصطلاح، وجذور المقالة، وظهورها، ومحدداتها، وعناصرها ومكوناتها، وأنواعها، ثم انتقل لدراسة المقالة العربية الحديثة، وانتهى بدراسة المقالة في أدب السقّاف.

أما الفصل الأول فقد جاء بعنوان مراحل تطور المقالة عند السقاف، فقد درس روافد المقالة عند السقاف، وتطورها والعوامل المؤثرة في تطورها، وانتهى الفصل بالتأطير الزمني لتطوّر المقالة عنده.

أما الفصل الثاني فقد كان بعنوان أنواع المقالة وموضوعاتها عند السقاف، فتمّت دراسة المقالة الذاتية، والمقالة الموضوعية والمقالة الصحفية، وما تفرّع عن هذه التصنيفات الرئيسة من أنواع ثانوية، والموضوعات التي شكّلت محوراً لمقالاته في هذه الأنواع.

أما الفصل الثالث فقد جاء بعنوان خصائص المقالة عند السقاف، حيث تمّت فيه دراسة الخصائص الشكلية، والخصائص الفكرية والخصائص الأسلوبية للمقالة عنده، وقد تمَّ ذلك بالاعتماد على استقراء عدد كبير من مقالاته، بالإضافة إلى اعتماد عدد من المراجع والمصادر التي أغنت الدراسة، وانتهت الدراسة بخاتمة ولائحة للمصادر والمراجع المعتمدة فيها.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمّدٍ وبعد:

المقالة فن نثري قصير، وينتمي إلى الفنون السردية على مستوى البناء والشكل، وهو لون جديد من النثر ظهر في عصر النهضة الأوربيّة على يد الفرنسي ميشيل دي مونتين، وارتبط تطوره مع ظهور الصحافة وتطوّرها. وقد برزت أهميّة المقالة في عصرنا الراهن كأحد أهم وسائل التعبير، حيث أصبحت تعالج مختلف القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية والأدبية والفكرية.

وقد أقبل الأدباء العرب في العصر الحديث، على فن المقالة مع ظهور الصحافة العربية وانتشارها في التاسع عشر والقرن العشرين، حيث شغلت حيّزاً مهماً في الأدب الحديث، لما تمتلك من إيقاعات جمالية منحتها مركزاً متقدّماً في خارطة الإبداع والتلقّي عند عدد من كتاّب المقالة في دولة الكويت، من أمثال خليفة الوقيان وأحمد مشاري العدواني، وأحمد السقاف؛ الذي تشكّل مقالاته محور هذه الدراسة.

ويعدّ أحمد السقاف أحد أولئك الكتاب الذين كتبوا في فن المقالة على اختلاف أنواعها، فجاءت مقالاته حصيلة عمل وتفرّدٍ وجهد فكريّ وفنيّ دؤوب، فاكتست بذلك خصائص متميزة بطوابعها الشكلية والفكرية والأسلوبية، وجسّدت أبعاداً ذاتية ووطنية وقومية وإنسانية. وقد تميّزت مقالات السقاف بتعدّد موضوعاتها، لارتباطها بالوضع الاجتماعي والسياسي والقومي والثقافي الذي هيمن على الساحة الكويتيّة، بشكلٍ خاص، والساحة العربيّة عموماً. ولذلك لم يظهر السقاف نخبوياً لأنّه كان يسعى باتجاه قرائه، فقد كان خطابه موجّهاً لقرائه على اختلاف مستوياتهم، ممّا جعله قريباً من القارئ العادي قُرْبَهُ من الناقد، والسقاف أحد أعمدة الفكر التنويري والثقافي والعروبي في الكويت، وله إسهامات كثيرة في الشعر والنثر، ولعلّ أهمّها فن المقالة التي أسهمت في نشر الوعي الثقافي والسياسي عند القارئ العربي، وجعلت من السقاف كاتب مقالةٍ تميز بالتنوع والتفرّد والشمول.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في مقالات الكاتب أحمد السقّاف، أنها تشكّل مادة غنيّة للدراسة، إذ نوّع السقاف في هذا الفن، فكتب ضمن أنواع المقالة الذاتية والموضوعيّة، والصحفية مما أضاف أهميّة للمقالة عند السقاف لتكون ميدان دراسة.

الدراسات السابقة

وممّا دفعني أيضاً لاختيار مقالات الكاتب مادة للدراسة، تفرّد هذه الدراسة وريادتها في تناول فنّ المقالة عند الكاتب، إضافة إلى عدم وجود دراسات مستقلة وشاملة تناولت فنّ المقالة عند السقاف بالدرس والتحليل؛ سوى بعض الدراسات مثل دراسة محمد حسن عبد الله في كتابه (الحركة الأدبية والفكرية في الكويت(1)) وهي دراسة محكمة جادة رصينة اهتمت بالحركة الأدبيّة والفكريّة في الكويت، متناولةً عدداً من أدباء الكويت وشعرائها، لكن بسبب ضخامة محتواها واتساع هدفها لم تستغرق أدب السقّاف، ففي حديث المؤلف عن السقّاف لم يخصّ مقالاته بالبحث والتحليل، بل اقتصرت على دراسة القسم الأوّل من نشاط السقاف الأدبيّ، فيما تركت خلفها ثلاثة وثلاثين عاماً أخرى لم تحفل باهتمام.

أمّا الدراسة الثانية فهي دراسة أحمد بكري عصلة وهي بعنوان (أحمد السقاف القابض على جمر الإبداع)(2)، وقد اهتمت بأدب السقاف شعراً ونثراً، ودرست مجموعة منتخبة من مقالات السقاف، مع التركيز على الجانب الموضوعاتي من المقالة، دون البحث في الخصائص الفنيّة لها.

وثمّة دراسة ثالثة تناولت شعر السقّاف، وهي رسالة ماجستير جاءت بعنوان (صورة المكان الفنية في شعر أحمد السقاف)(3) لبدر نايف الرشيدي، كان محور الدراسة شعر السقاف لا نثره.

وقد سلطت الدراسة عدستها على نصوص مقالية مختارة؛ نظراً لكثرتها وازدحام الصحف والمجلات بها. ومن دوافع اختيار الدراسة للنصوص المقالية بالدرس والتحليل؛ الكشف عن رؤية الكاتب للواقع المعيش، الاجتماعي والثقافي والسياسي والوطني والقومي والإنساني، وكيفية توظيفه لأدوات فنية عديدة، لتجسيد رؤيته المعاصرة لها.

---

(1) عيد الله، محمد حسن، الحركة الأدبية والفكرية في الكويت، رابطة الأدباء في الكويت، الكويت 1973.

(2) عصلة، أحمد بكري، أحمد السقّاف القابض على جمر الإبداع، رابطة الأدباء في الكويت، ط2008/1.

(3) الرشيدي، بدر نايف، صورة المكان الفنية في شعر أحمد السقاف، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، 2012.

وتسعى الدراسة إلى تحليل نماذج مختارة من مقالات السقاف تحليلاً نقديّاً، للكشف عن أنواعها وأبعادها وموضوعاتها، ولتؤكد تفرد هذه المقالات واهتمامها الواضح بقضايا العصر، وتميزها بتناول موضوعات عديدة تمس المواطن الكويتي بشكل خاص، والعربي بشكل عام، وتجسد رؤية الكاتب اتجاه الواقع المعيش.

أسئلة الدراسة وأهدافها:

تثير الدراسة مجموعة من الأسئلة للإجابة عليها، ولعل من أهمها:

ـ ما مفهوم المقالة في اللغة والاصطلاح، وكيف تطور فن المقالة في الأدب العربي عامة وفي الأدب الكويتي خاصة؟

ـ ما أنواع المقالة وموضوعاتها عند أحمد السقاف؟

ـ ما الخصائص الفنية التي وظّفها أحمد السقاف في تشكيل مقالاته، وهل امتلك أسلوباً خاصاً به في كتابة مقالاته وما سمات النسيج اللغوي ومميزاته؟

وتهدف الدراسة من خلال محاولة الإجابة على جملة الأسئلة السابقة إلى:

ـ تتبع أدب الكاتب الكويتي أحمد السقاف والتطور المقالي في مسيرته وسبر روافد المقالة عنده.

ـ التعريف بمفهوم المقالة في اللغة والاصطلاح، وتطورها في الأدب العربي.

ـ بيان طرق كتابة المقالة وبنائها الفني والوقوف على فن المقالة في الكويت.

ـ الكشف عن أنواع المقالة وموضوعاتها وخصائصها الشكلية والفكريّة، والأسلوبيّة عند السقاف.

ـ تحليل خصائص المقالة عند السقاف بعد الوقوف عليها.

منهج البحث:

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، لاستقراء مقالات الكاتب، وتتبع التطور المقالي في مسيرته الكتابيّة، والبحث في روافد المقالة عنده، والوقوف على مفهوم المقالة وتطورها في الأدب الحديث والمعاصر، ومعرفة أنواعها وبنائها الفني، ومضامينها وموضوعاتها. واعتمدت الدراسة أيضاً في تحليل مقالات السقّاف على المنهج الجمالي، للكشف عن الخصائص الفنية والأسلوبية والفكرية في مقالات الكاتب.

مخطط الدراسة وسير البحث:

تتكوّن الدراسة من تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، وتناول التمهيد جذور المقالة وظهورها ومحدّداتها وعناصرها ومكوّناتها وأنواعها وميادينها من ذاتيّة وموضوعيّة وصحفيّة، كما تناول التمهيد المقالةَ العربية الحديثة، وفن المقالة في الكويت، والمقالة في أدب السقّاف.

وجاء الفصل الأول بعنوان مراحل تطوّر المقالة عند السقّاف، وتناول روافد المقالة وتطوّرها عند السقّاف، والعوامل المؤثّرة في تطورها، والتأطير الزمني لمراحل تطوّر المقالة عند السقّاف، وقد حدّدتها الدراسة بأربع مراحل مفصولة بتواريخ زمنية واضحة؛ هي مرحلة البدايات ومرحلة التأصيل ومرحلة التطور والتجديد، ومرحلة الإبداع والنضج.

أما الفصل الثاني وعنوانه أنواع المقالة وموضوعاتها عند السقاف فجاء في ثلاثة مباحث، الأول بعنوان المقالة الذاتية، أنواعها وميادينها عند السقاف، أما المبحث الثاني فجاء بعنوان المقالة الموضوعيّة أنواعها وميادينها، وجاء المبحث الثالث بعنوان المقالة الصحفيّة أنواعها عند السقّاف.

وجاء الفصل الثالث بعنوان خصائص المقالة عند السقّاف، حيث قامت الدراسة بتحليل الخصائص الشكليّة والخصائص الفكرية والخصائص الأسلوبيّة والفنية للمقالة عند السقاف.

أما الخاتمة فقد تضمّنت أهم النتائج التي توصّلت إليها الدراسة.

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ الدراسة واجهت صعوباتٍ عديدة، لعلّ من أكثرها تحدّياً قلّة الدراسات السابقة التي تناولت فن المقالة عند الكاتب أحمد السقّاف، وصعوبة الوصول إلى المصادر الأصليّة للمقالات موضوع الدراسة بسبب تقادم العهد.

وأخيراً فإنّ هذه الدراسة وإن حظيت بالتفرّد في تناول مقالات الكاتب الكويتي أحمد السقّاف، وأجابت على بعض الأسئلة التي تواجه الدارس في مثل هذا الموضوع، فنأمل أن تكون قد وُفقت في الوصول إلى جذور المقالة عند الكاتب، وإلى حقيقة وثمرة علميّة جديدة تسهم في رفد الحركة الأدبيّة الفنية الكويتية، والعربية بعامة.

ولا يسعني في النهاية إلاّ أن أتقدّم بالشكر الجزيل لكلّ من ساعدني على إتمام هذا البحث، وأخصّ بالذكر الدكتورة منتهى الحراحشة، التي كانت عوناً لي وتركت بصماتها واضحة في هذا العمل البحثي.

والله الموفّق

تمهيد

مفهوم المقالة وتطورها في الأدب الحديث

أولاً. تعريف المقالة في اللغة والاصطلاح

ثانياً. جذور المقالة

ثالثاً. ظهور المقالة

رابعاً. محددات المقالة

خامساً. عناصر المقالة ومكوناتها

سادساً. المقالة وأنواعها

المقالة الذاتيّة، ميادينها وأنواعها

المقالة الموضوعيّة، ميادينها وأنواعها

المقالة الصحفيّة، ميادينها وأنواعها

سابعاً. المقالة العربية الحديثة

ثامناً. فن المقالة في الكويت، النشأة والتطور

تاسعاً. فن المقالة في أدب أحمد السقاف

تمهيد
مفهوم المقالة وتطوّرها في الأدب الحديث

تُعَدّ المقالة من أكثر فنون النثر المعاصر أهميّة، فقد استطاعت أنّ تستوعب شتّى موضوعات المعرفة الإنسانيّة، ونالت حظوةً عند قطّاعٍ كبيرٍ من القرّاء؛ على تفاوت ثقافتهم وثقافاتهم.

أولاً: تعريف المقالة في اللغةً والاصطلاح

المقالة لغةً من القول بمعنى الكلام، أو ما يتلفّظ به اللسان، والمعاجم العربيّة وضعت "المقال" ضمن مادة "قول"، فقد جاء في لسان العرب: "قال يقول قولاً وقيلاً وقولةً ومقالاً ومقالةً(1)"، وأضاف الزبيدي في تاج العروس "قالاً(2)"، والواضح أن "المقال" مصدر ميمي للفعل (قال يقول)، وقد وردت بصيغتي التذكير والتأنيث، والصيغتان كلتاهما؛ تستخدمان في عصرنا الراهن، وقد أورد ابن منظور بيت الحطيئة(3):

تَحَنّنْ عَليّ هَدَاكَ المَلِيْكْ فَإنّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالَا

وللمقالة تعريفات اصطلاحيّة كثيرة وردت في المعاجم الحديثة؛ أو بين سطور الكتب، لذا يمكن القول: إنّ المقالة في الاصطلاح، تأليفٌ كتابيّ متوسّط الطول، يعرض فيه صاحبه موضوعاً محدّداً، وقد نظر إليه من زاويةٍ معيّنة، ووجهة نظرٍ يأخذ بها صاحب المقال(4). ولقد تعدّدت تعريفات المقالة الاصطلاحيّة في المعاجم الحديثة، واختلفت، لكن ذلك لا يعبّر عن التضارب، بمقدار ما يؤكّد التشاكل والتداخل، مع تركيز كلّ تعريفٍ منها، على أحد جوانب المقالة.

---

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم ـ لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، مج11، مادة (ق و ل).

(2) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني ـ تاج العروس من جواهر القاموس، تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج15 مادة (ق و ل).

(3) ابن منظور، محمد بن مكرم ـ لسان العرب، مج11 ص573 مادة (ق و ل)، مصدر سابق.

(4) كرم، جان ـ مدخل إلى لغة الإعلام، دار الجيل بيروت ط1/1992 ص43.

ومن تعريفات المقالة اصطلاحاً، أنّها " نثرٌ غير تخييليّ ذو مقصدٍ حجاجيّ، وهو جنسٌ أدبيّ وجيز، سمته الرئيسة ـ حسب "رولاند بارت" ـ الفوضى الجميلة، وسمة الفوضى قارّةٌ في المقال، وهي تأتي من كونه يستعمل طريقة هي منهجيّاً غير منهجه، والفوضى طريقة أدبيّة لقول كلّ شيءٍ تقريباً"(1).

وعُرِّفتْ في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب " كلّ مؤلّف ليس من صفاته التعمّق في بحث موضوعٍ ما، ولكنها تتناول الأفكار العامّة المتعلّقة بذلك الموضوع، ويكون نثراً قصيراً عادةً"(2).

يورد محمد يوسف نجم تعريفاً لأحد الباحثين يعرّف فيه المقالة بأنّها: "قطعةٌ إنشائيّةٌ ذات طولٍ معتدلٍ تدور حول موضوعٍ معيّن أو حول جزءٍ منه(3)". ويعرّفها نبيل حداد: "هي إنشاءٌ نثريٌّ قصيرٌ يتناول موضوعاً واحداً، وكُتبت بطريقةٍ لا تخضع لنظامٍ معيّن بل تتبع لهوى الكاتب وذوقه(4)"، و "هي نوعٌ من الأنواع الأدبيّة النثريّة، تدور حول فكرةٍ واحدةٍ، وتناقش موضوعاً محدّداً، أو تعبّر عن وجهة نظرٍ ما، وتهدف إلى إقناع القرّاء بفكرةٍ معيّنة، وإثارة عاطفةٍ عندهم، ويمتاز طولها بالاقتصاد، ولغتها بالسلاسة والوضوح، وأسلوبها بالجاذبية والتشويق(5)".

وفي المعاجم الأجنبيّة نجد شيئاً قريباً ممّا سبق، فمحمد يوسف نجم يعترف أولاً بصعوبة وضع تعريفٍ جامعٍ مانعٍ للمقالة(6)، ثمّ ينقل تعريفات يرى أنّها مفيدة، ومنها ما نقله عن صمويل جونسون7 مثلاً: بأنها" نزوة عقليّة لا ينبغي أن يكون لها ضابطٌ من نظام، هي قطعةٌ إنشائيَّة لا تجري على نسَقٍ معلوم، أو لم يتمَّ هضْمها في نفس كاتبها"(8)، وجاء في قاموس لاروس "أنّها الكتابات التي لا يدّعي أصحابها التعمُّق في بحثها، أو الإحاطة التامّة في معالجتها"(9).

---

(1) القاضي، محمد وآخرون ـ معجم السرديات، دار محمد علي للنشر والتوزيع، تونس، ودار الفارابي ، لبنان، ط1/2010 ص400.

(2) وهبة، مجدي و كامل المهندس ـ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت ط1/1984، ص378.

(3) نجم، محمد يوسف ـ فن المقالة، بيروت 1963، ص94.

(4) حداد، نبيل ـ في الكتابة الصحفية، دار الكندي، إربد 2002، ص212.

(5) أبو إصبع، صالح ومحمد عبيد الله ـ فن المقالة (أصول نظريات نماذج)، دار مجدلاوي، عمان 2001، ص12.

(6) نجم، يوسف ـ فن المقالة، ص 93، مصدر سابق.

(7) صمويل جونسون: 1709-1784 م، أديب، و كاتب، وناقد، وشاعر بريطاني، له إسهامات هامة في الأدب الإنجليزي.

(8) نجم، محمد يوسف ـ فن المقالة ص93، مرجع سابق.

(9) http://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/essai.

وفي قاموس أوكسفورد :هي " إنشاءٌ متوسّط الطول في موضوعٍ ما وهي دائماً يعوزها الصقل، ومن هنا تبدو أحياناً غير مفهومةٍ، وغير منتظمةٍ(1)". وينقل إبراهيم إمام عن " دائرة المعارف البريطانية، التي حدَّدتها بأنّها قطعةٌ إنشائيّةٌ ذات طولٍ متوسّطٍ، تُكتب نثراً، وتعرض الأبعاد الخارجيّة للموضوع؛ بأسلوبٍ سهلٍ سريعٍ، ولا تهتمّ إلاّ بما يمسُّ كاتبها عن قُربٍ(2)". فهي "محاولةٌ أي أنّها شيءٌ غير مكتملٍ؛ شيءٌ يشبه المذكّرات الخاصّة، والخواطر المتناثرة، وعلى القارئ إكمال ما فيها من نقصٍ(3)".

ولا شكّ أنّ القارئ سيلاحظ من التعريفات السابقة، تقاطعها في تعريف المقالة؛ ولذلك يمكن رسم بعض المحدّدات؛ فهي جنسٌ أدبيٌّ يُكتب نثراً، والإنشائيّة الأسلوبيّة فيها تعبيرٌ أصيلٌ عن طابعها الذاتيّ الشخصيّ، وربّما الغنائيّ. وتكتب المقالة بلغةٍ بسيطةٍ مفهومةٍ، بعيدةٍ عن التقعُّر والتكلّف، وتجنح إلى إثراء القارئ بالمعلومة، وإثارة فكره، وهي بهذا الشكل لا تبتعد كثيراً عمّا أراد لها مبتكرها مونتين(4) الذي أطلق عليها هذا الاسم؛ إذ أراد لها أن تكون محاولاتٍ غير مكتملة وغير ناضجة، من خلال ربطها بالأحاديث المستخفّة، والتجارب الشخصيّة، وعندما تلقّفها بيكون(5) قلّل فيها من الناحية الشخصيّة وزاد فيها الجوانب الدراسيّة، فأصبحت المقالة على يده، أقرب إلى التركيز والإدماج منها إلى التبسيط والفكاهة وهكذا انطلقت(6).

---

(1) Baldick, Chris - **The Concise Oxford Dictionary of Literary Terms**, OXFORD UNIVERSITY PRESS - 2001, p 87.

(2) إمام، إبراهيم ـ دراسات في الفن الصحفي، القاهرة ط1/ 1972، ص181.

(3) حمزة، عبد اللطيف ـ المدخل إلى فن التحرير الصحفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ط5/ 2002، ص256.

(4) ميشيل دي مونتين 1533- 1592: أحد أكثر الكتاب الفرنسيين تأثيرا في عصر النهضة الفرنسي. رائد المقالة الحديثة في أوروبا ومبتكرها. وكان يقلد اليونانين والكلاسيكيين في عادتهم في رصف الحكم والأمثال في ثوب مسجوع، وتأثر كثيراً بكتابات أرسطو، ولكنه تفرد بأسلوبه المرسل، وظهرت شخصيته بوضوح، يشتهر ميشيل دي مونتين بمقالاته التي نُشرت في ثلاث مجلدات.

(5) فرانسيس بيكون: 1561 – 1626: فيلسوف ورجل دولة وكاتب إنجليزي، معروف بقيادته للثورة العلمية عن طريق فلسفته الجديدة القائمة على " الملاحظة والتجريب ". من الرواد الذين انتبهوا إلى غياب جدوى المنطق الأرسطي الذي يعتمد على القياس. كان معاصراً لمونتين وأخذ عنه ابتكاره للمقالة وطوّره إلى حدّ كبير.

(6) ينظر: شرف، عبد العزيز ـ الأساليب الفنية في التحرير الصحفي، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص332.

ثانياً: جذور المقالة

يرى معظم الباحثين أنّ للمقالة جذوراً قديمة في آداب الأمم، فقد عرف الإغريق والرومان والعرب أشكالاً متباينةً، لما يمكن تسميته تجاوزاً مقالة. " فعند الإغريق نجد ثيوفراستوس تلميذ أرسطو، الذي كتب مقالاتٍ عن الشخصيّات، فصوّر النماذج الشريرة للبشر. كما وضع فلوتارفوس أسس المقالة التأمليّة في كتابه أخلاقيات، ثم ظهرت عند الرومان بأشكالٍ أخرى، على يد سيسكا وشيشرون"(1). وثمّة من يذهب إلى أنّ "في آثار الإغريق والرومان صوراً متطوّرة عن المقالة البدائيّة؛ يمكن أنْ نلاحظ فيها أنماطا بدائية للمقالة على أنواعها؛ في كتابات فيثاغورس وهيرودوتس، كما أنّ أساليب بعض الفلاسفة والكتّاب أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو كانت ذات أثرٍ مباشر في أساليب بعض أنواع المقالة الحديثة"(2). لكنّ استبداد المسيحيّة بعد ظفرها العظيم في أوربا؛ قضى على هذه الأشكال مثلما قضى على الحياة الفكريّة في ذلك العصر، وبقي الحال على هذا المنوال، حتى بزوغ فجر النهضة الأوربيّة؛ حيث تفشّت روحٌ جديدةٌ، وبدأ عصرٌ جديدٌ، وعندها عادت المقالة للظهور؛ بل كانت مرآة عصر النهضة.

وقد "ظهر عند العرب ما يمكن تسميته مجازاً مقالةً تحت مسمّى فن الرسائل، ولا سيما الرسائل الإخوانية والعلمية"(3)، لكن مع بداية القرن الرابع الهجريّ اتجه النثر العربيّ نحو التكلّف، ممّا أضر بفنّ الرسالة وأبعد عنها شُبهة شبهها بالمقالة. ويربط بعض الباحثين المقالة بفنون أدبيّة أخرى ظهرت في الأدب العربيّ كـ "الخطبة والمقامة"(4)، بيد أنّ صلة المقالة بالرسائل تبدو أوثق، ولذلك يمكن عدّها مقالاتٍ بدائيةً، بل إنّ بعض خصائص فنّ المقالة؛ ظهرت في كتابات الجاحظ وفي مقابسات أبي حيان التوحيديّ، ورسائل عبد الحميد الكاتب، وأدب ابن المقفع.

---

(1) نجم، محمد يوسف ـ فن المقالة، ص13 وما بعدها. مرجع سابق.

(2) المرجع السابق ص 17 وما بعدها.

(3) المرجع السابق ص 17 وما بعدها.

(4) أبو إصبع، صالح ومحمد عبيد الله ـ فن المقالة، ص10، مرجع سابق.

ثالثاً: ظهور المقالة

إنّ الهزّة العنيفة؛ التي ضربت أوربا خلال عصر النهضة؛ كانت في حقيقتها دعوةً لإحياء التراث الإغريقيّ، والنبش في آثار الرومان، ولذلك بدت المقالة آنذاك كفنّ عصريّ يعبّر؛ عن انعطافةٍ تاريخيّةٍ حاسمةٍ؛ وضعت أوروبا على طريق النهضة في شتّى ميادين الحياة.

ولقد بيّن المؤرّخون والباحثون بأنّ عصر النهضة هو الذي شهد ميلاد المقالة الحديثة، ويمكن للمرء أن يجري تقابلاً ذا أساسٍ فكري يطابق فيه بين طبيعة المقال؛ والروح التي تفشّت في أوربا إبّان عصر النهضة، ويمكن القول: إن المقالة هي التعبير الأدبيّ الذي كشف وجه النهضة الأوربيّة بوضوحٍ. فالمقالة "وليدة روح التجربة، والعناية بالخبرة الإنسانيّة، والاهتمام بالفرد، والإيمان بقدرته"(1). لقد حدث هذا، بينما كانت أوربا تحاول التمرد على سلطة الكنيسة، وتنزع عن كاهلها عصور الظلام، وقد تميزت هذه الفترة بظهور المدارس الفلسفية الجديدة، وانتقال الفكر من الأسطوريّة والظلاميّة، نحو الواقعيّة والموضوعيّة والعلميّة.

يجمع الباحثون على أنّ الكاتب الفرنسي ميشيل دي مونتين مبتكر المقالة الحديثة، فقد ترك عمله في المحاماة، وانتقل ليعيش في مزرعته الريفيّة بحثاً عن الهدوء؛ حيث بدأ يكتب مقالاته التي لم تلبث أن اشتهرت، وذاع صيتها في أوربا، وكان أن وصلت إلى إنكلترا حيث تُرجمت ولاقت صدًى طيبا، وفي عام ألفٍ وخمسمئةٍ وسبعةٍ وتسعين1597م، أصدر الإنكليزي فرانسيس بيكون مجموعةً من المقالات خرج بها عن إطار دي مونتين(2)،

---

(1) شرف، عبد العزيز ـ فن المقال الصحفي، دار قباء للنشر والتوزيع القاهرة 1980، ص26.

(2) ينظر: نجم، محمد يوسف ـ فن المقالة، ص27 وما بعدها، مرجع سابق.

ثم انتشرت المقالات، وبرزت شهرة كتّابها من المبدعين من أمثال رتشارد ستيل1 وجوزيف أديسون(2)، "وتطوّر شكلها ومضمونها مع ظهور الصحف والمجلات في القرنين السابع عشر والثامن عشر متجاوزةً بذلك خطواتها الأولى في القرن السادس عشر"(3)، كما عُرف "من كتابها تشارلز لام(4) في القرن التاسع عشر"(5).

رابعاً : محددات المقالة

المقالة فنٌّ نثريٌّ إنشائيٌّ يتميّز باعتدال طوله؛ ويقدّم عرضاً لفكرة واحدة بأسلوبٍ مبسّطٍ، ولغةٍ واضحةٍ، ولعلّ هذا التعريف المبسّط أقرب إلى طبيعة المقالة، من حيث هي فنٌّ يشتمل على الخصائص الواردة في التعريف السابق، ومجمل التعريفات التي وردت آنفاً، وينطوي هذا التعريف على المحدّدات الآتية:

النثر: فالمقالة فنٌّ نثريٌّ أيْ أنّه يُكتب نثراً لا شعراً، فهو فن نثري يخدم فكرته، وإن وجدت الصور والايقاع الموسيقى أحياناً، فالهدف منها خدمة الفكرة.

الطول: المقالة محدّدةٌ بطولٍ معتدلٍ قياساً للأنواع النثريّة الأخرى، فقد لا تقلّ عن صفحة وربما لا تزيد عن بضع صفحاتٍ، وقد ساعد ذلك على انتشارها فهي لا تأخذ وقتاً طويلاً من القارئ، كما ساعد ذلك الاعتدال على تبوّئها صفحات المجلاّت والجرائد.

الإنشائية والنزعة الشخصيّة: المقالة تعبيرٌ شخصيٌّ؛ فمن حيث معالجة موضوع المقالة، ومن حيث الأسلوب، ومن حيث منطق الكاتب وتفكيره؛ تبدو المقالة فنّاً أدبيّاً مفعماً بالغنائيّة، فالمقالة "قطعةٌ من النثر تعالج موضوعاً خاصّاً بالكاتب ممّا مارسه أو خطر له أو توهّمه أو ابتدعه، ونواة المقال فكرةٌ أو خاطرةٌ مستوحاةٌ من أيّ مصدرٍ عايشه الكاتب أو قرأه أو بلوره بعد ذلك بموضوعٍ محدّدٍ يبني حوله صوراً مختلفة وأشكالاً متكاملة(6)"

---

(1) ريتشارد ستيل: 1672 -1729 كاتب إيرلندي وسياسي اشتهر بمقالاته بعد عصر بيكون.

(2) جوزيف أديسون: 1672 - 1719صحفي وكاتب وشاعر مسرحي ورجل سياسة إنجليزي، كان يعد واحدًا من أشهر كتاب المقالة في النصف الأول من القرن الثامن عشر.

(3) أبو إصبع، صالح و محمد عبيد الله، فن المقالة، ص18، مرجع سابق.

(4) تشارلز لام 1775 – 1807: كاتب إنجليزي اشتهر في مجال النقد ومن أشهر مؤلفاته مقالات ايليا، حشد فيها كثيرًا من ذكرياته خبراته.

(5) كرم، جان ـ مدخل إلى لغة الإعلام، ص44، مرجع سابق.

(6) حداد، نبيل ـ في الكتابة الصحفية، ص218. مرجع سابق.

، ولعلّ هذه السمة كانت ملمحاً بارزاً أكّد عليه دي مونتين مبتكر المقالة حينما قال: "إن ذاتي هي موضوع مقالاتي"(1)، ودون أنْ نغفل أنّ بيكون فيما بعد حدّ من النزعة الذاتيّة في المقالة نوعاً ما، فقد بقيت هذه النزعة ملمحاً رئيساً فيها. وتتجلّى الإنشائيّة والشخصيّة من خلال هذه النزعة الذاتية الغنائيّة، فمهما كان موضوع المقال، فإن الكاتب لا يستطيع أن يُخفي عاطفته أو رأيه الشخصيّ.

اللغة والأسلوب: لغة المقالة بسيطةٌ يفهمهما الجميع؛ واضحةٌ شائقةٌ أقرب إلى لغة العامّة دون أنْ تلِجَ فيها، وقد أثبت إبراهيم إمام ما أورده عبد الله النديم في العدد الأول من صحيفة التنكيت والتبكيت؛ إذ قال "إنّه لا يريد من اللغة أن تكون منمّقةً بمجازاتٍ واستعاراتٍ، ولا مزخرفةً بتوريةٍ واستخدامٍ، ولا مفتخِرةً بفخامة لفظٍ ولا بلاغة عبارةٍ، ولا تضطرُّ لترجمانٍ يعبّر عن موضوعها ولا شيخٍ يفسّر معانيها(2)"، و" يقتضي الأسلوب في هذا اللون من النثر الأدبي التأنّق في اللفظ، وجودة السبك وتوليد المعاني، والمعرفة بأسرار اللغة ووفرة المحصول من المفردات، والبصر بالكلام الجيد من المنظوم والمنثور، كلّ ذلك إلى جانب طبيعة مواتية وحسٍّ مرهف وذوقٍ رقيق يهدي إلى مواطن الجمال"(3).

خامساً : عناصر المقالة ومكوناتها

المادّة: هي مجموعة الأفكار، والآراء، والحقائق، والمعارف والنظريّات، والتأمّلات، والتصوّرات، والمشاهد، والتجارب والأحاسيس، والمشاعر، والخبرات التي تنطوي عليها المقالة. والمقالة تعالج قضيّةً واحدةً أو جانباً من موضوعٍ واحدٍ، وبذلك لا تستدعي شدّةً في التركيز، بل تكون أقرب إلى الإمتاع السريع والإثارة، بقدر ما تكون مهيّأةً لضخّ المعرفة.

الأسلوب: ليس للمقالة أسلوبٌ أو طريقةٌ واحدةٌ، إنّما يرتبط الأسلوب بشكل عضويّ بشخصيّة الكاتب وطريقته في الكتابة، غير أنّنا نستطيع أن نلمح سماتٍ عامةً لما يمكن تسميته أسلوب المقالة؛ "فالفنّ المقاليّ يدفع الكاتب لاختيار ألفاظٍ معيّنة تميّزه عن سواه من الفنون الأدبيّة، كما أنّ له سنناً معيّناً في ترتيب الألفاظ، بالإضافة لما للكاتب من أسلوبٍ يعالج به على نحوٍ منفرد"(4).

---

(1) إمام، إبراهيم ـ دراسات في الفن الصحفي، ص181، مرجع سابق.

(2) إمام، إبراهيم ـ دراسات في الفن الصحفي، ص197، مرجع السابق.

(3) الدسوقي، عمر ـ نشأة النثر الحديث وتطوّره، دار الفكر العربي، القاهرة 1976، ص58.

(4) شرف، عبد العزيز ـ فن المقال الصحفي، ص24، مرجع سابق.

الخطّة: تُحدّد خطّة المقالة بثلاثة أجزاءٍ هي المقدّمة والعرض (أو الجسم أو المتن) والخاتمة، والمقدّمة هي المدخل والتمهيد لعرض آراء الكاتب، ويجب أن تكون قادرة على جذب القارئ، وأن تكون شديدة الاتّصال بالموضوع وأن تكون موجزةً، ومركّزةً تشمل الفكرة الأساسيّة للموضوع. وأمّا العرض؛ فهو جسم الموضوع ومتنه، وهو الأصل في المقالة، ويشمل فقراتها بعد المقدمة، ويتكوّن من عدّة فقراتٍ تتّسم بالوحدة والتماسك، وفيه تعرض أفكار الكاتب عرضاً صحيحاً، وافياً متوازناً، مترابطاً متسلسلاً. أمّا الخاتمة ففيها يلخّص الكاتب النتائج التي توصل إليها في العرض. أمّا العنوان فهو الذي يقوم بدورٍ كبيرٍ في جذب القارئ، ولذلك يجب أن يتّسم بالتركيز والإيجاز والتعبير عن الموضوع، كما يجب أن يكون واضحاً بعيداً عن الغموض(1).

سادساً: المقالة وأنواعها

تتّسع المقالة لتشمل شتّى الموضوعات؛ وتفوّقُ المقالة على الفنون النثرية الأخرى جاء من هذه الميزة الرئيسة، والحقّ أنّ هذه الميزة أيضاً أكسبتْ فنَّ المقالة نوعاً من التعدّد، فليس وجيهاً أن كلّ ما يُكتب في فنّ المقالة من نوعٍ واحدٍ، ولكنْ من التعسّف أيضاً التفريقُ بين هذه الأنواع بوضع الفواصل المانعة والحدود، ذلك أنّ تنوّع المقالة مبني أساساً على تنوّع الموضوع، وليس في هذا مدعاةٌ للتمايز بقدر ما هو تعبير عن طبيعة المقالة الشموليّة.

وقد دأب الباحثون والنقّاد على التزيّد في هذا الباب، فهم يقسمون ثمّ يُفرّعون الفروع، ولا شكّ أن في ذلك مجازفة تؤدي إلى تداخل تلك الفروع، وهذا ما كان يُغضّ الطرف عنه دائماً. إنّ التمييز بين أنواع المقالات مهمّة شاقة عسيرة، وطبيعة هذا الفنّ الأدبيّ لا تقرّه ولا توافق عليه، فبعض "الكتّاب يجمعون في مقالاتهم بين الذات والموضوع، وقد يُضفون على مقالاتهم الموضوعيّة مسحة ذاتيّة أو أن يقوموا بالعكس"(2).

هناك من يقسم المقالة إلى أنواعٍ متنوعة تبعاً لمادتها وأسلوبها فيحدّد: "المقالة التقليديّة أو الرسميّة، والمقالة غير التقليديّة أو الذاتيّة الحرّة أو التأمليّة، والمقالة الشخصيّة، والمقالة الاجتماعيّة، والمقالة الخلقيّة"(3)، "والمقالة الوصفيّة أو العرضِيّة، والمقالة النزاليّة"(4)

---

(1) ينظر: أبو إصبع، صالح ومحمد عبيد الله، فن المقالة، ص28 وما بعدها، مرجع سابق.

(2) نجم، محمد يوسف ـ فن المقالة ص 134، مرجع سابق.

(3) شرف، عبد العزيز ـ فن المقال الصحفي، ص25، مرجع سابق.

(4) خليفة، إجلال ـ اتجاهات حديثة في فن التحرير الصحفي، ص 105، مرجع سابق.

وقد أضاف محمد يوسف نجم أنواعاً أخرى "كالمقالة النقديّة والقصصيّة والمذكّرات واليوميّات ومقالة الصور الشخصيّة والرسائل العرضيّة والكاريكاتوريّة والمقال الذي يكون على شكل رسالةٍ مع قارئ"(1).وهناك تنويعات أخرى ترتبط بالتوجّه أو الهدف أو المعالجة؛ وهي ذات طبيعةٍ مهنيّة أكثر تخصّصاً فنجد "المقالة الإيديولوجيّة والدعائيّة والإعلاميّة والتوجيهيّة أو الإرشاديّة والجداليّة"(2).

يميّز عبد اللطيف حمزة بين أصناف ثلاثةٍ من المقالات، هي " المقالة الصحفيّة، المقالة الأدبيّة، والمقالة العلمية "(3)، والأمر على هذه الشاكلة يصنّف المقالة على أنّها خطاب متنوّع. وهنالك من يصنّف المقالة ضمن ثلاثة مجالات هي موقف الكاتب، والموضوع، والأسلوب. فمن خلال موقف الكاتب؛ يظهر أنّ المقالة تنقسم على قسمين كبيرين هما "المقالة الذاتيّة والمقالة الموضوعيّة"(4)، مع وجود قسم آخر يجمع بين النوعين السابقين هو "المقالة الذاتيّة الموضوعيّة"(5). أمّا المقالة الذاتيّة فتتفرّع إلى أنواع، كما أنّ المقالة الموضوعيّة تتفرع إلى أنواع أخرى(6). كما تقسم المقالة من حيث الأسلوب إلى "مقالةٍ أدبيّة ومقالةٍ علميّة"(7). أما التقسيم الذي يرتهن إلى الموضوع، فهو يقسم المقالة إلى أنواع كثيرة بغضّ النظر عن موضوعيّتها أو ذاتيّتها، ولذلك يتمّ احتواؤه في التصنيفين السابقين. ولا شكّ أنّ في هذا التنوّع تداخلاً بيّناً، ولذلك فإنّ الأفضل هو اعتماد التقسيم البسيط للمقالة، وهو ما اشتهر عند الباحثين والنقاد، وهو ما يحدد الأنواع الرئيسة للمقالة وفق الآتي:

المقالة الذاتيّة.

المقالة الموضوعيّة.

المقالة الصحفيّة.

---

(1) نجم، محمد يوسف ـ فن المقالة، ص 54، مرجع سابق.

(2) خضور، أديب ـ مدخل إلى الصحافة، ص152، مرجع سابق.

(3) حمزة، عبد اللطيف، أدب المقالة الصحفية في مصر، دار الفكر العربيّ، د.ت، ج1 ص4.

(4) أبو ذكرى، السيّد مرسي ـ المقال وتطوّره في الأدب المعاصر، دار المعارف، مصر 1982 ص 79.

(5) المرجع السابق، ص79.

(6) ينظر: المرجع السابق، ص 74وما بعدها.

(7) المرجع السابق، ص 80.

إنّ النوعين الرئيسين للمقالة؛ هما المقالة الذاتيّة والمقالة الموضوعيّة،" ويفرّق بينهما بأنّ المقال الذاتيّ تبدو فيه شخصيّة الكاتب واضحةً، ويفيض أسلوبه بالعاطفة، ويستند إلى الصور الخياليّة والصنعة ويزخر بالألفاظ القويّة، والكلمات الجزلة، أما المقال الموضوعيّ فالكاتب فيه يجلو موضوعاً معيّناً، ويقوم على تعميمٍ محكمٍ وتنسيقٍ بديعٍ، ويخلو أسلوبه من الحشو والاستطراد، ويعتمد على المصطلحات مع ضرورة المحافظة على بنائه القائم على المقدّمات والعرض والنتائج"(1). وبشكلٍ بسيط؛ إذا أمكن لنا معاينة أثر للكاتب في مقالته من خلال انفعالٍ وعاطفةٍ ومشاعر أو أحاسيس، تظهر من خلال الأسلوب الإنشائيّ المعتمد فيها؛ يمكن أن نجزم بأنّها مقالة ذاتيّة، في حين إذا تعذّر مثل ذلك، فقدّم الكاتب أفكاره بشكلٍ موضوعيّ مجرّد، مبتعداً عن الإنشاء والصور والأخيلة، مستخدماً لغةً علميّةً دقيقةً، نستطيع الحكم من خلال ذلك أنّ المقالة موضوعيّة. وهذا ما يؤكد عليه محمد يوسف نجم؛ إذ يرى أنّ الفروق الأساسيّة بين هذين النوعين "هي أنّ المقالة الذاتيّة تعنى بإبراز شخصيّة الكاتب، بينما تُعنى المقالة الموضوعيّة بتجلية موضوعها، بسيطاً واضحاً خاليا من الشوائب التي قد تؤدّي إلى الغموض واللبس، والمقالة الذاتيّة حرّة في أسلوبها، وطريقةُ عرضها لا يضبطها ضابط، بينما تحرص المقالة الموضوعيّة على التقيّد بما يتطلّبه الموضوع من منطق في العرض والجدل، وتقديم المقدّمات واستخراج النتائج"(2).

في الوقت نفسه؛ فإنّ الأمر نسبيّ، إذ لا بدّ أن يتسرّب إلى المقالة الموضوعيّة شيءٌ من الذاتيّة، أو أن يتسرّب إلى المقالة الذاتيّة بعض الموضوعيّة، ونحكم حينها على المقالة باعتبار الأسلوب الغالب عليها، وهذا ما يراه نجم إذ يقول:" إنه ليس من السهولة التفريق بينهما والمحكّ الصادق بينهما، هو مقدار ما يبثه الكاتب في كل منهما من عناصر شخصيّة"(3). وبالنتيجة فإن المقال" ذاتيّ أو موضوعيّ وقد يكون موضوعيّا ذاتيّا(4)".

من جهة ثانية، يُنظر أيضاً إلى المقالة باعتبار الموضوع الذي تعالجه، فنقول مقالة سياسيّة وأخرى نقدية وتاريخية وأدبية واجتماعية وهكذا. ويمكن أن نضيف أن لكل نوع رئيس من المقالة موضوعاته التي يختص بها، فثمة موضوعات يفضل معالجتها من خلال المقالة الذاتية، وأخرى من خلال المقالة الموضوعية،

---

(1) أبو ذكرى، السيّد مرسي ـ المقال وتطوّره في الأدب المعاصر، ص 73، مرجع سابق.

(2) نجم، محمد يوسف ـ فن المقالة ص97، مرجع سابق.

(3) نجم، محمد يوسف ـ فن المقالة ص96، مرجع سابق.

(4) أبو ذكرى، السيّد مرسي ـ المقال وتطوّره في الأدب المعاصر ص73، مرجع سابق.

ولكن في جميع الأحوال، فالمقالة سواء كانت موضوعيةً أم ذاتية فهما "تنبعان من منبع واحد، هو رغبة الكاتب الملحّة في التعبير عن شيءٍ ما، وقد يكون هذا الشيء تأمّلاته الشخصيّة في الحياة والناس، فيكتب مقالة ذاتيّة، وقد يكون موضوعاً من الموضوعات فيعمد إلى المقالة الموضوعيّة، وفي كلتا الحالتين يهتدي الكاتب إلى الأسلوب المعبّر الذي يعينه على تجلية غرضه"(1).

المقالة الذاتيّة: ميادينها وأنواعها

يعرّف ربيعي عبد الخالق المقالة الذاتيّة بأنّها " تلك العصارة الحيّة التي يثمرها التجاوب الذاتي للأديب، والكاتب تجاه تجربة يعانيها، ويعايشها نبضاً، وفكراً ثمّ يفرزها في تدفّقٍ وحيويّة نسيجاً حيّاً يميّز أسلوب شخصه، وينطق بلسان حاله، ويجسّد كيان ذاته"(2)، ولاشكّ أن التعريف السابق يقود المقالة الذاتيّة نحو الأدبيّة، وبذلك تطابق المقالة الذاتيّة المقالة الأدبيّة. وترى الدراسة؛ أنّ المقالة الذاتيّة هي الوريث الشرعيّ للمقالة كما ظهرت في بدايتها، فهي بهذا المعنى قد " احتفظت بالمعنى الأدبيّ والتاريخيّ للاصطلاح"(3)، ومنذ ابتكارها على يد الفرنسيّ مونتاني، "كانت تُكتب لتوفّر قيمةً أدبيّةً خالصةً حتّى غدت مُقابلةً للقصيدة الغنائيّة"(4). والأمر على هذا الشاكلة يقودنا إلى استنتاجٍ حقيقيّ عندما يُطلب منّا تعريف المقالة الذاتيّة، وهي حقيقةً ليست إلاّ المقالة بشكلٍ عامّ كما بدأت وبدت في أوّل عهدها، ومعنى ذلك أن تعريف المقالّة الذاتيّة هو بالضرورة تعريف المقالة بشكلٍ عام، كما ورد معنا في التمهيد، دون أن نغفل أن المقالة فيما بعد تفرعت فرعين احتفظ الأول منهما بخصائص المقالة وهو المقالة الذاتيّة، أما الثاني فقد احتفظ بالخصائص الشكليّة فقط، وابتعد عن الأسلوبية الذاتية والشخصيّة للكاتب، فكان المقالة الموضوعيّة.

---

(1) نجم، محمد يوسف ـ فن المقالة ص97، مرجع سابق.

(2) عبد الخالق، ربيعي ـ فن المقالة الذاتية في الأدب العربي، دار المعرفة الجامعيّة الإسكندرية، د.ت، ص69.

(3) أبو ذكرى، السيّد مرسي ـ المقال وتطوّره في الأدب المعاصر، ص 80، مرجع سابق.

(4) المرجع الساق، ص98.

والمقالة الذاتيّة سمّيت ذاتيّةً؛ لأنّها " تتبع رغبة الكاتب في التعبير عن تجاربه الشخصيّة وتأمّلاته الذاتيّة في الكون والحياة والناس، من خلال عملٍ إبداعيّ يستمدّ عناصره من مشاعره هو؛ ومن وجهة نظره الخاصة(1)". والمقالة الذاتيّة لا تشتمل على قيمة خارجة عن نطاقها الخاص أي أنّها متعة بحدّ ذاتها، لا بما تحتويه من المعلومات الموثوقة، والتحليل العلميّ الدقيق ، فهي لا تقوم على الجدل والنقاش، بل تُعنى بالتعبير عن تجربة حيوية تمرّس بها الكاتب، ولا يشترط في كاتب المقالة الذاتيّة أن ينظر إلى الحياة بنظرةٍ جادّةٍ، بل عليه أن يلمحها بعينٍ ساخرة(2). وفي المقالة الذاتيّة تبدو شخصية الكاتب جذّابة تستهوي القارئ وتستأثر بلبه، وعدّة الكاتب في ذلك الأسلوب الأدبيّ الذي يثير الاهتمام بما يستند إليه من "صياغة فنّيّة قوامها الحسّ اللغويّ والمهارات البيانيّة التي تسهم في بلورة انطباعات الكاتب، وتوضيح رؤاه الذاتيّة الوجدانيّة والذهنيّة بلورةً أدبيّةً"(3).

تلتبس المقالة الذاتية على القارئ، فليس سهلاً أن يُحدّد نمطها أو نوعها، فالمقالات الذاتيّة تشترك من حيث أسلوبها الأدبيّ؛ وإن فرّقتها الموضوعات، كما أنّه "ليس من اليسير تحديد الموضوعات التي يتاح لكتّاب المقالة الذاتيّة أن يديروا حولها مقالاتهم"(4)، ومع ذلك فقد دأب النقاد على تقسيمها وتنويعها، فبعض الباحثين حدّد أن أنواع المقالة الذاتيّة ثلاثة هي المقالة الذاتية التأمّليّة والمقالة الذاتيّة الانطباعيّة والمقالة الذاتيّة، "فالمقالة الذاتيّة (الشخصيّة) ذات الاتجاه الوجداني الشخصي يندرج فيها مقالات تعالج موضوعات الحب والمرأة والرثاء والشكوى والوصف وتصوير الرحلات"(5)، أمّا "المقالة الذاتية الانطباعيّة فتعالج موضوعات الحس الإنسانيّ والاجتماعيّ"(6)، أمّا "المقالة الذاتيّة التأمليّة فهي تعالج موضوعات إنسانيّة واجتماعيّة من وجهة نظر خاصّة"(7).

---

(1) عبد الخالق، ربيعي ـ فن المقالة الذاتية في الأدب العربي، ص69، مرجع سابق.

(2) ينظر: نجم، محمد يوسف ـ فن المقالة ص101، مرجع سابق.

(3) عبد الخالق، ربيعي ـ فن المقالة الذاتية في الأدب العربي ص69، مرجع سابق.

(4) نجم، محمد يوسف ـ فن المقالة ص101، مرجع سابق.

(5) عبد الخالق، ربيعي ـ فن المقالة الذاتية في الأدب العربي، ص89 وما بعدها، مرجع سابق.

(6) المرجع السابق، ص123.

(7) المرجع السابق ص151.

وقد استخلص محمد يوسف نجم من المقالة الذاتيّة، ما يمكن تسميته بأنواع أو ألوان المقالة الذاتيّة وأهمّها(1): مقالة الصورة الشخصيّة(2)، ومقالة النقد الاجتماعيّ(3)، والمقالة الوصفيّة(4)، ومقالة وصف الرحلات، ومقالة السيرة(5) والمقالة التأمّليّة. وقد أضاف آخرون أنواعاً أخرى "كالمقال الانطباعي، والمقال الساخر، والمقال الإذاعي، والمقال الإنشائي"(6)، غير أن الدراسة ستعتمد تصنيف نجم، لأنها وجدته جامعا موجزا، كما ستتحاشى الدراسة الحديث عن هذه الأنواع، إذ ستقتصر على أنواع المقالة التي تظهر لدى السقّاف.

المقالة الموضوعيّة: ميادينها وأنواعها

هي النوع الثاني الرئيس من المقالة، "فمنذ أواخر القرن الماضي، أخذ رجال الأبحاث العلميّة يستعينون بالصورة المعروفة للمقالة الأدبيّة، لنشر آرائهم وإذاعة نظريّاتهم، وقد ضعُف شأن المقالة الأدبيّة الصرف (الذاتيّة)، وأخذت المقالة الموضوعيّة تحلّ محلّها حتّى شملت جميع ميادين العلوم الإنسانيّة والطبيعيّة"(7). والمقالة الموضوعية هي موضوعيّة مقابل ذاتيّة المقالة الذاتية، التي يكون محورها ذات الكاتب، فالمقالة الموضوعيّة لا تفسح المجال أمام انفعالات الكاتب وأحاسيسه ومشاعره الخاصّة،

---

(1) ينظر: نجم، محمد يوسف ـ فن المقالة ص102 وما بعدها، مرجع سابق.

(2) ورد باسم (المقال الشخصي) عند أبو ذكرى، ينظر: أبو ذكرى، السيّد مرسي ـ المقال وتطوّره في الأدب المعاصر ص73، مرجع سابق.

(3) ورد باسم (المقال الاجتماعي) عند أبو ذكرى، ينظر: المرجع السابق ص74.

(4) المقالة الوصفيّة: تعتمد على الملاحظة الدقيقة وعلى التعاطف العميق مع الطبيعة ثم على الوصف الرشيق المعبّر الذي ينقل احاسيس الكاتب وصورة الطبيعة كما تنعكس على مرآة نفسه بصدقٍ وإخلاص وغاية مثل هذه المقالات تصوير البيئة المكانيّة التي يعيش فيها الكاتب كما تتراءى لإنسان عميق الإحساس حاد البصر نافذ البصيرة. نجم، محمد يوسف ـــ فن المقالة ص114، مرجع سابق.

(5) مقالة السيرة: وهي صورة حيّة لإنسان حيّ وهي تختلف عن الترجمة، وفي هذا النوع من المقالة يصوّر الكاتب موقفاً إنسانيّاً فيعكس تأثّره وانطباعاته الخاصّة عنها ويحاول أن يخطّط معالمها الإنسانيّة تخطيطاً فنّيّاً واضحاً بحيث تتراءى الشخصيّة الموصوفة حيّة متحرّكة تحدّثنا ونصغي لها. المرجع السابق، ص117، مرجع سابق.

(6) أبو ذكرى، السيّد مرسي ـ المقال وتطوّره في الأدب المعاصر ص74، مرجع سابق.

(7) نجم، محمد يوسف ـ فن المقالة ص130، مرجع سابق.

إذ أنّها "تنبع من رغبة الكاتب في عرض جانب من جوانب نشاطه العقليّ التحصيليّ تجاه موضوعٍ من الموضوعات عرضاً موضوعيّاً ينحّي قدر الإمكان شخصيّة الكاتب وأهواءه الخاصّة، ويقوم على المعايير المتعارف عليها، فتأتي معالجته موضوعيّة محايدة تضع الأمور في نصابها، سعياً وراء الإفهام والإقناع"(1). حيث "تُستقطَب عناية الكاتب ثمّ القارئ حول موضوع معيّن، يتعهّد الكاتب بتجليته، مستعيناً بالأسلوب العلميّ الذي ييسر له ذلك، ومن خصائص هذا الأسلوب؛ الوضوح والدقة والقصد، وتسمية الأشياء بمسمياتها. ولا يبيح الكاتب لشخصيّته وأحلامه وعواطفه، أن تطغى على الموضوع، بل إنه يضحّي بحريته في عرض أحاسيسه، في سبيل الحفاظ على حدود الموضوع، ومنطقه الخاصّ، وبنائه القائم على المقدّمات والعرض والنتائج"(2). ويرى عبد الكريم الأشتر أنّ المقالة الموضوعيّة؛ "يحكمها منطق البحث ومنهجه الذي يقوم على بناء الحقائق على مقدماتها، ويخلص إلى نتائجها(3)"، وهذا النوع من المقالة هو "اللون الغالب على أدبنا المقاليّ اليوم، بل على الأدب المقاليّ في العالم"(4).

---

(1) عبد الخالق، ربيعي ـ فن المقالة الذاتية في الأدب العربي، ص 69، مرجع سابق.

(2) نجم، محمد يوسف ـ فن المقالة ص 96، مرجع سابق.

(3) الأشتر، عبد الكريم، تعريف بالنثر العربي الحديث، منشورات جامعة دمشق 1983 ص 175.

(4) نجم، محمد يوسف ـ فن المقالة ص 131، مرجع سابق.

وتشتغل المقالة الموضوعيّة على موضوعات المعرفة الإنسانيّة، وتتنوّع بتنوعها، ولذا فإنّ محاولات تأطيرها وتصنيفها تبدو بائسة؛ لأنّها مهما تعدّدت ستنتمي في النهاية إلى المقالة الموضوعيّة؛ التي تؤطّر كلّ مقالة تتأسلبُ بأسلوبها، وتتشكّل بشكلها، "وليس للمقال مجال محدد، وإنما يتسع موضوعه لكل ما في الوجود من حقائق وأفكار وآراء، ومن ثمّ تنوّع المقال إلى: أدبيّ وعلميّ وسياسيّ واجتماعيّ ونقديّ، وغير ذلك من الأنواع(1)". ولعلّ تصنيف محمد يوسف نجم هو التصنيف الأفضل في هذا المجال، وقد جمع المقالة الموضوعيّة تحت أنواع كبرى هي(2): "المقالة النقديّة، والمقالة الفلسفيّة(3)، والمقالة العلميّة(4)، ومقالة العلوم الاجتماعيّة، والمقالة التاريخيّة"(5).

المقالة الصحفية: ميادينها وأنواعها

ما يزال تعبير المقال الصحفي يغلف بنوع من الغموض، "كما أن بعض أنواعه غير محدد المفهوم، أو الطول، أو المساحة أو اللغة، وما إلى ذلك كله، وربما كان هذا هو السبب في أنّ عددا ممن تناولوا فن المقال، قد أحجموا عن كتابة تعريفٍ واضحٍ ومباشرٍ له، أو جامع مانع، أو أي تعريف على الإطلاق، بينما اكتفى البعض بذكر تعريفين أو ثلاثة تعريفات من تلك التي أوردتها الكتب الأجنبية، دون أن يحاول تقديم تعريف يعكس مفهومه في ذهنه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة"(6)،

(1) أبو ذكرى، السيّد مرسي ـ المقال وتطوره في الادب المعاصر ص13، مرجع سابق.

(2) فأبو ذكرى مثلاً ينوع في المقال الموضوعي ويضيف إليه، المقال السياسي، والمقال الصحفي، المرجع السابق ص 77 وما بعدها.

(3) المقالة الفلسفيّة: وهي تعرض لشؤون الفلسفة بالتفسير والتحليل، وعلى الكاتب أن ينقّب عن الأسس الحقيقيّة لموضوعه، وأن ينظر إليها نظرة إنسانيّة شاملة، وقد تجاوزناها في البحث لأنّ هذه المقالة ذات طبيعة تخصّصيّة كما أنّ السقّاف لم يعالج موضوعاً في هذا النوع من المقالة. نجم، محمد يوسف ـ فن المقالة ص 132، مرجع سابق.

(4) المقالة العلميّة: يعرض فيها الكاتب نظريّة من نظريات العلم أو مشكلة من مشكلاته عرضاً موضوعيّاً بحتا، وهو شأن العلماء الذين يحاولون تبسيط المعارف وإذاعتها بين القراء وقد تجاوزناها أيضاً لأن هذه المقالة ذات طبيعة تخصصية كما أن السقّاف لم يتعامل مع هذا النوع من المقالة. المرجع السابق، ص 133.

(5) ينظر: المرجع السابق، ص 131وما بعدها.

(6) أدهم، إبراهيم ـ فنون التحرير الصحفي بين النظرية والتطبيق، المقال الصحفي، مكتبة الأنجلو مصرية، د.ت، ص10.

والواقع أنّ الدراسة لم تحصل على تعريفٍ للمقالة الصحفيّة رغم البحث المضني، بل إنّ التعريفات التي كانت تساق في هذا المجال، هي تعريفات تخصّ المقالة الادبيّة، ولكنْ يعود هذا الالتباس أولاً لنشأة المقالة في حضن الصحافة في العالم العربي، وقبله في الغرب كذلك، "ولعل ذلك هو ما جعل تعريف المقالة الأدبية يطغى على تعريفات الأنواع الأخرى من المقالات حتى على الصحفية والعلمية"(1). "بل إنّ هذه النظرة تمتدّ إلى الآداب الغربية أيضا"(2). لكنْ في الوقت نفسه فثمّة من يلجأ إلى تعريف المقالة الصحفيّة بالاعتماد على موضوعها، ومن هذه التعريفات ما أثبته فاروق أبو زيد الذي عرّفها: "بأنّها الأداة الصحفيّة التي تعبّر بشكلٍ مباشر عن سياسة الصحيفة، وعن آراء بعض كتّابها في الأحداث اليوميّة الجارية، وفي القضايا التي تشغل الرأي العام المحلّي او الدولي، ويقوم المقال الصحفي بهذه الوظيفة من خلال شرح وتفسير الأحداث الجارية، والتعليق عليها بما يكشف أبعادها، ودلالاتها المختلفة"(3).

وقد حاول إبراهيم أدهم القيام بذلك بعد أن عرض عدداً من التعريفات، ثمّ ارتأى أن يثبت تعريفه الخاص؛ يقول: "أما عن تعريفنا الخاص للمقال الصحفي (...) فهو: "فكرة يقتنصها الكاتب الصحفي خلال معايشته الكاملة للأنباء والآراء والقضايا والاتجاهات والمواقف والمشكلات المؤثرة على القراء، وفي حركة المجتمع، يقوم بعرضها وشرحها وتأييدها أو معارضتها، في لغة واضحة وأسلوب يعكس شخصيته وفكره، وتنشر في الوقت المناسب وفي حجم يتلاءم مع نوعيتها وأهميتها ونتائجها المستهدفة"(4)، أو هو: "المادة التحريرية التي يقدمها كاتب صحفي في شكل فني معين وحجم مناسب ولغة واضحة وذلك للنشر الحالي بجريدة أو مجلة في إطار تفسيري أو توجيهي أو نقدي أو تحليلي أو بالجمع بين هذه الأطر، متناولة الأحداث والقضايا والمواقف والأشخاص والأفكار من أجل توعية القراء وتأكيدا لمسئوليته الاجتماعية، ولدور الصحيفة أو المجلة كوسيلة نشر"(5)

---

(1) المرجع السابق، ص12.

(2) المرجع السابق، ص12.

(3) أبو زيد، فاروق ـ فن الكتابة الصحفية، عالم الكتب، القاهرة ط4/1990 ص179.

(4) أدهم، إبراهيم ـ فنون التحرير الصحفي، ص14، مرجع سابق.

(5) المرجع السابق، ص14.

وهو أيضاً: "المادة التحريرية التي يقدمها كاتب صحفي، استناداً إلى فكرة يحصل عليها من خلال حضوره الذهني الصحفي، ومعايشته للأحداث وعلاقاته الاجتماعية واتصالاته وقراءاته، وخطابات القراء ومكالماتهم الهاتفية، وما يرد عبر الأثير، وذلك في إطار يفسرها للقراء، ويحيطهم بأبعدها ويوجههم بشأنها، وقد يقوم بتأييدها أو معارضتها بطريقة تحمل طابعه في التفكير، وأسلوبه في التعبير، وذلك للنشر في الوقت المناسب، متلائمة مع طابع الصحيفة أو المجلة واهتمامات القراء وصالح الفرد والمجتمع"(1).

وفي الواقع فإنّ التعريفات التي حاولت الإحاطة بالمقال الصحفي، حاولت توصيفه من حيث موضوعه ومادته بالإضافة للإشارة إلى لغته، في حين كانت التعريفات الاصطلاحية للمقالة، تشمل أنواع المقالة الأدبيّة منها والموضوعيّة والصحفيّة.

كما أنّ للمقال الصحفي أنواعاً عديدة، وهي ذات طبيعة مهنية تتعلّق بالصحافة ذاتها، ومن هذه الأنواع: "المقال الصحفي العام، والمقال الافتتاحي أو الافتتاحية، ومقال التعليق أو التعليق الصحفي، والمقال التفسيري، والمقال القائد الموقع، ومقال العمود أو مقال الفقرة القصيرة، ومقال التجربة الخاصة "اليوميات الصحفية والخواطر والتأملات"، والمقال التحليلي، والمقال النقدي، والمقال العرضي أو الاستعراضي، والمقال المختصر، والمقال المتخصص، ومقال الفكاهة، وغيرها(2)".

والحقُّ أنّ المقال الصحفي يتّسع لأكثر من هذه الأنواع، كما أنّ بعض هذه الأنواع يتجاوز الجريدة إلى المجلّة، وهذه الأخيرة هي صحيفة لكنّها لا شك تختلف عن الجريدة عند أهل الاختصاص، وبالتالي فثمّة أنواع من المقال الصحفي تنشر في الجرائد، وأنواع أخرى تنشر في المجلات، كما أنّ بعض هذه الأنواع يتشابك مع البعض الآخر، ويكاد يمتزج به، أو يلتحم معه لا سيّما على الصفحات المطبوعة نفسها، كما أن بعض قوالبها الفنية وأساليب تحريرها، تختلط أحيانا مما يجعل مهمتنا أكثر صعوبة(3)، بل إن الأمر أخذ بالتطّور فنحن اليوم أمام أنواع جديدة من المقالات تخصّ مواقع الشبكة العنكبوتية وشبكات التواصل الاجتماعي.

---

(1) أدهم، إبراهيم ـ فنون التحرير الصحفي، ص15، مرجع سابق.

(2) المرجع السابق، ص44و45.

(3) ينظر: المرجع السابق، ص46.

وتذهب عدّة دراسات إلى اعتبار أنّ عدداً كبيراً من الفنون الصحفيّة مقالاتٍ صحفيّة، وذلك لاقتراب حدود هذه الفنون في عدة نواحي، ولبعض مجالاتها المشتركة، وأهدافها الوظيفية، لكنّ المواد الصحفيّة التي تستحقّ أنْ تعدّ موادّ مقاليّة، هي المقالة الافتتاحيّة، والعمود الصحفيّ، واليوميات، والمقالة التحليليّة"(1).

الافتتاحيّة أو المقال الافتتاحي: "هو المقال الذي يحمل رأى الصحيفة أو المجلة وموقفها من القضايا والمشكلات والاتجاهات الهامة داخلية وخارجية"(2). وتسند كتابتها" بصفة دورية إلى أهمّ المحرّرين(...) وتعتمد على الشرح والتفسير، وسوق الحجج المنطقية أو العاطفية، للوصول إلى غاية المقال، وهي إقناع القارئ، (...) وتُعّدُّ المقالة الافتتاحية لصفوة القراء، وتوجّه إليهم ذلك أنّها ترتبط بالموضوعات الجادّة التي لاتهمّ القارئ العادي"(3).

مقالة العمود الصحفي: " العمود الصحفي مساحة محدودة من الصحيفة، تضعه الصحيفة تحت تصرّف أحد كبار كتّابها، ليعبّر من خلاله عمّا يراه من آراء وأفكار وخواطر أو انطباعات، فيما يراه من قضايا وموضوعات ومشاكل (...)، بالأسلوب الذي يرتضيه"(4)، وهو: " المادة الصحفية التي تتسم دائما بطابع صاحبها أو محررها في أسلوب التفكير وأسلوب التعبير، ولا تتجاوز في مساحتها عموداً صحفيا على أكثر تقدير، وتنشر بانتظام تحت عنوان ثابت وتوقيع ثابت هو توقيع المحرر"(5).

اليوميات الصحفية: "يقترب فن اليوميات الصحفية من روح فن العمود الصحفي، من حيث التعبير عن خوالج النفس، وروح المذهب الذي يعتنقه الكاتب، ونظرته إلى الحياة، حيث يسجّل في هذا الفنّ المقالي خواطره المتناثرة التي تؤثر في القارئ، وهي خواطر تتصل بصلات من العاطفة أو الخيال، ذلك أنّ فن اليوميّات يتضمّن خاطراً يلحق خاطراً ويتبعه لا لأن بينهما علاقة منطقية كالتي تأتي بالنتيجة وراء سببها، بل لأنّ هذين الخاطرين مرتبطان في خيال الكاتب أو يتصلان بعاطفته "(6).

---

(1) شريف، محمود ـ فن المقالة (الأدبية، والموضوعيّة، والصحفيّة)، مكتبة دار العروبة، الكويت، د.ت، ص152.

(2) أدهم، إبراهيم ـ فنون التحرير الصحفي، ص 59، مرجع سابق.

(3) شريف، محمود ـ فن المقالة، ص153، مرجع سابق.

(4) المرجع السابق، ص158.

(5) حمزة، عبد اللطيف ـ المدخل في فن التحرير الصحفي، ص308 مرجع سابق.

(6) شرف، عبد العزيز ـ فن المقال الصحفي، ص72، مرجع سابق.

المقال التحليلي: "هو أبرز فنون المقال الصحفيّ، وأكثرها تأثيراً حيث يقوم على التحليل العميق للأحداث والقضايا والظواهر، التي تشغل الرأي العام، كما يتناول الوقائع بالتفصيل، ويربط بينها وبين غيرها من الوقائع التي تمسّه من قريب أو بعيد، ثم يستنبط منها ما يراه من آراء واتجاهات. والمقال التحليليّ، لا يقتصر فقط على تفسير أحداث الماضي أو شرح الوقائع الحاضرة، وإنما يربط بين الاثنين ليستنتج أحداث المستقبل. ولأنّ المقال التحليلي يقوم على التحليل العميق، والمدروس للأحداث، فهو غالباً ما يكون أسبوعيّاً، ولو كان ينشر في صحيفة يوميّة، وليس هناك حجمٌ معيّن للمقال التحليليّ، ولكنه قد يحتل مساحة صفحةٍ كاملة من الجريدة، أو أكثر في بعض الأحيان"(1).

لم تكن المقالة الصحفيّة معروفة في البداية؛ "حيث لم يفرّق كتابنا في المراحل المقاليّة الأولى بين المقالة الأدبيّة، والمقالة الصحفيّة، رغم اختلافهما في الوظيفة واللغة والأسلوب والموضوع جميعاً. فهدف المقالة الأدبيّة الأسمى التأثير الجماليّ، وهي تتوخّى إلى هذا الهدف أن تكون على درجة عالية من ثراء دلالات الألفاظ، وجمال تنسيق الأسلوب، وعاطفيّة تأثير الموضوع، حتّى تصل إلى إمتاع قارئها، أمّا المقالة الصحفيّة فهدفها الأسمى التعبير عن أمور اجتماعيّة وأفكارٍ عمليّة في المقام الاوّل"(2). فمعظم الباحثين القدماء ـ كما ظهر عند محمد يوسف نجم الذي لم يعمل لوضع فروقات بينها ـ على هذا الاتجاه، ويبدو أنّ الصحافة قد دفعت فنّ المقالة للتطوّر حتى غدت بهذا التنوّع، ومادامت الصحافة هي الوسيلة الوحيدة لنشر المقالة، فقد دفع ذلك إلى التداخل بين أنواع المقالة؛ من ذاتيّة أدبيّة وموضوعيّة وصحفيّة.

ويفرّق عبد العزيز شرف بين المقالة الأدبيّة والصحفيّة؛ من حيث الوظيفة والموضوع واللغة والأسلوب، فالمقالة الأدبيّة تعبّر عن تجربة معيّنة مسّت نفس الأديب، فأراد نقل الأثر إلى قرّائه، والمقالة الأدبيّة قريبةٌ جدّاً إلى القصيدة الغنائيّة، لأنّ كليهما يغوص بالقارئ إلى أعماق الشاعر أو الكاتب، في حين أنّ المقالة الصحفيّة تتّصل أكثر بالمجتمع، كما أنّها تفترض وجود رأيٍ عامٍّ تخاطبه. كما أنّ المقالة الأدبيّة تُدخِل في اعتبارها؛ عواطف الفرد ووجدانه، أمّا المقالة الصحفيّة، فتهتمّ بالوجدان الجماعيّ، "وقد وَظّفت المقالة الصحفيّة فنون المقالة الأدبيّة لأداء مهامّ الفنّ الصحفيّ، وطبعتها بطابعها كفنٍّ تطبيقيّ لا تجريدي"(3).

---

(1) أبو زيد، فاروق ـ فن الكتابة الصحفية، عالم الكتب، القاهرة ط4/1990 ص229.

(2) شريف، محمود ـ فن المقالة، ص112، مرجع سابق.

(3) شرف، عبد العزيز ـ الأساليب الفنية في التحرير الصحفي، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص335 وما بعدها.

ومن ناحيةٍ أخرى، فإنّ المقالة الأدبيّة تهدف إلى أغراضٍ جماليّة، وتتوخّى درجةً عاليةً من جمال التعبير، "فتوظّف الصنعة في إطار ما يشاع عن خلود الأدب، في حين أنّ المقالة الصحفيّة تهدف أساساً للتعبير عن قضايا اجتماعيّةٍ وأفكارٍ عمليّة، بغيةٍ نقدها أو تجنيدها، وترمي إلى التعبير الواضح عن فكرةٍ بعينها، وكأنّ الوظيفة الاجتماعيّة في المقالة الصحفيّة تتقدّم على أيّ ناحيةٍ أخرى كالمتعة الفنيّة مثلاً"(1).

من الواضح أنّ المقالة الأدبيّة ـ من خلال التفريق السابق ـ تجنح إلى الذاتيّة والغنائيّة، في حين تجنح المقالة الصحفيّة إلى الموضوعيّة بحكم معالجتها لمختلف مجالات المعرفة، ولكن في الوقت نفسه يمكن أنْ نعدّ المقالة الأدبيّة صحفيّة؛ من حيث أنّها تعتمد الصحافة لتصل إلى قرائها. ويمكن القول أيضاً: "إنّ أمام الأديب متسع من الوقت ليكتب ما يشاء وينشر متى شاء، أما الصحفيّ فهو مقيّدٌ بالطبعة ومرتبط بمواعيدها، فعليه أن يكتب بمنتهى السرعة، وفي مواعيدَ منتظمةٍ انتظاماً دقيقاً، في حين قد ينتظر الأديب الإلهام"(2).

سابعاً: المقالة العربية الحديثة

كما أنّ ميلاد المقالة في أوروبا ارتبط ببزوغ عصر النهضة، فإنّ ولادة المقالة العربيّة الحديثة، ارتبط ببزوغ عصر النهضة ولاسيّما في مصر في القرن التاسع عشر، كما أنّ ذلك ترافق مع ظهور الصحف وانتشارها. يعدُّ "رفاعة الطهطاويّ أباً للمقالة العربيّة الحديثة"(3). وقد مرّت المقالة العربيّة الحديثة بعدّة أطوارٍ، تطوّرت خلالها حتى وصلت لشكلها الحالي(4):

الطور الأوّل: وهو مرحلة البداية، ويمتد منذ بداية الصحافة في عهد محمد علي، حتى ثورة عُرابي، وعرفت المقالة خلال هذه الفترة بضعفها، وكان السبب إغراقها في السجع والزخرفة اللفظية، إذ سيطر التكلّف الزائد، وسادت المحسّنات البديعيّة المقالات الاجتماعيّة والسياسيّة والتعليميّة والأخبار، وكان من أبرز كتّاب هذا الطور الطهطاويّ وعبد الله أبو السعود وميخائيل عبد السيّد، ولم ينجح المقال في هذا العهد في معالجة المشكلات الاجتماعيّة، ولم يستطع لفت نظر الجمهور لما يدور حوله من أحداث.

---

(1) المرجع السابق، ص23و24.

(2) إمام، إبراهيم ـ دراسات في الفن الصحفي، ص170، مرجع سابق.

(3) إمام، إبراهيم ـ دراسات في الفن الصحفي، ص 196، مرجع سابق.

(4) هذه الأطوار هي خمسة عند أبو ذكرى، ولكنها في الواقع أربعة أطوار إذ أنّ شكل المقالة اكتسب ثباتاً واضحاً بعد الطور الرابع، وصولاً إلى عصرنا الراهن. ينظر: أبو ذكرى، السيد مرسي ـ المقال وتطوره في الأدب المعاصر، ص49 وما بعدها، مرجع سابق.

الطور الثاني : وهو مرحلة الإصلاح في المقالة، ويبدأ منذ ثورة عرابي وما رافقها من أحداث وتحوّلات كانت ردّا على المرحلة السابقة ومحاولة جدّية للنهوض، وهو مرحلة الإصلاح التي شارك فيها الشاميّون المصريّن مع بداية الثورة الاجتماعيّة والفكريّة، وقد قادها عدد من المفكرين الإصلاحيين، يأتي على رأسهم جمال الدين الأفغاني، وتلميذه محمد عبده، إذ بدأ الأدباء خلال هذه المرحلة بالابتعاد عن المبالغة في السجع والزخرفة اللفظيّة، وقاموا بصياغة المقالات بأساليب سهلة ومفهومة من قبل جميع مستويات المجتمع الثقافية، كما تركّزت موضوعاتها على عكس اهتمامات المجتمع بمختلف فئاته. ولم يكن ثمّ فروقاً جوهريّة بين المقالة الصحفيّة وأختها الأدبيّة، حتى جاء محمّد عبده الذي أخذ يقترب من لغة الصحف، ثمّ تبعه في ذلك "عبد الله النديم الذي اقترب أكثر من لغة الصحف"(1). وقد عالج كتّاب هذا الدور الشؤون السياسيّة، وأحوال المجتمع وإصلاح التعليم ومشكلات الشعب عامّة، وبدأ المقال يتحلّل من قيود الأسلوب، وكان هذا تحوّلاً حاسماً في انتقال الكتابة من الفرديّة نحو الموضوعيّة. وكان من أبرز كتّاب هذا الطور قاسم أمين وعبد الله النديم وجمال الدين الأفغاني وعبد الرحمن الكواكبي ومحمد عبده.

الطور الثالث: وهو مرحلة التحرر وقد جاءت في الفترة التي شهدت الاحتلال الأوربي للعالم العربي، وفي الفترة التي واكبت النضج السياسيّ، والوعي الاجتماعيّ خلال الربع الأوّل من القرن العشرين؛ نتيجة تأجّج الدوافع الوطنيّة بسبب الاستعمار، وما ظهر من صراعات بين قوى العالم أثّرت على الواقع العربيّ. وظهرت في هذه المرحلة الاتجاهات الفكريّة والسياسيّة واحتدمت المعارك بين الأدباء؛ مع ولوج الثقافة الغربيّة جسم العالم العربيّ الهشّ المحافظ، وفي هذا الطور تحررت المقالة من قيود الصنعة نهائياً، وأظهرت اهتمامها بالمعنى مع محافظتها على سلامة المبنى، وساعد على ذلك ظهور المدرسة الصحفية الحديثة، وتأثّرها بالخلافات الحزبية، ومن أهمّ رواد هذه المرحلة الرافعي وطه حسين.

---

(1) إمام، إبراهيم ـ دراسات في الفن الصحفي، ص193، مرجع سابق.

الطور الرابع: وهو مرحلة النضج التي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية، وبداية تحرر البلدان العربية، حيث أخذت معالم المقالة بالتبلور لتبدو على شكلها الحديث بخصائصه وسماته، على يد الكتاب السابقين الذين خطّوا بدايات هذا الفنّ الجديد، ثم استقامت المقالة في هذه المرحلة على يد عدد من أدباء المهجر الذين أحاطوا بكمٍّ وفيرٍ من الثقافة الغربية، وبلغ في هذا الطور النشاط السياسيّ والوعي الفكريّ والنضوج الأدبيّ ذروته، فقد انتشرت الصحف في هذا الطور بشكلٍ كبيرٍ، ووجد الكتّاب منصاتٍ متعدّدة يبثّون من خلالها أفكارهم في شتى المجالات، واتخذت المقالة أسلوب التحرّر من كافة القيود، والدقة في انتقاء المعاني والكلمات، وتمكّن هؤلاء الأدباء من الارتقاء بالصحافة العربيّة إلى مستوى جديد، واستطاعوا أن يتركوا بصماتهم في المجال الأدبيّ والفكريّ، فكان بينهم الناقد، والمؤرّخ، والمُربّي، والمتفلسف، والخطيب، والسياسيّ، والقاصّ، وغيرهم ممّن شاركوا في تجديد الأدب، وإغناء الحركة الأدبيّة، أمثال جبران خليل جبران، ومحمد رشيد رضا، ومصطفى صادق الرافعيّ، وأمين الريحانيّ، ومي زيادة، وعبد العزيز البشريّ، وشكيب أرسلان، وإبراهيم عبد القادر المازنيّ، وخليل مطران، وزكي مبارك، وأحمد أمين، ومحمد حسين هيكل، وسلامة موسى، وعبّاس محمود العقّاد، وأحمد حسن الزيّات، وطه حسين. وشهد هذا الطور قيام المعارك الأدبية من خلال المقالات، وقد أسفرت عن انتعاش الفكر العربيّ الحديث، وهيّأت له أدباً عربيّاً حديثاً له شأنه وكيانه، وشاركت المرأة في الحياة الأدبيّة بقوّة وظهرت كاتباتٌ مبدعاتٌ كعائشة عبد الرحمن وفدوى طوقان ووداد السكاكينيّ وملك عبد العزيز ونازك الملائكة.

وقد أدّت جهود هؤلاء جميعا إلى إذكاء الفكر، وبثّ الروح الوطنيّة، وتطوّر النثر ورقيّه، وأصبح المقال أوضح فكرةً وأشمل موضوعاً وأكثر تفرعاً، ودان في ذلك كلّه لما حقّقته الصحافة من نضج واتقان، فازدهرت المقالة وتطوّرت وأسهم في ذلك عدّة عوامل يمكن أن نجملها في انتشار الصحف والوعي المرافق للنهضة الذي تبلور على الأصعدة كافة، كما ظهر جليّاً أثر المثاقفة مع الغرب، ويضاف إلى ذلك "ظهور الأحزاب السياسيّة والتيّارات الفكريّة وتأسيس المدارس والكليّات"(1)، كما أثّر في ازدهارها؛ المنافسة الشديدة بين وسائل الإعلام ولاسيّما في منتصف القرن العشرين، ونشاط حركة الترجمة وصولاً إلى عصرنا الراهن.

---

(1) أبو إصبع، صالح ومحمد عبيد الله، فن المقالة، ص10، مرجع سابق.

ثامناً: فن المقالة في الكويت (النشأة والتطور)

من المسلّم به، ريادة دولة الكويت في المجال الثقافيّ بين الدول العربيّة عموماً ودول الخليج العربيّ خصوصاً، وإذا كانت الصحف والمجلاّت تعدّ مقياساً لهذه الريّادة، فيكفي أن نشير لسلاسل الدوريّات الّتي ينشرها المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب في الكويت بدءا من مجلة "العربي"، وسلسلة عالم الفكر، وسلسلة عالم المعرفة، والثقافة العالميّة، والمسرح العالمي، وجريدة فنون، وقد ساهمت هذه الإصدارات في إنماء الثقافة في الكويت والعالم العربيّ.

"وتعدّ المقالة أقدم الفنون النثريّة وجوداً في الكويت، فقد ولدت مع الصحيفة الأولى سنة 1928 ألف وتسعمئة وثمانٍ وعشرين، وكان أنْ نشأت الصحافة الكويتيّة في رعاية الأدباء والمتأدّبين فظلّت زمناً طويلاً صحافةً أدبيّةً أو هي صحافة مقالةٍ، ولذلك نادراً ما كانت تحفل بالخبر أو تنحو باتجاه التعليق السياسيّ، وقد ظلت هكذا حتى عهد الاستقلال، وحين نهضت الصحافة اليوميّة، اتجهت المقالة نحو الصحافة الأسبوعيّة والشهرية والمجلاّت المتخصّصة، كالبيان والعربيّ، ومجلة الوعي الإسلاميّ، كما وجدت موطئا لها في الإذاعة"(1).

ويقسم محمد حسن عبد الله مراحل تطوّر المقالة في الكويت إلى ثلاثة أقسام(2)، وبالاعتماد على تقسيمه الدقيق يمكن النظر إلى تطور المقالة وَفْقَ مراحل ثلاث: هي البدايات التي يوافقها الجيل المؤسس في تقسيم عبد الله، ومرحلة التأصيل التي يوافقها جيل الوسط في التقسيم المذكور، ومرحلة النضج وهي المرحلة التي قادها الجيل الثالث في التقسيم نفسه، وعلى ذلك يبدو تطور المقالة في الكويت على هذا النحو:

---

(1) عبد الله، محمد حسن ـ الحركة الأدبية والفكرية في الكويت، ص271، مرجع سابق.

(2) ينظر: عبد الله، محمد حسن ـ الحركة الأدبية والفكرية في الكويت، ص272، مرجع سابق.

مرحلة البدايات: وهي المرحلة التي صاغها الجيل المؤسس الذي قاد الحياة الثقافيّة في الثلث الأوّل من القرن العشرين، وهو الذي حاول تأسيس ثقافة أدبيّة ناهضة، وأهم روّاده "عبد العزيز الرشيد الذي أسّس مجلّة الكويت سنة 1928 ألف وتسعمئة وثمانية وعشرين، لتكون أوّل المراجع الأدبيّة داخل البلاد"(1)، "واستكتب أعلام مصر والشام فنشر مقالاتهم وأشعارهم في مجلته"(2)، "وعبد الله علي الصانع وهو أديبٌ محافظ شارك الرشيد في تحرير مجلة الكويت"(3)، و"أحمد البشر الرومي الذي جمع مقالاته في كتاب تحت عنوان " مقالات عن الكويت"، وكان يقف موقفاً وسطاً بين المحدثين من جهة وأنصار التراث من جهةٍ أخرى"(4).

مرحلة التأصيل: هي المرحلة الثانية في كتابة المقالة وقد قادها جيل الوسط حسب عبد الله، "وتمتدّ هذه المرحلة زمنيّاً من منتصف الأربعينيّات وحتّى أوائل السبعينيّات، وقد شهدت هذه الفترة ازدهاراً فجائياً لفنّ المقالة، فظهرت المقالات الموضوعيّة بالإضافة للمقالات الذاتيّة، وكان روّاد هذه الفترة من الجيل المنتج وأهمّهم عبد الرزّاق البصير وأحمد السقّاف وعبد العزيز حسين وعبد الله أحمد حسين وعبد الله زكريا الأنصاريّ وفاضل خلف وغُنيمة المرزوق وغيرهم"(5). فقد "انطلقت من مصر مجلة البعثة لتكون مرجعاً من المراجع الأدبيّة والثقافيّة شارك في إصدارها، أدباءُ ومثقفون من الطلبة والأساتذة الكويتيين في مصر والكويت كما أصدر أحمد السقّاف وعبد الحميد الصانع مجلّة كاظمة في سنة 1948 ألف وتسعمئة وثمانٍ وأربعين"(6)، كما شهدت هذه الحقبة ولادة "جريدة الفجر من إصدار جمعيّة الخريجين، ثم تلتها عدة مجلاّت أخرى وفي سنة 1958 ألف وتسعمئة وثمانٍ وخمسين صدرت مجلّة العربيّ"(7).

---

(1) السبعان، ليلى خلف ـ أوجه التنمية الثقافية في الكويت، جريدة الاتحاد، الملحق الثقافي، الإمارات، النسخة الإلكترونية:
http://www.alittihad.ae/details.php?id=6877&y=2011&article=full

(2) عبد الله، محمد حسن ـ الحركة الأدبية والفكرية في الكويت، ص273، مرجع سابق.

(3) المرجع السابق، ص274.

(4) المرجع السابق، ص275.

(5) المرجع السابق، ص275.

(6) المرجع السابق، ص275.

(7) السبعان، ليلى خلف ـ أوجه التنمية الثقافية في الكويت. مرجع سابق.

و"قد التفت روّاد هذا الجيل لجمع مقالاتهم كـ عبد الرزّاق البصير الذي أضاف مقالاتٍ جديدةً متجانسةً مع مقالاته القديمة الممتدة على عشرين عاماً ضمن كتاب " تأملاتٌ في الأدب والحياة". وما يلاحظ أنّ مقالات هذا الجيل تنحو نحو التخصّص نسبيّاً، فالبصير كانت اهتماماته أدبيّة، وعبد العزيز حسين اهتم في صدر حياته بالتربية، والملاحظ أيضاً أن هذا التخصّص النسبيّ حول بعض الموضوعات؛ لم يؤدِ إلى ضيقٍ في الأغراض التي تطرقها المقالات، بل ربّما العكس فقد تحقّق هذا التنوّع عن طريق كثرة الكتّاب واستمرارهم في الكتابة، ولذلك تنوعت المقالة بين الدينيّة والسياسيّة والعلميّة والفلسفيّة والأدبيّة"(1). كما أنَّ "الاستمرار في الكتابة كان يؤدّي إلى نضج الكاتب، ولذلك أخذت شخصيّات الكتّاب بالتبلور والظهور من خلال الرأي والاتجاه الفكريّ أولاً، ومن خلال اللغة والأسلوب ثانياً، وقد أدّى هذا التعويل على الذات إلى ظهور لونٍ من المقالة؛ هو المقالة الوجدانيّة لم يُعهَد في الكويت من قبل"(2)، "ولعلّ مجلّة البعثة تعدّ أفضل مثالٍ يمكن الاعتماد عليه لاستخلاص خصائص الأسلوب النثريّ وفنّ المقالة في الكويت خلال الحقبة المشار إليها"(3).

مرحلة النضج: وهي المرحلة التي قادها الجيل الثالث بعدما شهدت المرحلة السابقة الظهور الحقيقي للمقالة الحديثة، وهذا "الجيل الذي عاصر افتتاح الجامعة، كما عاصر من ناحيةٍ أخرى جيل الوسط الذي كان الأكثر عدداً والأغزر قلماً"(4). وقد تمخّضت هذه الفترة في نهايتها عن "تأسيس المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب سنة 1973م، ألف وتسعمئة وثلاثة وسبعين في عهد الشيخ صباح السالم الصباح"(5). وجيل الكتّاب في هذه الفترة جعل يخاطب جمهوراً أنضج وعياً، بعد انتشار التعليم على نحوٍ واسع، ومن ثمّ التزم بالتخصّص، وأخذ يكتب وفي ذهنه مستوى معيّن من القرّاء، "وقد أضافت الجامعة أهمّ أسماء كتّاب المقالة التي أصبحت بأيديهم بمثابة بحثٍ علميّ معزّز بالأرقام والمراجع كما يتجه إلى تعميق وفلسفة الأمور من ناحية الموضوع،

(1) عبد الله، محمد حسن ـ الحركة الأدبية والفكرية في الكويت، ص277، مرجع سابق.

(2) المرجع السابق، ص278.

(3) المرجع السابق، ص296.

(4) المرجع السابق، ص296.

(5) السبعان، ليلى خلف ـ أوجه التنمية الثقافية في الكويت، مرجع سابق.

وأهم كتّاب هذا العهد حسن الإبراهيم الذي اهتمّ بالقضايا الاجتماعيّة، وعبد الله النفيسيّ الذي اهتمّ بالسياسة والاقتصاد، وسليمان الشطيّ وخليفة الوقيان في الأدب والنقد، ومن خارج الجامعة ظهر عبد الله الخلف في الموضوعات الاجتماعيّة، والشاعر خالد سعود في الأدب والنقد"(1).

تاسعاً: المقالة في أدب السقاف

يعدّ الكاتب أحمد السقّاف من رواد كتاب المقالة في الكويت؛ إذ بدأ العمل الصحفيّ في مرحلةٍ مبكرةٍ مع ندرة الصحف اليومية في الكويت، وعندما كانت الكويت في حاجة لصدور صحافة محليّة تُعنى بالشأن الثقافيّ والوطنيّ والقوميّ، تصدّى السقّاف لهذه المهمة، "وأصدر مع زميله عبد الحميد الصانع مجلّة كاظمة، وكانت شهريّة تبحث في الآداب والعلوم والفنون، واستطاعت هذه المجلة أن تستقطب عدداً من الأدباء والمثقّفين، وكانت قوميّة الاتّجاه، غير أنّها توقّفت بعد صدور عددها التاسع.

ثمّ ما لبث السقّاف أنْ "أصدر مع النادي الثقافيّ القوميّ مجلّته الشهيرة الإيمان، وتولّى رئاسة تحريرها"(2)، "وكانت الإيمان منفتحةً على الاتّجاهات القوميّة، فاستقطبت الكتّاب القوميين والبعثيين والناصريين، وفي عام 1957 ألفٍ وتسعمئةٍ وسبعةٍ وخمسين كُلّف السقّاف رسميّاً بالتخطيط لإصدار مجلّة العربيّ الّتي صدر عددها الأوّل في شهر ديسمبر 1958 ألف وتسعمئة وثمان وخمسين"(3)، وما زالت مستمرّة إلى أيامنا هذه، كما أنّ للسقّاف إسهاماته الصحفيّة، وقد تمثّلت في مقالاته الّتي نشرها في "مجلات العربيّ، والبيان، والكويت، والحدث، والأهرام العربي، بالإضافة للصحف، كما في الرأي العام، والقبس، وهذه الأخيرة استمرّ ينشر فيها حتّى 2003 ثلاثةٍ وألفين ميلادية"(4).

---

(1) عبد الله، محمد حسن ـ الحركة الأدبية والفكرية في الكويت، ص401، مرجع سابق.

(2) صالح، ليلى محمّد ـ أدباء وأديبات الكويت، رابطة الأدباء في الكويت، ط1/1996 ص18.

(3) الوقيان، خليفة ـ أحمد السقاف، حياته ومختارات من شعره، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت 2011، ص12و13.

(4) المسباح، صالح خالد ـ إصدارات الراحل أحمد زين السقاف، مجلة البيان، رابطة الأدباء في الكويت، ع 484 نوفمبر 2010.

لا يمكن للمرء أن يتناول السقّاف وريادته الأدبيّة، دون ملاحظة اتّجاهه القوميّ القويّ الّذي شكّل في الواقع محور نشاطه الأدبيّ بشقيّه الشعريّ والنثريّ من جهة، ونشاطه السياسيّ والصحفي من جهةٍ أخرى. وحقيقة الأمر "أنّ مقالات السقّاف تمضي في دائرتين متداخلتين تعيشان في انسجام مع ثقافته وتجربته الخاصّة، فالدائرة الأولى هي القومية العربية بساحات نضالها، والدائرة الثانية هي الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي، ولاسيما في القطاعات المنسية من المجتمع"(1).

لقد عُرف السقّاف في بلده وفي العالم العربيّ أديباً وصحفياً وسياسيّاً، لكنّ شهرته كشاعرٍ؛ ظلّت تطغى على نشاطاته الأخرى، وقد عدّ محمد حسن عبد الله(2)، السقّاف أحد روّاد جيل الوسط الذي يعدّ المؤسس الحقيقيّ للنهضة الثقافية في الكويت، وكان السقّاف قد كتب المقالة قبل هذا الوقت ونشر في ما أتيح له من الصحف والمجلاّت، وقد لاقى نشاطه في المقالة فترات انقطاع وتوقّف، بيد أنّ الرجل كان يعود للكتابة إثر كلّ توقّف، وبالمحصّلة فإنّ نشاطه الأدبيّ تجلّى شعراً ونثراً يمتدّ على ستين عاماً، كتب خلالها منوّعا في المقالة بين ذاتيّة وموضوعيّة كما تنوّعت مقالاته بالنسبة لموضوعاتها فكتب المقالة السياسيّة، والاجتماعيّة، والتربويّة، والنقديّة، فهو أحد أولئك الذين كتبوا في فنّ المقالة على اختلاف أنواعها، فجاءت مقالاته بخصائصها الشكليّة والفكريّة والأسلوبيّة متفردّة، ومتميّزة بأبعاد ذاتيّة، ووطنيّة، وقوميّة، وإنسانيّة، وثقافيّة.

(1) عبد الله، محمد حسن ـ الحركة الأدبية والفكرية في الكويت، ص383، مرجع سابق.

(2) المرجع السابق نفسه، ص384.

الفصل الأوّل
مراحل تطور المقالة عند السقاف

أولاً: روافد المقالة عند السقّاف

ثانياً: تطوّر المقالة عند السقّاف

ثالثا: العوامل المؤثّرة في تطّور المقالة عند السقّاف

رابعاً: التأطير الزمني لمراحل تطوّر المقالة عند السقّاف

مرحلة البدايات

مرحلة التأصيل

مرحلة التجديد

مرحلة النضج

أوّلاً: روافد المقالة عند السقاف

نشأ السقّاف شاباً ذكيّاً طموحاً جسوراً، يملأه أملٌ بمستقبلٍ واعدٍ، فمنذ بداياته حفظ القرآن وعدداً كبيراً من الأحاديث الشريفة، ممّا شكّل غرساً كريماً لحبّ اللغة العربيّة والتغنّي بها(1)، وحصل على إجازةٍ في تدريس اللغة العربيّة من اليمن، ولا شكّ " أنّ دروسه اللغوية والدينيّة، ولا سيّما حفظ القرآن الكريم، كانت حجر الأساس في ثقافته، كذلك كثرة مطالعته، واحتكاكه بأساتذته، ومطالعاته الدائمة كتبَ الأدب وتاريخه وأعلامه، أسهمت في ثقافته، وفي تكوينه التأسيسيّ(2)". لقد قاده طموحه نحو العراق إذ صمّم على الدراسة الحديثة؛ فاجتاز المرحلة الثانويّة في العراق، ووصل إلى كليّة الحقوق، وهناك انخرط في نشاطاتٍ سريّةٍ مع مناضلي العراق، كما شارك المجاهدين بقيادة عبد القادر الحسينيّ نصرةً لثورة رشيد علي الكيلانيّ(3) ضد عبد الإله الهاشميّ، الوصيّ على عرش العراق، ورئيس حكومته نوري السعيد عام 1939 ألف وتسعمئة وتسعة وثلاثين. و" وكانت بغداد حينذاك قبلة القوميين العرب(4)"، و" وتحتضن المئات من الأدباء والمفكّرين والمجاهدين الذين قدموا إليها هرباً من البطش الفرنسيّ في سورية ولبنان، وهرباً من الإنكليز في فلسطين، والاختلاط بهؤلاء زادٌ ثقافيٌّ يسعى إليه النابهون(5)".

---

(1) ينظر: السداح، محمد ـ أحمد محمد السقاف مجموعة من المواهب، مجلة البيان ع484 نوفمبر 2010 الكويت، ص26.

(2) عصلة، أحمد بكري ـ أحمد السقّاف القابض على جمر الإبداع، ص35، مرجع سابق.

(3) ينظر: إدريس، نجمة ـ الشاعر الفارس أحمد السقاف يترجل وينام بسلام، مجلة البيان ع484 نوفمبر 2010 الكويت، ص63. وهو الصحيح في حين وقع السدّاح في خطأ تاريخي فادح إذ جعل السقّاف والحسيني يقفان ضد الكيلاني الثائر على عملاء بريطانيا عبد الإله والسعيد، وهو مالا ينسجم مع فكر السقاف والحسيني كليهما. ينظر: السدّاح، محمد ـ أحمد محمد السقاف مجموعة من المواهب، مجلة البيان مصدر سابق.

(4) محفوظ، حافظ ـ أقلام خليجيّة، الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت ط1/1981 ص55. وقد أورد محفوظ ما يلي: وصمد المجاهدون بقيادة الحسيني في تلال أبو غريب ثلاثة أسابيع في وجه القوات البريطانيّة الزاحفة نحو بغداد من معسكر الحبّانية، رغم طلعات الطائرات البريطانية المكثّفة وضربها الخطوط الأماميّة التي تمركز فيها المجاهدون مع قوات عراقية لا تملك سوى الأسلحة الخفيفة، ونال السقّاف وساما في عضده يعتز به مدى الحياة، حين جُرح قبيل إعلان الهدنة بساعات.

(5) عصلة، أحمد بكري ـ أحمد السقّاف القابض على جمر الإبداع، ص13، مرجع سابق.

ويجمع الباحثون على أن هذه الفترة التي قضاها في العراق تركت أعظم الأثر في تكوينه الثقافي، وفكره القوميّ، وقد عُرف عن السقّاف شدّة اعتزازه بمن يلاقيهم من العلماء، وكان من بين هؤلاء زكي مبارك، والشيخ محمّد بهجة (الأثري)، وهو علّامة عراقي وكاتب موسوعيّ معروف، كما التقى بالأستاذ صادق الملائكة، والد الشاعرة نازك الملائكة، وقد كان أديباً، واستمرّت العلاقة بينهما طويلاً، حتّى إنَّ السقّاف نشر له في مجلة كاظمة، وكان له لقاءات متتالية مع الشاعر العراقي محمد رضا الشبيبي، حيث كانت تدور المناقشات اللغويّة والأدبيّة في منزله(1)"، كما تعرّف على "الأستاذ سليم الصفوانيّ(2)(...)، والشيخ يوسف بن عيسى القناعيّ عالم الكويت، وقد كان يتابع أحاديثه الإذاعية (3)"، وقد تحدّث السقّاف بفخرٍ واعتزاز عن كثيرٍ من الأدباء والمفكّرين الذين التقاهم ودارت بينه وبينهم الأحاديث، فقد عرف من لبنان " الأستاذ كاظم الصالح، والأستاذ أحمد بديع العربيّ، والمفكّر العربي قسطنطين زريق(4)"، كما عرف الشاعر سعيد عقل، وحصل "بينهما سجال فكريّ حادّ(5).

وكان للسقّاف نصيبٌ وافرٌ من الأسفار التي صقلت مواهبه وعزّزت ميوله، ومن خلالها تعرّف على كثيرٍ من أعلام الأدباء والشعراء العرب، ففي مصر تعرّف على أحمد زكي الذي اختاره ليرأس تحرير مجلة العربيّ، و" توطّدت علاقاته بأعلام أهل الأدب، أمثال الشاعر أحمد رامي، ويوسف السباعي، وصالح جودة، ومحمود غنيم وغيرهم(6)".

كما أنّه زار بغداد ودمشق وصنعاء وبلدان المغرب العربيّ ولبنان، وكان له من ذلك نتاجات فكرٍ، وعلائق أدبٍ وودّ ومحبةٍ(7)، ممّا أدّى إلى صقل موهبته وزيادة اطّلاعه ومعرفته.

---

(1) المرجع السابق، ص33.

(2) أحد مديري الإذاعة العراقية في بغداد ذلك الوقت وهو الذي أجاز إذاعة حديث له في الإذاعة العراقية عندما كان طالباً.

(3)عصلة، أحمد بكري ـ أحمد السقّاف القابض على جمر الإبداع، ص34، مرجع سابق.

(4) السقّاف، أحمد ـ حكايات من الوطن العربيّ الكبير، الكويت 1980، ص241.

(5) ينظر: المرجع السابق، ص241وما بعدها.

(6) عصلة، أحمد بكري ـ أحمد السقّاف القابض على جمر الإبداع، ص17، مرجع سابق.

(7) ينظر: المرجع السابق، ص17.

قدِم السقّاف إلى الكويت عام 1941 ألفٍ وتسعمئةٍ وواحدٍ وأربعين، فعايش مرحلتي القديم والجديد، وقد مارس مهنة التعليم قبل أن ينتقل إلى الشأن العام، وكان في صفّه يوزّع الحصّة ما بين الشرح والتوضيح لمادة الدرس، ثم ينهيها بتوجيهٍ قوميٍّ سليم، فكان له دورٌ كبيرٌ في بثّ الوعيّ القوميّ لدى الطلّاب في المرحلة الثانويّة؛ من خلال حثّهم على الاهتمام بالقضايا العربيّة؛ ولا سيّما قضيّة فلسطين في الأربعينيّات من القرن المنصرم(1)، و"كان السقّاف شغوفاً بالدراسات الأدبيّة، مُكبّاً على عيون الأدب العربيّ شعره ونثره، قديمه وحديثه، يطالعها ويحفظ منها الكثير، فكان له من ذلك زادٌ ومدد، مكّنه من بلوغ منزلةٍ تضعه في مصافّ الأدباء والشعراء العرب المحدثين والمجدّدين، الذين منحوا الأدب العربيّ ـ بشعره ونثره ـ توهّجاً وتفاعلاً صادقاً مع قضايا الأمّة العربيّة، السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة، وأصبح له رصيدٌ يزداد كلّ يومٍ ثراءً في ميدان الشعر والنثر"(2).

كان السقّاف مميزاً بين أقرانه وأبناء جيله بنزعته الإصلاحيّة وغِيرته على اللغة العربيّة، وحرصه على إحيائها وتجديد شبابها، وله في الميدان آثارٌ حميدةٌ ومشروعاتٌ رائدة، فقد أنشأ ندوةً أدبيّة تهتم بالعربية بين مثقفي جيله من الكويتيين(3)، وقد عُدّ "أحد الروّاد المرجعيين الذين زوّدوا الأجيال في الكويت بعلومهم وثقافتهم، فكان مرجعاً في اللغة العربيّة ملمّاً بتاريخ العرب العام قديمه وحاضره"(4).

وفي سنة 1948ألف وتسعمئة وثمان وأربعين تبّنى مشروعاً ثقافيا وأدبيّاً جديدا، إذ أصدر بالتعاون مع عبد الحميد الصانع مجلة كاظمة لتكون أوّل مجلّة تصدر وتُطبع في الكويت(5)، وكانت تُعنى بالعلوم والفنون والاجتماع والشعر والقصص وعرض الكتب. وكان السقّاف قد كتب المقالة قبل ذلك ونشر في ما أتيح له من مجلاّت، وقد لاقى نشاطه في المقالة فترات انقطاع وفتور، لكّنه بقي ينشر حتّى عام 2003 ثلاثة وألفين ميلادية.

---

(1) ينظر: السداح، محمد ـ أحمد محمد السقاف مجموعة من المواهب، مجلة البيان، ص26مصدر سابق.

(2) السقّاف، أحمد ـ نخبة من مقالاته ومقابلاته، مركز البحوث والدراسات الكويتية، 2004 ص 10.

(3) ويكفي للتأكد من غيرته على اللغة العربية وشدة اهتمامه بها مطالعة بعض مقالاته التي خصّ قضيّة التعريب فيها في مواضع عديدة، ففي مقالته المغرب مزيان مزيان مثلا نرى حرصه الشديد على اللغة العربية، ويستطرد بأنه معجب جدا بما قام به هواري بو مدين في الجزائر ويتمنى على حكومة المغرب أن تحذو حذو الجزائر في هذه القضية وهذا غيض من فيض.

(4) ينظر: خلف، عبد الله ـ الأستاذ السقاف رائدا، مجلة البيان ع484 نوفمبر 2010 الكويت، ص13.

(5) نشير إلى أن المجلات والجرائد التي سبقت كاظمة لم تكن تطبع في الكويت، بسبب عدم وجود المطابع في الكويت آنذاك.

وبالمحصلة فإن نشاطه الأدبي تجلّى شعراً ونثراً، امتدّ على مدى واحدٍ وخمسين عاماً؛ وخلال ذلك، ظلّ السقاف "ينشر بلغةٍ نقيّة صافية، ضمن ما يعرف بالسهل الممتنع"(1)، وظلّت مقالاته على مستوى فكره وقضيّته، فقد "أخذ من القدماء ما لا يجب التفريط فيه، وما لا يستغني الأديب عنه، فكانت الصحّة اللغويّة، والدقّة في التعبير عن الفكرة، واستقامة الجمل وترابطها؛ أهمّ ما يميّز كتاباته، بحيث تنساب من البداية إلى النهاية، كما أخذ من المحدثين أطيب ما عندهم فكان بعيداً عن التعقيد وشطحات الفكر أو الخيال، يمضي في فكرته حتى يجلوها، ويكشف عن موقفٍ أصيلٍ، ويخاطب قارئه من مستوى العقل والعاطفة معاً، ويكتب إليه من موقف المتحدّث اللاصق لا المستعلي الذي يتباهى بمعرفته"(2).

ثانياً: تطوّر المقالة عند السقّاف

ممّا لا شك فيه أنّ الإنسان يتطوّر ولا يبقى على حال واحدةٍ، وكلّ مبدعٍ أو فنّان لا يخرج عن هذه القاعدة، والتطوّر في حالة المبدع ينطبق على الأداء، فيسير به نحو الأفضل خاضعاً لعوامل متعدّدة، كما أنّ الفكر يخضع لهذا القانون، وفي بعض الحالات يبقى الفكر على حالة واحدة، على الرغم من تقادم العهد على الإنسان، وهذا ما نشير إليه بالتزمت.

في حالة السقّاف يمكن أنْ نناقش تطوّر المقالة عنده من هذين الجانبين، فأداء السقّاف وطريقة معالجته للقضايا التي تناولها في مقالاته، لا شكّ قد خضعا للتطوّر، ولعلّ تغيّر المناخات السياسيّة والثقافيّة والاجتماعيّة التي عاصرها كان الدافع الأوّل نحو هذا التطوّر، والأمر يصبح أوضح أمام الدارس والناقد عندما يقارن بين مقالات السقّاف المبكرة وتلك المتأخرّة، خاصّةً عندما تتناول موضوعاً واحداً أو متشابهاً كما سيظهر مع التقدم في البحث.

---

(1) عبد الله، محمد حسن ـ الحركة الأدبية والفكرية في الكويت، ص 385، مرجع سابق.

(2) المرجع السابق، ص385.

أمّا الجانب الآخر وهو الذي يتعلّق بالفكر، فمن جهةٍ أولى نرى السقّاف قد حافظ طوال عهده على موضوعات معيّنة، تناولها في مجمل نتاجه المقاليّ دون أن يغادرها، فمقالاته لا تكاد تفارق قضايا العروبة والقوميّة، والمستجدّات السياسية والاجتماعية المتعلقة بها، وهذا ما نبّهنا إليه بتسلّط الفكرة، ولكن في الوقت نفسه نرى أنّ هذه المنظومة الفكريّة المتكاملة، تعرّضت لبعض الخلخلة والمراجعة خلال مسيرته الطويلة، ونؤكّد على كلمة بعض؛ لأنّ الصرح المفاهيميّ المنبثق عن مسلّمات السقاف ومصادراته بقي واضحاً كما هو، وهو ما تبدّى في مقالات الباحثين والنقّاد عنه؛ إذ طالما تحدّثوا عن عروبته وفكره القوميّ منذ البداية حتى وافته المنيّة.

إنّ من أهم مراجعاته الفكريّة كان نكوصه الواضح في فكرة الدعوة إلى الوحدة العربيّة، بعد الغزو العراقي للكويت، لكن ذلك لم يعنِ الكفر بالعروبة والانقلاب عليها، كما حدث مع العديد من الكتّاب والمفكرين، بل هو تراجع عن فكرة الوحدة القائمة على الدمج، والدعوة لدعم التكتلات العربية الإقليمية، دون أن يؤثر ذلك على المصالح العربية المشتركة، فصار مشروعه في النهاية الدعوة إلى التضامن العربي، بديلاً عن الدعوة إلى الوحدة العربية.

إنّ تسليم الدراسة بحتميّة التطوّر يتطلّب منها البحث عن العوامل المهمّة التي تلعب دوراً أساسيّاً في ذلك، وفي حالة الأدباء عامّةً نجد عوامل مشتركة بينهم جميعاً، وعند محاولة تتبّع أثر هذه العوامل في مسيرة السقّاف الأدبيّة، يمكن لنا الوقوف على بعض العوامل التي أثّرت في تطوّر أدبه بشكلٍ عامّ، ومقالته بشكلٍ خاصّ.

ثالثاً: العوامل المؤثّرة في تطور المقالة عند السقّاف

يمكن القول: إنَّ هذه العوامل عناوين عريضة، تشمل كلّ الكتاب والمبدعين، من حيث إنّها عوامل سياسية واجتماعيّة وثقافيّة، لكنّ الحيثيات تختلف بين المبدعين، فهي جميعاً عوامل مؤثّرة، بيد أنّ العوامل السياسية التي أثّرت في تطور مقالة السقّاف وأدبه بشكل عامّ مثلاً، هي غير العوامل السياسيّة التي أثّرت في غيره من مبدعين بطبيعة الحال، وكمثالٍ للتوضيح، فإنّ الغزو العراقي ووفاة عبد الناصر، هي أحداث سياسيّة ساهمت في تطور أدب السقّاف، لكنها بنفس الوقت لم تؤثّر في تطور مقالة كاتب آخر موجود في السودان أو المغرب أو الجزائر، فكلّ واحد من هؤلاء يتأثّر بأحداث مختلفة ضمن العوامل السياسية.

ولقد ذكر ربيعي عبد الخالق مجموعة من العوامل(1) أدّت إلى تطور المقالة الذاتيّة، والمقالة بشكلٍ عام في الأدب العربي، وبعد مناقشتها أمكن لنا التوصل إلى صيغةٍ عامّة تشمل العوامل المؤثرة في تطوّر المقالة عامةً، ومن خلالها استطعنا الوقوف على العوامل التي أثّرت في مسيرة السقّاف الأدبيّة، ولا سيّما المقالة.

العوامل السياسيّة: وهذه العوامل تتعلّق بالوضع السياسيّ في الوطن العربيّ خلال الفترة التي عاصرها، والتي بقي متأثراً بها فاعلاً ومنفعلاً، كما يبدو من خلال موضوعات معظم مقالاته، الّتي يمكن النظر إليها كتاريخ موجَز لأحداث المنطقة العربية منذ 1948 ألفٍ وتسعمئةٍ وثمانيةٍ وأربعين تاريخ مباشرته العمل الصحفي، وحتى 2003 ثلاثةٍ وألفين ميلاديّة تاريخ توقّفه عن الكتابة.

العوامل الاجتماعيّة: وهي تتعلّق بشكلٍ عامٍّ بالكويت، لا سيّما أنّه عايش مرحلتين: مرحلةَ ما قبل النفط ببُناها الاجتماعيّة البسيطة، وتفاقم مشكلاتها كالبطالة والفقر والأميّة، ومرحلة ما بعد النفط التي تدرجت فيها الحياة الاجتماعيّة نحو التعقيد، بعد القضاء على المشاكل السابقة، والحقّ أنّ السقّاف عاصر مرحلة متغيرات وتحديّات ثقافيّة وفكريّة في مجتمع كان يستعدّ حينذاك (مطالع الخمسينيّات) لدخول معترَكٍ اجتماعيّ وسياسيّ واقتصاديّ جديد، وفي الحالتين فقد شكّلت مثلُ هذه الحالات الاجتماعيّة موضوعاتٍ لمقالاته، وواكب التطوّرات الّتي حدثت في المجتمع خلال العهدين، كما أثّرت تلك التطوّرات الاجتماعيّة بشكلٍ ما في تطوّر مقالاته، من حيث الموضوع والأداء.

(1) ينظر: عبد الخالق، ربيعي ـ فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص68 وما بعدها، مرجع سابق.

العوامل الثقافيّة: ولعلّ العوامل الثقافيّة ذات طبيعة شخصيّة تخصّ السقّاف نفسه، من حيث تحصيله العلميّ والأدبيّ والثقافيّ بشكلٍ عامّ، ومن حيث اطلاعه على التراث وطبيعة وعيه به، وفي حالة المقالة يبدو التراث النثريّ أكثر تأثيراً، ولا شكّ أنّ المخزون الثقافيّ لأيّ أديبٍ لا يُخلق دُفعةً واحدةً، إنّما بالتدرّج، ويتعلّق بمتابعاته وجدوى اهتماماته، ولذلك يصحّ بشكلٍ كبيرٍ أن نَعُدّ العوامل الثقافيّة من أقوى ما يؤثّر في مسيرة تطوّر الأديب، كما أثّر في تطوّر مقالة السقّاف الاتّصال بالثقافة الغربيّة عن طريق ما وصل من مقالاتٍ مترجمةٍ، ولا سيّما ما ترجمه كتّاب المقالة المصريون واللبنانيون والشاميون منذ عهد انتشار الصحافة في الوطن العربيّ، ويضاف إلى ذلك تطوّر فن المقالة في العالم العربيّ نفسه، من خلال إسهامات الكتّاب الكبار، ولا شكّ أنّ كلّ ذلك يعدّ من العوامل الثقافيّة المؤثّرة في تطوّر المقالة عند السقّاف.

تطوّر الصحافة: أصبح مُسَلّماً أنّ الصحافة هي المحرّك الرئيس الذي دفع المقالة نحو التطوّر بعد أن احتضنتها وتبنّتها، والسقّاف عايش مرحلة انطلاق الصحافة في الكويت، بل كان بحقّ أحدَ روادها فقد أصدر عدّة صحف، وأسهم في إصدار مجلّة العربيّ التي ما تزال تصدر، وتعدّ إحدى أكثر الدوريّات العربية انتشاراً على نطاق العالم العربيّ، ويضاف إلى ذلك طبيعة الصحافة الكويتيّة التي كانت أدبيّة الطابع، قبل أن تحقّق الانتشار مع الثورة الصحفيّة، وفي المرحلتين كان للسقّاف إسهاماته الجليلة، وريادته الواضحة، وبالنتيجة فإنّ نشوء الصحافة وتطوّرها أثّر في تطوّر المقالة، ومن ضمنها مقالة السقاف.

التيّارات الأدبية: لا شكّ أنّ التيّارات الأدبيّة عاملٌ مؤثر في تطوّر الفنون، ولا شكّ أنّ ما ينطبق على الفنون سيؤثّر أيضاً في المقالة، ويمكن القول أيضاً إنّ الرومانسية ذاتها كانت أهمّ التيّارات الأدبيّة التي دفعت المقالة نحو التطوّر؛ إذ انسجمت النزعة الرومانسيّة مع المقالة بصفتها تعبيراً ذاتيّاً غنائيّاً منذ نشوئها، وكان ظهور المقالة الذاتيّة التأمليّة في الكويت(1) ــ ولم تكن معروفة ــ أحد وجوه هذا التطوّر بسبب غلبة النزعة الرومانسيّة في تلك المرحلة، ولذلك لا يخفى تأثّر السقّاف بها كأبناء جيله، وبالتالي تطوّر مقالته على غناها وتعدّد موضوعاتها.

---

(1) ينظر: عبد الله، محمد حسن ـ الحركة الأدبية والفكرية في الكويت، ص278مرجع سابق.

رابعاً: التأطير الزمني لمراحل تطوّر المقالة عند السقّاف

إنّ إحدى أكبر الصعوبات التي قد تعترض دارساً لمقالات السقّاف، هي عدم وجود دراساتٍ سابقةٍ، فدراسة محمّد حسن عبد الله في تأريخه للحركة الأدبيّة والفكريّة في الكويت، كانت دراسة جديّة تستحقّ التقدير، غير أنّ السقّاف لم يكن هدفاً لها، كما أنّها توقّفت عند مطلع الثمانينيّات، وكذلك الأمر دراسة أحمد بكري عصلة للسقاف، فقد تناولت مقالاته منذ منتصف التسعينيّات، فثمّة حلقةٌ مفقودةٌ بين الدراستين، كما أنّ إحدى الدراستين لم تعتمد على الأخرى، فالأولى كانت سابقةٌ، والثانية تجاوزتها، فكانت المشكلة الحقيقيّة كيف تتم مرحلة نتاج أدبيّ عمره خمسون عاماً، لا سيّما أنّ أحداً لم يقم بهذا العمل مع أدب السقّاف من قبل.

ولكن بعد استقراء موسّع لمقالة السقّاف، والحيثيّات التي واكبتها، والأحداث التي عاصرتها، بالإضافة إلى ميول السقّاف، وتطور اهتماماته، فقد لاحظت الدراسة تغيرات واضحة وتطورات على مستوى الشكل والموضوع في المقالة، وقد توصلّت الدراسة إلى تقسيم مراحل عمل السقّاف إلى أربع مراحل محدّدة بتواريخ هامة، وهي كما يأتي:

المرحلة الأولى (مرحلة البدايات): تمتد من 1948 تاريخ إصدار مجلة كاظمة حتى 1954 تاريخ توقف مجلة الإيمان عن الصدور، وهي مرحلة قصيرة، حدث بعدها فترة توقف وجيزة كما سنبيّن لاحقاً.

المرحلة الثانية (مرحلة التأصيل): تمتدّ من 1957 تاريخ إصدار مجلة العربيّ حتى 1970 تاريخ وفاة عبد الناصر.

المرحلة الثالثة (مرحلة التطوّر): تمتدّ من 1970 تاريخ وفاة عبد الناصر حتى 1990 تاريخ الغزو العراقيّ للكويت.

المرحلة الرابعة (مرحلة والنضج): تمتدّ من 1990 تاريخ الغزو العراقيّ للكويت حتى 2003 تاريخ توقّفه عن الكتابة.

لقد توصّلت الدراسة إلى هذا التقسيم المرحلي من خلال استقراء نتاج السقاف في المقالة، ومن خلال ملاحظة التطورات التي طرأت على مقالته في مستويي الشكل والمضمون، كما سيتم تبيانه خلال سير البحث.

مرحلة البدايات

كان السقّاف أحد الرواد الأوائل في الصحافة الكويتية، فمعلومٌ أنّ أوّل مجلّة في الكويت كانت قد صدرت عام ثمانيةٍ وعشرين وتسعمئةٍ وألف 1928 للشيخ عبد العزيز الرشيد، في ما يؤرّخ عام 1948 لصدور مجلّة كاظمة التي أصدرها عبد الحميد الصانع، وترأس تحريرها السقّاف، وتمتد هذه المرحلة بين عامي 1948 حيث أصدر مجلة كاظمة، و1954 العام الذي توقّفت فيه مجلة الإيمان عن الصدور.

فترة البدايات تُؤرّخ بإصدار مجلة كاظمة، حيث كان السقاف قادماً من العراق، وهناك عايش الحراك السياسيّ والثقافيّ في مجتمعٍ شهد مواجهاتٍ عنيفةً بين الوطنيين الداعين لاستقلال العراق عن التاج البريطاني بزعامة رشيد علي الكيلاني، ومن جهةٍ أخرى عملاء بريطانيا بزعامة الوصيّ على العرش عبد الإله ورئيس حكومته نوري السعيد، وكان السقّاف قد انخرط فعليّا في النضال، كما أسهم في الحدث الثقافيّ، الذي كان يدور بين المثقّفين مختلفي الجنسيّات هناك، ولا نجانب الصواب إذا قلنا إنّ الاتجاه القوميّ، والنزعة نحو الحريّة والاستقلال، والبغض لبريطانيا وقوى الاستعمار، كان قد تكرس في سنوات دراسته ونضاله في العراق.

قد تبدو مصادفةً عجيبة أن يُؤرّخ إصدار مجلّة كاظمة بعام النكبة، ولكنْ يبدو أنّ السقاف بهاجسه القوميّ الأصيل وضميره الحيّ، ومتابعته لأحداث المنطقة العربيّة، ولا سيّما قضيّة فلسطين، كان يسابق الزمن لإصدار مجلّة يكشف فيها الأمور على حقائقها، ويوضّح للقارئ العربيّ والكويتيّ، ما كان يجري وما كان يخفى، ولم يطل به الأمر أكثر من سنة تمكّن فيها من إصدار مجلة كاظمة، واستطاع تذليل كلّ ما تعرض له من مصاعب، لكنّ كاظمة كانت قد توقّفت عن الصدور في أقلّ من عامّ مع عددها التاسع، ولم تمضِ سنةٌ حتى عاود السقاف نشاطه الأدبيّ فنشر بعض القصائد في مجلّة البعثة الكويتية، التي كانت تصدر في مصر، لكنّ نشاطه عاد بشكل أكثر جديّة مع تأسيس النادي القوميّ الثقافيّ، وإصدار مجلّته الناطقة بلسانه الإيمان، وملحقها الأسبوعيّ صدى الإيمان، بعد مدّةٍ لم تلبث مجلّة الإيمان أنْ توقّفت أيضاً عام أربعةٍ وخمسين وتسعمئة وألف1954.

ويبدو أنّه توقّف لفترةٍ ما عن الكتابة في المجلاّت لبعض المشاغل، حيث انتقل من سلك التعليم إلى الشأن العامّ، وقد تميّزت مقالاته في هذه المرحلة بخصائص ومميزات سنوردها تباعاً كما يأتي:

العنوانات: يمكن القول بعد استقراءٍ شاملٍ إنّ عنوانات المقالات في كاظمة كانت قصيرة نوعاً ما، وتميل لأنْ تكوْن جملةً اسمية أو شبه جملة كـجنود في الميدان (1)، وإنعاش القرية الكويتية(2)، وإجرام الفن(3)، ورغم هذا القصر، فلم تكن العنوانات تشي بالغموض، إذ من السهل ربط العنوان بموضوع المقالة، وربّما أمكن توقّع فحواها من العنوان، لكنّ هذا الأمر كان قد تغيّر مع مجلّة الإيمان، إذ جنحت العنوانات في مقالات السقّاف المنشورة هنا إلى القصر، فأكثر العنوانات لم يتعدّ كلمةً واحدةً، وإنْ كنّا لا نعدم وجود عنوانات بأكثر من كلمة، وأصبحت عنوانات المقالات كالتالي لمن(4) أو مرحى(5) أو تقليد(6)أو أشياء(7) وهكذا، وهذه العنوانات غامضةٌ في الحقيقة، وهي تحتاج لقراءة المقالة ومعرفة محتواها، حتّى يمكن لنا ربطها بالموضوع، ولكنْ في الوقت نفسه عند استقراء العنوانات جميعاً يمكن لنا إدراك مناسبتها للموضوعات، والقضايا التي عالجتها.

المقدّمة: كما يظهر، ليس هناك خطّةٌ واضحةٌ للتعامل مع المقدّمة في هذه المرحلة، والأمر ينطبق على المقالة عند السقّاف بشكلٍ عامّ في هذه المرحلة، فنحن نستطيع أنْ نجد مقدّماتٍ قصيرةً سريعةً تدخل في الموضوع مباشرةً، كما في مقالة النازحون(8)، وربّما تكون المقدمة متوسّطة الطول كمقالة الأنانية في الأفراد والشعوب(9)،

(1) السقاف، أحمد ـ جنود في الميدان، مجلة كاظمة، الكويت، ع 9 مارس 1949ص309.

(2) السقاف، أحمد ـ إنعاش القرية الكويتية، مجلة كاظمة، الكويت، ع7 يناير1949 ص237.

(3) السقاف، أحمد ـ إجرام الفن، مجلة كاظمة، الكويت، ع ه ديسمبر 1948 ص159.

(4) السقاف، أحمد ـ لمن، مجلة الإيمان، الكويت، ع 5 مايو 1953 ص299.

(5) السقاف، أحمد ـ مرحى، مجلة الإيمان، الكويت، ع 4 إبريل 1953 ص223.

(6) السقاف، أحمد ـ تقليد، مجلة الإيمان، الكويت، ع9 نوفمبر 1953 ص563.

(7) السقاف، أحمد ـ أشياء، مجلة الإيمان، الكويت، ع 12 فبراير 1954 ص183.

(8) السقاف، أحمد ـ النازحون، مجلة الإيمان، الكويت، ع2 فبراير 1953 ص77.

(9) السقاف، أحمد ـ الأنانية في الأفراد والشعوب، مجلة الإيمان، الكويت، ع3 مارس 1953 ص151.

كما قد تكون طويلةً تندغم في الموضوع وتصبح جزءاً منه، بحيث لا يصحّ تركها كما في أشياء.

الموضوع: في الغالب كانت موضوعات مقالات السقاف قضايا قوميّة عربيّة عاصرها، وهو يعالج في كلّ مقالة موضوعاً واحداً يمكن عدّه قضيّة جزئيّة، ضمن موضوعه الكبير في القوميّة العربيّة، ففي مقالةٍ بعنوان الوضع العربيّ الراهن(1)، عالج الأزمات المعاصرة في العالم العربي، كما يتضح من العنوان، وفي مقالة بعنوان نحو مؤتمر حر(2)، دعا لتشكيل هيئةٍ عربيّةٍ جامعةٍ جديدةٍ موازيةٍ لجامعة الدول العربيّة، لتعوّض فشلها المستعصي. وفي مقالة النازحون(3) عالج قضيّة النازحين الفلسطينيين، واقترح تسميتهم "نازحين" بدلا مما كان رائجاً بتسميتهم "لاجئين". والغالب أيضاً أن تكتسي هذه الموضوعات جدّة في الطرح كما في مقالة عقيدة وهدف(4)، وبعض الموضوعات تكتسي ثوب الأصالة إذ امتلك السقاف أسبقيّةً في معالجة موضوعات لم يسبقه إليها أحدٌ، كما في مقالة أشياء(5) التي تصدى فيها لكاتبٍ أكاديميّ ـ دون أن يسميه ـ كان قد تطاول على العرب، في محاضرةٍ ألقاها في البحرين، ووصفهم بأنّهم شذاذ أفاقٍ.

وإنْ كانت قضايا مجلة الإيمان موجّهةً؛ من واقع وصفها بأنّها لسان حال النادي القوميّ الثقافيّ، ويجب أن تكون قضاياها قوميّة؛ فقد نشر في مجلّته السابقة كاظمة مقالاتٍ، نوّع فيها بين المضمون القوميّ كمقالة المحنة الكبرى(6)، والقضايا الاجتماعيّة الثقافيّة، كمقالة إجرام الفن(7)، والقضايا المحليّة والتربوية، كمقالته التعليم رسالة لا مهنة(8)، ومقالة إنعاش القرية الكويتية(9).

(1) السقاف، أحمد ـ الوضع العربي الراهن، مجلة الإيمان، الكويت، ع11 يناير 1954 ص95.

(2) السقاف، أحمد ـ نحو مؤتمر حر، مجلة الإيمان، الكويت، ع14 إبريل 1954 ص367.

(3) السقاف، أحمد ـ النازحون، مجلة الإيمان، ص77، مصدر سابق.

(4) السقاف، أحمد ـ عقيدة وهدف، مجلة الإيمان، الكويت، ع6 مايو 1953 ص371.

(5) السقاف، أحمد ـ أشياء، مجلة الإيمان، الكويت، ع 12 فبراير 1954 ص183.

(6) السقاف، أحمد ـ المحنة الكبرى، مجلة كاظمة، الكويت، ع3 فبراير 1948 ص87.

(7) السقاف، أحمد ـ إجرام الفن، مجلة كاظمة، ص159، مصدر سابق.

(8) السقاف، أحمد ـ التعليم رسالة لا مهنة، مجلة كاظمة، الكويت، ع6 ديسمبر 1948 ص195.

(9) السقاف، أحمد ـ إنعاش القرية الكويتية، مجلة كاظمة، ص237، مصدر سابق.

الأسلوب: تتميّز مقالات السقاف في هذه الفترة بالتشويق، ولربما كانت حساسيّة الموضوعات التي يختارها، واهتماماته سبباً في ذلك، كما تتميّز طريقة عرضه بالتسلسل المنطقيّ، وهو يناوب في ذلك، فنراه ينتقل من الخاصّ إلى العامّ في مقالة، والعكس في أخرى، ونراه في مكانٍ آخر ينتقل من الفكرة الثانوية إلى الرئيسة، ثم يفعل عكس ذلك في موضعٍ آخر، ويمكن مراجعة مقالاته للتأكّد مما نذهب إليه.

وغالباً ما يعالج السقاف القضيّة من جانبٍ جزئيّ، ولكنْ لا يُنظر إلى هذا القضيّة على أنّها عوار يصيب مقالة السقاف، إنّما هو فقط انضباطٌ في الموضوع؛ ففي مقالته إجرام الفنّ(1) ناقش قضيّة عدم اكتراث الفنانين بحال الأمّة، وأخذ عليهم انشغالهم بماهم فيه. والقضية الجزئيّة تتحوّل عند السقّاف لتصبح موضوعاً يُناقش من مختلف جوانبه، وهذا ما نجده في مقالة النازحون(2) التي تحدث فيها عن اغتصاب فلسطين، وعن حرب ثمانية وأربعين، وتخاذل الدول العربيّة في نصر عرب فلسطين، وعن خروج النازحين الفلسطينيين، وانتهى بدعوته للوقوف بجانبهم، ومساعدتهم، ومطالبته بالكفّ عن تسميتهم لاجئين.

وبالقدر الذي يمنح القارئ تشويقا، نجد السقاف يبث الحماس في مقالته من خلال أداءٍ متصاعدٍ، يورد فيه البراهين والأدلّة للطروحات والأفكار التي يرى أنّها تستحقّ التوكيد بالبراهين والشواهد، ففي كلّ مقالاته يكتب السقّاف؛ من منطلقٍ يؤمن به فهو صاحب مبدأ وعقيدةٍ. وممّا يلاحظ في مقالة السقاف في هذه الفترة؛ أنّها على الدوام وبشكل شبه كامل تحدّد بيئةً زمانيّة مكانيّة للموضوع، وغالبا ما يكون ذلك بشكل غير مباشرٍ، ويعود ذلك إلى أنّ السقاف يعتمد المناسبة في مقالاته، كما هو ديدنه في الشعر، فالمقالة غالباً ما تأتي لمعالجة قضيّة حدثت في مكانٍ وزمانٍ معيّنين، وهذا ما يظهر في معظم مقالاته كـنازحون وأحقا أبا طارق(3) وأشياء(4) ومرحى(5).

---

(1) السقاف، أحمد ـ إجرام الفن، مجلة كاظمة، ص159، مصدر سابق.

(2) السقاف، أحمد ـ النازحون، مجلة الإيمان، الكويت، ص77، مصدر سابق.

(3) السقاف، أحمد ـ أحقا أبا طارق، مجلة الإيمان، الكويت، ع10 ديسمبر 1953 ص705.

(4) السقاف، أحمد ـ أشياء، مجلة الإيمان، ص183، مصدر سابق.

(5) السقاف، أحمد ـ مرحى، مجلة الإيمان، ص223، مصدر سابق.

الخاتمة: ينهي السقاف مقالته غالبا بخاتمةٍ مفتوحةٍ ونادراً ما يقوم بتلخيص ما ورد في متن المقالة، كما حدث في لمن(1)، لكنّ الأرجح أن يلجأ في الخاتمة إلى أن يشير إلى فكرةٍ هامّةٍ ناقشها في المتن، وقد ينهي المقالة بقول مأثور أو ببيت شعر، كما في مقالته المحنة الكبرى(2) التي أنهاها ببيت لدريد بن الصمة:

وإنّما المرءُ حديثٌ بعدِهِ فكنْ حديثاً حسناً لمنْ وعَى.

شخصيّة الكاتب: يتّخذ السقاف في معظم مقالاته موقف الواعظ، كما في الأنانيّة في الأفراد والشعوب(3) لكنّه يبدو خطيباً أحياناً كما في النازحون(4) وكلماتنا الأولى(5)، وقد يتداخل فيها موقف السقاف بين الواعظ والخطيب، وكان هذا واضحا في مجلة كاظمة غير أنّه نحا في الإيمان ليتخذ موقف الناقد غالباً كما في عقيدة وهدف(6) ولمن(7)، كما ظهر في بعض المقالات بشخصيّة الناقد.

نوع المقالة: كانت مقالات هذه الفترة تجنح إلى الموضوعية وكان السقاف يحاول جاهداً إخراج ذاته من المقالة، إلاّ أنّه كان يفشل أحياناً، ومن أمثلة مقالاته الموضوعيّة وهي الغالبة في هذه الفترة التوجيه القوميّ في التعليم(8) وتقليد(9) ونحو مؤتمرٍ حرّ(10)، فيما تقلّ المقالة الذاتيّة؛ إذ نجد مقالة أحقاً أبا طارق(11)، التي تناول فيها وفاة المناضل العراقيّ محمد بن براك والنازحون الّتي أشرنا إليها قبل قليل.

---

(1) السقاف، أحمد ـ لمن، مجلة الإيمان، ص299، مصدر سابق.

(2) السقاف، أحمد ـ المحنة الكبرى، مجلة كاظمة، ص87، مصدر سابق.

(3) السقاف، أحمد ـ الأنانية في الأفراد والشعوب، مجلة الإيمان، ص151، مصدر سابق.

(4) السقاف، أحمد ـ النازحون، مجلة الإيمان، الكويت، ص77، مصدر سابق.

(5) السقاف، أحمد ـ كلماتنا الأولى، مجلة الإيمان، الكويت، ع1 يناير 1953 ص12.

(6) السقاف، أحمد ـ عقيدة وهدف، مجلة الإيمان، الكويت، ص371، مصدر سابق.

(7) السقاف، أحمد ـ لمن، مجلة الإيمان، ص299، مصدر سابق.

(8) السقاف، أحمد ـ التوجيه القومي في التعليم، مجلة كاظمة، الكويت، ع4 ديسمبر 1948 ص123.

(9) السقاف، أحمد ـ تقليد، مجلة الإيمان، ص563، مصدر سابق.

(10) السقاف، أحمد ـ نحو مؤتمر حر، مجلة الإيمان، ص367، مصدر سابق.

(11) السقاف، أحمد ـ أحقا أبا طارق، مجلة الإيمان، ص705، مصدر سابق.

اللغة: يكتب السقاف بعربيّة فصيحةٍ سليمةٍ فيها قدرٌ كبيرٌ من المعاصرة، وإن كانت لا تخلو من ألفاظٍ وتراكيبَ تراثيّةٍ؛ إلاّ أنّها بالنتيجة لغةٌ سليمةٌ مفهومةٌ بعيدةٌ عن الغموض، ودائما ما يختار عناصر لغته لتناسب موضوعاته دون أيّ تكلّف، ونشير إلى أنّ ثمّة مقالةً واحدةً هي النازحون، وهي تنتمي إلى النمط الذاتيّ الوصفيّ، وقع فيها السقّاف، أو أنّه ربّما تعمّد بعض السجع، ونؤكّد على كلمة بعض لأنّها تمثّل حالةً وحيدةً لم تتكرر.

الطول: أغلب مقالات السقاف لم تتجاوز ثلاث صفحات، فكانت متناسبةً مع الطول القياسي المفترض للمقالة، وقد شذّت بعض المقالات عن هذه القاعدة، فقصُرت، وثمة مقالة أخرى وحيدة بلغت خمس صفحات هي الوضع العربيّ الراهن(1).

مرحلة التأصيل

وهذه المرحلة تمتدّ من عام سبعةٍ وخمسين وتسعمئةٍ وألفٍ 1957 عام إصدار مجلّة العربي حتى عام 1970ألف وتسعمئة وسبعين، وما يمكن قوله إنّ الصحافة الكويتيّة كانت قد بدأت بدايةً جديدةً مع مجلّة العربيّ، وإذا كان السقاف أحد أركان هذا المشروع المتميّز، فمن نافل القول إنّه هو أيضاً بدأ مرحلةً جديدةً، أمّا نهاية هذه المرحلة؛ وقد حُدّدت بعام سبعين وتسعمئةٍ وألف؛ فهو تاريخٌ يعرف معناه كلّ مؤمنٍ بالقوميّة العربيّة على طريقة السقّاف، وقد شكّلت وفاة عبد الناصر حقيقةً صفعةً كبرى للمشروع القوميّ، ولم يتمّ استيعاب ذلك حتّى وقتٍ لاحق، وكانت الخيبات المتتالية بمثابة الطريق الشائك الوعر، الذي أجهز على هذا المشروع في النهاية، وقد أثّر هذا الموضوع بمسيرة السقّاف الأدبيّة كما سنرى فيما بعد، ولذلك كان هذا التاريخ عنواناً لمرحلةٍ تاليةٍ من عمل السقاف في الميدان الأدبيّ والصحافة(2).

---

(1) السقاف، أحمد ـ الوضع العربي الراهن، مجلة الإيمان، ص95، مصدر سابق.

(2) لقد استثنت الدراسة من هذا التاريخ حلقات مقالة المغرب مزيان مزيان المنشورة في مجلة البيان بدءا من العدد الثاني والخمسين في شهر يوليو 1970 وقد بلغت ثمانية وتابعها حتى العدد الثاني والستين في مايو 1971 بعد أن توقف في عددين هما السادس والخمسون والسابع والخمسون وكان قد خصص الأول منهما لوفاة جمال عبد الناصر. كما أننا لا ننظر إلى هذه التواريخ كمقدسات لا يجوز المساس بها بقدر ما كانت محددات مرحلة تاريخية أدبية أردنا تحديدها ودراسة مقالة السقاف خلالها والخروج بتصور عنها.

كما يشكّل عام 1967 سبعةٍ وستين وتسعمئةٍ وألفٍ، عام النكسة العربية نقطة واضحة في هذه الفترة، وفي تاريخ الأمّة من جميع النواحي من جهة أخرى، فتبعات عام النكسة على الصعيد القوميّ شكّلت منعطفاً تاريخيّاً، في أدب الأمّة كما هو معروف؛ الأمر الذي سيظهر جليّاً في أدب السقاف، كما ظهر في الأدب العربيّ عامّة. إنّ هذه الفترة البائسة التي سبقت النكسة تعبّر عن التخدير الذي طال وجدان الشعب العربي، فلم يكن الأدب العربيّ، وفنّ المقالة بشكلٍ خاصّ على قدر المسؤوليّة المفترضة. والأمر لا ينطبق على الأدباء جميعا، بل كان بينهم أصحاب البصائر النافذة الذين وقفوا على دقائق الأمور، وكشفوا ما يُحاك من مخطّطات لتمزيق الأمّة، وتكريس استغلال ثرواتها. ويمكن القول بوضوح: إنّ السقاف كان أحد هؤلاء القلة المتنوّرين، الذين غردوا خارج السرب، وما يحدّد نهاية هذه الفترة عند السقاف، موضوع مقالته الذي شدّد فيه على ضرورة الوحدة وضرورة المضي في المشروع القومي، وغدت الموضوعات العربيّة همّه الشاغل في كل قطرٍ عربي، دون التأثر بالنكسة التي أصابت الكثيرين من الأدباء والمفكرين.

في هذه المرحلة قد دأب السقاف على النشر في مجلّتي البيان والعربيّ، وقد تميّزت مقالات السقاف في هذه المرحلة، بخصائص ومميّزات، سنوردها تباعاً كما يأتي:

العنوانات: يمكن القول: إنّ عنوانات المقالات تغيّرت بشكلٍ كلّي في هذه المرحلة، فلم يعد هنالك مكانٌ للعنوانات القصيرة، وتلك التي تتألّف من كلمةٍ واحدةٍ، بل غدت العنوانات طويلةً بشكلٍ ملحوظٍ، فأصبحنا نجد عنوانات من قبيل مصنع ذو شأن هو بداية لثورة صناعية في اليمن(1) ومع أروى الصليحيّة والصليحيين(2) و المغرب مزيان مزيان(3) و بعد عشرين شهراً من هزيمة حزيران(4)،

(1) السقاف، أحمد ـ مصنع ذو شأن هو بداية لثورة صناعية في اليمن، مجلة البيان، الكويت، ع40 يوليو 1969 ص13.

(2) السقاف، أحمد ـ مع أروى الصليحية والصليحيين، مجلة البيان، الكويت، ع44 نوفمبر 1969 ص7.

(3) السقاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان، مجلة البيان، الكويت، ع52 يوليو 1970 ص6.

(4) السقاف، أحمد ـ بعد عشرين شهرا من هزيمة حزيران، مجلة العربي، الكويت، ع123 فبراير 1969 ص28.

وليس خافياً أن طول العنوان؛ سيبعده عن دائرة الغموض؛ بل سيفسح المجال للدخول في محتوى المقالة، وهذه العنوانات إجمالاً مناسبة لموضوعات المقالات وقضاياها، وما يلاحظ في مقالة السقاف في هذه الفترة، أنّه بدا أكثر انخراطاً في العمل الصحفي وتقنيّاته، ولذلك أصبحنا نرى فيما يخصّ العنوانات؛ عنوانات فرعيّة للمقالة، تساعد في توضيح أفكارها وتلخيصها، ومن ذاك ما جاء من عنوان فرعيّ تحت عنوان مقالته؛ بعد عشرين شهرا من هزيمة حزيران(1) قوله: "ماذا أعددنا؟ أنحن راضون بما تم؟" ومقالته صناعة الموت تفرضها الوطنيّة الصحيحة(2)، جاء بعدها عنوانان فرعيّان هما:" نكسة حزيران يجب أن نستفيد منها إلى أبعد حدّ"، وقوله: "الأرض العربيّة إمّا أن تكون لنا وإمّا أن تكون لأعدائنا"، وفي مقالة أخرى بعنوان خواطر في بعض مشكلات العروبة(3)، جاء بعد العنوان "مؤتمرات الأدب تدعو الضرورة إلى تجديدها"، و"مهرجانات الشعر يجب أن تكون للشعر وحده"، والعنوان الآخر، "لماذا ازداد شكّي فيما تورده كتب السير والتراجم".

المقدّمة: بشكلٍ جليّ، أصبحت مقدّمة المقالة أكثر وضوحاً وتخصّصاً، بل أصبحت جزءاً حيويّاً في المقالة، وهذا ممّا يدلّ على تطوّر المقالة عند السقاف في هذه المرحلة، لقد أصبحت المقدّمة تمهيديّة بشكلٍ لافت، تقدّم لموضوعها كما يظهر في العديد من المقدّمات التي ساقها في مقالاته، كمقدمتّه لمقالة شعر الديارات(4) ومقدمته لمقالة إلى شباب العروبة : جمال عبد الناصر موجود(5) وكذلك مقدّمة مع أروى الصليحيّة والصليحيّين(6)، فلم نعد نجد مقالة بدون مقدمّة، غير أنّ هذه المقدّمات تتفاوت طولاً، وتتبع في ذلك طول المقالة، والموضوع المطروح في متنها.

---

(1) المصدر السابق، ص28.

(2) السقاف، أحمد ـ صناعة الموت تفرضها الوطنية الصحيحة، مجلة العربي، الكويت، ع105 أغسطس 1967 ص16.

(3) السقاف، أحمد ـ خواطر في بعض مشكلات العروبة، مجلة العربي، الكويت، ع148 مارس 1971 ص39 وما بعدها.

(4) السقاف، أحمد ـ شعر الديارات، مجلة العربي، الكويت، ع90 مايو 1966 ص28 وما بعدها.

(5) السقاف، أحمد ـ إلى شباب العروبة: جمال عبد الناصر موجود، مجلة البيان، الكويت، ع56 نوفمبر 1970 ص28 وما بعدها.

(6) السقاف، أحمد ـ مع أروى الصليحية والصليحيين، مجلة البيان، مصدر سابق ص7.

الموضوع: لم تختلف موضوعات السقاف في هذه المرحلة كثيرا، فمازالت موضوعات مقالته تدور حول اهتماماته وقضاياه نفسها، مع ملاحظة غياب الموضوعات ذات الطبيعة المحليّة لصالح الموضوعات القوميّة، والثقافيّة الأخرى، ففي الغالب، عالج السقاف موضوعاتٍ وقضايا قوميّة عربيّة عاصرها أو أدبيّة تحدّث عنها(1)، وبما أنّ قضايا القوميّة تحتلّ بؤرة تفكيره، فقد أدّى الأمر إلى الحفاظ على خطٍّ ثابتٍ في طبيعة الموضوعات المطروحة، كما أنّ الموضوعات التي تتّسم بطابع الجدّة، لا تخرج عن ارتباطها ببؤرة فكره حول القوميّة، وحتى مقالاته في الرحلات سُخّرت، أو ربّما سُلّطت عليها هواجسه القوميّة، كرحلاته إلى اليمن وإلى المغرب، فسلسلة مقالاته المطوّلة عن المغرب المغرب مزيان مزيان(2)، لا تخرج عن هذا الإطار، حيث عالج قضايا التعريب في المغرب، وزيارته لمكتب تنسيق التعريب، حتّى أنّ استطراداته لا تخرج عن إطار فكره القوميّ، كحديثه عن عاملة الفندق الكادحة التي حدّثته عن غرور الصهاينة(3)، واستطراده عن الشابّ الكويتيّ الماركسيّ، الذي وصفه بالشعوبيّ(4)، والمعارك بين أصحاب التراث والعروبة والمتفرنسين(5)، واحتلال سبتة ومليلة(6)، وغيرها. ولعلّ العامل الحاسم في جدّة المقالة، هو مناسبتها فالمناسبة عندما تكون حدثاً سياسيّاً؛ تخلق جدّةً في الموضوع، كما يبدو من مقالته التي عنوانها صناعة الموت تفرضها الوطنية الصحيحة(7)، التي جاءت بعد هزيمة حزيران، ومقالة إلى شباب العروبة: جمال عبد الناصر موجود(8). التي رأى فيها أنّ فكرة القوميّة العربيّة؛ لا تموت بمجرّد موت زعيمٍ، ومن الواضح أيضاً انّه أصبح يفضّل معالجة الموضوع من عدّة جوانب، أو يعالج عدّة موضوعاتٍ في مقالةٍ واحدةٍ، وهو ما نجده مثلاً في مقالته، خواطر في بعض مشكلات العروبة(9)

---

(1) وبطبيعة الحال فإن الامر لا يخلو من موضوعات محلية، مثلما ناقش موضوع الهبيين في الكويت في مقالته خواطر من هنا وهناك. ينظر: السقاف، أحمد ـ خواطر من هنا وهناك، مجلة البيان، الكويت، ع 67 أكتوبر 1971 ص22وما بعدها.

(2) السقاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان3، مجلة البيان، الكويت، ع54 سبتمبر 1970 ص7.

(3) ينظر: السقاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان4، مجلة البيان، الكويت، ع55 أكتوبر 1970 ص6.

(4) ينظر: السقاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان5، مجلة البيان، الكويت، ع58 يناير 1971 ص10.

(5) ينظر: السقاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان، الحلقة الأخيرة، مجلة البيان، الكويت، ع62 مايو 1971 ص40.

(6) ينظر: السقاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان7، مجلة البيان، الكويت، ع61 إبريل 1971 ص29.

(7) السقاف، أحمد ـ صناعة الموت تفرضها الوطنية الصحيحة، مجلة العربي، ص16، مصدر سابق.

(8) ينظر: السقاف، أحمد ـ إلى شباب العروبة: جمال عبد الناصر موجود، مجلة العربي، ص28، مصدر سابق.

(9) السقاف، أحمد ـ خواطر في بعض مشكلات العروبة، مجلة العربي، ص39، مصدر سابق.

حيث انتقد الصحافة العربيّة في تحريفها للأخبار، وانتقد أحد الكتّاب(1) من دعاة هجر العربيّة والكتابة باللاتينيّة، وتحدّث عن مشروعين جليلين ستقوم من خلالهما دولة الكويت باستقطاب الأدمغة العربيّة المهاجرة، وافتتاحها لمركز يهتمّ بتعريب مخترعات ومنتجات التكنولوجيا الحديثة. وعندما ينطوي الموضوع على أصالة، فنستطيع أنْ نسوق مقالة خواطر من هنا وهناك(2) حيث عالج ظاهرة انتشار سلوك "الهبّيين" بين الشباب الكويتيّ، فكان سبّاقاً في هذا المضمار.

الأسلوب: تابع السقّاف في هذه الفترة سياسة عرضه، من خلال اختيار التشويق منهجاً لمقالاته، والأمر يعود لحساسيّة الموضوعات، والمناسبات التي حدّدت مواعيد مقالاته، كما تتميّز طريقة عرضه بالتسلسل المنطقيّ، ومناوبته في ذلك، فنراه ينتقل من الخاصّ إلى العامّ في مقالة والعكس في أخرى، ونراه في مكانٍ آخر ينتقل من الفكرة الثانويّة إلى الرئيسة، ثمّ يفعل عكس ذلك في موضعٍ آخر. إنّ أهمّ ما يمكن الإشارة له هنا؛ هو التطوّر الواضح في متن المقالة؛ فالشكل العامّ لهذا المتن أصبح مقطعيّاً، بمعنى أنّ الموضوع مقسّم منطقيّا وفعليّا إلى أقسامٍ رئيسةٍ؛ ووحدات فكريّة، أي فقرات، بل إنّ الأمر تعدّى ذلك ليضع السقاف؛ عنوانات للفقرات، وهو أمرٌ لم نلاحظه على الإطلاق في مقالات المرحلة السابقة، و يبدو أن السقاف بدأ يبحث عن ذاته الأدبيّة الصحفية، ويطوّر أداءه تماشياً مع أعراف الكتابة في عصره، ويمكن ملاحظة أمر تقطيع المقالة في النسبة الأعظم من مقالات هذه الفترة، كما في مقالات، القلق مع مؤتمر الأدباء ومهرجان الشعر أعنف من كل مؤتمر وكل مهرجان(3) و صناعة الموت تفرضها الوطنية الصحيحة(4) واليمن الجنوبي يجد في البحث عن البترول(5)،

---

(1) تبين أنّه سعيد عقل.

(2) السقاف، أحمد ـ خواطر من هنا وهناك، مجلة البيان، ص22، مصدر سابق.

(3) السقاف، أحمد ـ القلق مع مؤتمر الأدباء ومهرجان الشعر أعنف من كل مؤتمر وكل مهرجان، مجلة العربي، الكويت، ع115 يونيو 1968 ص20 وما بعدها.

(4) السقاف، أحمد ـ صناعة الموت تفرضها الوطنية الصحيحة، مجلة العربي، ص16، مصدر سابق.

(5) السقاف، أحمد ـ اليمن الجنوبي يجد في البحث عن البترول، مجلة البيان، الكويت، ع39 يونيو 1969 ص12وما بعدها.

ويمكن أن نضرب مثالاً عن تقطيع المقالة؛ وعنونة فقراتها؛ في مقالته بعد عشرين شهرا من هزيمة حزيران ؛ إذ أضاف عنوانين فرعيين للعنوان الرئيسيّ ثم قسّم المقالة إلى ثماني فقرات، ولكلّ فقرة عنوان هي على التوالي: "بعد عشرين شهرا ماذا أضفنا، واجبنا: في التطوّع والتبرّع، الاستعداد لردّ المطامع ، كنّا مئة مليون ترانسستر، لا فائدة من حربٍ قبل الاستعداد، العمل الفدائيّ، يقظة وحذر، مطالب ستة"(1)، وهذا العنوان الأخير يخصّ فقرة الخاتمة.

أمّا المعالجة للموضوع، فقد أخذت تنحو نحو الشموليّة، وما قضيّة نشر المقالات على حلقات إلا إذعانٌ لرغبته الملحّة في لملمة جوانب موضوعه؛ حدث هذا في مقالة المغرب مزيان مزيان التي جعلها على ثماني حلقات، ثمّ أتبعها بمقالة تاسعة خصّها لخواطر حول رحلته إلى المغرب، ومقالاته فيها، كما حدث ذلك في مقالاته عن اليمن، حيث جعلها أربع مقالات الأولى اليمن الجنوبي يجدّ في البحث عن البترول(2) والثانية مصنع ذو شأن هو بداية لثورةٍ صناعيةٍ في اليمن(3) والثالثة عود على بدء(4) والرابعة جاءت بعنوان عن اليمن أيضا(5)، كما أنّ مقالته عن شعر الديارات كانت على حلقتين، وقد صرح في مقدّمة المقالة الثانية أنّه شعر بأن مقالته الأولى عن شعر الديارات لم تُحط بجوانب الموضوع ولذلك جاء بمقالةٍ ثانية(6). لكنّ ذلك لم يمنع أنّ بعض المقالات تضمّنت معالجةً جزئيّة لموضوعاتها ولا سيمّا تلك التي تناولت أكثر من موضوع في المتن كمقالته خواطر في بعض مشكلات العروبة(7).

---

(1) السقاف، أحمد ـ بعد عشرين شهرا من هزيمة حزيران، مجلة العربي، ص28، مصدر سابق.

(2) السقاف، أحمد ـ اليمن الجنوبي يجد في البحث عن البترول، مجلة البيان، ص12، مصدر سابق.

(3) السقاف، أحمد ـ مصنع ذو شأن هو بداية لثورة صناعية في اليمن، مجلة البيان، ص13، مصدر سابق.

(4) السقاف، أحمد ـ عود على بدء، مجلة البيان، الكويت، ع41 أغسطس 1969 ص16.

(5) السقاف، أحمد ـ عن اليمن أيضا، مجلة البيان، الكويت، ع43 يونيو 1969 ص9.

(6) ينظر: السقاف، أحمد ـ شعر الديارات، عود على بدء، مجلة العربي، الكويت، ع92 يوليو 1966 ص16.

(7) السقاف، أحمد ـ خواطر في بعض مشكلات العروبة، مجلة العربي، ص39، مصدر سابق.

يُظهر السقاف قدراً من الحماس في مقالاته، يتجلّى من خلال عمله على تثبيت أفكاره بالشواهد والأدلة والبراهين، والملاحظ أنّ السقاف كان أكثر ميلاً لهذا الحماس في مقالاته التي تأخذ بعداً قوميّاً مباشراً، ومثالنا هنا مقالته صناعة الموت تفرضها الوطنيّة الصحيحة(1)؛ حيث دعا في هذه المقالة إلى تطبيق نظام الفتوّة في المدارس؛ وقد وجد أنّ هذا النظام كان سرّ مقاومة العراق للاستعمار الإنكليزيّ، كما أنّ الأمر يمثّل ضرورةً ملحّة؛ ذلك أنّ الصهاينة يعتمدون مثل هذا النظام في مجتمعهم، وأنّ هذا الأمر بالذات سبب تفوّقهم على العرب في حروبهم معهم. وكمثالٍ آخر عن ذلك الحماس مقالته بعد عشرين شهراً من هزيمة حزيران، نورد ما قاله السقاف بعد أن دعا العرب للاستعداد إلى جولةٍ جديدة، منبّهاً إلى هول المصيبة، لعلها توقظ الضمائر، يقول:

" ألم يشاهد أغنياؤنا صور ضحايا العدوان المستمرّ على المدن والقرى الأردنيّة وهي صورٌ تهتزّ لها الجبال الشامخات، فكيف لا يهتز لهذه المناظر وهي لأطفالٍ أبرياء فتك العدوان بهم وشوّه أجسامهم بقنابله المحرقة وسوّى منازلهم بالتراب"(2).

فالهدف واضح من إيراد هذا الشاهد الذي دفعه إليه تحمّسه، وأراد من خلاله إيقاظ النخوة والشهامة عند العرب، كي يضع حداً لهذه المصيبة، أو أنْ يستعدّوا لمصيبةٍ جديدة. وفي مكان آخر من المقالة ذاتها أورد السقاف ما نصّه:

" لقد قال كاتب من لبنان بعد هزيمة حزيران في حديثه عن عددنا الذي يقارب المائة مليون عربي: لقد كنا يوم المعركة مئة مليون (ترانسستر). وقول الكاتب اللبناني قولٌ صحيحٌ فلو كنّا مائة مليون رشّاش أو بندقيّة لما لحقت بنا هزيمة من أيّة دولةٍ من دول العالم"(3).

---

(1) السقاف، أحمد ـ صناعة الموت تفرضها الوطنية الصحيحة، مجلة العربي، ص16، مصدر سابق.

(2) السقاف، أحمد ـ بعد عشرين شهرا من هزيمة حزيران، مجلة العربي، ص30، مصدر سابق.

(3) المصدر السابق، ص30.

وقد أشار في هذا الشاهد إلى المدى الذي بلغه العرب من التواكل والاكتفاء بالتفرّج، وكان الواجب أنْ يكون المشاهدون جزءاً من الحدث، يحاربون من أجل وطنهم وكرامتهم وحريّتهم. ونضيف إنّ السقّاف لجأ في بعض المقالات إلى الاستشهاد بالمصادر ولا سيّما مقالاته الموضوعيّة الأدبيّة والتاريخيّة. والاستشهاد والتوثيق يأتي هنا لضروراتٍ الأمانة العلميّة، وينسجم حقيقةً مع هذا النوع من المقالات، وقد ظهر ذلك في مقالتيه؛ عن شعر الديارات(1) ومقالته؛ مع أروى الصليحيّة والصليحيّين(2).

وممّا يلاحظ؛ أنّ السقّاف تابع طريقته في هذه المرحلة في تحديد بيئةٍ زمانيّة مكانيّة للموضوع، وتلعب المناسبة التي يعتمدها السقّاف موعداً لمقالاته، دوراً رئيساً في هذا، فيتحدّد الزمان والمكان بطريقة آليّة، ولكن قد يشير أحياناً إليهما كما في مقالته القلق مع مؤتمر الأدباء ومهرجان الشعر أعنف من كلّ مؤتمرٍ وكلّ مهرجان(3)، الّتي تحدّث فيها عن مؤتمر الأدباء السادس، ومهرجان الشعراء الثامن، المنعقد في القاهرة عام ثمانية وستين وتسعمئةٍ وألف، ومقالته إلى شباب العروبة: جمال عبد الناصر موجود(4). فالمقالة غالباً ما تأتي لمعالجة قضيّة حدثت في مكانٍ وزمانٍ معينين، وهذا ما يظهر في معظم مقالاته في المرحلة السابقة.

الخاتمة: ليس من خطةٍ واضحةٍ لخاتمة المقالة في هذه المرحلة عند السقاف، حيث انتهج عدّة طرقٍ فيها، فالخاتمة موجودةٌ بشكلٍ عضويّ في مقالته الّتي نشرها في مجلّة الأقلام العراقيّة وهي بعنوان كلمة الكويت(5)، وهي كلمة رسميّة ألقاها عن رابطة الأدباء الكويتيين بمناسبة وفاة عبد السلام عارف. وكذلك الأمر كانت الخاتمة واضحةً في مقالة إلى شباب العروبة: جمال عبد الناصر موجود(6)، ومقالته شعر الديارات(7) الأولى في حين ترك المقالة الثانية بدون خاتمة. أمّا مقالته خواطر من هنا وهناك الأولى(8)

(1) السقاف، أحمد ـ شعر الديارات، عود على بدء، مجلة العربي، ص16، مصدر سابق.

(2) السقاف، أحمد ـ مع أروى الصليحية والصليحيين، مجلة البيان، ص7، مصدر سابق.

(3) السقاف، أحمد ـ القلق مع مؤتمر الأدباء ومهرجان الشعر أعنف من كل مؤتمر وكل مهرجان، مجلة العربي، ص20 وما بعدها، مصدر سابق.

(4) السقاف، أحمد ـ إلى شباب العروبة: جمال عبد الناصر موجود، مجلة العربي، ص28، مصدر سابق.

(5) السقاف أحمد ـ كلمة الكويت، مجلة الأقلام، العراق، ع10 أكتوبر 1966، ص34.

(6) السقاف، أحمد ـ إلى شباب العروبة: جمال عبد الناصر موجود، مجلة العربي، ص28، مصدر سابق.

(7) السقاف، أحمد ـ شعر الديارات، مجلة العربي، ص28 وما بعدها، مصدر سابق.

(8) السقاف، أحمد ـ خواطر من هنا وهناك، مجلة البيان، ص22، مصدر سابق.

والثانيّة؛ فقد كانت الخاتمة موجزةً سريعةً بدون تلخيص لأفكاره، فيما كانت خواتيم مقالاته عن مؤتمرات الأدب ومهرجانات الشعر طويلةً، وقد يلجأ أحياناً إلى طريقة الإشارة إلى فكرةٍ وردت في متن المقالة، وهذه الطريقة لا تخصّ هذه المرحلة؛ بل اعتمدها السقاف منذ باكورة مقالاته. ففي مقالة القلق مع مؤتمر الأدباء ومهرجان الشعر أعنف من كلّ مؤتمرٍ وكلّ مهرجان(1) حيث انتقد في خاتمتها نزار قباني وكان قد أشار إلى سوء صنيعه في المتن؛ إذ تناول قباني قبل عام الأمّة العربيّة والشعب العربي بألفاظٍ قاسية وخادشة، ووصف جيل الأمّة الراهن بأنّه جيل القيء والسعال والزهري، وقد أثار ذلك حفيظة السقاف، الذي كان ينتظر من قباني أن يكفّر عن ذنبه، ويصلح ما أفسده في مهرجان الشعر ـ موضوع المقالة ـ لكنّ قبانيّ؛ زاد الطين بلةً بصنيعه عندما صعد المنبر(2). أمّا مقالته المسلسلة المغرب مزيان مزيان فقد كانت بدون خاتمة؛ بل إنّ المقالة الأخيرة أشار فيها إلى قلقه ورفاقَه، عن أخبار اجتياح إسرائيلي لجنوب لبنان أثناء عودته من مطار لندن إلى الكويت(3)، وإن دلّ هذا على شيءٍ فإنّما يكشف عن تألّق الهمّ القوميّ وتوهّجه في ذهن السقاف، لدرجة أنّه نسي تلخيص ثمانية مقالات في خاتمةٍ نهائية.

شخصيّة الكاتب: تتنوّع قضايا السقّاف بتنوّع اهتماماته بالرغم من تمركزها حول بؤرة هاجسه القوميّ، ولذلك تتعدّد مواقفه في النصّ، فلا يتخذ نمطاً معيّنا يسير عليه، وهو ما ظهر عليه منذ بداياته، فإذا اقتضى سياق المقالة أن يكون باحثاً؛ كان السقاف باحثاً كما في مقالاته الموضوعيّة الأدبيّة والتاريخيّة. فقد ظهر السقاف باحثاً في مقالته مع أروى الصليحيّة والصليحيين(4)

---

(1) السقاف، أحمد ـ القلق مع مؤتمر الأدباء ومهرجان الشعر أعنف من كل مؤتمر وكل مهرجان، مجلة العربي، ص20، مصدر سابق.

(2) ينظر: السقاف، أحمد ـ القلق مع مؤتمر الأدباء ومهرجان الشعر أعنف من كل مؤتمر وكل مهرجان، مجلة العربي، ص23، مصدر سابق.

(3) يشار إلى أن الرحلات الجوية بين الأقطار كانت تتم بالتنقل بين المطارات إذ لم يكن هنالك رحلات طيران مباشر أو طيران منتظم بين الكويت والمغرب ولذلك اضطر في رحلة العودة للسفر إلى الجزائر فحجز الطائرة المتجهة إلى الكويت مرورا بروما فباريس فلندن وأخيرا الكويت، السقاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان، الحلقة الأخيرة، مجلة البيان، ص40، مصدر سابق.

(4) السقاف، أحمد ـ مع أروى الصليحية والصليحيين، مجلة البيان، ص7، مصدر سابق.

إذ بحث في المصادر واقتبس النصوص واستشهد بها، ثمّ وثقها متحرياً الدقة والأمانة، وهذا كان دأبه مع مقالتيه في شعر الديارات(1)؛ وهاتين الأخيرتين ظهر فيمها بمظهر الناقد الأدبيّ، لكنّه لم يغامر كثيراً؛ إذ اكتفى بتسجيل ملاحظاتٍ نقديّة وبعض الآراء الانطباعيّة، لما وجده من شعرٍ كان قد تفحصّه بعنايةٍ؛ فكشف عن ذائقةٍ شعريّة فذّة، ولا نغفل أنّ لصنيعه ولا سيّما مادّة الكتاب الذي طبعه فيما بعد، قيمةً أدبيّةً كبيرة، بل هو مرجعٌ لهذا النوع من الشعر(2). ولمّا كان المقام يتطلّب التفاؤل اتخذ موقف الخطيب في مقالة إلى شباب العروبة: جمال عبد الناصر موجود(3)، فيما يتحوّل إلى موقف الواعظ مستخدماً الترهيب لا سيّما في حالة اليأس ـ وما أكثرها عند المؤمنين بالعروبة ـ كما في مقالته صناعة الموت تفرضها الوطنية الصحيحة(4)، وقد يتحوّل هذا الواعظ إلى ناقدٍ سياسيّ، كما في بعد عشرين شهرا من هزيمة حزيران، حيث انتقد الاستكانة والضعف العربيين، وهذا الانتظار الطويل والسكوت عن الحق(5). كما تحوّل إلى ناقدٍ اجتماعيّ كما في خواطر من هنا وهناك الثانية(6) حيث انتقد انتشار ظاهرة "الهبيين" بين الشباب العرب عموماً، والشباب الكويتيّ خصوصاً، وربّما لا يملك السقاف الخيار هنا، فسياق المقالة ونوعها يحددان طبيعة موقفه فيها، كما أنّ المقام والمناسبة تسهم في هذا الأمر.

نوع المقالة: نوّع السقاف خلال هذه الفترة بين نوعي المقالة، فبعض المقالات جاءت موضوعيّة، وبعضها الآخر ذاتيّة لدرجة متقاربة، وهو تطوّر آخر عن المرحلة السابقة حيث كان يميل إلى المقالة الموضوعيّة لكنّ التفريق بين هذه وتلك، ليس بمثل بساطة القول، إذ نستطيع العثور على مقالات موضوعيّة واضحة كمقالة شعر الديارات(7)، ومقالة مع أروى الصليحيّة والصليحيّين(8)،

---

(1) السقاف، أحمد ـ شعر الديارات، مجلة العربي، ص28 وما بعدها، مصدر سابق.

(2) وضع أحمد السقاف عام 1954 كتاب " الأوراق في شعر الديارات" وأعاد طبعه عام 1977، وهو كتاب يبحث في أشهر ديارات العراق والشعراء الذين كانوا يتطّرحون فيها. وقد جاء نتيجة سنوات طوال قضاها في البحث والتنقيب والتدقيق والتمحيص، متحمّلا غير قليل من العناء، لقلّة المصادر. محفوظ، حافظ ـ أقلام خليجيّة، ص59، مصدر سابق.

(3) السقاف، أحمد ـ إلى شباب العروبة: جمال عبد الناصر موجود، مجلة العربي، ص28، مصدر سابق.

(4) السقاف، أحمد ـ صناعة الموت تفرضها الوطنية الصحيحة، مجلة العربي، ص16، مصدر سابق.

(5) ينظر: السقاف، أحمد ـ صناعة الموت تفرضها الوطنية الصحيحة، مجلة العربي، ص16، مصدر سابق.

(6) السقاف، أحمد ـ خواطر من هنا وهناك، مجلة البيان، ص22، مصدر سابق.

(7) السقاف، أحمد ـ شعر الديارات، مجلة العربي، ص28 وما بعدها، مصدر سابق.

(8) السقاف، أحمد ـ مع أروى الصليحية والصليحيين، مجلة البيان، ص7، مصدر سابق.

وهاتان المقالتان أنموذجان حيّان واضحان للمقالة الموضوعيّة، لكنْ في الوقت نفسه، نرى مقالات موضوعية تنطوي على شيءٍ من الذاتيّة كمقالة صناعة الموت تفرضها الوطنيّة الصحيحة(1) و بعد عشرين شهرا من هزيمة حزيران(2)، وغيرها فلم يكن السقاف يجد مناصاً من حشر ذاته، رغم موضوعيّة طروحاته هنا. ثمّة مقالات أخرى جاءت بصيغة ذاتيّةٍ صرفةٍ كمقالته كلمة الكويت(3)، وخواطر في بعض مشكلات العروبة(4)، وكذلك الحال في مقالات يفترض أنّها ذاتية، كمقالات الرحلات أي المغرب مزيان مزيان الثمانيّة؛ التي نجد فيها شيئا من الموضوعيّة لا سيّما في استطراداته حيث نجده يناقش بعضها برصانةٍ موضوعيّة كاستطراده مثلاً عن الاحتلال الإسبانيّ للمدن المغربيّة سبتة ومليلة، ومعركة التعريب في المغرب، وتدويل مدينة طنجة وأهميّة تعلّم اللغات الأجنبيّة(5). كما نجد أنّ مقالاته عن اليمن وهن أربع قد نحت باتجاه الذاتيّة، من خلال سرد بعض القصص والسير؛ رغم أننا نجد لهذه المقالات مثلاً، عنواناً ينمّ عن محتوًى موضوعيّ كمقالة مصنع ذو شأن هو بداية لثورةٍ صناعيّة في اليمن(6).

اللغة: يمكن القول إنّ لغة السقاف في هذه الفترة شهدت بعض التطوّر فأصبحت أكثر معاصرة، فمن الملاحظ هجره للتعبيرات التراثيّة، وتحوّله نحو لغةٍ أكثر فهماً من قبل القارئ، لاسيّما أنّه وجد نفسه يخاطب جمهوراً كبيراً من القرّاء، بعد الانتشار الواسع الذي حقّقته كلٌّ من مجلّتي البيان والعربيّ.

الطول: مالت المقالة في هذه المرحلة إلى الطول؛ فبعد أن كانت مقالة السقّاف لا تتجاوز ثلاث صفحاتٍ، أصبحت تبلغ ثماني صفحات أحياناً وبشكلٍ عام أصبح متوسّط طول المقالة في هذه الفترة بين خمس أو ستّ صفحات، ولعلّ غواية الكتابة أخذت تدفعه إلى ذلك، فصار ملاحظاً كثرة استطراداته؛ التي شكّلت ملمحاً أسلوبيّاً بارزاً في هذه المرحلة، ويمكن أنْ نضرب مثالاً على ذلك مقالاته حول اليمن، ومقالاته عن المغرب الّتي تميّزت بالطول والاستطراد، ومن أمثلة استطراداته ما أورده في المغرب مزيان مزيان5(7)

---

(1) السقاف، أحمد ـ صناعة الموت تفرضها الوطنية الصحيحة، مجلة العربي، ص16، مصدر سابق.

(2) السقاف، أحمد ـ بعد عشرين شهرا من هزيمة حزيران، مجلة العربي، ص30، مصدر سابق.

(3) السقاف أحمد ـ كلمة الكويت، مجلة الأقلام، ص34، مصدر سابق.

(4) السقاف، أحمد ـ خواطر في بعض مشكلات العروبة، مجلة العربي، ص39، مصدر سابق.

(5) ينظر: السقاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان6، مجلة البيان، ص12، مصدر سابق.

(6) السقاف، أحمد ـ مصنع ذو شأن هو بداية لثورة صناعية في اليمن، مجلة البيان، ص13، مصدر سابق.

(7) السقاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان5، مجلة البيان، ص10ومابعدها، مصدر سابق.

عندما ناقش شابّاً كويتيّاً ماركسيّاً في موضوع القوميّة العربيّة، ووصفه بالشعوبيّ، ثمّ اقتراحه استبدال عبارة الوطن العربيّ بالعالم العربيّ(1). وفي المغرب مزيان مزيان6(2)، استغرب من سبب إتقان صديقه في الرحلة اللغة الفارسيّة، ثم تحدّث عن أهميّة تعلّم اللغات، كما تناول سيرة الأستاذ المسيحيّ حنّا خلف، الّذي قاتل الإنكليز بصحبة القائد عبد القادر الحسينيّ؛ ليؤكّد من خلال ذلك على عروبة المسيحيين في الوطن العربي(3).

مرحلة التجديد

تمتدّ هذه المرحلة على عشرين عاماً من بداية السبعينيات، حتّى عام ألف وتسعمئة وتسعين؛ وهي أعوام ازدهار الكويت الاقتصاديّ والثقافيّ، وهي الطفرة التي عمّت دول الخليج العربيّ عامّة ودولة الكويت خاصّةً، حتّى غدت الكويت بحقّ لؤلؤة الخليج، وتنتهي هذه الفترة بتاريخ الغزو العراقيّ للكويت، وقد ترك هذا التاريخ أثراً كبيراً في نفس كلّ عربيّ، كما عمّق الشرخ بين الدول العربيّة، وقصم ظهر التضامن العربيّ، وهو ما كان يُراد منه وحدةً عربيّة بحدّها الأدنى؛ حيث أصبحت العروبة والقوميّة العربيّة موضع الاتّهام، بعد أنْ جُيّرت لصالح المخطّطات العدوانيّة والتوسع، والأطماع بثروات الدول الغنيّة. لم تكنْ الدراسة تسعى لتحديد هذا التاريخ؛ إنّما فرض نفسه على البحث، فالمتابع الناقد سيدرك دون أدنى جهد حجم التغير في خطاب السقاف الثقافيّ، ومراجعته وخلخلته لمفاهيم العروبة والقوميّة، كما سنرى في المرحلة القادمة. وقد تابع السقاف خلال هذه المرحلة عمله منتجاً إبداعيّا للنصوص الشعريّة والنثريّة، وقد استمرّ في خطّته بشكلٍ رئيسيّ على النشر في مجلّتي العربيّ والبيان، وبشكلٍ أقلّ في دوريّات أسبوعيّةٍ وشهريّةٍ أخرى. وفيما يأتي سنعمل على تحديد ملامح مقالات السقّاف في هذه المرحلة:

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ص10ومابعدها.

(2) السقاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان6، مجلة البيان، ص12، مصدر سابق.

(3) ينظر: المصدر، ص12.

العنوانات: يمكن القول: إن لا تغيّر حاصل بالنسبة للعنوانات في هذه المرحلة، فقد استمر في اختيار العنوانات الطويلة الموضّحة، ويبدو أنّ السقاف استقرّ على هذه الاستراتيجيّة، طالما أنّه لمس ضرورة ذلك، مع الاستمرار في النشر الصحفيّ والتوجّه إلى شريحة واسعةٍ من القرّاء، الذين يختلفون في مستوياتهم الثقافيّة. وهذه العنوانات بشكلٍ عامّ مناسبة لموضوعات مقالاته، كما استمرّ السقاف في بداية هذه المرحلة على استراتيجيّة العنوانات الفرعيّة، التي تساعد في توضيح محتوى المقالة. ومن الأمثلة على العنوانات الطويلة لمقالاته في هذه الفترة يا معشر العرب إما نكون أو لا نكون(1) ومقالته رفضنا بوعيٍ قوميّ أن نكون جسراً للشيوعيين(2) وعلامات استفهامٍ حائرة محيّرة(3). وبالنسبة للمقالات التي تضمنت عنوانات فرعيّة يمكن أن نمثّل بمقالة يا معشر العرب إمّا نكون أو لا نكون(4) التي جاءت مصحوبة بالعنوان الفرعي (صوت من طنجة يهاجم أعداء العروبة)(5)، ويبدو أنّه توقّف عن إضافة العنوانات الفرعية المصاحبة لعنوانات المقالة في المرحلة اللاحقة.

المقدّمة: تابع السقّاف طريقته في المقدّمة التي اتّخذت شكلاً تمهيديّا مناسباً، وأصبحت فيه موظّفةً بطريقةٍ عضويةٍ، وغالباً ما تكون أكثر ميلا إلى الطول، وذلك تبعاً لما يقتضيه موضوع المقالة، ويمكن أن نمثّل لمقدمته ما جاء في مقالة كلمة في الاستفتاء الغريب حيث ناقش في المقالة استفتاءً قامت به إحدى المجلات وقد تضمّن سؤالاً مُريباً عن مساواة العروبة بالصهيونيّة، وكان قد قدّم لهذه المقالة بشرحٍ وافٍ عن ملابساتٍ سبقت نشر المقالة، يقول السقاف في هذه المقدّمة:

---

(1) السقاف، أحمد ـ يا معشر العرب إما نكون او لا نكون، مجلة العربي، الكويت، ع163 يونيو 1972 ص28.

(2) السقاف، أحمد ـ رفضنا بوعي قومي أن نكون جسرا للشيوعيين، مجلة البيان، الكويت، ع86 مايو 1973 ص26.

(3) السقاف، أحمد ـ علامات استفهام حائرة محيرة، مجلة البيان، الكويت، ع185 أغسطس 1981 ص 7.

(4) السقاف، أحمد ـ رفضنا بوعي قومي أن نكون جسرا للشيوعيين، مجلة البيان، ص27، مصدر سابق.

(5) السقاف، أحمد ـ يا معشر العرب إما نكون او لا نكون، مجلة العربي، ص28، مصدر سابق.

" لم أفكر في ان أعقب على ما نشر في إحدى الصحف المحليّة حول العروبة والإسلام لولا ان واحداً ممن لجأت إليه الصحيفة لإبداء الرأي أستاذ في كلية الحقوق والأستاذ له طلاب قد يقرأ بعضهم ما يكتب وقد يتأثرون بما يقول، ولقد تجنّى هذا الأستاذ بدافعٍ حزبي على العروبة مستغلاً النعت القبيح المقدّم من السائل. وليس من المحزن أن يقول ما قال فهو معروف باتجاهاته الدينية الحزبيّة، ولكن المحزن حقّاً أن تطرح الصحيفة الاستفتاء بالشكل الذي طرحت، وفيه ما فيه من قبحٍ لا يليق بصحيفةٍ يملكها عرب لا يشكّ أحد في صفاء عروبتهم، ورفضهم التطاول على العروبة التي إليها ينتسبون!"(1).

أمّا مقالته حديث عن ليبيا والجزائر(2) فقد قدّم بحديثٍ عن رحلته والظروف التي واكبتها.

الموضوع: عمل السقّاف خلال هذه الفترة على تكريس الاهتمام بموضوعاته السابقة، فلم تلحظ الدراسة أيّ تجديد، أو تبدّل طارئ على الموضوعات التي كانت في بؤرة اهتمامه، فمع غياب الموضوعات المحليّة(3)؛ ظهر اهتمامه العميق بالقضايا القوميّة، وإن كان السقّاف قد عالج بعض الموضوعات الإقليميّة، فهي لا تخرج عن توجهه القوميّ العميق. وتابع الاهتمام بالقضايا الثقافية ولا سيما مقالاته عن المهرجانات الأدبيّة والشعريّة، التي حضرها كمقالته عن مؤتمر الأدباء الثامن، ومهرجان الشعر العاشر الذي عُقد في دمشق(4)، وهذه المؤتمرات والمهرجانات الثقافيّة لا تخرج عن إطارها القومي؛ الذي يشكل هاجس السقّاف الرئيسي، وتناول دور المثقف والأديب تجاه قضايا شعبه(5)

---

(1) السقاف، أحمد ـ كلمة في الاستفتاء الغريب، مجلة البيان، الكويت، ع 186 سبتمبر 1981 ص7.

(2) السقاف، أحمد ـ حديث عن الجزائر وليبيا، مجلة البيان، الكويت، ع146 مايو 1978 ص4.

(3) الأمر لا يعني عدم تفاعله مع القضايا المحلية، ولكن لعلّ الاستقرار النسبي الذي نعمت به منطقة الخليج قبل التسعينات هو السبب في ذلك، ولكن ذلك لا يمنع أن نشير إلى مقالاتٍ تناول فيها بعض القضايا ذات الطابع المحلي، فقد تناول بعض الأحداث الدموية التي حصلت في الكويت عام 1981 في مقالته علامات استفهام حائرة محيرة، السقاف، أحمد ـ علامات استفهام حائرة محيرة، مجلة البيان، ص7، مصدر سابق.

(4) ينظر: السقاف، أحمد ـ مؤتمر الأدباء الثامن ومهرجان الشعر العاشر، مجلة العربي، الكويت، ع160 يونيو 1972 ص70.

(5) ينظر: السقاف، أحمد ـ كلمة يجب أن تكتب، مجلة البيان، الكويت، ع144 مارس 1978 ص4.

كما عالجت مقالاته في هذه الفترة الموضوعات العربية، التي ناقشها في مقالاته في المرحلة السابقة كقضيّة التعريب(1)، والصراع مع العدو الصهيوني(2) ودفاعه عن القوميّة العربيّة(3)، ومفهوم العدالة الاجتماعية(4)، وطالب باتخاذ موقف جاد أمام سياسات الولايات المتّحدة (5)، كما ناقش في مقالاته المشروعين المتلازمين في فكره والمناهضين للقوميّة العربيّة؛ وهما (الأمميّة الإسلاميّة) كما يسمّيها، وقضيّة العداء المستفحل بين دعاة القوميّة العربيّة ودعاة الأمّة الإسلاميّة(6)، كما ناقش دعاة الأمميّة الشيوعيّة(7)، وقد سماهم في مقالة أخرى "المعوّقون من أصحاب اليمين واليسار"(8). ومع اندلاع الحرب العراقيّة الإيرانيّة فقد أظهر اهتماماً لافتا، إذ أعلن وقوفه إلى جانب العراق، وهاجم مواقف الزعماء العرب الذين حيّدوا أنفسهم، أو وقفوا إلى جانب إيران في هذه الحرب(9)، وفي فترةٍ لاحقة كتب السقاف مقالاتٍ موضوعيّة فنّد فيها مزاعم الإيرانيين، وجرّم قادتهم في دفع الأمور نحو حرب كارثيّة مدمّرة للعرب والمسلمين؛ إذ ربط بين الدعوة إلى تصدير الثورة الإسلاميّة في إيران؛ والخراب الذي جلبته الدعوة القرمطيّة والإسماعيليّة على العالم الإسلامي؛ في مقالته في هموم ميمون القدّاح(10). وفي موضوعاتٍ أخرى متعلقة بالتثقيف القومي العروبي، فقد قدّم مقالات موضوعيّة تناولت مجازر العثمانيين بحق العرب والثورة العربية الكبرى(11)، ودور ذلك في نشوء الجمعيّات العربيّة أوائل القرن العشرين، وبروز الوعي القوميّ العربيّ(12).

---

(1) ينظر: السقاف، أحمد ـ يا معشر العرب إما نكون أو لا نكون، مجلة العربي، ص28، مصدر سابق، وينظر: السقاف، أحمد ـ حديث عن الجزائر وليبيا، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(2) ينظر: السقاف، أحمد ـ يا معشر العرب إما نكون أو لا نكون، مجلة العربي، ص28، مصدر سابق.

(3) ينظر: المصدر السابق، ص28. وينظر: السقاف، أحمد ـ كلمة في الاستفتاء الغريب، مجلة البيان، ص7، مصدر سابق.

(4) ينظر: السقاف، أحمد ـ يا معشر العرب إما نكون أو لا نكون، مجلة العربي، ص28، مصدر سابق.

(5) ينظر: السقاف، أحمد ـ الموقف الشجاع المطلوب، مجلة البيان، الكويت، ع184 يوليو 1981 ص 4.

(6) ينظر: السقاف، أحمد ـ القومي لا يتنكر للدين، مجلة البيان، الكويت، ع145 إبريل 1978 ع184 ص 4.

(7) ينظر: السقاف، أحمد ـ رفضنا بوعي قومي أن نكون جسرا للشيوعيين، مجلة البيان، ص26، مصدر سابق.

(8) السقاف، أحمد ـ يا معشر العرب إما نكون أو لا نكون، مجلة العربي، ص28، مصدر سابق.

(9) ينظر: السقاف، أحمد ـ مرحى لأولئك الصناديد، مجلة البيان، الكويت، ع183 يونيو 1981 ص4.

(10) السقاف، أحمد ـ في هموم ميمون القداح، مجلة البيان، الكويت، ع197 أغسطس 1982 ص 4.

(11) ينظر: السقاف، أحمد ـ انحراف الخلافة العثمانية ودور الرواد، مجلة البيان، الكويت، ع193 إبريل 1982 ص5.

(12) ينظر: السقاف، أحمد ـ الجمعيات العربية والخلاص من الأتراك، مجلة البيان، الكويت، ع195 يونيو 1982 ص 4.

ويمكن القول إنّ موضوعات مقالات السقّاف كانت متنوعة حيناً ومطروقة حيناً آخر، والملاحظ أنّه كان يميل لمراجعة أفكاره السابقة، ليعود لتقديمها مجدداً، والأمر ينطبق على مقالاته القوميّة ذات الموضوع التاريخيّ والفكريّ، أمّا مقالاته السياسيّة؛ فجدّتها ترتهن للمناسبة، كحديثه في مقالته أيها الأقصى الحبيب(1)، التي جاءت عقب إحراق الصهاينة للمسجد الأقصى.

الأسلوب: تابع السقاف في هذه المرحلة سياسة عرضه من خلال اعتماد التشويق محوراً ناظماً لأدائه، ولا إضافة في هذا الموضوع على ما وجدناه في المرحلتين السابقتين، فالموضوع والمناسبة وتطوّر أداء السقاف كلّها أصبحت علاماتٍ فارقةً، تسم مقالاته بالتشويق في هذه المرحلة.

كما حافظ على التسلسل المنطقيّ، ومناوبته في الانتقال بين الأفكار بين العامّ والخاصّ والرئيسيّ والثانويّ، حسب ما يقتضيه موضوع المقالة. ويمكن القول إنّ ما عددناه تطوراً مهمّاً في شكل مقالة السقاف في المرحلة السابقة ـ إذ اعتمد العنونة الفرعيّة وتقطيع متن المقالة ـ قلّ من ناحية عنونة المقاطع، حتى اختفى في نهاية المرحلة، ولكنْ في الوقت نفسه فقد أبقى على تقطيع المقالة إلى أفكار رئيسة، بمعنى أنّ المقالة في هذه الفترة أصبحت مقسّمة إلى مقاطع، دون أن يأخذ المقطع عنواناً فرعيّاً، والأمر يبدو كأنّه عرفٌ وتوجّه لصحافة تلك المرحلة؛ مع أنّ كثيراً من مقالات هذه المرحلة كانت من النوع الطويل، ويمكن ملاحظة أمر تقطيع المقالة وعنونتها في مقالته يا معشر العرب إمّا نكون أو لا نكون وهي في بداية هذه المرحلة، إذ جاءت المقالة بعنوان فرعيّ هو(صوت من طنجة يهاجم أعداء العروبة) ثمّ تتالت عنوانات المقاطع كما يأتي: (الصهيونيون سجنوا أنفسهم في سجن الصلف والغرور، وزادٌ من رسالة السماء والعروبة السمحة، والعدالة الاجتماعية تتباين، وإنّ الاختلاف في مواجهة العدو جريمة، وفي زيارة للمغرب، والقوميّة العربيّة تشجب الدعوة العنصريّة، وعلى رأس القضايا العربيّة: قضيّة التعريب)(2)، لكنّ معظم مقالات هذه الفترة بدت مقسّمة إلى أفكارها بشكل فقرات دون عنوانات فرعيّة.

(1) السقاف، أحمد ـ أيها الأقصى الحبيب، مجلة البيان، الكويت، ع194 مايو 1982 ص4.

(2) السقاف، أحمد ـ يا معشر العرب إما نكون أو لا نكون، مجلة العربي، ص28، مصدر سابق.

أمّا من حيث المعالجة، فقد اعتمد السقّاف في مقالته على المعالجة الشموليّة عندما تكون المقالة طويلة؛ كما في المقالة السابقة، وكما في مقالتيه الجمعيّات العربية والخلاص من الأتراك(1) وانحراف الخلافة العثمانية ودور الروّاد(2)؛ في حين لجأ إلى المعالجة الجزئيّة في المقالات القصيرة كما في مقالته كلمة يجب أن تكتب(3)، إذ لم يسهب في معالجة قضية التزام الكتاب بقضايا الشعب، واكتفى بالإشارة إلى تصرفات بعض الكتّاب دون تسميتهم، وضرورة أن يحمل الكاتب لواء النهضة وهموم الشعب(4)، وفي مقالته حديث عن الجزائر وليبيا(5) اكتفى بالإشارة لإعجابه بصنيع هواري بو مدين في الجزائر في قضية التعريب، والنهضة العمرانية التي تشهدها كل من الجزائر العاصمة، وطرابلس في ليبيا(6).

لا تفتر عزيمة السقاف أثناء معالجة أيّ من موضوعات مقالته، فهو على الدوام يلجأ لتدعيم أفكاره وطروحاته بالشواهد والأدلّة، والأمر تجاوز مقالاته القوميّة إلى المقالات التاريخيّة، ولا سيما تلك التي سخّرها لمناقشة موضوعات سياسيّة معاصرة، كما في مقالته في هموم ميمون القداح(7)، فبعد أن قدّم عن مسيرة الدعوة القرمطيّة والعبيديّة والإسماعيليّة تاريخيّاً، واستعرض الدمار والخراب الذي حلّ بالعالم العربيّ والإسلاميّ نتيجة حروب تلك الحقبة؛ توصّل أخيراً إلى أنّ أطماع إيران ستقود في النهاية إلى خرابها ودمارها كما حدث مع أجداد أسياد إيران أصحاب الدعوات السابقة، لذلك يقول:

" إن الحكم في طهران حكمٌ طائفيٌ متحجّر همّه الوحيد أن ترتفع راية التخريب في العراق والخليج والجزيرة العربيّة كما فعل القرامطة وغير القرامطة من الشعوبيين منذ أكثر من ألف عام"(8).

---

(1) السقاف، أحمد ـ الجمعيات العربية والخلاص من الأتراك، مجلة البيان، ص 4، مصدر سابق.

(2) السقاف، أحمد ـ انحراف الخلافة العثمانية ودور الرواد، مجلة البيان، ص5، مصدر سابق.

(3) السقاف، أحمد ـ كلمة يجب أن تكتب، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(4) ينظر: المصدر السابق، ص4.

(5) السقاف، أحمد ـ حديث عن الجزائر وليبيا، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(6) ينظر: السقاف، أحمد ـ حديث عن الجزائر وليبيا، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(7) السقاف، أحمد ـ في هموم ميمون القداح، مجلة البيان، ص 4، مصدر سابق.

(8) المصدر السابق، ص 10.

فهو يرى أنّ القلق والاضطراب، وحالة انعدام اليقين في إيران، دفعت حكّام طهران ـ في ذلك الوقت ـ ليجدوا مخرجاً خارج حدود إيران، فانطلقوا غرباً إلى العراق؛ واستشهد بالثورة الفرنسيّة؛ ليدلّل على مآل هذه الخطوة وخطورتها؛ فيقول:

" ولم يجد جماعة طهران مناصاً من أن يكلّفوا جيشهم بضرب القرى والمخافر الحدوديّة لجرّ العراق إلى الحرب (...) وكما فعلت الثورة الفرنسيّة حين سادها الاضطراب وامتلكت زمامها الفوضى فلم تجد مخرجاً سوى الانطلاق نحو البلدان المجاورة حتّى تحطّمت وانكمشت بعد الهزائم والكوارث، واقتنع الفرنسيون بحدود بلادهم واحترموا سيادة الآخرين"(1).

وكمثالٍ آخر يمكن أن نأخذ مقالته القوميّ لا يتنكّر للدين(2)، إذ عرض بعض الآراء التي يسوّق لها أعداء القوميّة العربيّة، ومنها قولهم إنّ المسيحيين اللبنانيين؛ هم من رفع راية القوميّة، وأيقظ روح العروبة في العرب؛ وإنّ غرضهم من ذاك كان زعزعة الخلافة العثمانيّة؛ فيما يرى السقاف أنّ "هذه الخلافة لم تكن تحمل من الخلافة إلا اسمها"(3)، وقد التزم أقطابها بمحاربة اللغة العربيّة، وفرض التتريك على الشعوب التي خضعت لسلطان الدولة العثمانيّة(4)، وليدحض السقّاف هذه الفكرة؛ يسوق شاهداً منطقياً؛ فيقول:

" إن اليمن حاربت الأتراك أربعين عاماً وما كان أهل اليمن مسيحيين يكرهون الخلافة ويودّون القضاء عليها بشعورٍ معادٍ للإسلام"(5).

فهو يريد القول إنّ هنالك مسلمين أيضاً حاربوا الخلافة العثمانيّة حفاظا على استقلالهم، والقضية ليست حرباً على الإسلام، بل هي مولد أمةٍ لها الحقّ في أن تحيا حرّةً كريمةً من جديد.

---

(1) المصدر السابق، ص 9.

(2) السقاف، أحمد ـ القومي لا يتنكر للدين، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(3) السقاف، أحمد ـ القومي لا يتنكر للدين، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(4) السقاف، أحمد ـ القومي لا يتنكر للدين، مجلة البيان، ص5، مصدر سابق.

(5) المصدر السابق، ص5.

وفي عرض السقاف للبيئة نراه لا يهتم كثيرا بالتنبيه إلى الزمان أو المكان، فالأمر مُناسَبيٌّ، يرتهن إلى مناسبة المقالة، حيث يتحدّد محورا الزمان والمكان بشكل آليّ. فمقالته أيها الأقصى الحبيب(1) كانت بسبب إقدام الصهاينة على حرق المسجد الأقصى، ومقالته حديث عن الجزائر وليبيا(2)؛ كانت مناسبتها رحلته إلى هناك، ومقالته علامات استفهام حائرة محيّرة(3)؛ كانت بمناسبة تفجيرات دموية ذات بعد طائفي حدثت في الكويت ومصر. لكنْ تجدر الإشارة إلى أنّه قد يتعمّد الإشارة إلى الزمان والمكان خلال المقالة، كذكر التواريخ والأمكنة ولا سيما في مقالاته الموضوعيّة ذات المحتوى التاريخيّ، ففي مقالته انحراف الخلافة العثمانية ودور الروّاد(4)؛ تعمّد ذكّر التواريخ والأمكنة بدقّة؛ أثناء سرده الموجّه لمقطعٍ تاريخيّ في تاريخ الأمّة العربيّة؛ يقول مثلا:

"ولم يعرف شبابنا اليوم مع الأسف الشديد أنّ جمال باشا السفّاح قد اغتنم اندلاع الحرب العالميّة الأولى عام 1914 ليشفي غليله من دماء أحرار العرب فعلّق على المشانق في ساحة البرج في بيروت صباح 12 آب (أغسطس) 1915 أحد عشر شخصاً هم (...) وزاد جنونه بعد هزيمة جيشه أمام الإنكليز في سيناء مطلع عام 1916(5) فأراد أن يغطي تلك الهزيمة بشنق عدد آخر من أحرار العرب اللامعين ففي صبيحة 6أيّار (مايو) عام 1916 علّق على المشانق في ساحة البرج في بيروت (...) وفي ساحة المرجة في دمشق تعلّقت أجساد الشهداء الأبرار..."(6).

وفي مقالته الجمعيات العربية والخلاص من الأتراك(7) يمكن ملاحظة الأمر نفسه في تدوين التواريخ والأمكنة وقدد شدّد عليها هنا وقبل قليل؛ وكأنّه يريد من الشباب العربي حفظ هذه الأحداث وتذكرها جيّدا؛ يقول:

---

(1) السقاف، أحمد ـ أيها الأقصى الحبيب، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(2) السقاف، أحمد ـ حديث عن الجزائر وليبيا، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(3) السقاف، أحمد ـ علامات استفهام حائرة محيرة، مجلة البيان، ص7، مصدر سابق.

(4) السقاف، أحمد ـ انحراف الخلافة العثمانية ودور الرواد، مجلة البيان، ص5، مصدر سابق.

(5) هي حرب الترعة، حيث كان الاتفاق بين الدولة العثمانية وألمانية على محاصرة الإنكليز في مصر بحيث يتقدم الألمان من الغرب أي من ليبيا فيما يتقدم العثمانيون من فلسطين لكن الحملة فشلت ومني جيش جمال باشا السفاح بهزيمة منكرة.

(6) السقاف، أحمد ـ انحراف الخلافة العثمانية ودور الرواد، مجلة البيان، ص13، مصدر سابق. للاطلاع على أسماء الشهداء يمكن العودة للمقالة فقد وثق السقاف معلومات جيدة عن هؤلاء الشهداء ومكانتهم.

(7) السقاف، أحمد ـ الجمعيات العربية والخلاص من الأتراك، مجلة البيان، ص 4، مصدر سابق.

"وفي عام 1911 أسّس بضعة شبان من العرب الذين يدرسون في باريس جمعية "العربية الفتاة" كردٍّ على تأسيس جمعية "تركيّا الفتاة" وجمعية " الاتحاد والترقي" اللتين كانتا تسعيان بحقد إلى دمج العرب في القوميّة التركيّة (...) ثمّ انتقلت إلى بيروت بعد أن تخرّج أعضاؤها عام 1913 ثم انتقلت عام 1914 إلى دمشق وزاد عدد أعضائها إلى (...) وفي عام 1912 أنشئت في القاهرة جمعية علنيّة تعمل للخلاص من السيطرة العثمانيّة عُرفت(...) وفي عام 1913 أنشئت في بيروت "لجنة الإصلاح"(1).

الخاتمة: كما كان في المرحلة السابقة، فليس من خطّةٍ واحدة لخاتمة المقالة في هذه المرحلة، فما زال السقاف ينتهج عدّة طرق فيها، كأن يلخص الأفكار الواردة في متن المقالة، أو يشير إلى فكرة هامة فيها؛ فالخاتمة موجودة بشكل عضويّ في مقالاته كلمة يجب أن تكتب(2) والقومي لا يتنكر للدين(3) ومرحى لأولئك الصناديد(4) والموقف الشجاع المطلوب(5)، وهي مفتوحة في مقالة في هموم ميمون القداح(6) وفي يا معشر العرب إما نكون أو لا نكون(7) وفي رفضنا بوعي قومي أن نكون جسراً للشيوعيين(8).

شخصيّة الكاتب: بتجاوز المرحلة السابقة؛ فقد حمل السقاف على عاتقه ثمار عشرين عاماً من العطاء والتجربة الغنيّة، فاستقرّ على نمطين ميّزاه في هذه المرحلة، فنحن بشكلٍ رئيسي نجد في مقالاته شخصية الباحث من جهة والناقد من جهة أخرى، والأمر يعود إلى طبيعة المقالة التي بات يكتبها، والأغلب أن تكون مقالةً موضوعية، وفي هذه الحالة تقتضي شخصيّة الكاتب الناقد أو الباحث، ويمكننا الوقوف على الكاتب الباحث في عدة مقالات، ولا سيما مقالاته التاريخية أو السياسية، وللتمثيل نذكر مقالة في هموم ميمون القدّاح(9) ومقالة الجمعيات العربية والخلاص من الأتراك(10)،

---

(1) المصدر السابق، ص 7.

(2) السقاف، أحمد ـ كلمة يجب أن تكتب، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(3) السقاف، أحمد ـ القومي لا يتنكر للدين، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(4) السقاف، أحمد ـ مرحى لأولئك الصناديد، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(5) السقاف، أحمد ـ الموقف الشجاع المطلوب، مجلة البيان، الكويت، ع184 يوليو 1981 ص 4.

(6) السقاف، أحمد ـ في هموم ميمون القداح، مجلة البيان، ص 4، مصدر سابق.

(7) السقاف، أحمد ـ يا معشر العرب إما نكون أو لا نكون، مجلة العربي، ص28، مصدر سابق.

(8) السقاف، أحمد ـ رفضنا بوعي قومي أن نكون جسرا للشيوعيين، مجلة البيان، ص26، مصدر سابق.

(9) السقاف، أحمد ـ في هموم ميمون القداح، مجلة البيان، ص 4، مصدر سابق.

(10) السقاف، أحمد ـ الجمعيات العربية والخلاص من الأتراك، مجلة البيان، ص 4، مصدر سابق.

ومقالة انحراف الخلافة العثمانية ودور الرواد(1)، ومقالة القومي لا يتنكر للدين(2)؛ فقد ظهر السقّاف في هذه المقالات بشخصية الكاتب الباحث، لكنّ ذلك لم يدفعه إلى السعي وراء التوثيق من المصادر، بل اكتفى في هذه المرحلة بالبحث ومناقشة الأفكار، ودحض أفكار الخصوم، أو التدليل على أفكاره مما توفر لديه من معطيات علميّة أو تاريخيّة أو سياسيّة أو أدبيّة تبعاً لموضوع المقالة. من جهةٍ أخرى نستطيع الوقوف على شخصية السقّاف الناقد، كما في مقالاته يا معشر العرب إما نكون أو لا نكون(3)، وكلمة في الاستفتاء الغريب(4)، وحاشية على الاستفتاء الغريب(5) والموقف الشجاع المطلوب(6)، حيث ظهر في هذه المقالات بشخصيّة الناقد؛ الذي يناقش المعطيات فيشير إلى السلبيّات ويقترح الإيجابيّات ويوجه إلى ما يجب أن يكون. ولا نعني فيما سبق بأنّ شخصيّة السقاف الواعظ أو الخطيب قد انتهت، إذ أنّ السقّاف لا زال يكتب المقالة الذاتيّة؛ حيث يمكن أن تظهر فيها هاتين الشخصيتين، ففي هذه المرحلة يمكن أن نقف على مقالته الذاتية، أيها الأقصى الحبيب(7)، التي ظهر فيها بشخصية الواعظ وكذلك مقالته، مرحى لأولئك الصناديد(8)، حيث ظهر الكاتب فيها واعظاً بالإضافة إلى مقالات أخرى موضوعية تسلل إليها شيء من الذاتية، فظهر فيها السقاف ناقداً واعظا كمقالته ،علامات استفهام حائرة محيرة(9)، وحتّى مقالته، انحراف الخلافة العثمانية ودور الرواد(10)، ظهر فيها بشخصيّة الواعظ بالإضافة إلى شخصية الباحث.

---

(1) السقاف، أحمد ـ انحراف الخلافة العثمانية ودور الرواد، مجلة البيان، ص13، مصدر سابق

(2) السقاف، أحمد ـ القومي لا يتنكر للدين، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(3) السقاف، أحمد ـ يا معشر العرب إما نكون أو لا نكون، مجلة العربي، ص28، مصدر سابق.

(4) السقاف، أحمد ـ كلمة في الاستفتاء الغريب، مجلة البيان، ص7، مصدر سابق.

(5) السقاف، أحمد ـ حاشية على الاستفتاء الغريب، مجلة البيان، الكويت، ع187 أكتوبر1981، ص8.

(6) السقاف، أحمد ـ الموقف الشجاع المطلوب، مجلة البيان، ص 4، مصدر سابق.

(7) السقاف، أحمد ـ أيها الأقصى الحبيب، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(8) السقاف، أحمد ـ مرحى لأولئك الصناديد، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(9)السقاف، أحمد ـ علامات استفهام حائرة محيرة، مجلة البيان، ص7، مصدر سابق.

(10) السقاف، أحمد ـ انحراف الخلافة العثمانية ودور الرواد، مجلة البيان، ص13، مصدر سابق.

نوع المقالة: إذا كانت المرحلة السابقة قد شهدت تقارباً في نوعي المقالة من حيث الكمّ، فقد شهدت هذه المرحلة تفوقا وميلا واضحاً نحو المقالة الموضوعية، ومن هذه المقالات الموضوعية مقالاته ،في هموم ميمون القداح(1)، و الجمعيات العربية والخلاص من الأتراك(2)، وانحراف الخلافة العثمانية ودور الرواد(3)، وكلمة يجب أن تكتب(4)، والموقف الشجاع المطلوب(5)، فهذه المقالات تمثل نماذج يمكن أن نقول عنها إنها تنحو نحو الموضوعيّة، كما أنّ هنالك بعض المقالات الموضوعيّة المشرّبة بالذاتيّة كمقالاته، كلمة على الاستفتاء الغريب(6)، وحاشية على الاستفتاء الغريب(7)، وعلامات استفهام حائرة محيّرة(8)، أما المقالة الذاتيّة فهي قليلة في هذه المرحلة ومنها ،أيّها الأقصى الحبيب(9)، وكلمته في مهرجان عدن، أمّا مقالته، مرحى لأولئك الصناديد(10)، فيمكن القول إنّها ذاتية موضوعية.

اللغة: جاءت لغة السقّاف في هذه المرحلة واضحةً ومعبّرة، تجسدّ دلالات عديدة، وما زالت عهدها السابق لغةً معاصرةً ملتزمةً واضحةً مفهومةً، لكنّ الملاحظ في هذه الفترة هو بدء استخدام السقّاف للمفردات والتعبيرات الاصطلاحيّة التي تنتمي إلى حقل السياسة، ولعلها ملاحظةٌ قيّمة تنبئ بميلاد السقّاف السياسيّ في المرحلة القادمة، ويمكن أن نسوق مثالاً عن استخدام السقّاف لبعض هذه المفردات والتعابير الاصطلاحيّة كـ (جدل بيزنطي، عدالة اجتماعية، محتوى اقتصادي، إيديولوجيا، الطبقات الكادحة، اليمين، اليسار، التقدمية ...).

---

(1) السقاف، أحمد ـ في هموم ميمون القداح، مجلة البيان، ص 4، مصدر سابق.

(2) السقاف، أحمد ـ الجمعيات العربية والخلاص من الأتراك، مجلة البيان، ص 4، مصدر سابق.

(3) السقاف، أحمد ـ انحراف الخلافة العثمانية ودور الرواد، مجلة البيان، ص13، مصدر سابق

(4) السقاف، أحمد ـ كلمة يجب أن تكتب، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(5) السقاف، أحمد ـ الموقف الشجاع المطلوب، مجلة البيان، ص 4، مصدر سابق.

(6) السقاف، أحمد ـ كلمة في الاستفتاء الغريب، مجلة البيان، ص7، مصدر سابق.

(7) السقاف، أحمد ـ حاشية على الاستفتاء الغريب، مجلة البيان، ص8مصدر سابق.

(8) السقاف، أحمد ـ علامات استفهام حائرة محيرة، مجلة البيان، ص7، مصدر سابق.

(9) السقاف، أحمد ـ أيها الأقصى الحبيب، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(10) السقاف، أحمد ـ مرحى لأولئك الصناديد، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

الطول: حافظ السقاف في هذه المرحلة على طول المقالة، فمعظم مقالات هذه المرحلة تتميّز بالطول. ودون أن نغفل أنّ عددا من المقالات جاءت لا تزيد عن صفحتين، فقد وصلت طول بعض المقالات إلى إحدى عشرة صفحة كمقالته، انحراف الخلافة العثمانية ودور الرواد(1)، وفي هموم ميمون القداح(2)، وعلى العموم فإنّ متوسّط طول المقالة بلغ ست أو سبع صفحاتٍ. وثمّة ملاحظة يجدر بنا أن نسجّلها، وهي أن طول المقالة عند السقاف يتعلق بنوعها، فالمقالة الموضوعية أطول من المقالة الذاتية، وبما أنّ مقالة السقاف قد غلب عليها الطابع الموضوعيٍّ في هذه المرحلة، فقد جاءت معظم المقالات طويلة، في حين قلّتْ المقالات الذاتية، وقلّت معها المقالات القصيرة فمقالة، أيها الأقصى الحبيب(3)، مثلا ـ وهي مقالة ذاتية ـ لم تتجاوز في طولها صفحتين.

مرحلة النضج

تمتدّ هذه المرحلة ثلاثة عشر عاما، بين عام 1990 ألف وتسعمئة وتسعين، وعام 2003 ثلاثة وألفين ميلاديّة، وتاريخ هذه البداية يتحدد بقيام نظام صدام حسين بعدوانه الغاشم على دولة الكويت، ولا يخفى ما أثاره هذا العمل من خلافات، وتصدّعٍ عميقٍ في البيت العربيّ جعل الفكر القوميّ في موضع الشكّ والتهمة، بل أصبح العمل القوميّ منبوذاً، إذ قويت دعوات مجابهة الفكر القوميّ، والتنصّل، والتبرؤ من العروبة، ولا شكّ أنّ القوميين العرب التزموا الصمت بعد كمّ الاتهامات التي وُجِهت إليهم، وآثروا الغياب، فلقد تهاوى المشروع العربي دفعةً واحدة بطريقةٍ عجيبةٍ، ولقد كان السقّاف ـ وهو أحد أقطاب الفكر القوميّ في الجزيرة العربيّة ـ مشغولا في هذه الفترة ليعيد ترتيب أفكاره وطروحاته؛ بما ينسجم مع مبادئه القوميّة، وبما ينسجم مع مستجدّات المرحلة، ولذلك لم يدّخر جهداً في الدفاع عن القوميّة وبراءة العروبة من صنيع صدّام، فرأى أنّ القوميين الحقيقيّين لا يقبلون بذلك ولا يبرّرونه. ولمّا رأى أنّ القوميين أصبحوا في موضع التهمة، فقد انتهى خلال هذه المرحلة لأن يعلن على الملأ أنّ القوميّة العربيّة هي التضامن العربيّ ليس إلا، ولعل في ذلك تراجعاً ملحوظاً في حدّة فكره القوميّ، وتنازلاً واضحا كما أنّه أصبح أكثر اهتماماً بالشأن المحلي والإقليمي،

---

(1) السقاف، أحمد ـ انحراف الخلافة العثمانية ودور الرواد، مجلة البيان، ص13، مصدر سابق.

(2) السقاف، أحمد ـ في هموم ميمون القداح، مجلة البيان، ص 4، مصدر سابق.

(3) السقاف، أحمد ـ أيها الأقصى الحبيب، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

فغدا من المروّجين لفكرة الاتحاد الفيدراليّ أو الكونفدراليّ بين أقطار مجلس التعاون الخليجيّ، ويمكن القول: إن هذه المرحلة كشفت أيضاً عن ولادة السياسيّ المخضرم، الذي تخلّى عن الحدّة والحسم، وأصبح يلجأ إلى اللغة الديبلوماسيّة الهادئة، والبحث عن تبرير السياسات؛ التي ليس من المفترض أن يقبلها قوميّ مثله، كما تثبت ذلك مقالاته. وتنتهي هذه المرحلة عام 2003 ثلاثة وألفين وهو العام الذي توقّف فيه عن الكتابة بسبب المرض.

بدءاً من العام 1990 تسعين وتسعمئة وألف؛ تابع السقاف نشر نتاجه النثري في عدد من الصحف والمجلاّت، أهمها العربي والبيان والكويت والقبس، ومن الملاحظ ميل السقاف إلى الصحافة اليوميّة، فتتابع الأحداث التي عصفت بالوطن العربيّ والمنطقة، لم تعد تحتمل انتظار أوّل الشهر؛ وهو موعد صدور مجلة العربيّ، أو مجلّة البيان، لقد وصلت مقالة السقاف في هذا المرحلة طور النضوج فغدت مقسّمة على هيكل واحد واضح، بين مقدّمة ومتن وخاتمة، وبدت خصائصها على الشكل التالي:

العنوانات: غدت العنوانات في هذه المرحلة موظّفة توظيفيّاً موضوعيّاً وعضويّاً، فالغاية من العنوان أصبحت واضحة؛ وهي تقديم النصّ، وتراوح طول العنوان بين عنوانٍ قصيرٍ مؤلّفٍ من كلمتين كعنوان مقالته من بعيد(1)، وغويلز يتكلم(2)، و ثلاثة أعياد(3)، أو عنوان طويلٍ مؤلّف من خمس أو أربع كلمات كعنوان مقالته، خواطر في العروبة والقومية(4)، و القدس شرف الأمة العربية(5)، و شيءٌ من مبالغات السخفاء(6)، وفي المجمل فإنّ هذه العنوانات واضحةٌ مباشرةٌ تكشف عن فحوى المقالة مباشرةً، دون أن نغفِل أنّ بعض العنوانات جاءت غامضة تحتاج إلى قراءة المقالة لكي يفهم موضوعها، كمقالتي، غويلز يتكلّم، وهاتوا برهانكم(7)،

---

(1) السقّاف، أحمد ـ من بعيد، نخبة من مقالاته ومقابلاته، مركز البحوث والدراسات الكويتية 2004، ص205 وقد نشرت في جريدة القبس إبريل 2000.

(2) المصدر السابق، غويلز يتكلّم، نخبة من مقالاته ومقابلاته، ص180وقد نشرت في جريدة القبس مايو 2001.

(3) المصدر السابق، ثلاثة أعياد، نخبة من مقالاته ومقابلاته، ص 190وقد نشرت في جريدة القبس فبراير 2003.

(4) المصدر السابق، خواطر في العروبة والقومية، نخبة من مقالاته ومقابلاته، وقد نشرت في مجلة العربي 1999.

(5) المصدر السابق، القدس شرف الامة العربية، نخبة من مقالاته ومقابلاته، وقد نشرت في مجلّة الكويت مايو 1997.

(6) المصدر السابق، شيء من مبالغات السخفاء، نخبة من مقالاته ومقابلاته، وقد نشرت في جريدة القبس يناير 2001.

(7) المصدر السابق، من بعيد، نخبة من مقالاته ومقابلاته، وقد نشرت في جريدة القبس أبريل 2000.

وهذه العنوانات الغامضة هي القصيرة غالباً. ومن الملاحظ في عنوانات هذه المرحلة تكرار العنوان فعنوان، من بعيد، تكرّر في ثلاث مناسبات عنوانا لمقالة(1)، متفاوتة في زمنها وموضوعها.

المقدّمة: يمكن القول إنّ مقالة السقّاف بعد أن وصلت في هذه المرحلة إلى طور النضج، وأصبح الحديث عن التطوّر فيها قد بلغ نهايته، فإنّ المقدّمة اتخذت شكلاً واحداً، هدف من خلالها السقاف دائما هو التمهيد للدخول في الموضوع، والأمر واضحٌ، فمقالاته خير دليل على ما نذهب إليه كمقالاته، موقفان جديران(2)، والعروبة لا تتجزّأ(3)، وبيريس والثمن المزعوم(4)، وغيرها، وهي جميعاً تسير على هذا النهج في المقدّمة، وكمثالٍ على إحدى المقدّمات في هذه المرحلة نسوق مقدمته لمقالة شيلوك هو شيلوك(5)، وقد تناول موضوعها الصعوبات والعراقيل التي يضعها الكيان الصهيونيّ في وجه عمليّة السلام مع الفلسطينيين، وما على العرب من واجبٍ يتحتم أن يقوموا به؛ أمّا المقدّمة فتحدثت عن الجرائم الإسرائيليّة في فلسطين ـ وعلى رأس الكيان الصهيوني إسحق رابين ـ فهؤلاء القوم لم يكترثوا يوماً ما بسلامٍ أو ما شابه، إنّما همّهم المماطلة والتسويف لتمرير مخططاتهم، وهم على هذه الحالة لا يتغيّرون، ولهذا جاء عنوان المقالة، شيلوك هو شيلوك. يقول السقاف:

"ليس بمستغربٍ على الكيان الصهيوني في فلسطين، وعلى رأسه إسحق رابين، أن يُقدم على ما أقدم عليه في القدس العربيّة، فهؤلاء اليهود قد عُرفوا عبر التاريخ وفي جميع بلدان العالم بأنّهم مفجّرو الأزمات والقلاقل، ومصدر الفتن والحروب، وقد عناهم القرآن الكريم بقوله (كلّما أوقدوا ناراً للحربِ أطفأها الله(6)) والعتب على أولئك الذين اعتقدوا أنّ هذه العصابات الصهيونية قد ملّت الصراع والمواجهات الدمويّة فجاءت صادقةً تطلب السلام"(7).

---

(1) المصدر السابق، من بعيد، نخبة من مقالاته ومقابلاته، وقد نشرت في جريدة القبس جميعها، في أبريل ويونيو ويوليو 2000.

(2) السقّاف، أحمد ـ موقفان جديران بالتحيّة، جريدة القبس، الكويت ع7731 (1994/12/26) ص40.

(3) السقّاف، أحمد ـ العروبة لا تتجزّأ، جريدة القبس، الكويت ع 7766 (1995/2/1) ص40.

(4) السقّاف، أحمد ـ بيريس والثمن المزعوم، جريدة القبس، الكويت ع8075 (1995/12/14) ص40.

(5) السقّاف، أحمد ـ شيلوك هو شيلوك، جريدة القبس، الكويت، 1995/5/21 ع7870 ص40.

(6) سورة المائدة، الآية 64.

(7) السقاف، أحمد، شيلوك هو شيلوك، جريدة القبس، ص40، مصدر سابق.

فالمقدّمة جاءت تمهيداً موضّحا لموضوع المقالة كما يتضح، ولكن نشير إلى أنّ مقدّمات مقالاته في هذه الفترة كانت تطول وتقصر تبعا لطول المقالة.

الموضوع: إن التطوّر الحاصل في مقالة السقّاف في هذه المرحلة هو الموضوع، إذ نلاحظ أن بؤرة اهتمام السقاف تحوّلت نحو موضوعاتٍ جديدة، موضوعات وأخرى أصبح يعالجها بنفَس جديد، ويمكن الوقوف على الموضوعات التالية:

الصراع العربي الصهيونيّ وعملية السلام(1).

القوميّة العربيّة والعروبة والتضامن العربيّ(2).

العمل العربيّ المشترك والتكتلات العربيّة الإقليميّة(3).

الغزو العراقيّ للكويت والتأكيد على استقلال الكويت بحدودها منذ قرون(4).

حقوق البلدان العربية في المجتمع الدولي(5).

المؤتمرات والمهرجانات الثقافية(6).

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ص40. والسقاف، أحمد، بيريس والثمن المزعوم، جريدة القبس، ص10، مصدر سابق.

(2) ينظر: السقاف، أحمد، ميثاق الشرف العربي، جريدة القبس، الكويت ع8065 (1995/12/14) ص40. وينظر: السقاف، أحمد، القومية العربية والتحديات، جريدة القبس، الكويت ع7736 (1995/1/2) ص40.

(3) ينظر: السقاف، أحمد، القمة الخليجية، جريدة القبس، الكويت ع8603 (1997/6/15) ص32. وينظر: السقاف، أحمد، لم الاتحاد الكونفدرالي، جريدة القبس، الكويت ع 8045 (1995/11/14) ص 40.

(4) ينظر: السقاف، أحمد، بين القلم والطغيان، جريدة القبس، الكويت ع8040 (1995/11/9) ص40. وينظر: السقاف، أحمد، حول الفضائيات والتصرفات، جريدة القبس، الكويت، ع 8603(1999/3/13) ص32.

(5) ينظر: السقّاف، أحمد ـ مصر وحقها في مجلس الامن، جريدة القبس، الكويت ع8603 (1997/6/15) ص32. وينظر: السقاف، أحمد، ما هذا التمني المرذول، جريدة القبس، الكويت ع 7848 (1995/4/27) ص40.

(6) ينظر: السقّاف، أحمد ـ الجنادرية، جريدة القبس، الكويت، ع7824، (1995/4/3) ص39. وينظر: السقاف، أحمد، الجنادرية. عود على بدء، جريدة القبس، الكويت ع7843 (1995/4/22) ص39.

التآمر الغربي على الوطن العربي(1).

السياسات العربية القطرية(2).

مجلس الأمة الكويتي والشأن المحلّي(3).

كما كانت القضايا الإقليمية حاضرة في مقالاته ولا سيّما إيران وسياساتها في الهيمنة قبل الثورة وبعدها(4)وقد تناولها في عدة مقالات(5).

يلاحظ من الموضوعات المقالية السابقة، أنّ السقّاف ما زال يعالج موضوعات القوميّة العربيّة والعروبة، وهي الموضوعات التي دأب على الكتابة فيها طوال السنوات السابقة، مع التنبيه إلى أنّه أصبح يكتب عن الوحدة العربية بحدها الأدنى، وهو كما يعلنها صراحةً أنّ "القوميّة العربيّة التي يتحدّث عنها هي التضامن العربي"(6). لقد هرم السقّاف ونضج وأصبح أكثر واقعيّة فدعواته القديمة ذهبت مع حماسة الشباب، وقد أدرك في هذه المرحلة صعوبة تحقيق ما كان يدعو إليه، إذ أصبح في عداد المستحيل، ولأنه أصبح أكثر واقعيّة، وأكثر نضجا من الناحية السياسيّة، أصبح ينادي بالتضامن العربي(7)،

---

(1) ينظر: السقّاف، أحمد ـ السلاح الفتاك، جريدة القبس، الكويت، ع7855 (1995/5/4) ص40.

(2) ينظر: السقّاف، أحمد ـ فيما قاله العقيد، جريدة القبس، ع8246 (1996/6/8) ص32. وينظر: السقاف، أحمد، ديمقراطية الطغيان، جريدة القبس، الكويت، ع8022 (1995/10/22) ص40.

(3) ينظر: السقّاف، أحمد ـ حان وقت الاختبار، جريدة القبس، الكويت، ع8603 (الكويت، 1997/6/15) ص32. ومتى سنبدأ، جريدة القبس، الكويت ع8265 (1996/6/27) ص32.

(4) ينظر: عصلة، أحمد بكري ـ أحمد السقاف القابض على جمر الإبداع، ص81، مرجع سابق.

(5) ينظر: السقّاف، أحمد ـ القومية العربية والتحديات، جريدة القبس ص40، مصدر سابق. وإيران تخرج من العزلة وقد نشرها في جريدة القبس، الكويت فبراير 1997.

(6) السقاف، أحمد، القومية والتضامن، جريدة القبس، الكويت، (1995/12/2) ص9. وينظر: السقاف، أحمد، العروبة لا تتجزأ، جريدة القبس ص32.

(7) وهذا بخلاف ما قرره أحمد بكري عصلة الذي رأى أنّ دعوة السقاف القومية هي هي لم تتغير، والصحيح أنّ السقاف كان من دعاة الوحدة العربية على مراحل وتبدأ الوحدة باتحادات إقليمية، لكن السقاف عدل عن ذلك بعد عام 1990 فأصبح ينظر للقوميّة العربية على أنها التضامن العربي ليس إلا. ينظر: عصلة: أحمد بكري ـ أحمد السقاف القابض على جمر الإبداع، ص 73 وما بعدها، مرجع سابق. وللتأكّد من المعنى الحقيقي للقوميّة العربيّة ودعوة السقاف للوحدة يمكن مطالعة مقالة عقيدة وهدف، مجلة الإيمان، ص371 مصدر سابق، ومقالته تتمّة، مجلة الإيمان، ص 487، مصدر سابق.

وهو الحد الأدنى المطلوب، وهو يعني فيما يعنيه؛ تنسيق المواقف العربيّة في المحافل الدوليّة على أقلّ تقدير(1). ومن جهةٍ أخرى أصبح السقّاف ينادي بالتكتلات العربيّة الإقليميّة، فقد أبدى اهتماماً بمؤتمرات مجلس التعاون الخليجيّ، ودافع عن دعوات قيام اتحاد كونفدراليّ لهذه الدول. كما ظهر السقّاف السياسيّ الواقعيّ الناضج مرّة أخرى في موقفه من الصراع العربيّ الإسرائيليّ؛ إذ أدرك صعوبة تحقيق المطالب القديمة بتحرير فلسطين، وأصبح يتحدّث عن الحقوق العربيّة التي يجب ألاّ تُهدر في عملية سلامٍ مفترضَةٍ مع الصهاينة؛ منبّها إلى صعوبة تحقيق ذلك، فالصهاينة هم كما هم لم يتغيّروا ولن يتبدلوا.

أمّا موضوع الغزو العراقيّ للكويت، فقد نال من قلمه شيئاً كثيراً، في هذه المرحلة لم يترك السقّاف مناسبة إلاّ وتحدث فيها عن الغزو الغاشم، وآثاره المدمّرة على الكويت والعراق والوطن العربيّ، وكلّ قضاياه الأخرى، كحقوق الكويت، والممتلكات المنهوبة، وملف الأسرى، ومواقف الدول العربية من الغزو، وأهمّها على الإطلاق؛ التأكيد على استقلال الكويت بحدودها منذ قرون.

كما تناول في هذه المرحلة موضوعاتٍ أخرى لها علاقة بشؤون الدول العربية وحقوقها وسياساتها، ويلاحظ أيضا عودته للاهتمام بالشأن المحلّي كقضايا مجلس الأمة والنواب الكويتيين. أمّا اهتماماته بالمؤتمرات والمهرجانات، فهي قديمة من المراحل السابقة، لكنّ السقّاف اهتمّ هذه المرة بالمهرجانات التي تقام في الخليج كمهرجان الجنادريّة.

الأسلوب: أصبح شكل المقالة أكثر استقراراً فقد مالت غالبية المقالات إلى القصر النسبي، أي صفحتين، مع ضبط منهجي لأقسامها في المقدمة، والعرض، والخاتمة، ولقد غلب على السّقاف الظهور بمظهر الكاتب الصحفي السياسيّ أكثر من كونه أديباً، ويضاف إلى ذلك خبرةٌ طويلةٌ استطاع توظيفها في نتاجه في هذه المرحلة، فالتشويق ديدنه الذي لا يغادر مقالاته، وهو يكتسبه من خلال انتقاء موضوعات حيّة، وعنوانات مثيرة؛ في مناسبات متجدّدة. كما أنّ هذه الخبرة الطويلة فرضت عليه أن يحافظ على إيقاع التسلسل المنطقي المعهود منذ بداياته وريادته، فهو يقدّم ما يستحقّ التقديم، ويؤخّر ما يستحقّ التأخير، وفق تتابع منهجيّ مدروسٍ، ينتقل فيه بين العامّ والخاصّ والفرعيّ والثانويّ.

(1) ينظر: السقاف، أحمد، القومية والتضامن، جريدة القبس، ص9، مصدر سابق. وينظر: السقاف، أحمد، العروبة لا تتجزأ، جريدة القبس، ص32، مصدر سابق.

ولقد اقتضى هذا الطول النموذجيّ والقصر الواضح؛ حسب ما تتطلبه المقالة المعاصرة؛ في تلك المرحلة؛ أن يعتمد المعالجات الجزئيّة للموضوع، فالكاتب لن يستطيع معالجة قضية ما بمختلف جوانبها بمثل هذه العجالة. ففي مقالته، القمة الخليجيّة(1)، عالج قضية تشجيع دولة الإمارات للزواج وطالب بإدراج هذه القضيّة في مناقشات القادة الخليجيين في القمة، وفي مقالة، الجنادرية(2)، اكتفى بالحديث عن المناقشات التي دارت عن مآسي الشعب العراقيّ بسبب الحصار دون الدخول في تفاصيل أحداث المهرجان.

وعلى عادة السقّاف فإنّه متحمّسٌ لقضاياه إذ لا ينفكّ يعزز طروحاته بالبراهين والأدلّة لأنّه في سعيٍ دائم لتعزيز مقولاته وأفكاره، ولذلك يُلحظ أنه كثير الاستطراد والاستشهاد؛ ففي مقالة، السلاح الفتّاك(3)، التي عالج فيها الدعاية السياسيّة المدمّرة والتآمر الغربيّ على الوطن العربيّ، فقد وجد أنّ بثّ اليأس والقنوط والإحباط في الجماهير العربيّة هدفٌ مهمّ من أهداف أعداء الأمّة العربيّة، يقول:

"فبعد نكسة حزيران 1967 وصلت إلى عددٍ كبيرٍ من أبناء هذا البلد نشراتٌ ملوّنةٌ مطبوعةٌ طباعةً فاخرةً قادمةً من أوربا، تندد بالحروب وويلات الحروب وتشرح بالأرقام المَبالِغ التي صرفها العرب على شراء السلاح، وتطلب تلك النشرات أن يلتفت العرب إلى ما يفيدهم ويتركوا منازلة إسرائيل، فإسرائيل دولة لا تقهر، وليس أمام العرب إلاّ أن يمدّوا أيديهم إليها...(4)".

وفي موضع آخر من المقالة ذاتها استشهد على مثل هذه الدعايات بقصة من التاريخ الإسلاميّ، ففي منازلة هوازن في غزوة حنين قرب الطائف، يورد:

---

(1) السقاف، أحمد، القمة الخليجية، جريدة القبس، ص32، مصدر سابق.

(2) السقّاف ـ الجنادرية، جريدة القبس، ص39، مصدر سابق.

(3) السقاف ـ أحمد، السلاح الفتاك، جريدة القبس، ص40، مصدر سابق.

(4) المصدر السابق، ص40.

" فقد انهزم المسلمون في الجولة الأولى بالمباغتة المحكمة والكمائن في الوادي فثبت الرسول وقال: ((أيها الناس هلمّوا إلى أنا رسول الله أنا محمّد بن عبد الله)) فوقف إلى جانبه نفر من المهاجرين والأنصار (...) فقال أبو سفيان بن حرب ـ وهو يحاول زعزعة إيمان المسلمين بالنصر ـ لا تنتهي هزيمة محمد دون البحر، أي أنّ محمّداً لا يوقف هربه غير البحر الأحمر، ولمّا نُقل إلى الرسول الكريم ما قال أبو سفيان بن حرب قال: اتركوه.... "(1).

"ثم اجتمع حول الرسول مائة صنديدٍ فاستقبل بهم هوازن وهو يرتجز: ((أنا النبيّ لا كذب أنا ابن عبد المطّلب)). واقتتل الفريقان وكان النصر لمحمّد (ص).

إن الوقوف إلى جانب الأمة بالتشجيع، وبث روح التفاؤل، والعمل والفداء واجب، فالأمّة لا تنهض بزعزعة ثقتها بنفسها"(2).

وكمثال آخر على التدليل والبرهنة التي تكشف حماسة السّقّاف في مقالاته نورد مثالا من مقالته، ميثاق الشرف العربيّ، حيث تناول في هذه المقالة الجهود (الطيبة) التي بذلها الأمين العام لجامعة الدول العربية عصمت عبد المجيد، من أجل لم الشمّل العربيّ وبعث روح التضامن بعد الغزو العراقي الغاشم للكويت، وتابع أنّ صدّام حسين كان أوّل من تقدّم بإعلانٍ قوميّ عام 1980 ألفٍ وتسعمئة وثمانين، وقد نصّ في بنوده على تحريم اللجوء لاستخدام القوّة من قبل أيّ دولةٍ عربيةٍ ضدّ أيّ دولةٍ عربيّة، لكن صدّام كان أوّل من خرق إعلانه وميثاقه، يقول:

" ومع كلّ ذلك، فإنّنا مع أيّ محاولةٍ لإنعاش التضامن العربيّ، وميثاق الشرف العربيّ لا غبار عليه غير أنه لا يفي بالضمانات المطلوبة للدول العربيّة الصغيرة، فصدّام حسين لم يحترم إعلانه القوميّ فكيف يحترم ميثاقاً وضعه الآخرون؟(3)".

---

(1) المصدر السابق، ص40.

(2) السقاف ـ أحمد، السلاح الفتاك، جريدة القبس، ص40، مصدر سابق.

(3) السقاف، أحمد، ميثاق الشرف العربي، جريدة القبس، ص40، مصدر سابق.

ثم يورد قصّةً من التراث الإسلاميّ تقول:

" لقد قيل إنّ عمر بن الخطّاب، رضي الله تعالى عنه، مرّ ذات يومٍ بأعرابي يقرأ القرآن على جملٍ له أجرب فقال له عمر: ماذا تفعل يا أعرابيّ؟ فقال أقرا القرآن على جملي ليشفى من الجرب، لأنّ القرآن فيه الشفاء، قال عمر: لا بأس، ولكن عليك بالقطران فاطل به جسم البعير فالشفاء مضمون إن شاء الله(1)".

وعلى هذا فإن النوايا ليس لها أن تحلّ محلّ العمل فلابد من العمل الدؤوب الجادّ مقرونا بحسن النوايا من أجل تحقيق ميثاق الشرف العربيّ.

وقد تابع طريقته ذاتها في هذه المرحلة في تحديد بيئة زمانية ومكانية للموضوع، أي بشكلٍ غير مباشر، فالمناسبة التي يعتمدها السقاف موعداً لمقالاته هي من تحدّد ذلك، فيتحدد الزمان والمكان بطريقة آليّة فمقالته، الجنادريّة، كانت أثناء سفره إلى السعودية لحضور مهرجان الجنادريّة، فالزمان والمكان محددان دون أن يتدخل، ومقالته، ديمقراطيّة الطغيان(2)، جاءت بمناسبة الانتخابات التي أعلن عنها صدام من أجل تجديد فترة رئاسته للعراق، فالزمان والمكان هنا أيضا محددان بالطريقة ذاتها، ودون تدخلٍ منه، وتسير بقية مقالاته على هذا النهج؛ إلا إذا كان موضوع المقالة حدثاً تاريخيّاً سابقاً؛ فعندها سيلجأ إلى تحديد الزمان والمكان بنفسه؛ كما في مقالته، السلاح الفتّاك(3)، حيث استحضر من التاريخ ما حدث بعد نكسة حزيران 1967 عام ألفٍ وتسعمئةٍ وسبعةٍ وستين، إذ وصلت تلك المطبوعات الأوربية الأنيقة، ذات المضمون الذي يدعو لليأس والإحباط إلى الكويت في أقلّ من شهر بعد النكسة، وكان السقّاف أحد المطلعين عليها، وبذلك يكون قد حدّد بنفسه البيئة الزمانيّة والمكانيّة لموضوع المقالة.

---

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) السقاف، أحمد، ديمقراطية الطغيان، جريدة القبس ص40، مصدر سابق.

(3) السقاف، أحمد، السلاح الفتاك، جريدة القبس، ص40، مصدر سابق.

الخاتمة: بما أنّ مقالة السقّاف وصلت مرحلة النضج، فإن الخاتمة أصبحت جزءاً أصيلاً من المقالة ومتمّما لها، فلا نكاد نعثر على مقالةٍ تُركت من دون خاتمة، وهذه الخاتمات قصيرةٌ موجزةٌ تتناسب مع طول المقالة التي مالت إلى القصر، ومع الشكل النموذجيّ للمقالة في هذه المرحلة. ولكن على عادته فالخاتمة تأخذ عدّة أشكال، فقد يتعمد الإشارة فيها إلى فكرة وردت في متن الموضوع كما في مقالته، القمة الخليجية(1)، أو تكون مفتوحة كما في مقالة، القومية العربية والتحديات(2)، أو أن تكون مُلخِّصة لمتن الموضوع كما في مقالة، ميثاق الشرف العربيّ(3).

شخصيّة الكاتب: لقد كرّس السقّاف نفسه ناقداً وباحثاً، وهو بذلك يستمر على وتيرة المرحلة السابقة، وقد غدت أغلب مقالاته تنتمي إلى المقالة الموضوعية؛ إذ أصبح من النادر العثور على المقالة الذاتيّة؛ ولذلك فقد تعمّقت شخصيّة الكاتب الباحث أو الناقد لديه، ولعلّل شخصيّة الكاتب الناقد تغلب على جانب شخصيّة الباحث، إذ شهدت هذه المرحلة كما تنبأّنا من قبل ولادة السياسيّ المخضرم أحمد السقاف، وما أكد ذلك غلبة المقالات ذات المضمون السياسيّ، وفيما يلي بعض المقالات التي ظهر فيها السقاف ناقدا: متى سنبدأ(4)، و ميثاق الشرف العربي(5)،

---

(1) السقاف، أحمد، القمة الخليجية، جريدة القبس ص32، مصدر سابق.

(2) السقاف، أحمد، القومية العربية والتحديات، جريدة القبس ص40. مصدر سابق.

(3) السقاف، أحمد، ميثاق الشرف العربي، جريدة القبس، ص 40. مصدر سابق.

(4) السقاف، أحمد، متى سنبدأ، جريدة القبس، ص32. مصدر سابق.

(5) السقاف، أحمد، ميثاق الشرف العربي، جريدة القبس ص40. مصدر سابق.

والقومية العربية والتحديات(1)، و ما هذا التمني المرذول(2)، ويمكننا أن نقف على مجموعة من المقالات الأخرى التي اتخذ فيها موقف الكاتب الباحث كـمقالة بيريس والثمن المزعوم(3) ولم الاتحاد الكونفدرالي(4)،و العروبة لا تتجزأ(5)، و القومية والتضامن(6). ونشير أنّ شخصيّة الباحث ما كانت لتدفع السقّاف نحو التوثيق إذ كان يعتمد على ثقافته الموسوعيّة، ومحفوظاته في سرد ما يلزم لا سيّما أنّه أكثر من الموضوعات السياسيّة. لكنه في مقالته، في ذكرى الاستقلال(7)،

فقد تحدّث بمناسبة استقلال الكويت عن نشأة الكويت، وسبب تسميتها وذكر بعض الأحداث التاريخية التي أسندها لـ عبد الله الطائي العماني في كتابه الشراع الكبير، ونعود لنؤكد أن السياقات المختلفة هي التي تفرض على السقاف تحديد نمط شخصيته في المقالة.

نوع المقالة: إذا كانت المرحلة السابقة قد شهدت تفوّقا وميلاً واضحاً نحو المقالة الموضوعيّة، فإنّ هذه المرحلة شهدت تكريس هذا النهج حتى كادت المقالة الذاتيّة تندر وتضيع بين كمّه الموضوعي، فالمقالات التي وردت قبل قليل تندرج جميعها تحت نوع المقالة الموضوعيّة، وما لم نذكره أكثر من الذي ذُكر أو تمت الإشارة إليه بكثير. أمّا المقالة الذاتيّة، فهي نادرة ومنها على اثنتين؛ منها الأولى بعنوان، الصديق الذي مضى(8)،

---

(1) السقاف، أحمد، القومية العربية والتحديات، جريدة القبس ص40. مصدر سابق.

(2) السقاف، أحمد، ما هذا التمني المرذول، جريدة القبس، ص40. مصدر سابق.

(3) السقاف، أحمد، بيريس والثمن المزعوم، جريدة القبس، ص10. مصدر سابق.

(4) السقاف، أحمد، لم الاتحاد الكونفدرالي، جريدة القبس، ص32. مصدر سابق

(5) السقاف، أحمد، العروبة لا تتجزأ، جريدة القبس، ص32. مصدر سابق.

(6) السقاف، أحمد، القومية والتضامن، جريدة القبس، ص9. مصدر سابق.

(7) السقاف، أحمد، نخبة من مقالاته ومقابلاته، في ذكرى الاستقلال، وقد نشرها في مجلة الكويت فبراير 1997.

(8) السقاف، أحمد، الصديق الذي مضى، جريدة القبس، الكويت، ع8253، (15/6/1996) ص33.

وقد نعى فيها الأستاذ عبد العزيز حسين، والثانية بعنوان بين القلم والطغيان(1)، جعلها حوارا متخيّلا بين القلم الذي رمز به إلى نفسه (السقاف)، والطغيان؛ وهو الاسم الذي استعمله بكثرة كناية عن صدّام حسين.

اللغة: يصح القول: إنّ لغة السقّاف في هذه المرحلة وصلت غاية المعاصرة؛ وبلغت ذروة الفهم، فلقد آمن السقّاف منذ بداياته؛ أنّ اللغة وسيلةٌ لإيصال الأفكار؛ وليست غايةً، وظلّ على هذا النهج خلال مسيرة عطائه، ولم تدفعه ثقافته اللغويّة للإيغال؛ واستخدام الغريب، ولما بدا أخيراً أنّ السقّاف احترف المقالة السياسيّة؛ فقد تطعّمت لغته بوضوح الصحافة، ومفرداتها السياسية الفصيحة، ولذلك يمكن القول عنّ لغة السقاف أنّها أصبحت لغة صحفية معاصرة، لكنها تحافظ في الوقت نفسه على نصاعة التعبير؛ ورائدها الوضوح من أجل إيصال الأفكار التي يعالجها .

الطول: مع اتجاه السقّاف إلى الصحافة في هذه المرحلة؛ فقد تميّزت مقالته(2) بقصرها، واتباع الطول النموذجي للمقالة المعاصرة، إذ لم تعد تتجاوز ثلاث صفحاتٍ، وهو ما يتناسب مع مقتضيات الصحافة الحديثة، لكنّ هذه القاعدة لم تمنع ظهور بعض المقالات الطويلة التي تزيد عن ذلك كمقالته، حول الفضائيات والتصرفات(3) التي زادت عن أربع صفحات، ومقالة أخرى بعنوان حول المناظرات والتصريحات(4) التي وصلت أربع صفحات أيضاً.

---

(1) السقاف، أحمد، القومية والتضامن، جريدة القبس، ص40. مصدر سابق.

(2) في عصرنا الراهن أصبح تقدير طول المقالة يرتهن إلى عدد الكلمات، والمقالة المثالية يجب ألا تتجاوز ثلاثمئة وخمسين كلمة، في حين يحدد عدد الكلمات في المقالة نوعها بين تقرير أو عمود أو افتتاحية وهكذا.

(3) السقاف، أحمد، حول الفضائيات والتصرفات، جريدة القبس، ص 10، مصدر سابق.

(4) السقاف، أحمد، حول المناظرات والتصريحات، جريدة القبس، الكويت، ع 9195، (1999/1/24) ص 8.

الفصل الثاني
أنواع المقالة وموضوعاتها عند أحمد السقّاف

أولاً: المقالة الذاتيّة وأنواعها

ثانياً: المقالة الموضوعيّة وأنواعها

ثالثاً: المقالة الصحفية وأنواعها

أولاً: المقالة الذاتيّة وأنواعها

كتب السقّاف في المقالة الذاتيّة وعالج من خلالها مختلف الموضوعات، وقد وجدت الدراسة خلال الاستقراء لمقالات السقّاف ملاحظتين، تتعلق الملاحظة الأولى بقلّة نتاجه في المقالة الذاتيّة مقابل الغزارة في المقالة الموضوعيّة، وليس في ذلك مثار اكتشافٍ مادام اتجاه كتّاب المقالة في الوطن العربي، بل في العالم أجمع نحو المقالة الموضوعية خلال القرن السابق. أمّا الملاحظة الثانية فتتعلق في المزاوجة بين الأسلوب الذاتي والموضوعي في المقالة الواحدة، وهذا غالب على نتاج السقّاف في أدب المقالة، وسيفرد له حيّزٌ من الدراسة.

وقد تعددت أنواع المقالة الذاتية عند السقاف، ويمكن الوقوف على هذه الأنواع بالدرس والتحليل، ومن الأنواع التي تعامل معها السقاف في المقالة الذاتية:

مقالة النقد الاجتماعيّ

يرى نجم أنّ هذا النوع من المقالة "يهتمّ بنقد العادات النافرة والتقاليد البالية التي ترسبت في المجتمع، كما تتابع الأزياء الطارئة والبدع المستحدثة ولا تعفيها من سخريتها وعبثها"(1)، "وعدّة الكاتب في هذه المقالات ملاحظاتٌ دقيقةٌ، وقدرةٌ على إحكام الوصف وإجادة التحليل واتزانٍ في الحكم وعمقٍ في التأويل وبراعةٍ في التهكم والسخرية"(2).

رغم سيطرة الأفكار القوميّة على نتاج السقّاف الفكري والأدبيّ، وتحوّلها إلى هاجس قوي، فإنّ ذلك لم يمنعه من مواكبة الحدث الاجتماعي الذي يدور حوله، ومتابعته والتفكير فيه، فهو أديب وصحفيّ، وقبل ذلك هو ابن بيئة يؤثّر ويتأثّر بها. فكان يتابع الحدث الاجتماعي ويدقّق فيه ويتناوله ضمن رؤيته الإصلاحيّة. نستطيع أن نسوق مقالته، خواطر من هنا وهناك(3) ، كمثالٍ واضح على مقالة النقد الاجتماعي عند السقّاف، التي انتقد فيها ظاهرة انتشار طائفة الشباب "الهبيين" في الكويت، وقد قدّم

---

(1) نجم، محمد يوسف ـ فن المقالة، ص 107، مرجع سابق.

(2) المرجع السابق، ص108.

(3) السقاف، أحمد ـ خواطر من هنا وهناك، مجلة البيان، ص22 وما بعدها، مصدر سابق.

لذلك بأنّه لاحظ هذه الظاهرة خلال إجازته الصيفيّة في لبنان، ولاحظ أيضاً أنّ بعض الشباب الكويتيّ كان قد اندمج في هذه الطائفة، ثمّ قدّم تفسيراً لبروز هذه الظاهرة في أوربا وأمريكا وكيف انتقلت إلى العالم العربيّ، فرأى أنّ سبب ذلك هو ضياع الشباب وتهربهم من المسؤولية نتيجة صدمتهم بواقعٍ لم يلبّي طموحاتهم وآمالهم، فكان هذا الانحراف الاجتماعيّ نحو العبث. وفي الواقع تنطبق معايير مقالة النقد الاجتماعي كما وصّفها محمد نجم(1) على هذه المقالة؛ بالرغم من أنّ السقّاف لم يكثر منها، إذ كان اهتمامه منصبّاً على المقالة السياسيّة.

لقد قدّم السقّاف لهذه المقالة بتعريف الهبيّين ثم فسر سبب نشوئهم في أوربا وأمريكا، ومن ثمّ انتقال هذه الظاهرة إلى العالم العربيّ في لبنان، ومن ثمّ الكويت، يقول:

" كنت أشاهد في لبنان وقد قضيت فيه شهري تموز وآب فتيات وفتياناً من الكويت، يقلّدون في ملابسهم طائفة الهبيين، والهبّيّون شبابٌ يمزقه الفراغ، ويدفعه إلى ما هو فيه من شذوذٍ قلقٌ مخيف وتمرّد على الحضارة التي وصل إليها بعد أجيالٍ وأجيال، ولم يجد لديها ما كان يريد ويؤمّل من رضى وهدوء واطمئنان، فراح يتهرّب من واقع الحياة ومسؤولياتها الجسام(2)".

وبعين الخبير المتبصر حاول توصيفهم مطعّما ذاك بالسخرية اللاذعة وإن لم تكن من طبعه؛ يقول:

"ولكني أرى في هذه الأيام أنّ شوارع الكويت قد امتلأت بضحايا التقليد، شبّان أطلقوا شعور رؤوسهم حتى لامست الأكتاف، وشاباتٍ لبسن البنطلونات الواسعة المرقّعة بالألوان مع الأحذية الكبيرة والأحزمة العريضة الشبيهة بأحزمة إنسان الغاب(3)" وقوله " فهم الذين يطلقون على كل بدعة سخيفة من بدع الضائعين ((صرعة)) فالحزام العريض ((صرعة))، والحذاء الذي يشبه حذاء الجنديّ العثمانيّ ((صرعة)) والقميص الذي لا يصلح قماشه إلا لستائر غرف النوم ((صرعة)) أيضاً، والبنطلون الضيّق الذي يسبب لمن يلبسه الحصار والإمساك ومرض المصارين ((صرعة)) ما بعده صرعة" .

---

(1) نجم، محمد يوسف ، فن المقالة، ص107-108، مرجع سابق.

(2) السقاف، أحمد ـ خواطر من هنا وهناك، مجلة البيان، ص22 وما بعدها، مصدر سابق.

(3) المصدر السابق، ص22.

ثم يتابع محاولاً تحليل هذه الظاهرة التي ظنّ أنها ستنتهي بمجرّد عودة أبناء الكويت إلى وطنهم لكنّه فوجئ بهذه الظاهرة وقد انتشرت في أحياء الكويت وشوارعها؛ يقول:

" وكنت أظنّ أنّ موجة التقليد التي اجتاحت أولادنا هناك سيكون آخر يومٍ لها يوم العودة إلى أرض الكويت(1)".

ومن خلال تداعيات فكريّة سريعة يحاول تحليل الظاهرة ومآلاتها، يقول:

"ولقد كنت أقول لنفسي إنّ المدنية الغربيّة تزحف بخيرها وشرها، نحو هذا الشرق، والشعوب الصغيرة هي وحدها التي تقع في شباك هذا التقليد، أما الشعوب الكبيرة فإنّها تظل صامدةً متحدّيةً كلّ غزوٍ لعاداتها وتقاليدها مهما كان هذا الغزو مغرياً عنيفاً(2)".

إذ يستشعر خطورة مثل هذه الظواهر على بلدٍ صغير كالكويت، ولذلك أخذ يبحث عن حلول، فيذكّر بأن العار سيلحق الجزيرة العربيّة التي أنجبت محمّداً (ص) ورفاقه الصحابة إذا دُنّست بمثل هذه المظاهر المعاصرة؛ يقول:

" إنّ شبه الجزيرة العربيّة التي أخرجت محمّداً ورفاق محمد لترفض الصراع الذي نراه اليوم"(3).

ثمّ يوجّه خطابه للآباء في الكويت أن ينتبهوا لأبنائهم، لأنهم الثروة الحقيقيّة للكويت، وبنظرةٍ إصلاحيّة يدعوا إلى التذكير بالأخلاق الحميدة، وأنّ الكمال بالعلم لا بالمظهر والملبس، وأنّ من يتمّ تقليدهم؛ ليسوا في الحقيقة إلاّ فضلات الحضارة في أوربا وأمريكا، ولأنّ السقّاف مهما أغرق في همومٍ محليّة لا يسعه الخروج من طوق هواجسه القوميّة، فنراه في نهاية المقالة يضرب مثلاً عن الفقر والفاقة التي تسوّر الشعب اليمنيّ، حيث نقل مشاهداتٍ عينيّة لأطفالٍ شاحبي الوجوه بسبب قلّة الغذاء؛ وقد عرف ذلك خلال زيارةٍ رسميّة، بصحبة مدير التعليم في صنعاء، وينقل حواراً مُتعمِّدا عدم اختصاره ليبثّ الاعتبار في النهاية، يقول على لسان مرافقه المسؤول اليمني:

---

(1) المصدر السابق، ص22.

(2) السقاف، أحمد ـ خواطر من هنا وهناك، مجلة البيان، ص22 وما بعدها، مصدر سابق.

(3) المصدر السابق، ص23.

" يحقّ لك عزيزي أن تجهل السبب فأنت من بلدٍ غنيّ حباه الله ثروةً كبيرةً فعاش في بحبوحةٍ من العيش ... إنّ هؤلاء الطلاب يأتي أكثر من خمسة وسبعين بالمائة منهم بلا فطور، وقد يكون بعضهم بات الليل دون عشاء، إنّ ربّ الأسرة لدينا لا يستطيع في هذه الظروف التي تجتازها البلاد أن يؤمّن لأسرته أكثر من وجبة الغداء!" (1).

وقد أراد من خلال هذه الخاتمة، إبراز حجم التناقض القائم بيم مجتمعين متعاصرين في شبه الجزيرة العربيّة، عسى القارئ يعي خطورة الوضع القائم؛ الذي يرسم ملامح ضبابيّة للمستقبل المنشود.

ويبدو أن السقّاف قدّم مقالة ذاتيّة في ميدان النقد الاجتماعيّ، مستوفياً عناصرها كافة من حسن انتقاءٍ لموضوع المقالة، وملاحظةٍ دقيقة، وتوازن في التحليل، والحكم، مستخدما السخرية والتهكّم. ولقد ترك السقّاف في هذا النوع من المقالة بضع مقالات منها، إجرام الفنّ(2)، التي انتقد فيها تهافت الفنانين العرب على الحياة الصاخبة والماجنة، وابتعادهم عن الهمّ القوميّ، ولا سيّما قضيّة فلسطين، ومقالة تقليد(3)، التي انتقد فيها تحوّل مناسبة ذكرى المولد النبوي إلى مجرّد مناسبات يردّد فيها الكلام نفسه الذي كان يقال على المنابر منذ مئات السنين.

2- مقالة وصف الرحلات:

تعدّ مقالة وصف الرحلات، من الإبداع الأدبيّ الحديث، الذي احتل حيّزاً واسعاً في عالم الصحافة بعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهو لون مقالي تناول من خلاله الأدباء موضوعات كثيرة؛ مثل وصف معالم الرحلات، والأماكن المرتحل إليها، ووصف الأماكن، والطبيعة، والعادات، والتقاليد، وغيرها من الموضوعات، و"تأتي قيمة هذه المقالة من أنها تصوّر لنا تأثّر الكاتب بعالم جديد لم يألفه، والانطباعات التي تركها في نفسه، ناسه وحيوانه ومشاهده الطبيعيّة وآثاره، فهي مغامرةٌ ممتعة تقوم بها روح حسّاسة في أمكنةٍ جديدةٍ، وبين أناسٍ لم يكن لها بهم سابق عهدٍ"(4)، وتحاول فهم المعاني الحقيقيّة وراء مشاهداتها.

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ص25.

(2) السقّاف، أحمد ـ إجرام الفن، مجلة كاظمة، ص 159، مصدر سابق.

(3) السقّاف، أحمد ـ تقليد، مجلة الإيمان، ص 563، مصدر سابق.

(4) نجم، محمد يوسف ـ فن المقالة ص115، مرجع سابق.

وهذا النوع من المقالة يندرج تحت المقالة الذاتية، التي نالت اهتمام الكاتب السقّاف، والتي شكّلها من خلال رحلاته وزياراته الخاصة والرسمية، إذ تكشف حياة السقّاف أنّه كان كثير الأسفار والترحال، وقد تنقّل بين البلدان العربيّة، والبدان الأجنبيّة، فانطلاقته الأولى كانت من اليمن؛ حيث سافر وهو فتًى يافعٌ، إلى العراق للدراسة، ثم انتقل إلى الكويت، وفيها بدأ عمله الصحفي، ومع انتقاله للعمل الرسميّ العام، تنقّل بين البلدان العربيّة بمهماتٍ رسميّة؛ منها رحلته إلى سورية ولبنان ومصر، من أجل مشروع مجلّة العربيّ، ثمّ رحلته إلى اليمن بتكليفٍ رسمي لمتابعة إسهامات الكويت ومشاريعها في جزئي اليمن، ولا سيّما ميداني الصحّة والتعليم. وعندما اختير ليكون رئيس الأمانة العامّة لرابطة أدباء الكويت؛ كان يشارك في مهرجانات الشعر، ومؤتمرات الأدب مُمثِّلاً عن الكويت، فكانت رحلاته إلى العراق ومصر وسورية ولبنان وتونس واليمن والجزائر وليبيا والمغرب، كما كانت له رحلات أخرى للسياحة والاستجمام في غير بلدٍ أوربيّ. وقد أسهمت هذه الرحلات والأسفار في إثراء ثقافة السقّاف وإغناء فكره، إذ تعرّف على الثقافات والحضارات المختلفة، وسجّل انطباعاته الشخصيّة والمعرفيّة لهذه الرحلات في مقالات ليست بالقليلة، ولعلّ سلسلة مقالاته التي عنونها بـالمغرب مزيان مزيان، والتي بلغت ثماني مقالات؛ نشرها على حلقاتٍ متتاليةٍ في مجلة البيان، تعدّ الأشهر والأكمل في مجال مقالة الرحلات عند السقّاف. وعند دراسة هذه المقالات فإنّه يجدر بنا أن نتعامل معها ككلّ متكامل، ففصولها لن تكتمل إلاّ بتمامها. لقد عمل السقّاف في هذه المقالة ـ كما هو متوقّع من كاتب حصيف يكتب في الرحلات ـ على تصوير مشاهداته وتسجيل انطباعاته لتلك المشاهدات، وعمل على إبراز مختلف جوانب هذه الرحلة الطويلة على أنّها مغامرة ـ وهي كذلك بالنسبة لرجلٍ غريبٍ عن المغرب ـ فنجح أيّما نجاحٍ في ذلك، وأكثر من ذلك؛ أنّه حاول البحث عن الحقائق التي تختفي وراء مشاهداته تلك، ولم يخفِ اهتماماته المتنوعة التي كشفت استطراداته عنها. ولعل القارئ لهذه المقالات، يستطيع أن يكوّن لنفسه صورة عامّة عن المغرب بعد قراءتها.

تحدّث السقّاف في التمهيد عن الإعداد للسفر ومناسبة تأجيله، ورفاقِه في هذه الرحلة الرسميّة، واستطرد في ذلك حتّى حان موعد السفر، حيث انطلق الوفد إلى باريس في الطريق إلى المغرب، وفي الواقع فإنّ الرحلة بدأت في باريس، وقد خصّص المقالة الأولى من حلقات المقالة لوصف مشاهداته في باريس التي قضى فيها ثلاث ليالٍ(1). لقد بدا السقّاف ورفاقُه منبهرين من مشاهداتهم، ويدلّ على ذلك حرصهم على التنزّه والمعاينة لكلّ المناطق المشهورة، في كلّ تلك المدن التي زاروها، كما يبدو ذلك من خلال حرصهم على التقاط الصور التذكاريّة. والمشاهدات التي لم تقتصر على الأمكنة، بل تجاوزتها لوصف الطبيعة والناس فيها. ولتسهيل الدراسة والإحاطة بجوانب هذه المقالة الطويلة، يمكن تقسيمها على فقراتٍ كما يأتي:

- تسجيل المشاهدات: فقد أكثر السقّاف من تسجيل مشاهداته بعناية في كلّ المدن التي زارها والشوارع التي تجوّل فيها والساحات، في باريس ثم الرباط والدار البيضاء ومراكش وطنجة ومكناس ـ التي وجد أنّ وصفها يخلب العقل ـ ومدينة العرائش وفاس والقنيطرة في المغرب، ومن ثم الجزائر وشرشال في الجزائر، ومن المعالم جامع القرويين، الذي وصفه بأنّه "أحلى بناء وقع عليه بصري رغم أسفاري الكثيرة"(2)؛ وقد بدا إعجابه واضحاً من خلال وصفه المسهب لهذا المعلم الهامّ. وكل تلك المشاهدات التي سجّلها بعناية، لم تلهه عن النظر إلى زياراته الرسميّة للمراكز الأدبية والثقافيّة والجامعات وغيرها، مثل زيارته لمدير مركز تنسيق التعريب في المغرب، والجامعات، وبيت الشيخ عبد الله بن كنّون وحيّه في طنجة. وكمثال على وصفه للأماكن التي زارها؛ نسوق وصفه للرباط وقصرها الملكي، حيث يقول:

" ومدينة الرباط مدينة صغيرة لا يزيد عدد سكانها عن أربعمائة ألف نسمة، ولكنها جميلة وشوارعها نظيفة، ومتاجرها عامرة، وفيها القصر الملكي، وهو عبارة عن عدّة قصور متصلة يحيط بها سور له أبواب واسعة يستطيع كل من شاء أن يدخل وأن يتجول بسيارته او مشياً على الأقدام. وفي الأرجاء القريبة من القصور خيام الحرس الملكي، ولا بدّ ان تكون هناك عيون يقظة ترقب الداخلين والخارجين دون ان يشعر أحد"(3).

---

(1) ينظر: السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان، مجلة البيان، ص6، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق، ص 12.

(3) السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان2، مجلة البيان، ص12، مصدر سابق.

كما أنّه سجّل ملاحظات على مشاهداته للطرقات التي تنقّل فيها خلال رحلاته بين المدن، ف"الطريق الساحليّ من الرباط إلى الدار البيضاء لا أجمل منه ولا أحسن"(1)، وكذلك الطريق إلى مرّاكش.

كما وصف الفنادق وجمالها، والمطاعم، والمعالم الرئيسة في تلك المدن، كبرج إيفل في باريس والحي اللاتيني وساحة الشانزليزيه، والأسواق كالسوق القديم في الرباط وسوق الذهب في الدار البيضاء الذي لم يرَ مثله لا في الشرق ولا في الغرب على حدّ وصفه(2). كما وصف الطبيعة التي تجوّل فيها وشاهدها خلال تنقلاته بين المدن، كالغابات والجبال المطلّة على الأطلسي والأنهار كنهر أم الربيّع(3) ونهر السبو(4).

كما وصف الناس ونقل بعض الأحاديث كحديثه عن النساء الباريسيات وجمالهن(5)، ونادلات الفندق في الرباط الشابات الجميلات(6)، ونساء المغرب بثيابهن زاهية الألوان والجذابة الجميلة اللاتي يرتدين القفاطين والبدعيّات، يقول في ذلك:

" والقفطان كالبدعيّة ــ بتشديد الياء ـ إلا أنّه بكم والبدعية بدون كم، والنساء هناك يلبسن القفاطين والبدعيّات على حدٍّ سواء، والملابس المغربية خلابة جذّابة تجعل المرأة الجميلة ذات فتنة هائلة، والقفطان او الدعية ثوب طويل واسع مشقوق من الجانبين بمحاذاة الساقين، ويكون عادةً مطرّزاً بماء الذهب أو الفضة، ويتّصل به أحياناً غطاء للرأس من نفس القماش، ولقد كنت أظنّ أن الساري ـ وهو اللباس الوطني للمرأة الهندية ـ هو وحده اللباس المثير ولكني بعد مشاهدتي ملابس نساء المغرب أيقنت ان هناك ما هو أكثر إثارة وروعة وفتنة" (7).

---

(1) السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان3، مجلة البيان، ص9. مصدر سابق.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص8.

(3) ينظر: السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان4، مجلة البيان، ص 10. مصدر سابق.

(4) ينظر: السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان6، مجلة البيان، ص 14. مصدر سابق.

(5) ينظر: السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان، مجلة البيان، ص9. مصدر سابق.

(6) ينظر: السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان2، مجلة البيان، ص11. مصدر سابق.

(7)السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان2، مجلة البيان، ص12. مصدر سابق.

ونقل حديث بعضٍ من الشباب المغربي وقد استفتوه في شرب الخمرة، فكان جوابه دبلوماسيّاً ـ وقد اعترف بذلك ـ ثمّ أقرّ له أولئك الشبّان بأنّ شرب الخمرة، واللغة الفرنسيّة؛ بعضٌ من العادات الذميمة التي تركها بينهم الاحتلال الفرنسيّ للمغرب(1). كما وصف مظاهرةً كبيرة قامت بمناسبة عيد العمال العالمّي، فتحدّث عن هتافات المتظاهرين، واهتمّ بالخطب التي ألقيت في تلك المظاهرة، وكان أهمّ هتافاتهم المطالبة بالديمقراطيّة، وقد أُعجب بشخصيّة أحد الخطباء، وكان زعيم حزب الاستقلال المغربيّ علال الفاسي، فعّرف به، وسجّل مقتطفاتٍ موجزة من خطابه في المتظاهرين(2). ولم ينس تسجيل ما شاهده عن المغنين والراقصين، وحواة الثعابين الذين رآهم في مختلف الأماكن(3).

واهتمّ اهتماماً خاصّاً بالأطعمة وأنواعها، التي ناولها مع وفده المرافق، على موائد الفطور والغداء والعشاء(4)، في الفنادق والمطاعم التي زارها.

-الانطباعات: لا يعدّ مجرّد المشاهدة وتسجيلها أمراً كافياً، فالعبرة في الانطباعات التي تولّدها تلك المشاهدات، ولأنّ السقّاف أديبٌ مثقّفٌ؛ كان له انطباعاته الخاصّة عمّا رآه، فقد كان يتجوّل في تلك المدن ويخالط الناس ويشاهد ويسجّل. ومن ذلك قوله إنّ المغاربة يستخدمون ((سيدي)) دون تشديد في التخاطب وهذا دليل على تهذيبهم ورقّة طباعهم، وقد فسّر ذلك بجمال الطبيعة وحسن المناخ، يقول:

" والمغاربة رجالاً ونساء يستخدمون لفظة سيدي في التخاطب بدون تشديد، والادب وحسن المعاملة من صفات أبناء المغرب، فهم قومٌ مهذبون بالفطرة، ولعل السر يعود في ذلك إلى الطبيعة والمناخ، فكل شيءٍ في تلك البلاد جميل إلى أبعد حدود الجمال!!" (5).

وفي صدد الشأن السياسيّ والوعي القوميّ؛ وبعد مناقشة عددٍ من المغاربة، فقد وجدهم لا يقلّون عن أخوتهم المشرقيين في وعيهم لخطر الصهيونيّة، وانحياز أمريكا السافر لها، يقول في ذلك:

---

(1) ينظر: السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان3، مجلة البيان، ص11. مصدر سابق.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص11.

(3) ينظر: السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان4، مجلة البيان، ص8. مصدر سابق.

(4) ينظر: السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان2، مجلة البيان، ص13، مصدر سابق.

(5) السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان2، مجلة البيان، ص12، مصدر سابق.

" ... وكانت سهرة ممتعة تحدّثنا فيها عن الأدب والشعر والسياسة والاجتماع وانتهى الحديث كأي حديثٍ يبدأ بمأساة فلسطين وأطماع الصهيونيّة العالمية في الوطن العربي والتأييد الأمريكي الأعمى للسياسة الصهيونيّة، ولقد أسست بأن الأخوة الأعزاء في مغربنا العربي لا يقلون وعياً وصدق إحساس بالمأساة عن أخوانهم في المشرق العربيّ وكانوا يربطون بين مشاكلهم ـ وفي مقدمة تلك المشاكل قضية التعريب ـ وبين قضية فلسطين ، فهم يعتقدون أن الأصابع الأجنبية تحاول أن تفتح لهم جبهاتٍ في الداخل لتحول دون مشاركتهم الفعلية في المعركة المصيرية معركة فلسطين"(1).

وهو أيضاً ما عبّر عنه في حديثه مع الفتاة الكادحة التي تعمل في الفندق؛ وقد وجدها واعيةً على حداثة سنّها، إذ حدّثته عن غرور اليهود في المغرب، فقد وزّعوا منشوراً منذ مدّة يطالبون فيه من يريد التعامل معهم أن يعتمد اللغة العبريّة، وقد وجدت في ذلك انتهازيّة ولا وطنيّة(2). وقد كان للشأن الداخليّ السياسيّ أهميته الخاصّة، وقد عبّر ـ رغم أنّ مهمته أدبيّة الطابع ـ في أكثر من موضع عن ذلك، وأبدى عدم رضاه عن الوضع السياسيّ في المغرب، ولعلّه بخبرته وحنكته كان يستشفُّ أمراً؛ إذ وقعت اضطرابات سياسيّة في المغرب بعد عودته، وقد أشار إليها في مقالة جاءت بعنوان، خواطر من هنا وهناك(3).

وبعد زيارته لجامعة فاس وكليّة الآداب فيها، أبدى سعادته وأشاد بالوعي العروبيّ الراسخ لدى الطلاب المغاربة، وكان قد ألقى والوفد المرافق بعض الكلمات، وكان الطلاب حينها يريدون منهم الإفاضة في أحاديثهم وعدم المغادرة(4). كما شدّد على سعادته بما وجده من شبّان طنجة ورجالها، في تشدّدهم في انتمائهم إلى إسلامهم وعروبتهم؛ رغم محاولات التدويل، يقول:

" فقد أبت طنجة العربية المسلمة، أن تضمحل فيها روح العروبة، وأبت طنجة المسلمة أن تخمد فيها جذوة الإسلام"(5).

---

(1) السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان3، مجلة البيان، ص7. مصدر سابق.

(2) ينظر: السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان4، مجلة البيان، ص7. مصدر سابق.

(3) السقّاف، أحمد ـ خواطر من هنا وهناك، مجلة البيان، ص6، مصدر سابق.

(4) ينظر: السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان5، مجلة البيان، ص13، مصدر سابق.

(5) السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان7، مجلة البيان، ص 31، مصدر سابق.

وسجّل في المقالة الأخيرة انطباعاته الرائعة والجميلة عن معظم رجالات المغرب الذين قابلهم من المثقّفين وغيرهم. وبالنسبة للانطباعات السيّئة فقد سجّل انطباعاً سيّئاً عندما طلب موظّف الفندق من السقّاف ووفده المرافق تسجيل أسمائهم بلغةٍ أجنبيّة متعلّلاً بالقانون، يقول:

" ... وأشرت عليه بأن يتحدّث في امتهان اللغة العربية ويضرب مثلاً بتعنّت صاحب الفندق حين طلب منا ان نكتب البطاقات باللغة الفرنسية أو الإنجليزية أو الإسبانية، ولم يقبل البطاقات التي كتبناها له باللغة العربية، وتحدّث أبو عدنان بالموضوع وتأثّر القوم ووعدوا بأن يرفعوا الأمر إلى محافظ طنجة، والحقيقة التي لا يجوز أن نخفيها على أخواننا وأشقائنا أبناء المغرب الحبيب أنّ اللغة العربية مضطهدة في عقر دارها، واللغة الأجنبية هي وحدها التي تلقى العناية والاهتمام، والأنكى من كل ذلك أن هذا الاهتمام غير صادر من مستعمر متحكم متسلط وإنما هو بكل أسف وألم شديدين صادر من أبناء العروبة أنفسهم، وصادر بكلمة واضحة جلية من أولئك الذين بأيديهم مقدّرات البلاد.

فإلى متى يا أخواننا وأشقّاءنا هذا الهوان؟ إنّ من أهان لغته فقد اهان نفسه، ومن اعتزّ بلغته فقد اعتزّ بذاته، فقليلاً من الوعي أيّها القوم، ومعذرة إن كانت هذه النصيحة ذات أظافر طويلة، أو كانت ذات صوت جهوريّ شديد"(1).

كما أنّ معركة التعريب في المغرب كانت تسير بفتورٍ، بالمقارنة مع الجزائر، وقد أبدى استياءه من ذلك، وتمنى الإسراع في هذا الميدان، لقطع الطريق على المستعمر الذي يستغل المغاربة من خلال اللغة(2).

ـ المقارنات: لم يكتفِ السقّاف بتسجيل مشاهداته وانطباعاته، بل راح يقارنها مع معهوداته ومشاهداته السابقة. فمن ذلك أنّه قارن السوق القديم في الرباط، بخان الخليليّ في القاهرة، وسوق الحميديّة في دمشق، يقول:

" وانتهت جولتنا في العاصمة الأنيقة في السوق القديم، وهو يشبه خان الخليلي في القاهرة أو سوق الحميدية في دمشق"(3).

---

(1) السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان6، مجلة البيان، ص 15. مصدر سابق.

(2) ينظر: السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان7، مجلة البيان، ص 42، مصدر سابق.

(3) السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان2، مجلة البيان، ص10، مصدر سابق.

وكانت مقارنة طنجة ببيروت من المقارنات الذكيّة، يقول:

" إنّ مدينة طنجة جميلة وأنيقة، وفيها ملامح بيروت بصورة صارخة، والأفلام الغربية تتعمّد الإساءة إليها كما تتعمّد الإساءة إلى القاهرة ودمشق وبغداد وبومباي أو أيّ مدينةٍ شرقيّة"(1).

كما قارن سابقاً بين نهر السين الذي يقطع باريس، ونهر النيل الذي يقسم القاهرة(2)، وقارن أيضاً بين القفاطين، والبديعيّات المغربيّة، مع الساري الهندي، وكان يظنّه جميلاً مثيراً؛ لكنّه وجد أنّ هذا الرداء العربيّ المغربي أجمل وأكثر إثارةً، وبعد أن اكتشف جمال المرأة المغربيّة، ولا سيّما سحر عينيها، قارنه بما يعهده من جمال العيون في الجزيرة العربيّة يقول:

"وجمال المرأة المغربية جمال عربيّ رائع، وعيون النساء المغربيات من أجمل العيون وأكثرها جاذبيّة وسحراً، ونحن هنا نعتقد أن عيون نساء شبه الجزيرة العربية قد استأثرت بجمالٍ فريد لا يضاهيه أي جمال بسبب ما نقرأ في الشعر القديم والقصص والحكايات، والحقيقة أنّ المغرب قد شارك شبه الجزيرة العربيّة في هذا الجمال، وزادت الطبيعة هناك فأضافت إلى جمال العيون جمال الأجسام. (3)".

ولأنّ الطعام يمثّل أحد الجوانب الثقافية عند الشعوب، فإنّ مقارناته اتسعت لتشمل الطعام، ففي حديثه عن السمك في إحدى الوجبات التي قُدّمت لهم، قارن بين سمك الشبل المغربي، وسمك الصبّور المعروف في الكويت(4).

ـ الملاحظات اللغوية: وقف السقّاف كثيراً عند الملاحظات اللغويّة، فقد شكّلت أحيانا نوعاً من الفكاهة سببها المفارقة أو الغرابة، ومن ذلك أنّه بدأ بملاحظاته اللغوية بمجرّد وصول الطائرة أرض مطار الرباط قادمةً من باريس إذ كان في استقباله والوفدَ المرافق وفدٌ رسمي بادرهم بجملة (الله يهنيك) ويورد السقّاف معقّباً، يقول:

---

(1) السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان6، مجلة البيان، ص 15. مصدر سابق.

(2) ينظر: السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان، مجلة البيان، ص6، مصدر سابق.

(3) السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان2، مجلة البيان، ص12، مصدر سابق.

(4) ينظر: المصدر السابق، ص 13.

" وبعد الاستراحة نهض الأخوة المغاربة يودعوننا، وكان كلما صافح واحد منهم واحدا منا قال له ((الله يهنيك)) وهي بمثابة ((الحمد لله على السلامة)) عندنا"(1).

ومن ذلك أيضاً اكتشافه لمعنى كلمة (وخّا) المغربيّة بمعنى نعم أو حاضر، وحاول تفسير الكلمة، وقد رأى أنّها بربريّة، كما لاحظ أنّ التاجر يردّ على المتسوّل الذي كان يطلب العطاء بقوله (الله يحن)، في حين نستخدم جملة (الله كريم) في الكويت، كما لاحظ أنّ السيدة المغربيّة التي كانت تقف عند التاجر نفسه، وقد نازعته في القفطان قائلةً (ديالي)، وكانت قد ابتاعته دون أن ينتبه، ثمّ عرف أنّ معنى هذه الكلمة هو بمعنى (بتاعي) المصريّة، و(حقّي) كما نقول في الكويت، يقول:

" وحين سأل الأستاذ السداح صاحب المتجر عن القفاطين قائلاً: ألديك قفطان مزيان؟ ردّ عليه: وخّا !! بتشديد الخاء أي نعم حاضر! قفطان مزيان كاين، أي قفطان جميل موجود، والجملة صحيحة وفصيحة ماعدا وخّا، فإنّي لا أدري من أين هي، ولعلّها لفظة بربريّة، وما أكثر الألفاظ البربريّة في لغة أبناء المغرب! وحين اقترب منّا أحد المتسوّلين قال له صاحب المحلّ: الله يحن فانصرف، ونحن نقول هنا الله كريم، أو الله يعطيك، ومددت يدي إلى قفطان لأتفحّصه وما عرفت أنّه قد بيع لمغربيّة واقفة بجانبي، فنبّهتني بأدبٍ جمّ قائلةً: سيدي (ديالي ديالي)، وديالي بمعنى بتاعي باللهجة المصريّة أو حقي كما نقول هنا في الكويت..." (2).

(1) السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان، مجلة البيان، ص10، مصدر سابق.

(2) السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان، مجلة البيان، ص12، مصدر سابق.

ومنها أيضاً، مقارنته بين مصطلح (بيت النظافة) المستخدم في المغرب و(التواليت) المستخدم في المشرق العربيّ؛ وقد وجد أنّ الاستخدام المغربيّ أجمل، كما وجد أن معنى (بايخوّنوه) هو يسرقوه، ويبدو أنّ ما دفعه للانتباه إلى مثل هذه الكلمة طرافتها التي تربط بين الخيانة والفعل الشائن (السرقة)، ومما لفت انتباه السقّاف لغويّا هو اختلاف أسماء الفاكهة بين المغرب والمشرق، ومن ذلك أن فاكهة الأكدينيا تعرف في المغرب باسم (المُزاح)، وفي ذلك قصة طريفة رواها في تضاعيف المقالة(1). كما أشار إلى أنّ "كلمة (مزيان) عربيّة على وزن مفعال ونحن في المشرق نستخدم المصدر للوصف؛ للمبالغة ومعنى (مزيان بزّاف) أي جميلٌ جدّاً"(2)، أمّا "(أجدال) فتعني الغابة ولعلّها بربريّة"(3)، و"(الزرابي) تعني السجّاد"(4)، وهذا بعضٌ مما انتبه إليه من مفردات واصطلاحات مغربيّة قادته إليها اهتماماته اللغويّة.

ـ الانتقادات والنصائح : بعد أن عايش خلال رحلته الطويلة في المغرب ظروف المغاربة، واطلع على همومهم الاجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة، قدّم نصيحةً لملك المغرب(5) الذي عطّل الحياة النيابيّة؛ وقال فيها إنّ العهد الذي كان يظنّ فيه الملك، أنّه يستمدّ سلطانه بحقٍّ إلهي ولّى دون رجعة، ولا مناص من التحرّر ومزيد من الديموقراطيّة لاسيّما أنّ الشعب المغربيّ يعيش على تخوم أوربا ويراها رأي العين، ويتأثّر مباشرةً بما يحدث هناك، يقول: " فإنّ كلمتي في هذا المقام موجّهة للحكم المغربيّ، ذلك الحكم الذي لا ينقصه الاطلاع على ما يحدث اليوم في هذه الدنيا فأقول له إن المغرب المجاور لأوروبا يصعب عليه أن يهضم الحكم الفرديّ مهما كانت مسوّغات ذلك الحكم ومبرّراته. وإنّ المغرب المليء بالرجال الأفذاذ لا يقبل أن يتفرّج على إدارات ومؤسّسات لا تخضع للرقابة الشعبيّة، وإنّي لعلى ثقة من أنّ ذلك الحكم الذي لا ينقصه الوعي والاطلاع ليعلم حقّ العلم أنّ الأفكار الخطيرة المدمّرة لا تنتشر إلاّ في مجتمعاتٍ متذمّرةٍ حاقدةٍ تحكمها أساليب متخلّفةٌ،

---

(1) ينظر: السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان4، مجلة البيان، ص6. مصدر سابق.

(2) المصدر السابق ص 9.

(3) المصدر السابق ص 9.

(4) السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان6، مجلة البيان، ص 15. مصدر سابق.

(5) هو العاهل المغربي السابق الحسن الثاني.

ولقد سمعنا التذمّر من الكثيرين، وكلّهم يطالب بالإصلاح وبعودة الحياة البرلمانيّة إلى البلاد وإنّه من الوهم أن يعتقد أيّ حاكمٍ مهما علا شأنه وجلّت مكانته أنّه الوصيّ على الشعب يوجّهه كيف يشاء، ويتصرّف في شئونه كما يريد، فالشعوب ترفض سراً أو علناً ـ والنتيجة واحدة ـ مثل هذا الوهم، ولقد ذهبت إلى غير رجعة نظريّة الحق الإلهيّ في الملك، ولا أعتقد أنّ هنالك من يرغب في بعثها واستغلالها من جديد(1)".

كما كان له انتقاد لطريقة حفظ القرآن عند المغاربة، كما رآها في أحد المساجد، وهي تتمّ بشكلٍ جماعيّ يردّد فيه التلاميذ خلف مقرئهم دون وعيٍ بمعاني القرآن، وإنّما كان الهدف مجرّد حفظه، يقول " ولكم تمنّيت أنّ تلك الطريقة تتغيّر بحيث يقرأ واحد بضع آيات والحلقة كلّها مصغية ثمّ يتولّى ذلك الشيخ تفسيرها تفسيراً مبسّطاً يسهّل فهم المعنى على أولئك القوم ثمّ يقرأ آخر بضع آياتٍ أخر ويفسّرها الشيخ وهكذا حتّى ينتهي الوقت المخصّص، إنّ تلاوة القرآن على تلك الشاكلة دون فهمٍ ليست مجديةً، إنّ المهمّ في تلاوة القرآن الكريم فهمه واستيعاب معانيه لا ترديد كلماته ترديداً آليّاً، إنّ الدفاع عن القرآن لا يقوم به إلّا المطّلعون على معانيه السامية، والذين يردّدون القرآن دون فهم لا يستطيعون حفظه وإن حفظوه ولا يقدرون على الدفاع عنه.... (2)".

ـ الاستطرادات: كان السقّاف يكثر من الاستطراد أثناء حديثه عن تنقّلاته، ومعظم هذه الاستطرادات نقلها عمّا كان يدور بين أعضاء الوفد ومستضيفيهم من أحاديث، ومن ذلك حديثهم عن النساء الباريسيّات وجمالهن حيث انتقلوا للحديث عن الموضة، ورأى السقّاف أن الجمال لا يكمن بكلّ ما يمكن أن تستخدمه المرأة للزينة، فهي ليست (فترينة) على حدّ تعبيره، يقول:

"... وبدلاً من أن نتحدّث في الشؤون الماليّة والتجاريّة وهي الأمور التي يعرفها ويحذقها صديقنا مرزوق أخذنا نتحدّث عن جمال الباريسيّات! ومرزوق الجاسم مفتون بالجمال في باريس، غير أنّي لم أسلّم له بأنّ نسبة الجمال بباريس أعلى من الكويت او لبنان أو القاهرة وطلبت منه ان يقف معي بباب الفندق على شارع الشانزليزيه وهو أضخم وأجمل شارع بباريس لنستعرض الوجوه. ووقفنا، ومضت ربع ساعة دون ان نشاهد وجهاً جميلاً واحداً، أما الأناقة والرشاقة فلا يستطيع أحد ان ينكرهما على الباريسيات

(1) السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان3، مجلة البيان، ص 8، مصدر سابق، وقد أشار في المقالة إلى أنّ هذه النصيحة وهذا الاستطراد يخصّ المغرب ويبقى في نطاق الرسالة التي حملها الوفد إلى المغرب.

(2) السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان3، مجلة البيان، ص 10، مصدر سابق

. وقد اقتنع اخي مرزوق بأن جمال المرأة العربية يفوق كلّ جمال! وفي اعتقادي أن المرأة الكويتيّة الحديثة لا تقلّ أناقة عن أرقى نساء العالم. وهنا يجب أن نفرّق بين الأناقة وبين الإسراف في الزينة والملبس فالمرأة تستطيع أن تكون أنيقة بملابس بسيطة متناسقة وهيهات ان تكون أنيقة مهما أسرفت في التزين بالأساور والعقود وارتداء أغلى الفساتين، فالأناقة ذوق قبل أن تكون مباراة تحيل المرأة إلى (فترينة) متحرّكة لعرض المصوغات والملابس الثمينة، ولتفهم سيّداتنا وبناتنا العزيزات في الكويت هذا الرأي وهو رأي لا يختلف فيه اثنان ممن يعرفون الجمال والاناقة ومقاييس الجمال والاناقة."(1).

ومن استطراداته أيضاً ما نقله عن حاكم مغربي سلف عهده ووصفه بالحمق لما سمع عنه من قصص غريبة وأبدى رأياً فيه(2). كذلك استطراده حول الاصطلاح المناسب لوصف البلاد العربيّة وقد فضّل استخدام الوطن العربي على استخدام العالم العربي(3). وثمّة قصّة طويلة لا علاقة لها بالمغرب أو الرحلة رواها عن شابّ كويتي ماركسيّ يصفه السقّاف بأنه شعوبي كان قد نال من العرب ما نال، وكان السقّاف قد لقيه في اليمن في إحدى رحلاته السابقة ودار بينهما حديث طويل عن الانتماء والوطنية والقوميّة، وانتهى الحديث بخروج الشاب غاضباً فيما رفض السقّاف مصافحته، يقول:

" ففي ذلك المساء سلّم عليّ شخصٌ يعرفني جيّداً وأعرفه جيّداً وقد فهمت منه انّه قادم من لندن بعد أن قضى فيها أسابيع وكان بصحبته شابّ كويتي يدرس دراسة عليا في بريطاني في حدود الثلاثين أو أنّه قد تعدّاها قليلاً وقد قدّمه إلى ثمّ قال له ألم تعرف الأستاذ السقاف من قبل؟! فردّ الشايب كيف لا أعرفه إنني لا زلت أذكر صولاته وجولاته في النادي الثقافي القومي في الخمسينات! ولقد حمدت الله في نفسي لاهتمام ذلك الشاب بنشاط النادي الثقافي القومي، فلقد اضطلع النادي في ذلك الحين بعبءٍ خطير لا يعرفه إلا المهتمون بالنشاط العقائدي والفكري أما الجهلة والغارقون في الملايين فهيهات يعرفون ذلك النشاط القومي الرائع. ولكن الشاب الذي يدرس في بريطانيا دراسة عليا على نفقة الكويت بالطبع قفز فجأة في الحديث ليعلن عن سبب اهتمامه بنشاط النادي الثقافي القومي

---

(1) السقاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان، مجلة البيان، ص9، مصدر سابق.

(2) ينظر: السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان4، مجلة البيان، ص 9مصدر سابق.

(3) ينظر: السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان5، مجلة البيان ص11، مصدر سابق.

وقال: يجب أن تعلموا انّ ذلك الوقت ولى إلى غير رجعة وإنّ في الساحة اليوم رجالاً يقفون لكم بالمرصاد. لقد خدعكم ساطع الحصري بخزعبلاته فرحتم تردّدون شعارات القومية العربية وتطاول بعضكم على أقدم بيتٍ منا يهاجمه دون سبب، لقد ولّت القوميّة وابتعد عنها المفكرون الحقيقيّون منكم. والحقيقة أني دهشت فليست هذه مقدّمة صالحة للحوار في موضوع خطير كالقوميّة العربيّة، فالقضيّة واضحة والكتاب يقرأ من عنوانه كما يقول المثل الدارج وهذا الشاب الذي يدرس دراسة عليا في بلاد الإنجليز كما يقول لا يهمه الحوار ولا يريد أن يفهم شيئاً في القومية ومع ذلك فقد رأيت أن أردّ عليه وقلت له: يجب أن تعلم أن القوميّة لا تهاجم احداً لكونه في الأصل من بلدٍ غير عربيّ إن القوميّة لا تقوم على التعصّب، إنّها المشاركة الوجدانيّة الصادقة في مسيرة هذه الامّة، إنّها الشعور بالولاء للعروبة والكويتي عندنا من حمل الولاء للكويت والولاء للأمة العربيّة في آن واحد، فدستور الكويت ينصّ على أنّ شعب الكويت جزءٌ من الامة العربيّة، فإذا كنت تحمل الولاء للكويت فأنت كويتي، وما كدت أصل إلى هذا الحد حتّى انفجر غاضباً وقال لماذا يا أستاذ تفرض علينا الولاء للكويت إنّ الولاء يجب أن يكون للماركسيّة وللطبقات الكادحة في كل مكان من الأرض، وعندما ضحكت باستهزاء وقلت للشاب الذي يدرس دراسة عليا في بلاد الإنجليز على نفقة الكويت: اسمع يا انت إنّك وجدّت في الماركسيّة مظلّة تستظلّ تحتها ومن تحت هذه المظلّة تحاول ان تسدّد سهام حقدك وسهام شعوبيّتك نحو القوميّة العربيّة، إنّني أقترح عليك ان تحمل حقائبك وترحل عن الكويت إن كنت غير مستعد ان تعطيها ولاءك، ولكنّه ردّ بكلّ صفاقة قائلاً إنني باقٍ هنا إن رسالتي في الكويت وسترون في المستقبل، ونهض ومدّ يده ليصافحني فرفضت أن امدّ يدي وخرج وهو يتهكّم على العروبة وعلى لغة القرآن كاشفاً هويّته بشكلٍ عجيبٍ مثير. ولا شكّ أنّ الماركسية التي تشدّق بها هذا الجاحد لفضل الكويت وخير الكويت ما هي إلا مظلّة كما قلت للاختفاء تحتها حين يشنّ حقده الكريه على القوميّة العربيّة، ولقد شجّع هذا وأمثاله من الشعوبيين على مهاجمة القومية العربيّة علناً والتغنّي بالماركسية التخلخل الواضح في صفوف القوميين، بعد دعوة بعد دعوة بعضهم إلى اجتهادات لن تزيد الصفوف المخلصة سوى انقسام وفرقة على ما تعانيه اليوم من انقسامٍ وفرقة ولقد أن الأوان لمراجعة صادقة شجاعة لبعض المواقف المؤسفة.

لقد قلت إنّ الأمة العربيّة تواجه تحدّيات صعبة وكلّ جهدٍ يبذل بعيداً عن مواجهة هذه التحديات يعتبر جريمة في حقّ هذه الأمّة. إنّ الصهيونيّة العالميّة والاستعمار الغربيّ وعلى رأس هذا الاستعمار الولايات المتّحدة الأمريكية لا يريدان للأمّة العربيّة سوى التشتّت والضياع. إنّ بعثرة الجهد القومي باجتهاداتٍ غريبةٍ مرفوضة خدمة عظيمة لإسرائيل ومن يقفون وراء إسرائيل"(1).

كما كان له استطراد عن أهميّة تعلّم اللغات بعد حديث دار بين أستاذ اللغة الفارسيّة في جامعة فاس، وأحد رفقائه في الوفد وقد استغرب حينها السقّاف سبب اتقان رفيقه لهذه اللغة ولم يدرِ أهي لغة أدبيّة، أم أنّها ذات اللغة العاميّة، المستخدمة في بعض أنحاء الكويت(2).

وكان له استطراد أيضاً في قصة الأستاذ المسيحي حنّا خلف، الذي قاتل الإنكليز إلى جانب عبد القادر الحسيني. وكان له استطرادٌ لم يجد منه بدّ وهو حديثه عن مدينتي سبتة ومليلة المغربيتين المحتلّتين من قبل إسبانيا، رغم أنّه لم يزرهما(3). كما كان له استطراد جميل في المقالة الأخيرة إذ تحدّث فيها عن البربر ولغتهم وأقسامها، وعن موقفهم من العروبة والإسلام(4).

ـ الطُرَف: نقل السقّاف في هذه المقالات عدداً من الطرف التي كشفت عن خفة ظلّه والوفد المرافق له، وما أكثر ما يتعرض المسافر والغريب لمثل هذه الأحداث المضحكة، ومن ذلك قصّة تجوالهم في باريس وبحثهم عن الفندق، وقد تبين فيما بعد أن صديقهم المرشد الذي يحمل الخريطة لم يستطع قراءة اسم الفندق وبالتالي، لم يكونوا يعرفون عن أي شيءٍ كانوا يبحثون، يقول:

---

(1) السقاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان5، مجلة البيان، ص11 وما بعدها، مصدر سابق.

(2) ينظر: السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان6، مجلة البيان، ص 13. مصدر سابق.

(3) ينظر: السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان7، مجلة البيان، ص 30، مصدر سابق.

(4) ينظر: السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان الحلقة الأخيرة، مجلة البيان، ص 42، مصدر سابق.

"ومضت ساعات دون ان يهتدي أبو جليل إلى الفندق واستعان بمكتب سياحة فزوّده المكتب بخريطة لمدينة باريس، وفتح أبو جليل الخريطة وبدأنا نسير من جديد من شارعٍ إلى آخر وكلّما تذمّر أبو سعود ـ خالد سعود الزيد ـ من المشي! فتح أبو جليل الخريطة ليقول له يا ابني! نحن هنا والفندق هنا إننا اقتربنا كثيراً من الفندق! فنضجّ بالضحك ويخفّ عنّا التعب. والظريف في الامر أن أبا جليل لا يعرف اسم الفندق فقد نسيه.." (1).

وكذلك ما حدث في الطائرة عندما شاهد أحد الركاب ـ وهم في الدرجة الأولى ـ وهو يسرق الملاعق والسكاكين، ويضعها في جيبه؛ رغم أن الفرق في سعر التذكرة بين الدرجتين الأولى والثانية يتيح لهذا السارق شراء كمّ كبير من هذه المسروقات(2). كما أنّه روى تعرضه لموقف مضحك سببه مفارقة عجيبة هي اختلاف أسماء الفاكهة بين المشرق والمغرب، فقد ضحكت إحدى السيدات بالقرب من مكان جلوسه عندما طلب من النادل إحضار تين، وتبيّن أنّ سبب ذلك هو كلمة (تين)، يقول:

" وبعد الغداء سألت الأستاذ القباج ألا توجد لديهم فواكه كالبرتقال والموز والتين وما شابه، أو الحلويات فضحك والتفت يميناً وشمالاً وقال انظر لقد سمعتك إحدى المغربيات وها هي تغالب الضحك، إنّ التين بالعاميّة ما يخص المرأة لأن التين اسمه في المغرب كرموس والبرتقال اسمه ليمون.."(3).

ـ الأسئلة البريئة: كثيراً ما يصادف المسافر أموراً غريبة لا يستطيع تفسيرها، فترسخ في ذهنه، ومثل هذا حدث مع السقّاف، فكان يتساءل عن سبب كون الرباط ـ وتعداد سكانها أربعمئة ألف نسمة ـ عاصمةً للمغرب في حي أنّ الدار البيضاء هي مدينةٌ عظيمة، وتعداد سكانها يفوق المليونين؛ يقول:

" وما زلت أجهل السبب الذي حال دون أن تكون الدار البيضاء عاصمة للمغربة بالرغم من جمالها واتساعها وكثرة سكانها وضخامة عماراتها، فلقد علمت أن سكان الدار البيضاء يتجاوزون المليونين، وهي دون شك العاصمة التجارية للبلاد وهم يسمونها كذلك"(4).

---

(1) السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان، مجلة البيان، ص9، مصدر سابق.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص9.

(3) السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان4، مجلة البيان، ص7، المصدر السابق.

(4) السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان2، مجلة البيان، ص10، المصدر السابق.

ومن ذلك أيضاً حديثه مع مستضيفه المغربي عن سبب استخدام كلمة (قضيب) للّحم المشويّ بدلا من استخدام (شيش أو سفود)، وقد رأى أن الكلمة لا تشي بغرض الاستعمال هنا، رغم أنها عربيّة فصيحة؛ يقول:

"... وكلّما انتهى أحدنا من السفود الذي امامه صاح أحد الاخوة المغاربة في الندل الواقفين أين القضبان؟! وسألت الصديق العزيز الأستاذ عبد الكريم علاب لماذا تسمون السفود أو (شيش الكباب) قضيباً؟! فردّ بحماسة إنّه قضيب فعلاً!! ألا ترى أنّه قضيبٌ من حديد ثمّ إنّ لفظة شيش لفظة غير فصيحة؟ فقلت له والسفود أليست عربية فصيحة وهي خاصّة بهذا المعنى؟ فقال ولكنكم لا تستعملونها وإنّما تستعملون لفظة شيش وهي عاميّة!.."(1).

لم يكد ينته السقّاف من رحلته إلى المغرب، حتّى بدأت رحلة العودة، وكانت رحلةً طويلةً سافر خلالها إلى الجزائر، حيث مكث فيها ثلاث ليالٍ لم يُغفل فيها أيضاً الحديث عن الجزائر، من خلال تسجيل الوصف والانطباعات، ثمّ سافر إلى لندن وحضر أيضاً مناسبة تغيير الحرس الملكي أمام قصر بكنغهام؛ قبل أن يعود إلى الكويت(2).

تمثّلُ هذه المقالة الطويلة أنموذجاً لمقالة تصوير الرحلات، إذ قدّم السقّاف من خلالها مادةً غنيّة ثريّة، فقد سجّل مشاهداته وانطباعاته عن تلك المشاهدات، وعمل على البحث عن الحقائق وراءها، وسجل بعض الأحاديث والطرف والمفارقات وأكثر من الاهتمام بالملاحظات اللغويّة حتّى رسم صورةً واضحةً للمغرب في ذلك الحين. ورغم أنّ السقّاف كان كثير الأسفار فإنّه لم يكتب في الرحلات كثيراً، وثمّة مقالة أخرى كتبها على حلقات تدخل في هذا النوع؛ كان موضوعها رحلاته إلى اليمن، وكانت أيضاً ضمن مهمّات رسميّة كُلّف بها وهذه المقالات؛ اليمن الجنوبي يجدّ في البحث عن البترول، ومصنع ذو شأن هو بداية لثورة صناعيّة في اليمن، واليمن عود على بدء، وعن اليمن أيضاً، وكان قد نشرها في مجلة البيان(3).

---

(1) المصدر السابق، ص11.

(2) ينظر: السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان الحلقة الأخيرة، مجلة البيان، ص 44، مصدر سابق.

(3) هي الأعداد 39 و40 و41و42 عام 1969من مجلة البيان.

3- المقالة التأمّليّة:

من أنواع المقالة الذاتية التي جرّبها السقاف؛ المقالةُ التأمّليّة، وهي كما يرى نجم "تعرض لمشكلات الحياة والكون والنفس الإنسانيّة، وتحاول أن تدرسها درساً لا يتقيّد بمنهج الفلسفة ونظامها المنطقيّ، بل تكتفي بوجهة نظر الكاتب وتفسيره الخاصّ للظواهر التي تحيط به"(1). "وقد اشتهرت المدرسة المصرية في كتابة المقالة بتلوين المشكلات الاجتماعيّة تلويناً تأمّلياً"(2)، ولذلك فالمقصود هنا تلك المقالة التي تحمل بعض سمات المقالة التأمّلية أو (التلوين التأمّلي) على حد وصف نجم. وتتميّز المقالة التأمليّة بالنظر والفكر الثاقبين، والحكمة، والتعبير الفنّي المحكم، ويبدو فيها استبطان جميع الأشياء واستنطاق حكمة الأيام.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا النوع من المقالة عند السقاف يحمل طابعً تأمليّاً بسيطاً، وننبّه إلى ضرورة عدم مقارنتها بالمقالة التأمليّة الناضجة؛ كما تبدو مثلاً عند ميخائيل نعيمة، إذ أنّ نعيمة صاحب تجربة، كما أنّه أحد روّاد النزعةٍ التأمّليّة في الأدب العربيّ المعاصر، وموضوعاته في غاية العمق والتجريد، في هذه النوع من المقالة، وقد رأى نجم أن المقالة المصرية التأملية لم تبلغ في عمقها مبلغ المقالة التأمّلية لميخائيل نعيمة(3).

إنّ القارئ لمقالة السقّاف يخيّل إليه أنّ لا قضية في الحياة سوى هذا الهمّ القوميّ؛ على تنوّع موضوعاته النظريّة والواقعيّة. بل إنّ المقالة التي تبدو من خلال عنوانها تأمّلية، نراها وقد جُيّرت لصالح همّه القوميّ.

عند استقراء مقالات السقّاف نعثر على مقالة الأنانيّة في الأفراد والشعوب(4)، التي ناقش من خلالها مفهوم الأنانية، منطلقاً من وجهة نظر خاصّة، إذ ربط بين أنانيّة الأفراد، والأنانية التي تطغى على شعوبٍ بعينهم، ففي مقدّمة المقالة؛ قال:

---

(1) نجم، محمد يوسف ـ فن المقالة ص118، مرجع سابق.

(2) المرجع السابق، ص118.

(3) ينظر: نجم، محمد يوسف ـ فن المقالة ص118، مرجع سابق.

(4) السقاف، أحمد ـ الأنانية في الأفراد والشعوب، مجلة الإيمان، الكويت، ص151.

"الأنانيّة داءٌ عضال، ما أصيب بها إنسان إلا وأوردته موارد الشقاء، وما ابتلي بها شعب إلا وجلب على نفسه العداء والمقت والازدراء. وهذا الداء المخيف لا سبيل إلى مكافحته والحد من آفاته وأخطاره إلا بالعلم والتوجيه الصالح الصارم، وهذا التوجيه يجب أن يركّز نحو الناشئة لتشبّ متحررة من ربقة الانانيّة البغيضة"(1).

ولعلّه كان يتأمّل في بعض هموم الحياة، فقادته تداعياته إلى موقفه هذا، فهو ينشد الوصول إلى مجتمعٍ إنسانيّ كريم؛ ويرى أنّ الوصول إليه ميسورٌ لو تحقّق التوجيه السليم للناشئة. وبنظرةٍ مثاليّة يرى أنّ:

" المجتمع ما هو إلّا مجموع أفراد إن كانوا ــ فرادى ــ صالحين كان المجتمع بأسره صالحاً، وإنّ شبّ كلّ واحدٍ من أفراد المجتمع وهو يحمل في كريّات دمه ميكروب الأنانيّة المخرّبة فقل على ذلك المجتمع أو الشعب السلام والعفاء."(2).

وعندما بحث عن الدليل على ما يذهب إليه، وما تجرّه الأنانيّة على الشعوب من كوارث وويلات؛ رأى أن سببها في القادة الأنانيين، الذين يندفعون بحب الذات والسعي نحو كلّ مغنم، ومنع كلّ سعادة وخير عن الآخرين، ثمّ ضرب مثلاً عن العبرانيين في التاريخ، يقول:

" فالمتتبع لتاريخ العبرانيين يدرك ما جرّته الأنانيّة على هذه الطائفة من محن وأرزاء؛ فلقد حصر العبرانيون كلّ اهتمامهم في تصيّد المال، والعمل على ابتزازه من كل الشعوب المجاورة لهم لينعموا بالسعادة، ويلذّوا بالطيبات من ملذّات الحياة، فكانوا مثالاً لأقذر ما تكون عليه الأمثلة للأنانيّة وحب الذات، والسعي وراء المادة بأحطّ الأساليب، وأسفل الوساطات، والعمل على زيادة مشاكل الشعوب المجاورة كالآراميين والفينيقيين والبابيليين والآشوريين وسكان وادي النيل (....) ولهذه الروح الشريرة المريضة الناضحة بالعداء للبشريّة جمعاء سُحقت دولة العبرانيين قبل أن تعيش أمداً طويلاً وصبّ عليها اللعنات كافةُ الشعوب المجاورة لها ممن ابتلوا بأنانيّتها وكرهها لكلّ سعادةٍ وخير حظي بهما غير بني إسرائيل(3)".

ثمّ عاد للحديث عن الأنانيّة في الأفراد، ورأى أنّ سببها الجهل المطبق والاندفاع الأعمى وراء المادة، وضرب بعض الأمثلة عن أشكال الأنانية في الأفراد؛ مستعينا بالاستعارة والمجاز يقول:

---

(1) المصدر السابق، ص151.

(2) السقاف، أحمد ـ الأنانية في الأفراد والشعوب، مجلة الإيمان، ص151، مصدر سابق.

(3) المصدر السابق، ص151.

"ولكن الرجل الواعي يأبى أن يبيع نفس، ويصبح أسيراً للدراهم يجمعها ويكثّرها وينميها كما فعل الصبيان يلعبون بصدف البحر أو حصى الصحراء دون أن ينالوا مما جمعوا ثناء الناس وحبّهم والتغنّي بأيديهم الكريمة المبسوطة في كلّ مكرمة، والوهّابة لكل مشروع جليل"(1).

ليست المقالة في الواقع إلا مجموعةً من التداعيات والتأملات في مشكلة من مشاكل الحياة، عالجها السقّاف وفق وجهة نظر خاصّة، وقد حمّلها البعد القوميّ من خلال حديثه عن أنانيّة العبريين، ولربّما أراد أن يُقرأ أيضاً ما بين السطور، وهو ضرورة التكاتف والتلاحم بين العرب وأن يكفّ القادة عن أنانيّاتهم، وأن ينظروا إلى مصالح شعوبهم. ومن أجل التأكيد على الطابع التأمّليّ لهذه المقالة يمكن النظر لبيت الشعر الذي أورده لأحد الشعراء(2):

ومَنْ يَتَقَلَّبْ فِيْ النَعيْمِ شَقَى بِهِ إذا كانَ مَن آخاه غيرَ مُنعّمِ

.

ثمّ ينتقل إلى بيتين للشاعر المعري الذي يصفه بالشاعر الإنساني(3):

ولو أنّي حُبِيْتُ الخُلْدَ فَرْدَاً . لَمَا أحبَبْتُ بالخُلْدِ انْفِرَادَا

فلا هَطَلَتْ عَليّ ولا بِأرْضِي . سَحَائِبُ لَيْسَ تَنْتَظِمُ البِلَادَا

.

يقول:" ويبقى هذا المعنى غامضاً غير مفهوم حتّى تُصقل النفوس وتُهذّب الطبائع، ويعود من مسخته الأنانيّة إلى عروبته الحافلة بجميع معاني السمو والتهذيب والكمال، فيصبح إنساناً مع بيته وعائلته وأسرته ومجتمعه، فيسعد بالحياة، ويدرك من أسرارها الشيء الكثير."(4).

---

(1) السقاف، أحمد ـ الأنانية في الأفراد والشعوب، مجلة الإيمان، ص151، مصدر سابق.

(2)المصدر السابق، ص151.

(3) المصدر السابق، ص153.

(4) المصدر السابق، ص151.

وفي الواقع فإنّ اختياره لهذا الشاهد، يؤكد على طبيعة المقالة، ويدعو من خلالها إلى التفكّر والتدبّر.

في مقالةٍ أخرى حملت عنوان، أيّها الأقصى الحبيب(1)، التي تبدو من خلال عنوانها وكأنّها رسالة بوحٍ ومناجاة للأقصى، ولكنها في الحقيقة هي تجسّدٌ حقيقي للألم الذي يخنق السقّاف وتفكيرٌ وبهذا الألم ومسبّباته، وقد ظهر بصورة مناجاةٍ للمسجد الأقصى، والمقالة تحمل بين سطورها تأمّلات متنوعة لصور الغصص، والعجز، والذلّ، الذي تعرّض له العرب في هذه الحقبة، وما دفعنا لاختيار هذه المقالة ضمن هذا التصنيف، هو إغراقها بالذاتيّة، التي هي بطبيعة الحال صِبغة المقالة التأمليّة الأساسيّة. وذاتيته تلك تعلن عن نفسها منذ البداية، يقول في المقدّمة:

" أيّة كلماتٍ تستطيع أن تطلب منك الصفح والمغفرة؟! ذنبنا عظيمٌ عظيم؛ لا تمحوه الكلمات ولا القصائد ولا التظاهرات ولا الإضرابات !! أنت تعلم أيّها الأقصى الحبيب ــ كما يعلم العالم ــ كلّه أنّنا قادرون على إنقاذك؛ فكيف نستطيع أن نخدعك بالتقرّب إليك بخطبنا وقصائدنا وتظاهراتنا وإضراباتنا؟! ذنبنا عظيمٌ في حقّك، وذنبنا عظيمٌ في حقّ أجدادنا وفتوحاتنا وأمجادنا، وذنبنا عظيمٌ في حقّ أنفسنا، وفي حقّ الأبناء والأحفاد، فنحن اليوم في نظر التاريخ صخبٌ لا يؤثر في التاريخ، ونحن اليوم في نظر الأمم غثاءٌ كغثاء السيل(2) ".

(1) السقّاف، أحمد ـ أيّها الأقصى الحبيب، مجلة البيان، ص4. مصدر سابق.

(2) ينظر: السقّاف، أحمد ـ أيّها الأقصى الحبيب، مجلة البيان، ص4. مصدر سابق.

لقد جاءت هذه المقالة أمام شعورٍ عارمٍ بالعجز والأسى، ولعلّها لحظة يأس أفاضت في نفسه مشاعر مضطرمة، أذكاها تذكّره لحادثة إحراق المسجد الأقصى(1)، وأمام عجز العرب عن فعل أيّ شيءٍ يشعر السقّاف شعوراً حادّاً بالمرارة، ولا شكّ أن كلماته وعباراته جاءت لتعبّر عن عميق ألمه، فهو رجل مؤدلجٌ بمثاليّة راقيّة، ولا يستطيع مثله التعامل مع الأحداث مهما كبرت أو صغرت إلا بعنفوانٍ وإحساسٍ كبيرٍ، لقد قادته هذه الجريمة الشنعاء إلى التأمل بالحاضر العربيّ المأسويّ، والمستقبل الضبابيّ والماضي المشرق، والتأمّل الشديد بعجز العرب، ومحاولة تفسيره رغم ضخامة الإمكانيّات وسهولة الهدف، فالعرب ليس لديهم من فعلٍ أمام هذه الجريمة النكراء، وغيرها من جرائم يوميّة ترتكب بحقّهم؛ غير الخطب، والقصائد، والتظاهرات، والمسيرات، والبيانات الفارغة، والتصريحات المُجلجلة، يقول :

" ونظرت إلينا وأنت محترقٌ، وكأنّك تقول: حسبكم هذا الجهد؛ فالنجدة ليست لديكم، وإن كانت من شيم أجدادكم، فانعموا بما أنتم فيه من نعمٍ ولذاذاتٍ؛ فإنّها كلّ اهتماماتكم ومنتهى شموخكم وطموحاتكم!!(2)".

ومناسبة هذه المقالة، كانت بسبب اقتحام جندي صهيوني لباحة المسجد الأقصى من باب الغوانمة، ويدعى هاري غودمان، وقد قام بإطلاق النار بشكلٍ عشوائيّ، ممّا تسبّب بقتل حارس المسجد وجرح أربعة وأربعين آخرين(3). ولا تبدو هذه الحادثة عظيمة من حيث النتائج، إنّما فداحتها تكمن في أنّها تأتي ضمن سلسلةٍ من الجرائم، التي قام بها الصهاينة ضدّ الفلسطينيين والمسجد الأقصى بشكلٍ خاصّ، ولم تتعدَ ردود الفعل العربية الرسميّة بيانات الإنكار والشجب، كما لم تتجاوز ردود الفعل الشعبيّة المسيرات والمظاهرات، والخطب الحماسيّة،

---

(1) في 18 آب (أغسطس) 1969م تذكر المصادر أنّ 25 شاباً يهوديا قاموا بزيارة إلى حائط البراق ومارسوا شعائرهم إلى أن قام قائدهم بإلقاء كلمة قال فيها إن أقدامهم تقف عند أطهر مكان يهودي والذي يرى فيه مركزاً للامّة اليهوديّة جمعاء، فثار حماسهم وقاموا خلال ذلك بإحراق المسجد الأقصى، وقد اعتقلت سلطات الاحتلال نصرانيا متصهين أسترالي الجنسية اسمه «دنيس مايكل روهان» جاء فلسطين للسياحة، بتهمة إشعال النار في المسجد القبلي من المسجد الأقصى، والتهم الحريق أجزاءً مهمة منه، ولم يأت على جميعه، ولكن احترق منبر نور الدين زنكي. استطاع الفلسطينيون إنقاذ بقية المسجد فلم تأكله النار، وقد ألقى جيش الاحتلال القبض على الجاني، وادعى أنه مجنون، وتم ترحيله إلى أستراليا؛ ومازال يعيش حتى الآن في أستراليا وليس عليه أي أثر للجنون أو غيره. ينظر: هزايمة، محمد عوض ـ القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، دار الحامد الأردن ط1/2011 ص 267 وما بعدها.

(2) السقّاف، أحمد ـ أيّها الأقصى الحبيب، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(3) ينظر: هزايمة، محمد عوض ـ القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، ص 270.

وهذا ما فاقم شعور السقّاف بالعجز، وانعدام الحيلة والجدوى، فالصخب الذي وصف به الجماهير العربيّة، هو الحقيقة بعينها، فهم الضجيج الذي لا يُغني ولا يسمن، ولا يعبّر عن عملٍ بنّاء ولا يؤدي إلى نتيجة.

يمكن أن نضيف مقالتي النازحون(1)، وفيم يتحدّثون(2)، ضمن هذا النوع، ولنسمّه مقالة ذاتيّة بطابعٍ تأمّليّ، ومن الملاحظ ارتباط هذه المقالات بالهمّ القوميّ الذي تحوّل عند السقّاف إلى هاجس وقضيّة تستحق التأمّل.

ثانياً: المقالة الموضوعيّة وأنواعها

1: المقالة النقديّة

تعالج المقالة النقدية موضوعاتها في حقول الأدب والفنّ، وهي ثمرة من ثمرات ظهور المجلات الأدبيّة في العالم، وتعتمد على قدرة الكاتب على تذوّق الأثر الأدبيّ، ثمّ تعليل الأحكام وتفسيرها وتقويم الأثر بشكلٍ عام. وعلى الرغم من أنّ السقّاف كان رجلاً موسوعياً لغةً وأدباً، إلا أنّنا لا نراه في مقالاته مهتمّاً بالمقالة الّتي من هذا النوع كثيراً، ولعلّه لم يخطّط لأنْ يكون ناقداً، فمن خلال اهتمامه بالشعر والأدب اكتفى بأن يكون شاعراً أديباً، كما أنّه كان رجلاً متعدّد الاهتمامات في المقالة، وقد كتب هذا النوع من المقالة على كلّ حال في بضع مناسبات، ومن هذه المقالات شعراء في محراب الجمال(3)، وصفحات من التراث ـ مالك بن الريب(4)، ومجموعة مقالات أخرى فيها تعريف ببعض الشعراء وأشعارهم، كـ النميري(5)، وعلي بن الجهم(6) وأبو نواس(7)، حيث كان المهم عرض الشعر لا نقده في هذه الثلاثة الأخيرة، أما مقالته الأدبيّة الأولى الجادّة فقد جاءت بعنوان، شعر الديارات(8)، وقد ثنّى على هذه المقالة بأخرى بعد فترة جاءت بعنوان شعر الديارات عودٌ على بدء(9).

---

(1) السقّاف، أحمد ـ النازحون، مجلة الإيمان، ص 77، مصدر سابق.

(2) السقاف، أحمد ـ فيم يتحدّثون، مجلة كاظمة، ع8 فبراير 1949 ص273.

(3) السقاف، أحمد ـ شعراء في محراب الجمال، مجلة البيان ع300، يوليو 1995، ص187.

(4) السقاف، أحمد ـ صفحات من التراث، مالك بن الريب، مجلة البيان ع308، مارس 1996، ص80.

(5) السقاف، أحمد ـ النميري، مجلة البيان، ع314، سبتمبر 1996، ص106.

(6) السقاف، أحمد ـ علي بن الجهم، مجلة البيان، ع336-337، يوليو 1989، ص47.

(7) السقاف، أحمد أبو نواس ـ مجلة البيان، ع343، فبراير 1999، ص4.

(8) السقّاف، أحمد ـ شعر الديارات، مجلة العربي، ص 28، مصدر سابق.

(9) السقاف، أحمد ـ شعر الديارات عود على بدء، مجلة العربي، ص 16، مصدر سابق.

والديارات كما يقول السقّاف هي جمع دير، وقد استخدمها عنواناً لمقالتيه وكتابه فيما بعد عن الشعراء الذي كانوا يرتادون الأديرة النصرانيّة، وأشعارهم فيها في العصر العباسيّ، وقد وجد في هذه المقالة، وفي دراسته بشكلٍ عام أنّ شعر الديارات من أجمل الشعر وأعذبه، يقول:

"كانت هذه الديارات ملاذا ومنتجعاً لكثيرٍ من أعلام اللغة والأدب، ومطّرحا لكثيرٍ من الشعراء، أولئك الذين يقصدونها للشرب والقصف واللهو بعيداً عن التزمت والفضول. مع المنادمة الرفيعة التي لا تخلو من علمٍ وأدب وطرف وحكايات. ولقد ...استوحى الشعراء من أيامهم التي يقضونها في الديارات أرقّ الشعر وأحسنه وأعذبه"(1).

لم يتّخذ السقّاف منهجاً نقدياً واضحاً في هذه المقالة، بل اكتفى بتسجيل بعض الآراء الانطباعيّة عن هذا الشعر؛ بعد أنْ قدّم لمجموعة من الشعراء عُرفوا بارتيادهم للأديرة، فترجم لهم بشكلٍ سريعٍ، وكان بينهم المغمورون، ثمّ انتقى لهم بعض المقطّعات، وسجّل ملاحظاتٍ قليلةً عليها. فتحت عنوانٍ فرعيّ، كشاجم يدعو إلى زيارة دير بالأنبار، يقول:

" وشعر الديارات بالإضافة إلى كونه في جملته شعراً عبّاسياً، فهو شعر حياةٍ خاصّة، فالشاعر الذي يقصد الدير لقضاء يومٍ أو بضعة أيّام؟ يعيش حياةً متحرّرة من كثرة القيود، فهو يناظر ويجادل كما يحلو له أن يناظر ويجادل، وهو يقصف ويطارح كما يحلو له أن يقصف ويطارح، وهو بعد ذلك يقول من الشعر ما يشاء، وكما يطيب له أن يقول. فهذا كشاجم يدعو صاحبه إلى زيارة ديرٍ بالأنبار فيقول له:

---

(1) السقّاف، أحمد ـ شعر الديارات، مجلة العربي، ص 28، مصدر سابق.

اغْدُ يا صاحِبي إلى الأنْبَارِ ... تشْرَب الراحَ في شَبَابِ النَهَارِ
واعْمُرِ العُمْر(1) باللَذَاذَاتِ والقـصـ ... ـــــفِ وحَيْثُ الكُؤُوْسِ وَالأَوْتَارِ
مَا ترى الدهر قد أتاك بوجهٍ ... طلقٍ بعد نبوةٍ وازورار
..... وكَأنَّ ....
البَنَفْسَجَ الغَضَّ فِيْهَا ... أَثَرُ الْقَرْصِ في خُدُوْدِ الجَوَارِيْ
أُقْحُوَانٌ وَسَوْسَنٌ حَسَنُ النُو ... رِ وشِيْحٌ مُنَمْنَمٌ مَعْ بَهَارِ
فَاغْتَنِمْ غَفْلَةَ الزَمَانِ وَبَادِرْ . ... وافْتَرِصْ لَذَّةَ اللَيَالِيْ القِصَارِ
.

إنّها لوحة رسّامٍ ماهر، رسم فأجاد، ورغّب صاحبه في زيارة الدير للاستمتاع باللذاذات واللهو فعرف كيف يرغّبه في هذه الزيارة، ووصف حدائق الدير فأحسن وأبدع، حتّى ليخيّل للمرء وهو يقرأ القطعة الجميلة أنّه يشمّ حقّاً أريج هذه الورود والأزهار.(2)"

سار السقّاف في المقالة؛ على مثل هذا المنوال حتى نهايتها: يختار الشاعر(3)، ويقدّم للفِقرة، ثمّ يثبت ما اختاره من شعرٍ، وينهي الفقرة بأن يضع رأيه فيها، دون أن يغفل عن الترجمة كلّما اقتضى الأمر ذلك؛ مزوّداً حاشيته بالشرح لغريب الكلمات، ومُعلّقاً أحياناً، وهو يسير في ذلك على منهج الدراسة الأدبيّة(4).

(1) العُمْر بضم الأول وسكون الثاني هو الدير. نقلاً عن السقاف في حاشية المقالة ذاتها، ينظر: السقّاف، أحمد ـ شعر الديارات، مجلة العربي، ص 28، مصدر سابق.

(2) ينظر: السقّاف، أحمد ـ شعر الديارات، مجلة العربي، ص 28، مصدر سابق.

(3) قدّم السقاف في هذه المقالات مقطّعات لـ كشاجم وابن المعتز وابن الحدّاد المغربيّ، وأسير دير مران، وابن الشبل البغداديّ، وابن الربيع، وأبي العيناء.

(4) ورغم ذلك لا نغفل في هذا المضمار هفوة كبيرة وقع فيها السقّاف ولم يتداركها في مقالته الثانية، وهي أنّه عندما تحدّث عن ابن المعتز وشعره في الديارات استشهد له بالموشح المشهور (أيّها الساقي إليك المشتكى) وقد ثبّته كاملاً، والموشّح كما هو معروف لابن زهر الإشبيلي الأندلسي، وإن كان ثمّة تنازع على نسبة هذا الموشّح فالأولى نسبته لبيئته الأندلسية ـ وهو موشّح ـ لا إلى البيئة العراقية التي لم تعرف الموشح في ذلك الوقت، كما انّ ابن المعتز لم يعرف عنه الاهتمام بالموشّحات. في الواقع هنالك من المصنّفين من ينسب الموشح لابن المعتز لكن كثيرا من المصنفات القديمة نسبت هذا الموشح لابن زهر وهو الصحيح وكان حريّاً بالسقّاف أن يتحرى عن الموضوع أو يذكر شبهة النسبة.

في مقالته الثانية عن شعر الديارات(1)، قال السقّاف في المقدّمة: إنّه شعر أنّه أوجز جداً في مقالته السابقة، ولذلك فقد ارتأى أن يتابع في الموضوع، وقد تابع السقّاف في هذه المقالة على منوال مقالته الأولى، ومن الملاحظ أنّه كان قد فطن لبعض هفواته في المقالة الأولى، فأراد الضبط والمعالجة، ومن ذلك أنّه فسّر اختياره لجمع "ديارات" وثبّته في الحاشية، يقول:

" (1) الدِّيارات: بتشديد الدال وكسرها ثمّ ياء مفتوحة دون تشديد مقرونة بألف مد، جمع دير، وأظنّه جمعاً غير مألوف أطلقه، بعضهم في العصر العباسيّ أو أن يكونوا قد اعتبروا الدير داراً فيكون الجمع المذكور صحيحاً.(2)".

وكان ينبغي للسقّاف أن يذكر هذا الأمر في مقالته الأولى. وفي الواقع فقد كشف السقّاف من خلال مختاراته في المقالتين السابقتين عن ذائقة أدبيّة، وعرف كيف ينتقي أرقّ الشعر وأعذبه، كما أنّه تكبّد عناء البحث في أمّهات الكتب، إذ إنّ معظم من اختار لهم من الشعراء، هم من المغمورين، كما كان له السبق والأوليّة في التنبيه إلى هذا الشعر، ودراسته وجمعِه؛ إذ جمعه في كتاب حمل اسم الأوراق في شعر الديارات، ثمّ عدّل الاسم في طبعاتٍ أخرى إلى شعر الديارات النصرانيّة(3).

في مقالةٍ أخرى بعنوان، كلمة يجب أن تكتب(4)، وكانت بمناسبة إعادة انتخابه رئيساٍ لرابطة الأدباء الكويتيين؛ فقد شكر زملاءه الأدباء على ثقتّهم في المقدّمة، ثمّ طالبهم بالتزام قضايا الأمّة المصيريّة، وذكّرهم بوجوب أن يكونوا أوّل من يتابع الأحداث التي تمرّ بها الأمّة، فكانت مقالته وهي عبارة عن صفحتين، تذكيراً برسالة الأديب ووجوب التزامه بقضايا أمّته، مستشهداً بقصّة زيارة أحمد شوقي إلى دمشق وقصيدتيه فيها، يقول:

"قُمْ نَاجِ جُلّقَ وَانْشُدْ رَسْمَ مَنْ بَانُوْا مَشَتْ عَلَى الرَسْمِ أَحْدَاثٌ وَأَزْمَانُ

(1) قدّم في هذه المقالة مقطعات لابن هاشم الموصلي، وابن المزرّع، والحسن بن هانئ أبي نواس، وابن عاصم المصري، والسرّاج الورّاق، وخالد بن يزيد.

(2) السقاف، أحمد ـ شعر الديارات عود على بدء، مجلة العربي، ص 16، مصدر سابق.

(3) ينظر: محفوظ، حافظ ـ أقلام خليجيّة ص59، مرجع سابق.

(4) السقّاف، أحمد ـ كلمة يجب أن تكتب، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

قد ألهبت صدور الشاميين فخرجت المظاهرات الصاخبة، واندلعت المواجهات مع الفرنسيين، حتّى اضطُرت فرنسا لقصف دمشق بالمدافع لإخمادها، وكان شوقي قد عاد للقاهرة وسمع تلك الأحداث المؤسفة فقال قصيدته الثانية:

سَلَامٌ مِنْ صَبَا بَرَدَى أَرَقُّ وَدَمْعٌ لَا يُكَفْكَفُ يَا دِمَشْقُ (1)

وخير ما يعبّر عن مقولته في هذه المقالة هو الخاتمة التي جاء فيها:

" إنّ قضية الأدب ستبقى في كل زمانٍ ومكان المقياس الحقّ لوعي كلّ شعبٍ من شعوب الأرض، ويخطئ من يعتقد أن قضيّة الأدب قضيّةٌ سهلةٌ يستطيع أن يضعها جنباً إلى جنب مع أيّة قضيّة أخرى. فقضية الأدب صعبةٌ إلى أبعد حدود الصعوبة، ذلك أن بمقدور أيّ شعبٍ من الشعوب أن يتباهى بما أحرز من تقدّم أو تفوّق بكل يسر بعد توافر الأسباب، غير أنّه لا يستطيع أن يدعي أن لديه أدباً ذا شأن ما لم يكن هذا الأدب قد جادت به العناية الإلهيّة بعد مخاض حضاريّ طويل.(2)".

فقد أراد القول إنّ الأدب هو المقياس الحقيقيّ للحضارة، ولا يكون الأدب كذلك إلاّ بقدر التزامه بقضايا الأمّة، وهو رأي نقديّ يمكن القول: إنّه ينتمي إلى المدرسة الواقعيّة في النقد الأدب.

وبعد، فقد كتب السقّاف المقالة النقدية في عدّة مناسبات، إنّما كانت مجرّد تجارب بسيطة لم تتخطَّ حدود النقد الانطباعي بشكلٍ عام، وبث بعض أفكار النقد الواقعيّ في المقالة الثانية.

(1) المصدر السابق، ص4.

(2) السقّاف، أحمد ـ كلمة يجب أن تكتب، مجلة البيان، ص5، مصدر سابق.

2: مقالة العلوم الاجتماعيّة

"وهي تعرض لشؤون السياسة والاقتصاد والاجتماع وأحوال المجتمع"(1)، عرضاً موضوعيّاً "يعتمد على الإحصاء والمقارنة والتحليل والتعليل والتنبّؤ"(2). ولعلّه من الأفضل إضافة المقالة التاريخية تحت هذا العنوان، كون التاريخ لا يخرج عن إطار العلوم الاجتماعيّة. والمقالة التاريخية هي التي "تعتمد على جمع الروايات والأخبار والحقائق، وتمحيصها وتنسيقها وعرضها، ويتّجه فيها الكاتب اتجاهاً موضوعيّاً صرفا تتوارى فيه شخصيّته"(3).

وقد اقتصرت مقالة العلوم الاجتماعية عند السقاف حقيقةً على المقالة التاريخيّة، والمقالة السياسيّة، بيد أن الدراسة ارتأت تناول المقالة التاريخيّة في هذا النوع، في حين أرجئ تناول المقالة السياسيةّ لمبحث المقالة الصحفيّة.

3: المقالة التاريخيّة

كتب السقّاف في المقالة التاريخيّة، وأسهب فيها، ويمكن القول عن مقالاته في هذا الموضوع إنّها كانت جادّة، وكانت موضوعات هذه المقالات في جميع المحاولات، تنسجم مع عقيدته وإيمانه بالعروبة والقوميّة، ولذلك جاءت مقالة مع أروى الصليحيّة والصليحيين(4)، محاولةً لإلقاء الضوء على فترة هامّة من تاريخ اليمن؛ ربّما تكون غائبة عن كثيرٍ من القراء، وتمثّل هذه المقالة نموذجاً مثالياً للمقالة التاريخيّة، في حين أنّه كتب مقالاتٍ أخرى تبدو من خلال عنواناتها أنّها تاريخيّة لكن عند المتابعة في قراءتها نجدها وقد انحرفت عنها بسبب رغبة السقّاف في توظيف التاريخ لفهم الواقع والأحداث المعاصرة، كما حدث في مقالة في هموم ميمون القدّاح(5)، التي وظّفها لإبراز دور (الشعوبيّة الفارسيّة) في عدوانها على العالم العربيّ، وحرب الخليج الأولى قائمةٌ، أما مقالة الجمعيات العربيّة والخلاص من الأتراك(6)،

---

(1) أبو ذكرى، السيد مرسي ـ المقال وتطوره في الأدب المعاصر ص79، مرجع سابق.

(2) نجم، محمد يوسف ـ فن المقالة، ص 133، مرجع سابق.

(3) المرجع السابق، ص133.

(4) السقّاف، أحمد ـ مع أروى الصليحيّة والصليحيين، مجلة البيان، ص8، مصدر سابق.

(5) السقّاف، أحمد ـ في هموم ميمون القدّاح، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(6) السقّاف، أحمد ـ الجمعيّات العربيّة والخلاص من الاتراك، مجلة البيان، ص 4، مصدر سابق.

فقد تخلت عن موضوعها التاريخيّ لتظهر في النهاية سياسيّة فتحوّلت للحديث عن القوميّة العربيّة في مواجهة الأطماع الفارسيّة، فيما جاءت مقالة انحراف الخلافة العثمانيّة ودور الرواد(1)، أقرب لأن تكون نزاليّة، وغلب عليها الطابع الذاتي، ويبدو أن نزعة السقّاف القوميّة، وعقيدته في العروبة كانت تفسد عليه المضيّ في المقالة التاريخيّة، بشكلٍ موضوعيّ.

ففي مقالته، مع أروى الصليحيّة والصليحيين، أشار السقّاف في مقدّمة المقالة إلى أنّ بعضَ الأشخاص كان قد طلب منه أن يكتب عن الملكة أروى بعد أن ألمح إليها في مقالةٍ سابقة، ويبدو أنّ هذه الإشارة ترتبط بمقالة سابقة عن اليمن. وينهج السقّاف في هذه المقالة منهجاً موضوعيّاً محكماً كما تكون المقالة التاريخيّة، فالمقالة تتكوّن من مقدّمة ومتنٍ وخاتمة، وقد بدأ بمقدّمة طويلة واضحة عن الصليحيين وكيف وصلت هذه الأسرة لحكم اليمن، وقد اضطر من أجل ذلك أن يدخل في بعض التفصيلات التاريخيّة والسرد، والواقع أنّ تلك الفترة التاريخيّة كانت معقّدة للغاية، وقد قاده الحديث عن الصليحيين أتباع الدعوة الإسماعيليّة إلى تناول الصراع بين الزيديين والإسماعيليين قبل مجيء الأسرة الصليحيّة، كما تطرّق للدعوة القرمطيّة، والدعوة الفاطميّة، اللتان تشتركان مع الدعوة الإسماعيليّة عقدياً، ويتابع السقّاف في سرد الأحداث، ليتوّج مقدّمته بظهور الأسرة الصليحيّة. بعد هذه المقدّمة الطويلة تابع السقّاف عرضه التاريخيّ مقسّما المقالة إلى مقاطع فكريّة معنونةً لتشي بدقّة بحثه، وعنايته في سرد الحدث، وهذه العنوانات جاءت بشكلٍ متتالٍ ينسجم تاريخيّا مع الحدث وهي: "ظهور الصليحيين على مسرح الأحداث، ثمّ اليمن تنهض لقتال الصليحيّ، ثمّ مقتل الصليحيّ على أيدي الأحباش، ثمّ أحمد المكرّم يخلف أباه ويتلقّى كتاباً غريباً من أمّه، ثمّ الملكة أروى، ثمّ الملكة أروى تطلب مستشاراً من القاهرة"(2).

(1) السقّاف، أحمد ـ انحراف الخلافة العثمانية ودور الرواد، مجلة البيان، ص 4، مصدر سابق.

(2) السقّاف، أحمد ـ مع أروى الصليحيّة والصليحيين، مجلة البيان، ص8، مصدر سابق.

لقد ناقش السقّاف في هذه المقالة فترة تاريخية طويلة نسبياً تمتدّ من العام 269 هـ حيث بدأت الدعوة الزيديّة في اليمن، حتّى العام 569 هـ حيث دخل الأيّوبيّون إلى اليمن وأعادوا الخطبة للخليفة العباسيّ من جديد. واعتمد على السرد التاريخيّ للحدث بمقدّماته ونتائجه كما لجأ إلى تفسير الحدث معتمداً على التحليل والمنطق، كما وثّق في حاشية المقالة كلّ ما لزم، منتهجاً بذلك البحث العلمي الموضوعيّ المحكم، دون أن يخفي إعجابه بالملكة أروى.

ولا يكتفي السقّاف بالسرد التاريخيّ والنقل من المصدر، فهو يُبدي الرأي بالحدث التاريخيّ، يقول عن المعارك بين الدعوتين الزيديّة والإسماعيليّة في اليمن:

"وتصادمت الدعوتان ــ الفاطميّة والزيديّة ــ وأريقت دماءٌ زكيّة وذهبت أرواح الآلاف المؤلّفة من الأبرياء رغم أنّ التشيّع لآل البيت من صميم هاتين الدعوتين(1)".

كما أنّ السقّاف لا يكتفي بسرد الخبر وإبداء رأيه فيه، إذ يحاول تفسيره والبحث عن الأسباب المنطقيّة للحدث التاريخيّ، كما في تفسيره لعجز العباسيين عن السيطرة على اليمن إذ يقول:

" ولم تستطع الخلافة العباسيّة في بغداد أن ترسل الجيوش إلى اليمن لإنقاذها من تطاحن الدعوتين ــ الدعوة الفاطميّة والدعوة الزيديّة ــ لبعد المسافة ووعورة الطريق(2)"

(1) السقّاف، أحمد ـ مع أروى الصليحيّة والصليحيين، مجلة البيان، ص8، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق، ص8. حقيقة فإن هذا التفسير يبدو قاصرا وفيه قفز على الواقع إذ يخفي ضعف الخليفة العباسي في بغداد ذاك الوقت، ولقد وصلت جحافل الأيوبيين في مرحلة لاحقة إلى اليمن وقضت على الدعوة لإسماعيليّة / الفاطميّة وأعادت الخطبة للخليفة العباسي كما يرد في نهاية المقالة.

كما فسّر انحراف الدعوة الفاطميّة الإسماعيليّة في اليمن، يقول:

" ويبدو لي أنّ ابن الفضل قد تأثّر بحركة القرامطة، الذين كوّنوا لهم دولة مستقلة في هذا التاريخ، لذلك حلّل ما حرّم الله وحرّم ما حلّل حتّى اغتيل بالسم(...) ولا شكّ أنّ ابنه الفأفاء لم يجد خصومه كبير عناء في القضاء عليه وعلى أتباعه، ولا شكّ أنّ انحراف ابن الفضل(1) عن الدعوة الفاطميّة وخروجه عليها وإيغاله في القحطانيّة(2) وتطرّفه في استقلاله وإلحاده وكفره قد أدى كلّ ذلك إلى ضعف المذهب الفاطميّ في اليمن(3)"،

وقوله: " وفي اعتقادي أنّ الأعمال المشينة التي قام بها القرامطة قد أثّرت كثيراً على الدعوة الفاطميّة في اليمن(4)"

ويدلل على ما يذهب إليه بالسند التاريخيّ، إذ إنّ القرامطة:

"أقدموا في سنة 317 هـ على قتل الحُجّاج ونهبوا كلّ متاع وصل أيديهم في مكّة وقلعوا الحجر الأسود وانتزعوا كسوة الكعبة وكان هؤلاء يزعمون التشيّع لآل البيت ولذلك كتب إليهم المهدي من شمال أفريقية يُنكر عليهم ما قاموا به ويلعنهم ويؤكّد لهم أنّ أعمالهم تلك قد جلبت على الدعوة الخزي والعار(5)".

وتعد الموضوعية والصرامة المنهجية من سمات هذه المقالة التاريخيّة، والتي حكّمها في بحثه، وهو وإن سمح لمشاعره وعواطفه، في الظهور أحياناٍ للتعليق أو التفسير، فإن ذلك ما كان ليفسد موضوعيّة المقالة.

---

(1) ابن الفضل: هو عليّ ابن الفضل الخنفريّ الجيشاني نسبةً إلى جيشان في اليمن كان مساعداً لداعية الفاطميين في اليمن أبو القاسم الحسن بن فرج بن زادان الكوفي وهو من ذرية عقيل بن أبي طالب. وقد أسس ابن الفضل للدعوة الفاطمية في اليمن واستولى على صنعاء 293 هـ وقوي نفوذ الفاطميين في اليمن في عهده لكنه ما لبث أن استبدّ بموقعه واستقل وبدأ بمحاربة كافة من حوله من أتباع المذاهب الإسلاميّة ثم نادى بالقحطانيّة وصدّ الناس عن الحج، وشجع الشعراء على التعريض بالدين الإسلاميّ متأثّرا بأفعال القرامطة ومنتهجاً نهجهم حتّى اغتيل بالسم عام 303 هـ وتمّ القضاء على دولته وأتباعه من بعده وانتكست الدعوة الفاطميّة في اليمن حتّى حين. ينظر: المصدر السابق، ص9.

(2) القحطانيّة: هي الدعوة التي نادى بها ابن الفضل الجيشاني بعد أن استقل عن الدعوة الفاطميّة وحارب من خلال هذه الدعوة العرب الشماليين وغيرهم وأصحاب المذاهب الإسلاميّة كافّة. ينظر: المصدر السابق، ص9.

(3) المصدر السابق، ص10.

(4) السقّاف، أحمد ـ مع أروى الصليحيّة والصليحيين، مجلة البيان، ص10، مصدر سابق.

(5) المصدر السابق، ص10.

ورغم كتابته للمقالة التاريخيّة فقد وظّفها في مناقشة بعض الأحداث السياسية المعاصرة، ولذلك فإنّ بروز نزعته الإيديولوجية القومية، وظهور ذاته غالباً كان يفسد بعض المقالات التاريخيّة ويبعدها عن الموضوعيّة، ففي مقالته انحراف الخلافة العثمانيّة ودور الرواد(1)؛ أراد السقّاف منها أن تكون موضوعيّة تاريخيّة أو لعلّ عنوانها يوحي بذلك، فقد جاءت لكشف حقائق مغيّبة أو يتم التغافل عنها في الفترة التاريخية المعنيّة، كما أنّها ردٌّ على بعض من دأبوا على محاربة القوميّة العربيّة بأقلامهم ومنابرهم، وكذلك مقالته الثانية، الجمعيّات العربيّة والخلاص من الاتراك(2)، جاءت كحلقة ثانية متممة لسابقتها.

وعند معاينة مقالته، انحراف الخلافة العثمانية ودور الرواد، نراه يقدّم أسبابه التي دفعته لكتابة هذه المقالة ونشرها، يقول:

" من أولى الواجبات على كل ذي قلمٍ وفهم في الشؤون العربيّة والقوميّة أن يكتب بسخاء في هذه الظروف تنويراً لأذهان الشباب كيلا يقعوا في مصيدة المضللين، ففي بلدان خليجنا العربيّ كثيرٌ من المتحاملين على القوميّة العربيّة لأسبابٍ لا تخفى على متتبعي بأحوال هذه البلدان، ولقد اتفق هؤلاء المتحاملون ــ وهم متنافرون في الأغراض والأهداف ــ على الزعم القائل إنّ القوميّة العربيّة من صنع زيدٍ أو عمرٍو من الناس، سعياً للتشويه وتشبّثاً برواسب لا تصلح لمجتمعات هذا العصر. ومن المؤسف دون شك أن يهمل القوميّون القادرون على الكتابة واجبهم في نشر الكتب القوميّة(...) ومن الخطأ أن نترك ضحايا التوجيه الفاسد يرددون ما يبثّه الأعداء عن القوميّة العربيّة...(3)".

ويبدو السقّاف من خلال هذا التمهيد ممتعضاً غاضباً؛ بسبب التغافل والتشويه للحقائق الذي يمارس عمداً أمام أحداثٍ تاريخيّة مؤلمة تغيّر وجهة نظر الجيل نحو بعض الموضوعات الحسّاسة، ولا سيّما الانتماء للأمّة، واتخاذ الموقف المطلوب من الأحداث التاريخيّة. لقد وجّه السقّاف عنايته في هذه المقالة لكشف الجرائم التي ارتكبها القادة الأتراك في بلاد الشام، وكشف الملابسات والحقائق التي يُسكت عنها، أو يتمّ العمل على سترها، وهو في هذه وتلك يوجه انتقاده لجماعة بعينها، يصطلح عليها الحزبيّة الدينيّة؛ تبثّ أفكارها بين الناشئة فتحملهم (بجهلٍ) على التحامل على القوميّة العربيّة.

---

(1) السقّاف، أحمد ـ انحراف الخلافة العثمانيّة ودور الروّاد، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(2) ينظر: السقّاف، أحمد ـ الجمعيّات العربيّة والخلاص من الأتراك، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(3) السقّاف، أحمد ـ انحراف الخلافة العثمانيّة ودور الروّاد، مجلة البيان، ص5، مصدر سابق.

لقد وضع السقّاف في مقدّمة هذه المقالة مجموعةً من الأفكار المتداولة وهي قوله على لسان خصومه:

" إنّ انتفاضة العرب على الأتراك أثناء الحرب العالميّة الأولى كانت سببا في التصدّع الذي نشكو منه اليوم، وأنّ النصر لا يمكن تحقيقه دون عودة الخلافة(1)".

وينقم على خصومه؛ أنّهم لم يعلّموا أتباعهم أنّ عبد الحميد الثاني كان مستبدّاً طاغية، وأنّ الخلافة سقطت في تركيّا، قبل أن تسقط في العالم العربيّ، وأن القادة الأتراك ـ جمال باشا وأنور باشا، وطلعت باشا ـ كانوا سفّاحين جزّارين، علّقوا المشانق لأحرار العرب، كما أنهم لم يخبروا أتباعهم بسياسة التتريك التي اتبعها الأتراك، ومحاربتهم للغة العربيّة. هذا التمهيد وهذه المقدّمة كانت شرحاً وافياً لأسباب مقالته المطوّلة هنا. ومن أجل إثبات مقولاته وهدم وتفنيد آراء خصومه، يبدأ بالسرد التاريخيّ للوقائع والأحداث منذ سقوط عبد الحميد الثاني عام 1909 على يد جماعة جمعيّة الاتحاد والترقي، ومن أجل إثبات مقولاته يلجأ إلى التدليل والبرهنة على ما يذهب إليه، فقد عرض أنّ أحرار العرب لم يعملوا على هدم الخلافة كما يزعم أعداء القوميّة العربيّة يقول:

" فوجود الطغاة الثلاثة في السلطة كان كافيا لهدم تلك الخلافة المريضة. لقد كان التنكر للعرب جليّاً بقيادة العنصريين طلعت باشا وأنور باشا وجمال السفّاح وانزلقت الصحف التركيّة في تيّارهم الحاقد على العرب فشنّت تلك الصحف وفي طليعتها جريدة ((طنين)) سلسلة مقالات سنة 1910 لمندوبها المتجوّل أحمد شريف تهجّم فيها على الشعب العربيّ وحذت حذو هذه الجريدة جريدة ((إقدام)) وقد نظّم شباب العرب في استنبول تظاهرات صاخبة هاجموا فيها مكاتب هاتين الجريدتين...(2)".

---

(1) المصدر السابق، ص5.

(2) السقّاف، أحمد ـ انحراف الخلافة العثمانيّة ودور الروّاد، مجلة البيان، ص6، مصدر سابق.

ولكي يؤكّد على ما ذهب إليه من ارتكاب المجازر بحقّ أحرار العرب؛ يذكر المجازر التي ارتكبها الأتراك بدقّة متناهية بالتاريخ واليوم والوقت والمكان، ثم يذكر أسماء الشهداء واحداً واحداً مع ذكر بعض المعلومات المتوفّرة عنهم(1). لقد أراد السقّاف ممّا سبق تثبيت حقائق وتفنيد ما يتم ترويجه مستفيداً من التاريخ. وقد تابع في هذه المقالة حديثه عن دور الروّاد في تثبيت الفكر القوميّ العروبيّ، فانتقل إلى ساحةٍ خبرها جيّداً وهي العراق، فتحّدّث عن رجالات الفكر القوميّ هناك، وعن دورهم في مجابهة بريطانيا، ونشر الفكر القوميّ الذي حاربته بريطانيا بشدّة.

فيما يبدو أنّ الموضوع أخذ بحماسه والتهبت مشاعره، فظهر السقّاف في هذه المقالة غير مرّة بشكلٍ واضحٍ جلّي، بمشاعره وعواطفه ليختلط الذاتيّ بالموضوعيّ، فعندما تحدّث عن صعود أحرار العرب إلى المشانق كشف عن نفسه؛ ولم يستطع إخفاء إعجابه وافتخاره بهم، يقول":

وقد روى الذين شهدوا تنفيذ حكم الإعدام في هؤلاء الرواد الكرام كيف تقدّموا نحو المشانق بكبرياء العربيّ الأبيّ الذي لا يخاف الموت، فلقد كانوا يعلمون أنّهم يدفعون ضريبة إنقاذ الامّة العربيّة من استعمارٍ جاهلٍ حاقدٍ منهار(2)".

بل يمعن في ذاتيّته، حتى تتخذ المقالة طابع النزال، عندما يهاجم خصومه بألفاظٍ قويّة قاسية؛ يقول:

" إنّ شبابنا الضائع في بلدان الخليج العربيّ يجهلون تاريخ نضال هذه الأمة الكريمة، وقد استطاع المضللون من دعاة الحزبيّة الدينيّة الغارقة في الجهل والطائفيّة أن يغسلوا أدمغتهم غسلاً غريبا ويسطّروا فيها ما شاءوا من أكاذيبٍ وافتراءات(3)".

---

(1) المصدر السابق، ص 7و8.

(2) المصدر السابق، ص8.

(3) المصدر السابق، ص9.

تشكّل هذه المقالة نموذجاً آخر للمقالة التاريخيّة من حيث الموضوع، غير أنّها تتميّز بتداخل الذاتيّ بالموضوعي، ففي هذه المقالة نلاحظ أنّ الموضوع تاريخيّ من خلال العنوان والمقدّمة ومعظم المقالة؛ فنفترض أنّ المقالة موضوعيّة، وهو ما يقتضيه موضوعها، لكنْ ما أن نستمر في المقالة حتّى تظهر ذاتيّة الكاتب من خلال خياله وصوره وجمله الإنشائيّة الواضحة، التي تعبّر عن مشاعره وعواطفه في النصّ، والأمر ينطبق على مقالات أخرى كتبها بهذه الروح، كمقالاته الجمعيات العربيّة والخلاص من الأتراك، وفي هموم ميمون القدّاح.

ثالثاً: المقالة الصحفية، ميادينها وأنواعها

يعرّف محمود شرف المقالة الصحفية بأنّها "المقالة التي تنتشر في الصحف، لتغطية تساؤلات أو اهتمامات ذات صفة حاليّة، مرتبطة بالأحداث المهمة، أو المشكلات ذات التأثير الكبير، أو القضايا المهمّة بالفعل في حيالة قرائها"(1). وللمقالة الصحفيّة دور مهمّ وواضح في توجيه الرأي العام، وفي التأثير على الجمهور القارئ، والمساهمة في صناعة القرار في معظم القضايا المطروحة على ساحة الحدث.

وتعدّ المقالة الصحفيّة جزءاً من الصحافة، تميّز كاتبها في الإخلاص كرسالة الصحافة وشرفها. فيعرف كيف يتابع الأخبار ويستقبلها ويعيد صياغتها بحلّة جديدة، ويعرف كيف يقدّمها للقارئ ويرشد إلى ما ينبغي فعله. بحيث يكون لها مستويات قرائية مختلفة، سواء على مستوى زاوية الرؤية أو على مستوى تجليات الأفكار والرؤى والمواقف، والتصورات في بناء فنّي جمالي.

والكاتب في هذا النوع من المقالة يزاوج في موقفه، فلا هو يستطيع أن يناقش موضوعه بروح علميّة موضوعيّة جافّة، ولا هو قادر أن يطلق العنان لشعوره وعاطفته. " فقد يجمع الكاتب في مقاله بين الذاتيّة والموضوعيّة بحيث تبدو فيه دقّة العالم وخيال الأديب(2)"، وفي هذا الباب نقف أمام مقالةٍ موضوعها شائكٌ قويّ يختار هذا الأسلوب ويقترحه على الكاتب، وهو الذي يحدد على الكاتب النهج الذي سيسلكه.

---

(1) شرف، محمود ـ فن المقالة (الأدبيّة، الموضوعيّة، الصحفيّة) ص179، مرجع سابق.

(2) أبو ذكرى، السيد مرسي ـ المقال وتطوره في الأدب المعاصر 79، مرجع سابق.

وفي مقالة السقّاف يبرز هذه النوع من المقالة الذاتية ضمن ما اصطلح على تسميته المقالة الصحفيّة على أنواعها، والمقالة النزاليّة أو الجدليّة ومقالة التقرير، والمقالة متعدّدة الموضوعات، ولعلّ نتاج السقّاف من المقالة يندرج معظمه تحت نوع المقالة الصحفية، كما سنرى فيما يأتي:

نشير إلى أنّ هنالك من يصنّف المقالة الصحفيّة كحقل من المقالة يخرج عن تصنيفنا السابق، فتصبح المقالة ، ذاتية، موضوعيّة، صحفيّة، وثمّة تصنيف آخر ينظر إلى الأسلوب فيصنّف المقالة الصحفيّة ضمن التصنيف: علميّة، أدبيّة، صحفيّة، ولا نجد حرجاً في القول إنّ المقالة الصحفيّة قد تستعصي على هذين التصنيفين. يقول عبد اللطيف حمزة: " إلا أنّنا مع هذا وذاك، لا نستطيع ولو حرصنا أن نفصل فصلًا تامًّا بين هذه الأقسام الرئيسة الثلاثة التي هي: المقال الأدبيّ، والمقال العلميّ، والمقال الصحفيّ، والسبب في ذلك أنها تتلاقى في كثير من الأحيان، وتدع الباحث المدقق في حيرة من الأمر(1)".

وبكلّ الأحوال؛ فيمكن أن نضع المقالة الصحفيّة ضمن التصنيف الذي يراها تدمج الذات بالموضوع، والأجدر أن تكون كذلك فهي ـ قطعاً عند السقّاف ـ مقالة موضوعيّة ذاتيّة، إذ لا يمكن أن تُدرج ضمن النوع الموضوعي لأنّ الصبغة الذاتيّة واضحة فيها، وليست ضمن النوع الذاتيّ لأنّ الموضوعيّة حاضرةٌ بقوّة.

من ناحية أخرى، يرى بعض النقاد؛ أن الأساس المعتمّد في عدّ المقالة الصحفيّة كنوع هو اللغة، فقد ذهب عبد اللطيف حمزة إلى أنّ " للغة التي تستخدم في الكتابة ثلاثة مستويات، وهي: المستوى الأدبيّ (...) والمستوى العلميّ (...) والمستوى العمليّ، وهو المستوى الذي يقف فيه الصحفيّ لينقل للناس أخبار البيئة التي يعيشون فيها، والبيئات التي يتّصلون بها، وليقوم الناس بتفسير هذه الأخبار في أثناء نقلها، وبعد نقلها، وذلك عن طرق التعليق عليها، والاستنارة بآراء الممتازين من القراء في بعضها، والصحفي في سبيل هذه الغاية ــ وهي كتابة الأخبار والتعليق عليها ــ يستخدم لغةً عمليّة يفهمها القراء ولا يشترط فيها لغة الأدب من خيالٍ أو جمال، أو ما يشترط في لغة العلم من دقّة بالغة في تحديد معاني الألفاظ(2)"، والمستوى العمليّ من اللغة هو ما يراد منه اللغة الصحفيّة، يقول عبد اللطيف حمزة "

(1) حمزة، عبد اللطيف ـ المدخل في التحرير الصحفي، ص254، مرجع سابق.

(2) المرجع السابق، ص 252.

ولعلّنا حين نمعن النظر في تاريخ الكتابة الفنّيّة في أيّة أمّة من الأمم، نجد أنّها تمرّ بالمستوى الأدبيّ أوّلاً، فالمستوى العلمي ثانياً، فالمستوى الصحفيّ في نهاية الأمر. ففي الأوّل تكون الكتابة ذاتيّة لأنّها أدبيّة، وفي الثاني تكون الكتابة موضوعيّة لأنّها علميّة، وفي الثالث تكون الكتابة عمليّة لأنّها صحفيّة(1)." وهذا ما يتّفق مع تاريخ المقالة إذ ظهرت المقالة الذاتيّة أوّلاً على يد الفرنسيّ مونتاني ثمّ الموضوعيّة على يد الإنكليزيّ بيكون وأخيراً ظهرت المقالة الصحفيّة بالمعنى الصحيح للمصطلح على أيدي كتّاب كثيرين مثل الإنكليزي ديفو وستيل وغيرهما من كتاب القرن الثامن عشر(2).

وفي الواقع، فإن المقال الصحفيّ يمكن أن يقسم حسب تصنيفين، إذ من الممكن أن نراعي الشكل فيتسع ليشكّل بذاته أنواعاً من المقالة، ومن أشكال التحرير الصحفيّ إلى أنواع؛ منها: المقال الافتتاحيّ، أو العمود الرئيسيّ، والعمود العاديّ، والتقرير بأشكاله المختلفة التي هي: الحديث والتحقيق والماجريات بأنواعها المعروفة وغيرها ممّا أشرنا إليه سابقاً. ومن جهة أخرى يمكن النظر إلى الموضوع؛ حسب أبي ذكرى فالمقال الصحفي "يتناول الظروف السياسيّة القائمة، وما تتركه من مشكلاتٍ تحتاج لحلٍّ سريعٍ ورأيٍ حاسمٍ، وتاريخ الأمّة العربيّة الحديث والمعاصر مرّ بمشكلاتٍ سياسيّةٍ داخليّةٍ وخارجيّةٍ، تتطلّب من رجال الصحافة تحليلها ومناقشتها على بساط البحث للعرض والاستنتاج(3)". ومن خلال ذلك نفهم أن أنواع المقالة من حيث الموضوع متعدّدة فمنها المقالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفنية وغيرها وكل ما يهم الشأن العام محلّياً وقطريّا وقوميّاً ودوليّاً في شتّى المجالات.

المقالة الصحفيّة عند السقاف

---

(1) المرجع السابق، ص 253.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص253.

(3) أبو ذكرى، السيد مرسي ـ المقال وتطوره في الأدب المعاصر ص 78 و79، مرجع سابق.

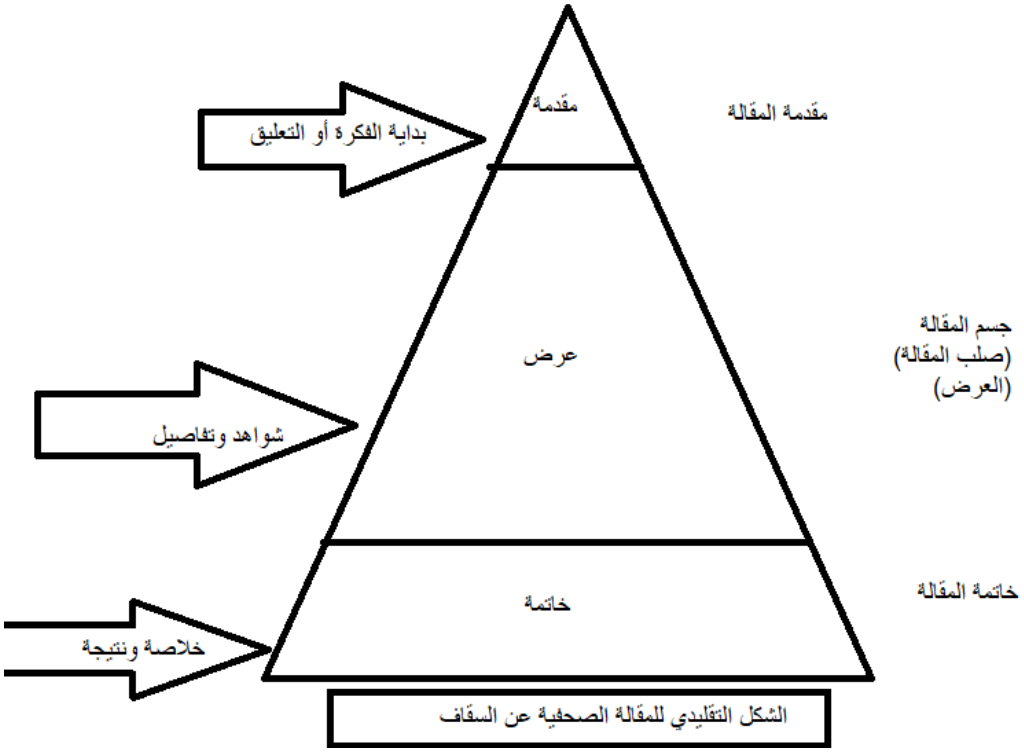

1: المقالة الصحفيّة السياسيّة

وفيها يتناول الكاتب "مشكلة حزبيّة أو فكرة سياسية وطنيّة أو دوليّة ويبصّر الجمهور بما يدور حوله ويستثيره للزود عن مقدّساته بأسلوبٍ سهل بعيد عن الزخرفة، ويعتمد فيه على إثارة العواطف(1)"، والجملة الأخيرة محوريّة في هذا النوع، لأنّها تعني العمل للتأثير في المتلقّين والقراء وإثارتهم. ومن نافل القول الحديث عن أنّ السقّاف كتب المقالة الصحفيّة وأكثر منها، وفي هذا النوع يدرك السقّاف أنّه يتوجّه بخطابه إلى شريحةٍ أوسع من القراء، ولذلك تميل لغته إلى التبسيط وتخرج عن سنن اللغة الجادّة الرصينة في المقالة الموضوعيّة، واللغة الأدبيّة في المقالة الذاتيّة، فتصبح لغته سهلة مبسّطة يفهمها المثقّف والأقل ثقافةً. وقد تنوّعت موضوعات السقّاف في هذه المقالة

(1) أبو ذكرى، السيد مرسي ـ المقال وتطوره في الأدب المعاصر ص 78، مرجع سابق.

إذ اهتم بالشأن المحلّي الضيّق كما اتسع لتناول الموضوعات القوميّة، والسياسة الدوليّة أحياناً. إذ تعالج هذه المقالة قضايا الأحداث السياسية الوطنية والقومية والعالمية، سواء أكانت سياسة داخليّة تتعلق بالشؤون الداخلية للدولة أو خارجيّة تتجاوز ها إلى القومية والإقليمية والعالمية للتعبير عن رؤية الكاتب تجاهها.

وقد كتب السقّاف في هذا النوع من المقالة كثيراً ونحا في المرحلة الأخيرة إلى قدرٍ كبيرٍ من الموضوعيّة، خصوصاً إذ شهدت هذه المرحلة ولادة السقّاف الرجل السياسيّ الناضج، ومن مقالاته التي تمثّل هذا النوع، شيلوك هو شيلوك(1)، التي ناقش فيها ادعاءات الصهاينة في السلام، وعلى شاكلتها جاءت مقالة بيريس والثمن المزعوم(2)، وموقفان جديران بالتحيّة(3)؛ ففي هذه الأخيرة؛ ناقش أفكار الأمين العام للجامعة العربيّة ورأيه في وضع إسرائيل السياسي والاجتماعي على الساحة العربيّة، وفي مقالة لم الاتحاد الكونفدرالي(4)، ناقش ضرورة قيام كيان إقليمي كبير يحمي دول الخليج ويؤمّن مستقبلها، معدّداً فوائد قيام مثل هذا الكيان الذي قد يتدرّج لأن يصبح اتّحاداً مع الزمن. وكنموذج على المقالة السياسيّة عند السقّاف، نسوق مقالته القوميّة العربيّة والتحديّات(5)، فموضوعها كما هو واضح من العنوان عن القوميّة العربيّة، وهو من الموضوعات التي دأب الكتابة فيها، وقد عالج فيها التضامن العربيّ في ذلك الحين، وموضوع الغزو العراقيّ للكويت الذي أسهم في تمزيق الصفّ العربيّ، ثمّ قضيّة السلام مع إسرائيل. ورأى أنّه من الخطأ الظنّ بتولّي عصر القوميات، إذ أنّ الاتحاد السوفييتي الذي حارب القوميّات وسحقها وقهرها طوال قرن مضى، هو الذي تفكّك في النهاية فخرجت القوميّات مرّةً أخرى قويّة. وفي العرض رأى أنّ القوميّة العربيّة كانت العامل الأبرز في تحرير البلدان العربيّة من الاستعمار، لكنّها فشلت بعد ذلك في تحقيق أدنى حدّ من التضامن بين دولها، كما استطاعت بلدانٌ أخرى أن تتجمّع فيما بينها وتشكّل قوّةً اقتصاديّة، رغم أنّها شعوبٌ تتكلّم بلغاتٍ مختلفة. يقول:

---

(1) السقاف، أحمد ـ شيلوك هو شيلوك، جريدة القبس، ص40، مرجع سابق.

(2) السقاف، أحمد ـ بيريس والثمن المزعوم، جريدة القبس، ص36، مصدر سابق.

(3) السقاف، أحمد ـ موقفان جديرا بالتحيّة، جريدة القبس، ص40 مصدر سابق.

(4) السقاف، أحمد ـ لم الاتحاد الكونفدرالي، جريدة القبس، ص40، مصدر سابق.

(5) السقّاف، أحمد ـ القوميّة العربيّة والتحديات، جريدة القبس، ص40، مصدر سابق.

" إنّ التحديات ضخمة رهيبة، وقبول العرب السلام مع إسرائيل يفرض على قادة العرب الكبار ضبط مسيرة السلام كيلا تستغلّها إسرائيل لتحقيق طموحاتها التوسعيّة، وما يشاهد في نشرات أخبار التلفاز خير دليل على أنّ إسرائيل تريد السلام والأرض، ولا غرابة في الأمر ما دامت منظّمة التحرير قد قبلت التفاوض دون موقف جماعيّ تشترك فيه سورية ولبنان والأردن، ومع ذلك كلّه، فقد جاء اجتماع قادة المثلّث مصر والمملكة العربيّة السعوديّة وسوريا في الإسكندريّة لتدارك الوضع وشدّ أزر المفاوضين"(1).

ويتضح من العرض السابق ومما قاله السقّاف انحيازه للموضوع لدرجة الجفاف، فهو يحاول أن يجمع بين تلك المقدّمات التي ساقها، ليوضح أخيراً صعوبة هذا الوضع العربيّ الراهن، وما يثير من تحديّات للقوميّة العربيّة، ولذلك فإنّ على العرب أن يتضامنوا، وأن ينسّقوا مواقفهم ولو على مستوى الدول الرئيسة؛ في الحدّ الأدنى، فالأمر كما يقول في الخاتمة:

" وهناك قرنٌ جديد سيطلّ علينا عمّا قريب وهو يحتاج على تنسيقٍ قدر المستطاع، ومن يرغب في العبث الذي تعوّد عليه فليبق بعيداً عن مسيرة الجد والعمل ليتسلّى بالشعارات التي يرفعها خداعاً وتضليلاً للجماهير(2)".

ويتضح مما سبق نزوع السقّاف وميله الموضوعيّ في المقالة السياسيّة، وبالتالي كانت مقالته السياسية مقالةً ناضجةً، تقدّم بأسلوب منطقي ولغةٍ سهلةٍ واضحة، يفهمها القارئ العادي كما يفهمها القارئ الحصيف. وهو في ذلك يساير الاتجاه العامّ في الصحافة، إذ اعتمدت الصحافة ـ منذ الأربعينات ـ في تحريرها على المقالات المختلفة، ثم تحولت إلى صحافة خبر، ثمّ أخذت المقالة السياسيّة التي تنشر في الصحف هذا المنحى، لتظهر بالشكل الذي رأيناه عند السقّاف، وعند الصحفيين بشكلٍ عام، ولعلّ ذلك مما دفع السقّاف لمجاراة التغيّر والتطوّر في ميدان الصحافة.

---

(1) السقّاف، أحمد ـ القوميّة العربيّة والتحديات، جريدة القبس، ص40، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق، ص40.

المقالة الصحفيّة السياسيّة وموضوعاتها:

الشأن الكويتي: عالج السقّاف موضوعات ذات صبغة محليّة، ووطنية، منطلقاً من انتمائه لوطنه الكويت، وعمله بالشأن العام، وقبله في التعليم، كما أنّ صفته كصحفيّ حتّمت عليه تناول مختلف الموضوعات. ومن تلك الموضوعات تناوله قضيّة الغزو العراقي للكويت، وقد ناقشها أحياناً بوجهات نظر مختلفة، بأبعادها القطرية، والقومية، والإنسانيّة، كما في مقالة ديمقراطيّة الطغيان(1)، ومقالته بين القلم والطغيان(2)، وقد نحا في هاتين المقالتين نحو أسلوب ذاتيّ ساخر ليعالج موضوع الغزو، وكلّ تبعاته، يقول في مقالته بين القلم والطغيان:

" القلم: أريد محاورتك يا قصير العمر.

الطغيان: كيف تريد محاورتي وأنت تخاطبني بقصير العمر، وفي جزيرتكم العربية ومنها الكويت، تقولون يا طويل العمر للكبار المحترمين؟

القلم: أأنت من الكبار المحترمين؟ إنك طغيان، والطغيان من الشيطان.

الطغيان: هيا قلْ مالديك فأنا على عجل، فهناك من يتآمرون عليّ ممّن تنكروا لزعامتي، وآمنوا بوجوب الخلاص منّي"(3).

الشأن القومي: كان الهمّ القومي واضحاً في نتاج السقّاف منذ البداية، فهو لم يترك قضيّة قوميّة تهمّ الإنسان العربيّ إلا وتناولها بمقالاته؛ وهي المقالات الأكثر بين مقالاته السياسيّة، ففي مقالته السلاح الفتّاك(4)، عالج موضوع الدعاية السياسيّة المدمّرة، مستحضراً من التاريخ؛ المنشورات الفاخرة التي طبعت في الغرب، ووزّعت في العالم العربيّ بعد نكسة حزيران 1967، وكانت هذه المنشورات؛ تدعو العرب للكفّ عن الإعداد للحرب، والتطلع إلى المستقبل والسلام، لأنّهم غير قادرين على مجابهة إسرائيل.

---

(1) السقّاف، أحمد ـ ديمقراطيّة الطغيان، جريدة القبس، ص40، مصدر سابق

(2) السقّاف، أحمد ـ بين القلم والطغيان، جريدة القبس، ص40، مصدر سابق.

(3) المصدر السابق، ص40.

(4) السقّاف، أحمد ـ السلاح الفتّاك، جريدة القبس، ص 40، مصدر سابق.

وفي مقالة ميثاق الشرف العربي(1)، دعا إلى إعادة تفعيل دور المنظومة العربيّة بعد التصدّع الكبير الذي أصاب العمل العربيّ المشترك إبّان العدوان العراقيّ الغاشم على الكويت، يقول:

" ولا أعتقد انّ هناك من يستطيع الاعتراض على توحيد الكلمة وتنقية الأجواء بين العرب، غير ان الرغبات لا تحقّق الطموحات في جميع الحالات: فنحن قد بلينا ببعض القيادات الرعناء التي لا تثبت على رأي، ولا تفي بعهد، ولا تلتزم بميثاق، وكلنا يعلم انّ صدام حسين قد تقدّم بإعلانه القوميّ في الثامن من يناير 1980، فأعلن من إذاعة وتلفزيون بغداد بنود ذلك الإعلان ..."(2).

أما مقالة القوميّة والتضامن(3)، فالتضامن العربيّ هو أحد الموضوعات التي ألحّ عليها السقّاف بعد الغزو العراقي للكويت، وتصدّع المنظومة العربيّة الهشّة أصلاً، ويبدو في هذه المقالة وغيرها عدول السقّاف عن فكرته الأوليّة في القوميّة العربيّة، وطموحه الوحدويّ؛ نحو تحقيق الحدّ الأدنى من العمل العربيّ، وهو ما سمّاه التضامن العربيّ، ولعلّ السبب في ذلك اكتشافه مدى هشاشة الوضع العربيّ، ومدى ابتعاد أحلام القوميّين العرب عن الواقع. وفي مقالة العروبة لا تتجزّأ(4)، رأى أنّ العروبة لا تتعارض مع التكتلات الإقليمية العربية، بل إنّ هذه التكتلات فيما لو حدثت ستكون خطوةً نحو مزيد من التضامن بين العرب وتقوية الشعور بانتمائهم. كما ناقش في مقالة أخرى ضرورة أن تحتلّ مصر مقعداً دائماً في مجلس الأمن، كما طالب العرب بالوقوف إلى جانب مصر في هذا المسعى؛ من باب ردّ الجميل ومن باب العروبة؛ وأنّ مصر هي الشقيقة الكبرى في مقالة مصر وحقّها في مجلس الامن(5)، التي يقول فيها:

---

(1) السقّاف، أحمد ـ ميثاق الشرف العربيّ، جريدة القبس، ص40، مصدر سابق.

(2)السقّاف، أحمد ـ ميثاق الشرف العربيّ، جريدة القبس، ص40، مصدر سابق.

(3) السقّاف، أحمد ـ القوميّة والتضامن، جريدة القبس، ص9، مصدر سابق.

(4) السقّاف، أحمد ـ العروبة لا تتجزّأ، جريدة القبس، ص40، مصدر سابق.

(5) السقّاف، أحمد ـ مصر وحقّها في مجلس الامن، جريدة القبس، ص36، مصدر سابق.

"أفلا يحقّ لمصر بعد جميع تضحياتها المشرفة أن تنال ـ وهي جديرة ـ العضوية الدائمة في مجلس الامن الدولي؟! إن على الولايات المتحدة الامريكية وهي اليوم أقوى الدول وأكثرها نفوذا في العالم كلّه، أن تقف إلى جانب الحق المصري الذي لا ينازع، فالعرب لو طلب منهم ابداء الرأي في هذا الموضوع لصوتوا جميعاً لجمهورية مصر العربية، فليس لمصر من منافس بين الدول العربية والأفريقية، وقليل على مصر أن تحظى بالعضوية الدائمة في مجلس الامن وهي مهد الحضارات وساحة التضحيات وملاذ المضطهدين الهاربين من الملاحقات والاعتقالات"(1).

ومن مقالاته القديمة في هذا الموضوع مقالة ، يا معشر العرب إمّا نكون أو لا نكون(2)، وقد انتقد فيها التيارات الحزبيّة العربيّة، ومن اعتبرهم المعوّقين من أهل اليمين واليسار، فهو يرى أنّ الإسلام والعروبة وجهان لعملةٍ واحدةٍ، ويرى ضرورة اعتماد الأمّة على نفسها؛ (فالمحتوى الاقتصاديّ) يُنتزع من الأرض العربيّة لا من غيرها، وضرورة تفعيل قوانين العدالة الاجتماعيّة؛ في كل قطرٍ حسب وضعه وإمكانياته، كما رأى أنّ الاختلاف في مواجهة العدو جريمة؛ وأنّ الجهد العربيّ يجب أن يوجّه نحو المعركة الحقيقية؛ معركة تحرّر الأمة، وتحرير فلسطين، كما بيّن أنّ إحدى صور المعارك الداخلية في الوطن العربيّ؛ هي المعركة بين دعاة التعريب، ودعاة الفرنسة، كما هو قائمٌ في المغرب، وختم بسمو القوميّة العربيّة، ورؤيتها الإنسانية، التي تشجب العنصريّة، وأن من طبيعتها احترام كلّ القوميّات الأخرى، وأنّ سبب انهزام الفاشيّة والنازيّة؛ هو عنصريّتها واستعلاؤها؛ وهذا ما سيحدث مع الصهيونيّة.

الشؤون السياسيّة للبلدان العربيّة: ناقش في هذا الموضوع مجموعة القضايا التي تهمّ الشأن العربي بأقطاره، دون أن يتعارض ذلك مع توجّهاته القوميّة، ومنها مقالة فيما قاله العقيد، حيث ناقش بعض تصريحات العقيد معمر القذّافي العجيبة، وقد رأى أنّه من يوم قام بالثورة، وهو على هذه الحال؛ يتخبّط في سياساته وتصريحاته. يقول:

---

(1) المصدر السابق، ص36.

(2) السقّاف، أحمد ـ يا معشر العرب إمّا نكون أو لا نكون، جريدة القبس، ص28، مصدر سابق.

" وبعد هذه البرقية أخذ الأخ العقيد ينتقد سياسة عبد الناصر بشدة في جميع وسائل إعلامه ويعرض بعلاقته بالكفرة الملحدين الروس. ولما مات عبد الناصر أقدم أنور السادات على ترحيل الآلاف من الخبراء الروس من مصر، فإذا بالأخ العقيد يرمي بثقله إلى جانب الملحدين السوفييت، ويهاجم أولئك الذين تنكّروا لصداقة الروس"(1).

وفي مقالته، مرحى لأولئك الصناديد(2)، تناول فيها الحرب العراقيّة الإيرانيّة، معلناً وقوفه إلى جانب العراق، داعياً إيران إلى التعقّل والابتعاد عن الطائفيّة المقيتة، وأن تصوّب بندقيتها لحرب إسرائيل كما تدّعي. أما مقالة الموقف الشجاع المطلوب(3)، فقد تناول فيها ضرورة اتخاذ موقف جاد حيال أمريكا؛ لموقفها المتآمر على القضايا العربيّة، كما تناول فيها المواقف من إيران ومن إسرائيل، وعاب على اليسار العربيّ ضياعه في هذه المعمعة، وعدم وضوح رؤيته في هذا الصدد.

2. المقالة الصحفيّة الاجتماعيّة:

يتناول الكاتب في المقالة الصحفية الاجتماعية، مختلف القضايا الاجتماعيّة بلغةٍ بسيطة عمليّة وأسلوبٍ سهل، ويناقش فيها القضايا المطروحة بروحٍ موضوعيّة، دون أن يتخلّى عن الذاتيّة، إذ يطمح في النهاية للتأثير في القراء، وفي هذا النوع الذي لا يختلف عن سابقه إلا من حيث الموضوع؛ يدرك السقّاف أنّه يتوجّه بخطابه إلى شريحةٍ واسعة، لذلك يقتضي الأمر أن يبسّط القضية باللغة والأسلوب المناسبين. وقد تنوّعت موضوعات السقّاف في هذه المقالة إذ اهتم بالشأن المحلّي والجوانب الأخرى.

وقد "عاش السقاف أديباً ملتزماً يترصّد قضايا أمّته ويعالجها، لكنه كان ينظر إلى واقع وطنه بالمنظار القومي والسياسي، وقلما يعالج قضايا اجتماعيّة، فهو إن قصر في نثره اجتماعياً، لم ينس أن يتعرّض لبعض الأمور التي حزّت في نفسه، كنقده لمجتمعه الذي يثور ويعادي بعض أصحاب الأقلام عن زلّ قلمهم في وصف أو غزل كما فعل مع القاصة ليلى العثمان وغيرها. ومن جملة ما تعرّض له في مقالاته موضوع التسوق السنوي، والترويج للبضائع، الذي اعترض عليه المتشددون،

(1) السقّاف، أحمد ـ في ما قاله العقيد، جريدة القبس، ص32، مصدر سابق.

(2) السقّاف، أحمد ـ مرحى لأولئك الصناديد، جريدة البيان، ص 4، مصدر سابق.

(3) السقّاف، أحمد ـ الموقف الشجاع المطلوب، جريدة القبس، ص42، مصدر سابق.

ونشرت الصحف هذه الاعتراضات التي أوجدت قلقاً اجتماعيا بين الناس، وهو لا يرى في هذه الأسواق السنوية إلا الخير للبلاد والناس والاقتصاد، كما اعترض على مواقف المتشددين من الحفلات الغنائية البريئة؛ التي تقام في بعض الأماكن، فالناس يريدون أن يبتهجوا ويحقّ لهم هذا"(1).

المقالة الصحفيّة الاجتماعيّة وموضوعاتها

القضايا الاجتماعية: ومنها القضايا المحليّة والموضوعات التي كانت تثار تحت قبّة مجلس النوّاب الكويتي كما ظهر في مقالاته متى سنبدأ التي عالج فيها إثارة موضوع (منع الاختلاط) من قبل بعض النواب، وقد رأى أنّه مجرّد مناوراتٍ الهدفُ منها إثارة الرأي العام في الكويت قبيل الاستحقاق الانتخابي الذي كان على الأبواب، يقول:

" كان الأجدر بنا كدولة أن نركز على الارتقاء بمستوى التعليم وتنمية الإنسان الكويتي وتسهيل الخدمات والمعاملات الحكومية وكسر الاحتكار والقضاء على العمولات وتنمية اقتصاد البلد بشتى الطرق المطروحة ومواكبة الحضارة العالمية وبناء سياستنا الخارجية على أساس الاعتراف بأننا لا نستطيع العيش بمعزل عن الأمم، ولكن المجلس الحالي يعتقد بأن الأولوية يجب ان تكون لموضوع النقاب ومنع الاختلاط (....) أما الحكومة فإنها تغازل هنا وتجامل هناك لتحقيق معادلة القوى السياسية في البلد. من يدري ربما نحن شعب يستحق مثل هذا المجلس والالتهاء بمثل هذه الأمور!" (2).

ومن ذلك قضايا الرأي التي تثير المجتمع الكويتي، ففي مقالة حان وقت الاختبار(3)، تناول محاولة اغتيال النائب عبد الله النيباري، وقد أدّت تلك الحادثة إلى حدوث حالة من الغضب في الشارع الكويتيّ. ومنها أيضاً مقالة الصديق الذي مضى، التي أبّن فيها الأستاذ عبد العزيز حسين، وهو قامة فكريّة لها شأنها في الكويت والعالم العربيّ، يقول:

---

(1) عصلة، أحمد بكري ـ أحمد السقاف القابض على جمر الإبداع، ص84، مرجع سابق.

(2) السقّاف، أحمد ـ متى سنبدأ!، جريدة القبس، ص32، مصدر سابق.

(3) السقّاف، أحمد ـ حان وقت الاختبار، جريدة القبس، ص32، مصدر سابق.

" ولم يبحث عن مصفقين ممن ينظرون إلى عيني الوزير ليستلهموا منه ما يريد، وغنما اختار رجالاً عرفوا بالكرامة وعزة النفس والاعتداد بما ليهممن فهم ودراية وعلم ومعرفة وإخلاص فشدّ أزره بهم وأطلق لهم العنان ليبدعوا في معهد الأبحاث وفي المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. لقد سار أبو هاني رحمه الله على هدي المصلح الكبير رائد حركة التعليم في الكويت الشيخ عبد الله الجابر الصباح، فاعتمد على الرجال النابهين فنجح في همله وخلّد لنفسه ذكراً عطراً باقيا ما بقي الحديث عن هذه المؤسسات الشامخة"(1).

ومن هذه القضايا تناوله قضية الزواج في الخليج العربي؛ على شاكلة المعالجة التي طرحت في دولة الإمارات في مقالة القمة الخليجيّة(2) التي يقول فيها:

" إنّ مجلس التعاون الخليجي مطالبٌ بدراسة المشكلة من جميع جوانبها، وإعداد الحلول الناجعة لها قبل ان تزداد صعوبةً وتعقيداً، فالمحافظة على المجتمع العربي في جزيرة العرب وسواحلها واجبٌ يستأهل أن يسهر من اجله المسؤولون والأسرة في كلّ مجتمع هي الأساس وأسرتنا في الجزيرة العربية والخليج تستحق منا الكثير الكثير من الاهتمام".

ومن مقالاته القديمة لمن(3)، وتقليد(4)، وإنعاش القرية الكويتيّة(5).

التعليم: وهو من الموضوعات التي اهتم بها عندما كان معلّما؛ قبل أن ينتقل إلى الشأن العام، ومن مقالاته في هذا الموضوع، جنود في الميدان(6)، وكذلك التعليم رسالة لا مهنة، التي يقول فيها:

---

(1) السقّاف، أحمد ـ الصديق الذي مضى، جريدة القبس، ص33، مصدر سابق.

(2) السقّاف، أحمد ـ القمّة الخليجيّة، جريدة القبس، ص40، مصدر سابق.

(3) السقاف، أحمد ـ لمن، مجلة كاظمة، ص 299، مصدر سابق.

(4) السقاف، أحمد ـ تقليد، مجلة كاظمة، ص 563، مصدر سابق.

(5) السقاف أحمد ـ إنعاش القرية الكويتيّة، مجلة كاظمة، ص 237، مصدر سابق.

(6) السقاف، أحمد ـ جنود في الميدان، مجلة كاظمة، ص 310، مصدر سابق.

" هذه الأزمة قد دفعت المعارف إلى استخدام طائفة غير قليلة من المتطفلين على العلم والتعليم، وشجّعت أحداثاً تركوا المدارس عاجزين عن النجاح على طلب الاستخدام في المدارس كمرسين!!! فاختلط الحابل بالنابل، وقعد المدرس بجوار من لم يستطع أن يكون بالأمس تلميذا، ونظر الطلاب من الذين جاؤوا إلى المدرسة للعلم إلى هذه الوجوه الجديدة المحشورة في الجو المدرسي نظرة الدهشة والاستغراب والتساؤل، فصرنا نقرأ على وجوههم ألف سؤال وسؤال!! ترى ما فائدة الجد والاجتهاد والمثابرة والمواظبة؟ وما فائدة الانتباه إلى المدرس والعناية بالدرس إن كان المهمل الراسب يستطيع أن يكون بإهماله ورسوبه أستاذاً في معارف الكويت!؟" (1).

وقد ناقش في هذه المقالة تخبط وزارة المعرف الكويتية، وإقدامها على تعيين معلمين غير أكفاء بسبب الحاجة الملحة للمعلمين. أما مقالته التوجيه القومي في التعليم، التي يقول فيها:

" فلقد مضى دور البداية ـ دور الارتجال والاضطراب والتجارب ـ وجاء دور مستقر ثابت قوي يطلب خطة سليمة ثابتة كما هو الحال في كلّ أمة نفضت عن جسمها غبار الركود، وطالبت بحقها في الحياة الصاخبة الواعية المنيعة، وإذا كان التعليم ضرورة من ضرورات هذه الحياة، وبدونه لا يمكن لأية امة أن تعيش، فإنّ من اهم نتائج التعليم الانسجام في التفكير، والاتحاد في الشعور والتكاتف وقت الحاجة في الواجبات الوطنية والمسؤوليات الاجتماعية وغيرها"(2).

وقد عالج فيها ضرورة النهوض بالكويت، بالاعتماد على التعليم المثمر كخير طريق لذلك، ورأى أن الضروري الملح هو رفد العملية التعليمية بالفكر القومي، الذي يكفل بناء جيل كويتي مؤمن بعروبته، وقوميته.

مقالة التقرير:

التقرير هو مقال يُوضِّح موقِفاً أو تصّوراً اجتماعِيّاً، أو اقتصادِيّاً، أو ثقافِيّاً، ويتّم فيه توضِيح الموقِف، وإبراز إيجابياتُه وسلبياتُه، ويُمكِن عرض وجْهات النّظَر والأفكار من خلاله، ويُفيد في التّوثِيق، وتسجيل الأحدَاث والوقائع والمعلومات، والتي يُمكِن الرُجوع إليها والاستِفادة منها، والتّقارِير من أكثر الوسائل التي تُساعِد على فهِم واستِيعاب المعلومات والحقائِق.

(1) السقّاف، أحمد ـ التعليم رسالة لا مهنة، مجلة كاظمة، ص 195، مصدر سابق.

(2) السقاف، أحمد ـ التوجيه القومي في التعليم، مجلة الإيمان، ص 123، مصدر سابق.

وقد اهتم السقّاف في هذا النوع من المقالة بالخبر الأدبيّ الثقافي، وكتب عنه التقرير المناسب دون أن يعني ذلك أنّه مراسل لصحيفة أو مجلّة، فقد كان ذلك ضمن اهتماماته الأدبيّة لا سيّما وأنّه شغل لفترةٍ طويلةٍ منصب الأمين العام لرابطة الأدباء الكويتيّين، ومن ذلك مقالاته التي نشرها بمناسبة انعقاد أو حضور مؤتمرات الشعر ومهرجانات الأدب، فكان يسرد فيها بعض الوقائع ويعلّق على بعض الأحداث التي جرت في المؤتمرات، ومنها مقالته التي جاءت بعنوان مؤتمر الأدباء الثامن ومهرجان الشعر العاشر، وقد ناقش في هذه المقالة مجموعة من وقائع المؤتمر(1) وأدلى ببعض الآراء، فأورد فيها مثلاً، أنّ الشعراء الكبار لم يأتوا بشيءٍ جديد في هذا المهرجان، يقول:

" ثمّ إنّ الشعراء الكبار، محمد مهدي الجواهري وبدوي الجبل، وعمر أبو ريشة الذين تطلّع الجمهور إلى سماع روائعهم لم يستطيعوا أن يقدّموا شيئاً جديداً للمهرجان، فالجواهري ألقى قصيدتين قديمتين(...) وبدوي الجبل قرأ قصيدة قديمة يعاتب فيها دمشق، وعمر أبو ريشة قرأ أبياتاً من بعض قصائده القديمة"(2).

كما ناقش ما عدّه رأياً غريباً، وهو ما طرحه رئيس الوفد اليمنيّ، الذي اعتبر أنّ شعراء بلاده لا يستطيعون اللحاق بركب الشعر الحديث، فيما رأى أنّ الشعر الحديث في المضمون، وفي معالجة القضايا المعاصرة، وليس بالتخلّي عن الوزن والقافية، وأنّ التزام الوزن والقافية ليس تخلّفاً. يقول:

" ولعل أطرف ما سمعناه من التعقيبات والتعليقات، ذلك التساؤل الذي وجّهه رئيس وفد جمهورية اليمن الجنوبية حين قال كيف يستطيع بلدٌ كاليمن الجنوبية أن يلحق بركب الشعر الحديث وهو متخلّف، ومازال الشعراء فيه يلتزمون الوزن والقافية؟؟ فتلفّت الكثيرون لهذا التساؤل وتبادل بعضهم الابتسامات!! ولا أدري كيف أفسر إقدام السيد الجاوي رئيس وفد جمهورية اليمن الجنوبية على طرح هذا التساؤل وهو المثقف اللبيب الواعي، فهل فاته ان الشعر الحديث هو الشعر الحي الحافل بمشاكل هذا العصر،

---

(1) المُنعقد في دمشق 1971/12/11.

(2) السقّاف، أحمد ـ مؤتمر الادباء الثامن ومهرجان الشعر العاشر، مجلة العربي، ص70، مصدر سابق.

ولا فرق في هذا بين شعر مقفّى موزون وبين شعرٍ منطلق منثور. أليس الشعر الحديث إنما هو ذلك الشعر الذي يقف مع قضايا الإنسان، مع كفاحه وطموحه من اجل حياةٍ حرّة كريمة وعيش أفضل؟؟ إنني لأعتقد جازماً أنّ الشعر الحديث ليس قطعاً ذلك الشعر المتحلل من الوزن والقافية ومتى كان التزام القافية تخلّفاً؟"(1).

كما تحدّث في موضعٍ آخر عن الأمسيات الشعريّة التي عُقدت في هذه المناسبة:

"أما الشعر فقد كانت أمسياته جميلة حقّاً، بالرغم من اشتراك بعض شاعرات أردْنَ أن يعاقبن الجماهير عقاباً مرهقاً حين قران سأماً طويلاً أشبه ما يكون بما نظم في النحو والفقه وعلم الكلام، وكان من حقّ الناس على المهرجان أن يسمعوا شعراً لا أن يسمعوا ذلك النظم الممجوج."(2).

وفي خاتمة المقالة ربط فعاليات المؤتمر والمهرجان بالقضايا القوميّة، وعلى رأسها قضيّة فلسطين، يقول:

" وقد أنهى المؤتمر جلساته بجلسة لرؤساء الوفود أقرّوا فيها القرارات والتوصيات (...) إنّ الأمة العربية تمر بأخطر مراحل حياتها وإذا كان الادباء والشعراء لم يضعوا نصب أعينهم المصلحة العليا لهذه الامة فلا كان ادب هؤلاء. إنّ الأعداء وفي مقدّمتهم الصهيونيّة العالميّة والاستعمار الغربي، ومن يستظلّون بظل هذا الاستعمار يسعون جاهدين لاستمرار الشقاق بين أنظمة الحكم في البلاد العربية وبخاصة تلك الأنظمة التي يرجى منها خيرٌ لفلسطين ويستغلون كلّ خلاف مهما كان عادياً بسيطاً لإذكاء نيران الفاتنة، ولقد قرأت في بعض الصحف تعليقاتٍ متهافتة عن خلافٍ وهمي بين رؤساء الوفود ولو لم أكن مطّلعا على ما دار في تلك الجلسات لما قمت بتكذيب تلك الأكاذيب المدسوسة على المؤتمر." (3).

---

(1) السقّاف، أحمد ـ مؤتمر الادباء الثامن ومهرجان الشعر العاشر، مجلة العربي، ص70، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق، ص70.

(3) المصدر السابق، ص70.

ومن هذا الشكل المقالي، أيضاً مقالته التي جاءت بعنوان، رفضنا بوعيٍ قومي أن نكون جسراً للشيوعيين(1)، وقد ناقش فيها وقائع مؤتمر الأدباء التاسع ومهرجان الشعر الحادي عشر(2)، وقد أفاض فيها في الحديث عن صنيع الشيوعيين في العالم العربيّ، وتناول الأحداث والمهاترات التي حدثت في المؤتمر. أمّا مقالة ، القلق مع مؤتمر الأدباء ومهرجان الشعر أعنف من كل مؤتمر وكل مهرجان (3)، فكانت بمناسبة انعقاد مؤتمر الأدباء السادس، ومهرجان الشعر الثامن(4)، وقد ناقش من خلالها مقرّرات المؤتمر بعد أن استعرضها، كما تحدّث عن ملابسات اختيار مكان انعقاد مهرجان الشعر، ورأى أنّ مهرجان الشعر السابق، الذي عُقد في بغداد كان أفضل، وأثنى على جماهيريّة الشعر، رغم أنّ المهرجان عُقد في جو حرب سبعةٍ وستّين والهزيمة، ورأى أنّ الجماهير قد ضاقت ذرعاً بالشعراء، وأنّها لسماع بطولات الفدائيين أحوج وأكثر اهتماماً، ثمّ ناقش مختلف الموضوعات التي أثيرت في المهرجان، ومن بينها كيف نحكم على القصائد، والجدل الدائر بين دعاة التجديد ودعاة القديم من الشعراء، والحديث الدائر عن الشعر والحرب، وقد خصّ الشاعر السوري نزار قبّاني ببعض التقريع، إذ عدّ ما قدّمه نزار من شعرٍ يكيل للعرب؛ يصبّ في خانة الحرب النفسيّة؛ التي يشنّها الأعداء على العرب والعروبة. ومن مقالاته المتأخّرة في هذا النوع ما كتبه عن مهرجان الجنادريّة(5).

مقالة الموضوعات المتعدّدة:

وقد برز هذا النوع من المقالة عند السقّاف في مرحلة متأخّرة، فظهرت مقالته بشكلٍ أكثر طولاً بالمقارنة مع المقالات الصحفيّة الأخرى، التي دأب على نشرها في القبس مثلاً، بعد مرحلة الغزو العراقي للكويت، كما أصبح يطرق عدّة موضوعات في المقالة الواحدة، وقد جاءت هذه المقالات على شكل ردود صحفيّة وتعقيبات، لما اطلع عليه في الصحافة، ولا سيّما الفضائيّات، حيث أصبح واضحاً تطوّر الشكل الإعلامي، لاسيّما أنّ محطّات التلفاز هيّأت منصّات للأصوات والأصوات المضادة، بشكلٍ لم يُعهد من قبل. ومن ذلك مقالته، حول الفضائيّات والتصرّفات، وقد جاءت هذه المقالة على عدّة صفحات؛ بدأها بتعليق حول تشكيك أحد الأساتذة في حدود الكويت في مناظرة تلفزيونيّة؛ عُرضت على قناة الجزيرة، يقول:

---

(1) السقّاف، أحمد ـ رفضنا بوعيٍ قومي ان نكون جسراً للشيوعيين، مجلة العربي، ص26، مصدر سابق.

(2) المنعقد في تونس 1973/3/18.

(3) السقّاف، أحمد ـ القلق مع مؤتمر الأدباء ومهرجان الشعر أعنف من كل مؤتمر وكل مهرجان، مجلة العربي، ص، مصدر سابق.20.

(4) وقد عُقد في الإسكندريّة.

(5) السقّاف، أحمد ـ الجنادريّة، جريدة القبس، ص39، مصدر سابق.

"عجبت أشد العجب مما ورد في كلام الدكتور الفيل من التشكيك في امر حدود الكويت أثناء مناظرة في قناة الجزيرة، والغريب أن يلجأ الدكتور الفيل إلى حكاية المؤامرات التي تحاك حول العراق منذ زمن طويل محاولاً التماس المسوغ لذلك العدوان الغادر الفاجر صيف 1990، ومن حسن الحظ ان الدكتورة معصومة المبارك قد استعدّت لتفنيد تلك المزاعم المتهافتة"(1).

وبعد أن استعرض ما جاء به الدكتور الفيل، وبعدما أثنى على أداء الدكتورة معصومة ودفاعها، أفاض بما لديه من حججٍ منطقي ليفنّد رأي الفيل، يقول:

"أمّا حكاية المؤامرة التي تحاك ضدّ العراق، كما قال الدكتور الفيل، فإنّها غير قادرة على المجيء بشيءٍ جديد مادام القادة في العراق هم المنفّذين للمؤامرة، بل إنني لأجد الامر أهم وأعظم ـ إن كانت هناك مؤامرة حقّاً ـ وإلا فكيف بالله عليكم يقدم صدام حسين على غزو الكويت وهي جزء من الجزيرة العربية ما دامت هناك مؤامرة على العراق قديمة جديدة مستمرة كما قال الدكتور الفيل؟! أما كان الواجب يفرض على صدام وجماعة صدام الابتعاد عن المغامرات غير المحسوبة؟ أم أنّ صدام كان مشتركاً في المغامرة ضد العراق والكويت وبلدان الخليج العربي والأقطار العربية جمعاء"(2).

وفي المقطع الثاني تناول قضيّة التضامن العربي من خلال معالجة اللقاء الذي جمع رئيس جمهورية مصر العربيّة محمّد حسني مبارك بالعقيد القذّافي الذي كان قد أعلن بالأمس القريب أنّه أفريقي، يقول:

" في اليومين الماضيين رددت مقطعاً من أغنية لنجاة الصغيرة تقول فيه، (ورجعت ما أحلى الرجوع إليه)، بعد ان رأيت العناق الحار بين قائد التضامن العربي رئيس جمهورية مصر العربية، وبين الأخ معمّر القذافي الذي قال بالأمس أنه أفريقي، ولا يجب أن يظلّ مرتبطاً بالمسيرة العربيّة زاعماً أن القومية لا تتحقّق إلا بقيام الامة الواحدة ذات الدولة الواحدة، ومن واجبي ان أبيّن في هذا المقام، انّ القومية العربية لا يشترط لها وجود الامة الموحّدة في الدولة الواحدة، فالأمة ذات الآلام والآمال واللغة الواحدة والتاريخ المشترك تبقى امة واحدة وغن جزّأتها يد الأجانب، فكلّ شعب يتميّز بأوصاف معيّنة فهو امّة والشعب العربي كذلك....."(3)

---

(1) السقّاف، أحمد ـ حول الفضائيات والتصرّفات، جريدة القبس، ص10، مصدر سابق.

(2)السقّاف، أحمد ـ حول الفضائيات والتصرّفات، جريدة القبس، ص10، مصدر سابق.

(3) المصدر السابق، ص10.

أمّا الموضوع الأخير فقد ناقش فيه اللغط الذي أثير حول مهرجان هلا فبراير، وما رافقه من مغالطات، ومحاولة إقحام الدين، ومنع الناس من الفرح، وفرض العبوس، والكآبة عليهم.

وفي مقالة أخرى جاءت بعنوان حول المناظرات والتصريحات(1)، ناقش تصريحاً لوزير الخارجيّة العراقي طارق عزيز؛ زعم فيه أنّ الكويت كيانٌ مصطنع أقامه الإنكليز لمحاصرة العراق، وقد فنّد هذا الزعم معتمداً على التاريخ، وأكّد أنّ الكويت كيان سياسيّ كان قائماً منذ القرن السادس عشر الميلادي، أي قبل نشوء الدولة العراقيّة الحديثة بأربعة قرون. كما ردّ في مقطع آخر على سيّدة كويتيّة ظهرت على الفضائيّة الكويتيّة؛ قالت: إنّها لا تحب أن تنتسب للعرب؛ ففنّد رأيها بالمنطق والوقائع، إذ رأى أنّ العرب هبّوا لمساعدة الكويتيين، ودعموا التحالف الدوليّ، ولولا ذلك لما تمكن التحالف من قصم ظهر الطغيان، بهذه السرعة وهذه العمليّة الخاطفة، وانتهى إلى أنّ العروبة جلد الإنسان العربيّ؛ الذي لا يستطيع أن يغيّره حسب الظروف، وهذا ما ذكّره بالقذافي الذي تبرأ من العروبة، وزعم أنّه أفريقيّ لكنه نسي أن يغيّر لغته العربيّة، وتابع ساخراً كان على هذا القائد الأفريقي، أن يجد طموحه في لغة التوتسي أو الهوتو. وفي حديث آخر ناقش أفكار أحد المفكّرين البربر، وقد ظهر على إحدى الفضائيات، ليكيل السباب والشتائم للعرب والعروبة، لكنّ السقّاف ظلّ على عهده وصدقه تجاه العروبة، فهو يعلم أنّ غزو الكويت لم يكن بسبب العروبة، إنّما كان سببها رجلٌ فاشستيّ مستبدٌّ، تغنّى بالعروبة لتغطّي مطامعه، وأفكاره العدوانيّة الآثمة، وهي منه براء؛ يقول:

"وإذا كان الأخ البربري قد أفزعه ما فعل صدّام حسين بالأكراد وهو يتغنّى بالقوميّة العربيّة، فليعلم أنّ القوميّة العربيّة قوميّة إنسانيّة وهي لا تعني غير التضامن العربيّ، وإنّها والله لبريئةٌ من صدّام وأعوان صدّام(2)".

وقاده الحديث عن القوميّة لإيراد لمحة تاريخيّة عن ظهور الفكر القوميّ في العراق وتطوّره فعاد بالتاريخ لعام 1921، ليتحّدث عن الرجال الذين أرسوا دعائم القوميّة العربيّة في العراق أيام الملك فيصل، يقول:

---

(1) السقّاف، أحمد ـ حول المناظرات والتصريحات، جريدة القبس ع 9195 (1999/1/24) ص8.

(2) السقّاف، أحمد ـ حول المناظرات والتصريحات، جريدة القبس ص8، مصدر سابق.

"ولكي يخرج الشعب العراقيّ من الارتباط بهؤلاء وأولئك استعان الملك فيصل بالإعلام من المفكّرين العرب، وفي طليعتهم ساطع الحصريّ، وكان يرعى هذا التوجّه نخبةٌ من رجالات العراق في مقدّمتهم ياسين الهاشميّ ومحمّد رضا الشبيبي، واشتهرت الحركة القوميّة بفضل المئات من الأساتذة القادمين من مصر وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن، فكان هؤلاء (....)، وما علم هؤلاء أنّ زمناً سيأتي بصدّام حسين يسدّد طعنةً في ظهر القوميّة العربيّة ويدفع بعض من تعلّق بها إلى الانقلاب عليها وتجريح روّادها الأوائل....(1)".

وفي مقالة لاحقة جاءت بعنوان عود على بدء(2)، ناقش فيها بعض ما جاء في المقالة السابقة ثمّ تحدّث عن تاريخ الفكر القوميّ في العراق، وأنّه بدأ مع الملك فيصل على يد ثلّة من رجال العراق الأفذاذ، يأتي في مقدّمتهم ساطع الحصري، أما الطغمة التي حكمت العراق فيما بعد وأعلنت أنّها من دعاة القوميّة، فهي لا تنتمي إلى تيّار ساطع الحصري القومي، الذي يحمل المعاني الإنسانيّة للقوميّة. ثمّ انتقل لمعالجة أحد الطروحات التي صدرت على لسان أحد الذين ظهروا على قناة الجزيرة، ليقول أنّه يكفي صدّام فخراً انّه وجه أربعة عشر صاروخاً إلى إسرائيل، حين هاجمته قوات التحالف في فبراير 1991. ويرى السقّاف، أنّ كثيرين من أبناء الوطن العربيّ يفكّرون كما يفكّر هذا الرجل، والأمر على هذا الشكل يحتاج إلى جهد كبير، من أجل نشر التوعية بين الناس ليعرفوا الحقائق. وفي المقطع الثالث تحدّث عن ضرورة قيام الاتحاد الكونفدرالي بين دول الخليج العربيّ ومسوغات هذا الاتحاد وما سيقدّمه من نفع يعم بلدان الخليج.

5. المقالة النزاليّة:

"المقالة النزاليّة فنٌّ خاصٌّ يُكتَبُ لأهدافٍ معيّنة، في مقدمتها التأثير على القرّاء من جهة، ومناوأة الاتّجاهات المضادّة من جهة أخرى، وقد ينطلق الكاتب في هذا النوع من المقالة من آراء مسبَّقة، تؤيّد كاتب المقال وتحمل القارئ على اعتناقها، مُستخدمًا الأسلوب النزاليّ الذي يحتمل شجب الآراء المخالفة وتسفيهها"(3)،

(1) السقّاف، أحمد ـ حول المناظرات والتصريحات، جريدة القبس، ص8، مصدر سابق.

(2) السقّاف، أحمد ـ عودٌ على بدء، جريدة القبس، ع 9210 (1999/2/8) ص10.

(3) شرف، عبد العزيز ـ فن المقال في أدب طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974، ص280.

"وقد اكتسب هذا الفنّ المقاليّ في النزال خصائصه منذ كانت الصحافة النزاليّة في إنجلترا في القرن الثامن عشر، نوعًا من المصارعة الحرَّة، وسيلةُ المصارع فيها أن يصرع ولو بالكيد، وغايته منها أن يغلب بأيّة وسيلة"(1). لذلك كانت الخصومات الأدبيّة والسياسيّة تقوم بين الحين والحين، يخوض فيها الأدباء والصحفيّون والساسة، "وقد ظهر هذا النوع من المقالة في الأدب العربيّ في الصحافة المصريّة التي كشفت عن معارك حامية الوطيس بين أنصار التراث من جهة وأنصار التجديد، كالمعركة التي بدأت على صفحات جريدة الجريدة، وتناظر فيها: الرافعي عن القديم وطه حسين عن الجديد، ثم ما لبثت هذه المعركة أن اتسعت رقعتها وامتدت لتشمل ميادين أخرى ولا سيما الجدل الذي دار بين الصحف السياسيّة الحزبيّة"(2).

كان مفترضا أن يكون هذا النوع من المقالة موضوعيّا، بفرض أنّه يناقش موضوعاً ويحاول إثباته بالأدلة والبراهين، بيد أنّ ما يحدث هو أنْ يسترسل الكاتب فتنفلت عواطفه، ومشاعره لتعبّر عن ذاتها في المقالة، فيحدث أنْ تظهر في النصّ الكلمات الجارحة، أو المهينة، أو الساخرة، أو التهكميّة، لتعبّر عن شعور الكاتب تجاه خصمه ونصّه.

(1) إمام، إبراهيم ـ فن المقال الصحفي في الأدب الإنجليزي ص215، مرجع سابق.

(2) شرف، عبد العزيز ـ فن المقال في أدب طه حسين ص280، مرجع سابق.

وفي أدب السقّاف يمكن العثور على هذا النوع من المقالة؛ وإن لم تكن بينه وبين آخرين خصوماتٌ أو معارك مُعلنة(1)، إلا أنّه وجد نفسه مضطراً في بعض الأحيان لدخول هذا الميدان، فقد كان للسقّاف مواقف حادّة تجاه بعض الأشخاص الذين أساؤوا للعروبة والقوميّة بشكلٍ أساسيّ وموضوعات أخرى بشكلٍ أقلّ. لقد خاض السقّاف نقاشات عنيفة مع سعيد عقل كما ذكر بسبب موقفه من العروبة واللغة العربيّة(2)، "كما تغير موقفه من الشاعر نزار قباني الذي وصفه مرّة بالفحل"(3) ثم عاد ليشهّر به بعد أن اعتدى على العروبة والعرب في قصيدة له في مهرجان الشعر(4)، كما كانت للسقّاف سجالات ومناوشات أخرى مع العديد من الأشخاص والكيانات ولا سيّما ما يصطلِح عليه الأمميّة الإسلاميّة والأمميّة الشعوبيّة (الشيوعيّة)، ولا يخفى ما لهذين التيارين من عداء وخصومة مع حركة القوميّة العربيّة(5). وهذه وتلك، نراها متفرّقة في مقالاته دون أن تكون المقالة خاصّة بهذا الموضوع. أمّا ما عنيناه بالمقالة النزاليّة عند السقّاف فيمكن أن نجدها في عدة مقالات خُصصت للنزال والجدل منها، كلمة في الاستفتاء الغريب(6)، والتي ثنّاها بأخرى جاءت تحت عنوان حاشية على الاستفتاء الغريب(7)، وقد نشرهما في البيان، ومن مقالاته القديمة يمكن أن نعدّ مقالته أشياء(8)، المنشورة في مجلة الإيمان من هذا النوع.

---

(1) في الواقع كان للسقّاف أعداء كثيرون ممن يمقتون اتجاهه القوميّ، بيد أنّ السقّاف لم يكن متحزّباً أو منضوياً تحت راية حزبٍ بعينه، وهذا ما خفّف من وطأة الصراعات الفكريّة بينه وبين أصحاب التيار الديني الواضح في الكويت، فكان يحاجج خصومه هؤلاء وغيرهم أحياناً ضمن مقالاته بمنطق الإشارة والتعريض، بمعنى أنّ المقالات لم تكن مخصّصة للردّ عليهم، ولكن بعض المقالات كانت مهمتها الرد على خصومه وهي ما وضعناها في باب المقالة النزاليّة، أمّا خصوم السقّاف الفكريين فهم واحد متعدّد فهم أعداء القومية العربيّة على اختلاف مذاهبهم.

(2) السقاف، أحمد ـ خواطر في بعض مشكلات العروبة، مجلة البيان، ص40، مصدر سابق.

(3) محفوظ، حافظ ـ أقلام خليجيّة ص59، مرجع سابق.

(4) السّقاف، أحمد ـ مع مهرجان الشعر ومؤتمر الأدباء، القلق أعنف من كل مؤتمر وكلّ مهرجان، مجلة العربي، ص22، مصدر سابق.

(5) ينظر: السقّاف، أحمد ـ رفضنا بوعيٍ قومي أن نكون جسراً للشيوعيين، مجلة البيان، ص27، مصدر سابق. وقد حملت المقالة ضمن أحاديث أخرى؛ حديثاً عن المشاحنات بين الأدباء العرب ولا سيّما الشيوعيّون منهم كما تحدّث عن عداء التيار الإسلاميّ للقوميّة العربيّة.

(6) السقّاف، أحمد ـ كلمة في الاستفتاء الغريب، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(7) السقّاف، أحمد ـ حاشية على الاستفتاء الغريب، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(8) السقّاف، أحمد ـ أشياء، مجلة الإيمان، ص 183، مصدر سابق.

ففي مقالته الأولى كلمة في الاستفتاء الغريب؛ قدّم للمقالة أنّ ليس من عادته الردّ على ما ينشر في الصحف المحلية من أفكار لا تعجبه، لكنّه وجد نفسه مضطراً للدخول في هذا الموضوع والردّ بعد أن عرض عليه أحد الطلاب استفتاءً تضمن سؤالاً قبيحاً لا يليق بصحيفةٍ عربيّةٍ، يقول:

" لقد زارني قبل سفري واضع الأسئلة، وطلب منّي الرد على الاستفتاء ودهشت حين وجدت واحداً من أسئلته يقول: ما رأيك فيمن نعت العروبة بالصهيونية، ونظرت إليه مستغرباً وهو الشاب الفلسطينيّ الذي يعرف معنى العروبة والعرب والقوميّة العربيّة، فبادرني قائلاً إنّ واحداً من زعماء إيران وصف العروبة بالصهيونيّة!!"(1).

ويرد السقّاف على الطالب: إنّ العصابات الصهيونيّة في فلسطين تقول عن أبطال الثورة الفلسطينية إنّهم إرهابيون؛ فهل يجوز أن نستفتي على صفحات الجرائد عن مدى صحة هذا النعت، ويتابع أنّ صاحب هذا النعت؛ تحطّمت آماله على حدود العراق، وهو لا ينسى ثارات قومه الفرس ونقمتهم على العروبة. لقد أثار هذا السؤال حفيظة السقّاف واضطره لينزل ميدان السجال والصراع، فكان خصمه الأوّل الطالب صاحب السؤال، وكان قد نصحه بحذفه إلا أنّه لم يفعل، وخصمه الآخر هو الإيرانيّ؛ صاحب الوصف. وقد فنّد رأيه للطالب في المقدّمة، أمّا خصمه الرئيس فهو الأستاذ الجامعيّ الذي ردّ على السؤال بطريقةٍ أثارت ثائرة السقّاف؛ ويورد السقّاف في متن مقالته السؤال والردّ كما يأتي:

"رادف بعض المسلمين بين العروبة والصهيونيّة فهل ترى المساواة في ذلك صحيحة؟ ويردّ الأستاذ الجامعيّ بالآتي: قد تكون المرادفة والمساواة في ذلك صحيحتين، لأن وجود العرب اليهود لا ينفي كونهم منتمين إلى الصهيونيّة(2)".

ثم يعمد السقّاف لتفنيد هذا الرد خطوةً خطوة، فاعتراضه الأول على السؤال الذي تضمّن إبهاماً حول أنّ (بعضاً من المسلمين)، وكان الصواب القول: إنّ زعيماً إيرانيّا هو الذي قال. ويستخدم التهكّم والسخريّة في الردّ على الأستاذ الجامعيّ؛ المجيب على السؤال، فيقول:

---

(1) السقّاف، أحمد ـ كلمة في الاستفتاء الغريب، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق، ص6.

" أمّا ردّ الأستاذ الجامعيّ فهو غريبٌ وعجيب، ويبدو جليّاً أنّ فهمه في العروبة والقوميّة كفهمي في صنع القنابل الذريّة(1)".

ثم يلجأ إلى تفنيد رأي الأستاذ الجامعيّ بالحجّة والمنطق، يقول:

" ومن قال للأستاذ الكريم أنّ يهود البلاد العربيّة يدخلون في رابطة القوميّة العربيّة، لقد رفض هؤلاء وما زالوا يرفضون أن يكونوا عرباً؛ رغم عيشهم الطويل في الوطن العربيّ زاعمين أنهم عبرانيون ...(2)".

ويعود لمناقشة الطالب الفلسطينيّ صاحب السؤال ويعيب عليه نشره بعد أن نصحه بألا يفعل، ويتابع مستفسراً ماذا قدّم العالم الإسلاميّ لقضيّة فلسطين أمام ما قدّمه العرب من تضحيات، ويتساءل عن دور كلٍّ من إندونيسيا وتركيا وباكستان وإيران في هذه القضيّة، ويرى أن ارتباط هذه الدول بأمريكا، لا يسمح لها بالقيام بأدنى دور تجاه مأساة الشعب الفلسطينيّ.

وبما أنّ الأستاذ الجامعيّ من خلفيّةٍ حزبيّة دينيّة معروفة؛ يعود السقّاف لتوضيح قصر نظر هذه الجماعة ـ من وجهة نظره ـ يقول:

"إن الإنسان عدو ما جهل، والحزبية الدينيّة منذ انبثاقها في مصر في أواخر الثلاثينيّات وهي مغمضة العينين لا تستطيع أن ترى نور العروبة(3)".

ويتابع في تفصيل الأسباب التي جعلتها على هذه الحالة، من خلال الشاهد التاريخيّ والدليل والبرهان، ويرى أخيراً، أنّه كان على هذه الحزبيّة الدينيّة أن تعيد بناء خطّة عمل جديدة، مستفيدةً ممّا استجدّ على الساحة العربية آنذاك، وكان على الذين يسيرون على هذا النهج في الكويت، ألا يتمسّكوا بالموقف القديم من العروبة. لكنّهم ساروا على هذا الطريق، وهم في ذلك لن يستدرجوا غير السذّج ولذلك هم مهزومون لا محالة(4).

---

(1) السقّاف، أحمد ـ كلمة في الاستفتاء الغريب، مجلة البيان، ص5، مصدر سابق.

(2)السقّاف، أحمد ـ كلمة في الاستفتاء الغريب، مجلة البيان، ص5، مصدر سابق.

(3) المصدر السابق، ص7.

(4) المصدر السابق ص8.

ثم ينتقل للحديث عن تآمر الإمبريالية الأمريكية والاستعمار وإسرائيل على الأمّة العربية، ويعدّد منجزات حركة القوميّة العربية من خلال تصديها للعدوان الثلاثيّ وتأميم قناة السويس وبناء السد العالي وتجربة الوحدة بين سورية ومصر، وقيام الثورة في العراق الذي أخرج العراق من حلف بغداد، ثم طرد الفرنسيين من المغرب وتونس والجزائر، والقضاء على الحكم المتعفّن في شمالي اليمن، وتحرر جنوبه من البريطانيين وتقتلع الوجود الاستعماري من الخليج العربي، ورغم هزيمة 67 فإن إنجازات القوميّة العربيّة استمرت فانطلقت الاشتراكية وتمّ تأميم النفط وظهرت قيادات شابّة عربيّة ملتزمة بالعروبة والقوميّة، والعراق الذي تصدى للتحرش الإيراني خير دليلٍ على ذلك، في الخاتمة يرى أنّ هذه الحزبيّة الدينيّة بهذا الشكل الداعي إلى الطائفية الضيّقة والمستمرّة في التحامل هي جزءٌ لا يتجزأ مما أعدّ الأعداء لمسيرة هذه الأمّة، لكن العزاء في أنّ المدّ القوميّ في ازدياد وأنّه لن ينحسر بإذن الله ما دامت العروبة غير عاديةٍ ولا باغية(1).

ينطلق السقّاف في المقالة السابقة من أفكار وأراء مسبقّة ترتهن إلى عقيدته القوميّة العروبيّة من جهة، ورأيه بالـ (حزبية الدينيّة) التي عناها في المقالة، وفي هذه المقالة النزاليّة حاول السقّاف إخراس الصوت المضاد وتسفيهه مرّة بالمنطق والبرهان، ومرّة بالمبالغة التهويل؛ إذ لا يصحّ أنْ نعدّ كل ما عدّده السقّاف من منجزاتٍ للحركة القوميّة هو منجزاتٌ على أرض الواقع، لا سيّما أنّ وجهة النظر المخالفة تنظر إلى هذه المنجزات بطريقة أخرى. كما استخدم التهكم والسخرية في معرض حديثه عن فهم الأستاذ الجامعيّ بالقوميّة والعروبة، كما استخدم الألفاظ الفجّة اللاذعة أحياناً فأصحاب هذه (الحزبيّة الدينيّة لا يستطيعون أن يخدعوا إلا السذّج)، كما أنّه لم يتوانَ في النهاية، عن توظيف الاتّهامات التي قد تكون كيّدية تجاه هذه الجماعة، في سبيل إخراس هذا الصوت وإسكاته، وإبراز الحقيقة التي يراها ويؤمن بها، ويريد من القارئ أن يقتنع بها.

كما صرح السقّاف في هذه المقالة وفي غيرها، فإنّه لا يحب الدخول في مثل هذه المهاترات والمشاحنات، غير أنّه كما يبدو قد ورّط نفسه فيها، فالمقالة التالية له جاءت بعنوان حاشية على الاستفتاء الغريب(2)، ومن العنوان نكتشف أنّ محتوى المقالة يبدو وكأنّه جاء استكمالاً للمقالة السابقة، وفي الواقع فقد جاءت المقالة ردّا على اللغط الذي أثير حول مقالته السابقة، يقول في المقدّمة:

---

(1) ينظر: السقّاف، أحمد ـ كلمة في الاستفتاء الغريب، مجلة البيان، ص8و9، مصدر سابق.

(2) السقّاف، أحمد ـ حاشية على الاستفتاء الغريب، مجلة البيان، ص 4، مصدر سابق.

" منذ يومين ... وقع نظري على محاولات ساذجة فجّة كرد على مقالي المنشور في العدد السابق".

ثم اختصر ما جاء في المقالة المعنيّة:

"وكان من تلك المحاولات ما كتبه طبيب شاب... أشاد بالعرب مخالفاً الحزبية الدينية والشعوبية الآثمة اللتين عرفتا بالتهجّم على العرب والانتقاص من شأنهم غير أنه كعادة الحزبيين تحامل على العروبة وشجب دعوة الداعين إليها خوفاً على البربر في الجزائر والمغرب كما يقول وبكى على ضياع القارة الهنديّة وإيران وتركيّا من أيدينا مع بلدان إسلاميّة أخرى ثمّ عرّج على الذين يلبسون الملابس العالميّة الحديثة ودعاهم إلى التقيد بالملابس التي كانت سائدة في الجزيرة العربيّة قبل أربعة عشر قرناً كملابس الرسول عليه الصلاة والسلام(1)".

ويروي السقّاف أنّه عندما وضع هذه المحاولات الساذجة كما يصفها أمامه، فكّر بعدم الردّ؛ لكنّ بعد مناقشة مع صديقه، قرّر الرّد، لأنّ صديقه أقنعه أنّ هناك كثيرين يحتاجون إلى التوجيه المستمرّ، وتفنيد الأوهام والأباطيل، التي يثيرها (الضائعون) على حدّ وصفه. وتابع السقّاف في تفنيد المقالة نقطةً نقطة، معتمداً على المنطق حيناً، والزعم حيناً، والكيديّة من أجل دحض آراء خصومه، وتثبيت أفكاره، ومقولاته منطلقاً، من مسلّماته المسبّقة في القوميّة(2).

عُرف عن السقّاف هدوءه وترويه واتّزانه بشكلٍ عامّ، لكنّ الأمر كان يختلف عندما يرى أنّ أحداً يحاول الانتقاص من العروبة أو الفكر القوميّ، فهنا تثير ثائرته. ورغم أنّه لا يدخل كثيراً في المساجلات والجدل والنزال، فقد كان أحياناً لا يرى بداً من كسر بعض القيود والحواجز التي اصطنعها لنفسه، فيردّ بمقالةٍ، بل كان يرى ذلك واجباً أحياناً، وكان ذلك منذ بداياته فقد نشر عام أربعةٍ وخمسين ميلاديّة مقالةً تحت عنوان، أشياء(3)، هاجم فيها أحد الأكاديميين الزائرين في جامعة البحرين، وكان قد ألقى محاضرةً وصف فيها العرب بأنّهم (شذّاذ آفاق)، فاستشاط السقّاف غضباً؛ ووصف فيها المتحدث بالصفيق، ثمّ ثنّى بعتبٍ على من ترك الموقف يمرّ بهذه السهولة أثناء إلقاء المحاضرة، يقول:

---

(1) السقّاف، أحمد ـ حاشية على الاستفتاء الغريب، مجلة البيان، ص 4، مصدر سابق.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص 5.

(3) السقّاف، أحمد ـ أشياء، مجلة الإيمان، ص 184، مصدر سابق.

" العرب شذّاذ آفاق ــ هذا ما قرأته في مجلة صوت البحرين في العدد الخامس وخلاصة الخبر أنّ مدرساً (....) قال بالحرف الواحد كما تقول المجلة المذكورة ((أقول، وأنا عارفٌ بما أقول، مدركٌ لما أقول، عالمٌ بتبعة ما أقول، مصرٌّ على ما أقول، ولأذهب انا وعقبي إلى النار إن تراجعت عمّا أقول، أقول هنا وأتحدّى لا متوارياً خلف صحيفةٍ أو مجلّة، أن أقول إنّ العرب شذّاذ آفاق)) وقد علّقت مجلّة صوت البحرين المجلّة القوميّة الكريمة على هذه المحاضرة المسمومة بما فيه منتهى الكفاية، غير أنّ الواجب يحتّم علينا أنْ نعلّق بما يأتي: ((نقول، ونحن عارفون لما نقول، مدركون لما نقول، عالمون بتبعة ما نقول، مصرّون على ما نقول، ولنذهب نحن وأعقابنا إلى النار إن تراجعنا عمّا نقول، نقول هنا، ونتحدّى لا متوارين خلف ضيافةٍ أو تعاقد، نقول: إنّ المحاضر إنْ قال ((العرب شذّاذ آفاق)) فهو صفيقٌ صفيقٌ، وإنّ مثله لا يجرؤ مهما بلغت شعوبيّته أن يقول مثل هذا القول في الكويت ولو قال لسُحب برجليه وأُنزل من المنبر ....(1)".

ثم يرسل عتباً إلى مدير أوقاف البحرين، الذي اعترض على المحاضر، ورأى السقاف أنّ واجبه كان: " أن يعيد تلك البضاعة المزجاة إلى أصحابها مع تقرير مفصّل عن رداءتها لتكون عظةً رادعةً وعبرةً نافعةً لأمثال هذا المدرس الشعبويّ الصفيق!(2)".

---

(1) السقّاف، أحمد ـ أشياء، مجلة الإيمان، ص 185، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق ص 184.

فردٌّ مجلّة صوت البحرين الكافي بحسب رأيه، لم يمنعه أن يدلي بدلوه ولذلك اختار أن يهاجم المحاضر، ووصفه بالصفاقة مستخدماً السخرية، إذ استعمل أسلوب المحاضر نفسه، وفي سياقه ذاته ليصل بالنتيجة إلى أنّه (صفيقٌ صفيقٌ صفيقٌ)، ثم حذّره من أنّه لو فعل ذلك في الكويت لسحب من رجليه من منبره، وهي إهانة شديدة له، كما أنّه عتب على مدير أوقاف البحرين الذي قاطع المحاضر، لكنّه لم يعمل على إنهاء تعاقده، وإرساله، واصفاً إياه بالبضاعة الرديئة وفي هذا وذاك، فقد شن السقّاف هجوماً عنيفاً لاذعاً على هذا المحاضر، دون أن يكلّف نفسه عناء البحث للردّ بمنطق عليه، أو البحث عن البراهين والأدلّة لدحض ادّعاءاته.

وبعد، فقد كتب السقّاف في المقالة النزاليّة، لكنّه لم يكثر منها، ومع ذلك فقد أثبت أنّه يستطيع الكتابة في هذا النوع كما شاهدنا في مقالته الأولى، كلمة عن الاستفتاء الغريب، فأثبت أنّه فظٌّ إذا تطلّب الموقف ذلك. تحتاج المقالة النزاليّة لشيءٍ من الجرأة، والقدرة على تحمّل تبعاتها، وكان السقّاف أبّاً لمواقفه، سخّر قلمه للدفاع عن قضيّته، كلّما ارتأى ضرورة أو صوابيّة ذلك، مستعيناً بالجدل والبرهان والسخرية والتهكّم أيضاً.

الفصل الثالث
خصائص المقالة عند أحمد السّقاف

الخصائص الشكلية

الخصائص الفكرية

الخصائص الفنية والأسلوبية

تمهيد

تشترك المقالات عموماً على تنوّعها بخصائص مشتركة، يمكن القول عنها إنّها خصائص عامة تؤطّر فنّ المقالة، وبعض هذه الخصائص قد ينطبق على الفنون الأدبيّة الأخرى، إلا أنّ توحّد هذه السمات أو الخصائص في نوع أدبيّ، لا شكّ سيدرجه تحت عنوان فنّ المقالة. وفي حديثنا عن هذه السمات، يمكن القول إنّها مستنبطة وأنها تنطبق على فنّ المقالة بشكلٍ عام، وإن كانت بعض المقالات تتخلى عن بعض هذه السمات، فلا يعني ذلك خروجها عن فنّ المقالة، ومن جهةٍ أخرى، فإنّ بعض هذه السمات جوهريّة بشكلٍ حاسم، بمعنى أنّ المقالة تحقّق كينونتها كجنسٍ أدبي، من خلال توفّر هذه الشرائط والخصائص، كما أنّ هذه الخصائص تشمل نواحي المقالة جميعاً، فمنها ما يختصّ بالناحية الشكليّة، ومنها ما يختصّ بالناحية الفنيّة، ومنها يركزّ على الناحية الفكرية للمقالة.

فالخصائص أو السمات الشكلية للمقالة نبحث خلالها في عناصر معروفة تؤطّر شكل المقالة وهي العنوان والمقدمة والعرض والخاتمة والطول. أما الخصائص الفكريّة فيتم البحث فيها عن الطروحات والأفكار التي تتضمّنها المقالة، والثيمات الكبرى التي تنتمي إليها، كما نبحث في سمات الأفكار المطروحة من جهة الوضوح والشمول وغير ذلك من جوانب. أما الخصائص الفنية فندرس فيها اللغة والأسلوب في المقالة بشكلٍ عام، والوقوف على ما يخص المقالة موضوع الدراسة، كما يتضمن ذلك دراسة الانزياح بأنواعه في المقالة، بالإضافة للتناص.

أولاً: الخصائص الشكليّة

العنوان:

يُشكّل عنوان المقالة دوراً محورياً في بنيتها، فالمقالة قد تُفهم من عنوانها الذي يكاد يلخّص موضوعها. وقد عُرّف العنوان في عصر النهضة الأوربيّة، وقبل ذلك في العصر الكلاسيكي بأنّه مجموع معقّد أحياناً، وهذا التعقيد ليس بسبب طوله أو قصره، ولكنّ مردّه إلى مدى قدرة القارئ على تحليله وتأويله(1)، لأنّ العنوان يجسد دوراً مهمّاً في جذب القارئ وشدّ انتباهه. وقد عرّفه لوي هويك أحد المختصين بالعنونة، أو علم العنوان Titrologie، كما نقل جيرار جينيت؛ هو "مجموعة العلامات اللسانيّة، من كلمات وجمل وحتّى نصوص، قد تظهر على رأس النصّ لتدلّ عليه وتعيّنه، تشير لمحتواه الكلّي، ولتجذب جمهوره المستهدف(2)". والواضح من التعريف السابق اختلاف طول العنوان ومكانه من النصّ وإشارة العنوان لمحتوى النص وكذلك هدفه في جذب القراء والجمهور. ولا بدّ للعنوان أن يتّسم بالإيجاز مع القدرة على التعبير عن القضية التي يريد الكاتب الكتابة عنها، كما ينبغي أن يتّسم بالوضوح والبعد عن الغموض.

لكلّ مقالةٍ عنوان، وتأتي أهميّة العنوان من كونه "مفتاح المقالة ودالاّ على محتوياتها، إذ هو أوّل ما يقرأه المتلقّي، ومن هنا لا بدّ من أن يثير اهتمامه، ويجب أن يتّسم بالتركيز والتعبير عن الموضوع والقدرة على جذب القارئ(3)". وتتعدّد أشكال العنوان من حيث الطول والقصر أو الوضوح والغموض أو المباشرة والإشارة. فأحياناً "يكون العنوان واضحاً من تلقاء نفسه، ويحدّد الموضوع بذاته، وهذه العنوانات، تصلح للمقالات القصيرة والسهلة والمباشرة، أي أنّها لا تعطي مجالاً للكاتب للاختيار بين بدائل من حيث التحديد، أو اختيار الزاوية التي يعالج منها الموضوع"(4). كما أنّ لاختيار العنوان طرقاً مختلفة فبعض الكتّاب، يضع العنوان قبل كتابة المقالة، وبعضهم يضع عنواناً مبدئياً ثم ينظر إن كان مناسباً بعد انتهاء المقالة، وإن لم يكن كذلك فيعمد إلى تعديله، وبعضهم يترك قضية اختيار العنوان إلى حين ينهي المقالة، فيختار ما يكون مناسباً. "

---

(1) ينظر: بلعابد، عبد الحق ـ عتبات (جيرار جينيت من النصّ إلى المناص)، الدار العربيّة للعلوم ناشرون ـ بيروت، ومنشورات الاختلاف ـ الجزائر، ط1/2008، ص65.

(2) بلعابد، عبد الحق ـ عتبات (جيرار جينيت من النصّ إلى المناص)، ص67، المصدر السابق.

(3) زهدي، عبد الرؤوف وسامي يوسف أبوزيد ـ فن المقالة، مكتبة الفلاح، الأردن، ط3/2003 ص 126.

(4) المرجع السابق، ص 126.

ويرى بعض الكتّاب أنّ من الأفضل وضع العنوان وتحديده بعد الانتهاء من كتابة المقال في صورته الأخيرة إذ يكون الهدف من المقالة قد تحدّد، ووضحت فكرة الموضوع. ومن ثم يكون الكاتب عندئذ أكثر توفيقاٍ وقدرة على اختيار العنوان المناسب لمقالته(1)". ونظراً لأهميّة العنوان في المقالة وكونه المفتاح والمنفذ إلى مضمون المقالة فثمّة سمات لابد أن تُراعى بحدّها الأدنى في كلّ عنوانٍ مقاليّ، وهي(2):

أن يكون موجزا بعيداً عن تكرار الألفاظ والأفكار.

أن يكون واضحاً، لا يحتمل غير معنى، وبعيداً عن التعقيد اللفظي، وأن يتجنّب العاميّة.

أن يتصف بالجِدَّة والابتكار.

أن يعالج قضية واحدة.

ربّما تكون هذه المواصفات في العنوان ذات طبيعة قياسيّة، وهي تحدّد بشكلٍ صارم مواصفات ما يجب أن يكون عليه العنوان، ولعلّ هذه المواصفات تتجاهل أحيانا المرحلة الأدبيّة أو التيار الأدبيّ السائد في مرحلة تاريخيّة ما، وما كان سائدا في فنون الترسل والنثر في جانب المقالة على الأخص، ومنها اختيار العنوان المناسب، ورؤية الكتّاب وطريقتهم في اختياراتهم، لما يرونه الأمثل لذلك. وللعنوانات تصنيفان، أما التصنيف الأوّل فيراعي العنوان من حيث الشكل، في حين ينظر التصنيف الثاني إلى العنوان من حيث الوظيفة.

إنّ المتتبّع لمسيرة السقّاف الأدبيّة الطويلة يلاحظ بوضوح تغيّر سياسته في اختيار العنوانات المناسبة لمقالاته، ولعلّ ذلك يعود إلى سببين؛ أوّلهما: هو التطوّر الفكريّ الذي رافق مسيرة السقّاف الأدبيّة والفكريّة، أمّا السبب الثاني فيعود لتغيّر المرحلة التاريخيّة التي عاشها السقّاف، وبالتالي تغيّر التيار الأدبيّ السائد وتأثّره فيه من ناحيةٍ أخرى، ومن المعروف أنّ السقّاف عاش مرحلة الكلاسيكيّة الأدبيّة، والمرحلة الرومانتيكيّة، كما عاش المرحلة الواقعيّة بقسميها الواقعيّة القديمة، والواقعيّة الجديدة، ولم يكن السقّاف جامداً متصلّبا أمام هذه التيارات إذ تفاعل معها في مراحل مختلفة،

---

(1) زهدي، عبد الرؤوف وسامي يوسف أبوزيد ـ فن المقالة، ص 126، مرجع سابق.

(2) ينظر: محمود، حسني وإبراهيم أبو هنطش، وصالح أبو أصبع ـ فنون النثر العربي الحديث، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط1/د.ت، ص 134.

ويشهد على ذلك أنّه نوّع في قوالبه الشعريّة، كما أنّه كتب قصيدة التفعيلة(1)، ومعنى ذلك أنّه تأثر بهذه التيارات الأدبيّة الآنف ذكرها، فالكلاسيكيّة واضحة في بواكير شعره، حتّى صُنّف كأحد روّاد الكلاسيكيّة في الشعر، أمّا الرومانتيكيّة، فهي واضحةٌ في محاولات شعريّة متأخّرة عن المرحلة السابقة، لكنّها تتجلى بعمق في فنه النثري وّنقصد به المقالة هنا، لاسيّما أنّ المقالة أصبحت تجسيداً رومانتيكيّاً من خلال نزعتها الذاتيّة في مرحلةٍ من مراحلها. لقد تأثّر السقّاف خلال حياته الأدبيّة بهذه التيارات بأشكالٍ متفاوتة، ولذلك فقد نوّع باختياراته لهذه العنوانات كما سنرى، فمن حيث اختياراته للعنوانات بالاعتماد على الشكل، نجد ما يأتي:

العنوانات القصيرة: لا يراد بهذا الوصف أن ينظر إلى العنوان بشكلٍ سلبيّ، إنّما هو توصيف لغاية نقديّة، فالغاية من العنوان إطلاع القارئ أو إمكان تنبئته بمضمون المقالة. وبعد استقراء شمل ما يقارب ثلاثمئة مقالة مختلفة ضمن مراحل زمنية متتالية، وفي مجلات وصحف متنوّعة؛ أمكن لنا إحصاء عدد مهم من هذه العنوانات التي وضعناها ضمن الجدول الآتي:

(1) للسقاف محاولات محدودة في قصيدة التفعيلة، لكنّه عدل عنها فيما بعد.

العنوان	اسم المجلة	تاريخ النشر	
		الشهر	السنة
المهمّة الكبرى	كاظمة	سبتمبر	1948
إجرام الفن	كاظمة	نوفمبر	1948
فيم يتحدّثون؟	كاظمة	فبراير	1949
جنود في الميدان	كاظمة	مارس	1949
النازحون	الإيمان	فبراير	1953
مرحى	الإيمان	إبريل	1953
لمن؟	الإيمان	مايو	1953
عقيدة وهدف	الإيمان	يوليو	1953
عودٌ على بدء	الإيمان	سبتمبر	1953
تتمّة	الإيمان	أكتوبر	1953
تقليد	الإيمان	نوفمبر	1953
بعد عام	الإيمان	ديسمبر	1953
أحقّاً أبا طارق؟	الإيمان	ديسمبر	1953
الوضع العربيّ الراهن	الإيمان	يناير	1954
أشياء	الإيمان	فبراير	1954
نحو مؤتمرٍ حر	الإيمان	إبريل	1954
شعر الديارات	العربي	مايو	1966
أيها الأقصى الحبيب	البيان	مايو	1982
الجنادريّة	القبس	أبريل	1995
العروبة لا تتجزّأ	القبس	فبراير	1995

القوميّة والتضامن	القبس	ديسمبر	1995
السلاح الفتاك	القبس	مايو	1995
ديمقراطية الطغيان	القبس	نوفمبر	1995
القمة الخليجيّة	القبس	ديسمبر	1995
متى سنبدأ!	القبس	يونيو	1996
من بعيد	القبس	يونيو	1990
في ذكرى الاستقلال	الكويت	مايو	1997
العرب وكارثة آب	الكويت	أغسطس	1997
في ذكرى العدوان	الكويت	أغسطس	1998
أهلاً بالعيدين	القبس	فبراير	2000
هاتوا برهانكم	القبس	ديسمبر	2000
غويلز يتكلّم	القبس	فبراير	2003

جدول رقم(1) العنوانات القصيرة

وبعد تفحّص هذه العنوانات يمكن الخروج بالنتائج الآتية:

بشكلٍ أساسيّ، تنتمي هذه العنوانات إلى مرحلة السقاف المُبكِرة، ولا سيّما مرحلة مجلّة كاظمة ومجلّة الإيمان، بل شكّلت العنوانات القصيرة لمقالات هذه المرحلة ملمحاً بارزاً لها.

في مرحلة لاحقة عادت العنوانات القصيرة للظهور في مقالات السقّاف، ولكن على مراحل متفاوتة، ولا سيّما في سنوات عطاء السقّاف الأخيرة، ونشره في جريدة القبس خصوصاً، لكن مع ذلك فإن هذه العنوانات ـ وعددها لا يتجاوز أصابع اليد ـ لا تشكّل ظاهرة أمام غزارة النشر الصحفي اليومي في تلك المرحلة.

ظهرت هذه العنوانات القصيرة بأشكال مختلفة، فهي: أحياناً كلمة واحدة كما في تقليد، أشياء، لمن، مرحى، النازحون، وقد تأتي جملة إسمية كما في، جنود في الميدان، أو فعليّة كما في هاتوا برهانكم، ولربّما يأتي العنوان شبه جملة كما في، من بعيد، أو جملة منقوصة؛ كتركيبٍ إضافيّ إجرام الفنّ، أو وصفي كما في، المهمّة الكبرى، وفي بعض الأحيان يأتي العنوان جملة استفهاميّة كما في، أحقّاً أبا طارق، لمن.

العنوانات الطويلة: وهي كثيرة بين عنوانات السقّاف، ومنها ما جاء في الجدول الآتي:

العنوان	اسم المجلة	تاريخ النشر	
		الشهر	السنة
صناعة الموت تفرضها الوطنيّة الصحيحة	العربي	أغسطس	1967
بعد عشرين شهراً من هزيمة حزيران	العربي	فبراير	1969
اليمن الجنوبي يجدّ في البحث عن البترول	البيان	فبراير	1969
مصنع ذو شأن هو بداية لثورة صناعية في اليمن	البيان	يوليو	1969
مع أروى الصليحيّة والصليحيين	البيان	نوفمبر	1969
إلى شباب العروبة جمال عبد الناصر موجود	البيان	نوفمبر	1970
خواطر في بعض مشكلات العروبة	العربي	مارس	1971
مؤتمر الأدباء الثامن ومهرجان الشعر العاشر	العربي	مارس	1972
يا معشر العرب إمّا نكون أو لا نكون	العربي	يونيو	1972
رفضنا بوعي قوميّ أن نكون جسراً للشيوعيين	البيان	مايو	1973
حديث عن الجزائر وليبيا	البيان	مايو	1978
كلمة في الاستفتاء الغريب	البيان	سبتمبر	1981
حاشية على الاستفتاء الغريب	البيان	أكتوبر	1981
علامات استفهام حائرة محيّرة	البيان	أغسطس	1981
انحراف الخلافة العثمانيّة ودور الرواد	البيان	إبريل	1982
الجمعيّات العربيّة والخلاص من الأتراك	البيان	يونيو	1982
في هموم ميمون القدّاح	البيان	أغسطس	1982
مهمّة تختلف عن جميع المهمّات	العربي	مايو	1990
ما هذا التمنّي المرذول	القبس	إبريل	1995
القوميّة العربيّة والتحدّيات	القبس	يناير	1995
بيريس والثمن المزعوم	القبس	ديسمبر	1995

مصر وحقّها في مجلس الأمن	القبس	نوفمبر	1995
في ما قاله العقيد	القبس	يونيو	1996
القدس شرف الأمّة العربيّة والإسلاميّة	الكويت	مايو	1997
إيران تخرج من عزلتها	القبس	فبراير	1997
حول المناظرات والتصريحات	القبس	يناير	1999
حول الفضائيّات والتصرّفات	القبس	مارس	1999
في قضايا التخلّف والتقدّم	القبس	أكتوبر	1999
وادي ريفر وأشياء أخر	القبس	أكتوبر	1999
خواطر في العروبة والقوميّة	العربي	ديسمبر	1999
مملكة كهنة وامّة مقدّسة	البيان	فبراير	2000
عامٌ رحل وعامٌ أطلّ	القبس	يناير	2000
علينا أن نعي هذه الأمور	القبس	فبراير	2000
بعض ما يجب ان يقال	القبس	إبريل	2000
شيءٌ من مبالغات السخفاء	القبس	يناير	2001
كي لا تضيع الطريق	القبس	فبراير	2003

جدول (2) العنوانات الطويلة

وبعد استقراء هذه العنوانات يمكن الخروج بالملاحظات التاليّة:

تشكل هذه العنوانات ملمحاً واضحاً في فترة تاريخيّة لاحقة لمرحلة كاظمة والإيمان، وقد بدأت هذه المرحلة مع مجلتي العربي والبيان في الستينيّات والسبعينيات، واستمرت حتى توقّف السقّاف عن الكتابة عام ثلاثةٍ وألفين، حيث نشر خلال هذه المدّة في الكويت والقبس بشكلٍ رئيسيّ بالإضافة إلى استمراره في النشر في البيان والعربي.

يمكن أن نقسم هذه المدّة إلى فترتين تاريخيتين بالنظر إلى طول العنوانات، فالعنوانات ذات الطول الواضح ميزت المرحلة الأولى الممتدة منذ 1967 ألف وتسعمئة وسبعةٍ وستين حتّى 1990 ألفٍ وتسعمئة وتسعين، في حين مالت العنوانات بعد 1990 ألفٍ وتسعمئة وتسعين إلى الاعتدال وأصبحت أقل طولاً إلى أن توقّف السقّاف عن الكتابة.

تنوّعت أشكال هذه العنوانات، فهي أحياناً جملة إسميّة كما في ، شيء من مبالغات السخفاء وإيران تخرج من عزلتها، وأحياناً جملة فعليّة كما في رفضنا بوعيٍ قوميّ أن نكون جسراً للشيوعيين، وكي لا تضيع الطريق، و تبدو أحيانا جملة منقوصة كأن تكون شبه جملة كما في ، في قضايا التخلّف والتقدّم وحول الفضائيات والتصرّفات، أو تركيباً عطفياً كما في الجمعيات العربيّة والخلاص من الأتراك، وانحراف الخلافة العثمانيّة ودور الروّاد، أو تركيباً إضافياً كما في، علامات استفهام حائرة محيّرة، كما قد يأتي العنوان تركيباً استفهاميّاً كما في ماهذا التمني المرذول.

العنوانات الواضحة: تتفاوت العنوانات وضوحاً وغموضاً، فبعض العنوانات تفصح عن موضوع المقالة مباشرةً، فلا يحتاج القارئ أدنى جهد لفهم المراد من المقالة، وغالباً ما تختصّ العنوانات الطويلة بهذه الميزة، ومعنى ذلك أن خاصيّة العنوان الواضح لازمت مرحلة العنوانات الطويلة، أي مرحلة مجلتي البيان والعربي وصولاً إلى جريدتي الكويت والقبس، ومن هذه العنوانات ، إلى شباب العروبة، جمال عبد الناصر موجود، والمغرب مزيان مزيان، واليمن الجنوبي يجدّ في البحث عن البترول، ومصنع ذو شأن هو بداية لثورة صناعيّة في اليمن، وهذه العنوانات كانت في مرحلة مجلتي البيان والعربي، أمّا مرحلة جريدتي الكويت والقبس فيمكن ملاحظة، القدس شرف الأمة العربيّة والإسلاميّة، وإيران تخرج من عزلتها، وفي قضايا التخلّف والتقدّم، والقوميّة العربيّة والتحديات، دون خلو هذه المرحلة الطويلة الممتدة بقسميها بعض العنوانات الغامضة.

العنوانات الغامضة: لقد تميّزت مرحلة البداية عند السقّاف بهذا الغموض، لا سيّما أنّه اعتمد العنوانات القصيرة، كما أنّ مقالته بشكلٍ عام كانت أميل إلى الذاتيّة كما في عنوانات مثل، تقليد، وأشياء، ومرحى، ولمن، وإجرام الفن، وهذه العنوانات لا يمكن للقارئ فهم المراد منها دون قراءة المقالة، ولعل سبب ذلك طبيعة الكتابة في ذلك الوقت؛ وتأثّرها الواضح بالرومانتيكيّة. كما أننا لا نعدم أن بعض المقالات في مرحلة متأخّرة تميزت عنواناتها بهذا الغموض مثل، من بعيد، وهاتوا برهانكم، ماذا يجب ان نعمل، لكنها تبقى عنوانات قليلة ولا تشكل ظاهرة في نتاج السقّاف المقالي.

العنوانات المكرورة: هي ظاهرة عند السقّاف برزت على مراحل زمنيّة مختلفة، فقد عمد السقّاف إلى استخدام العنوان نفسه في أكثر من مناسبة، كما نرى في عنوانه ، من بعيد ، الذي استخدمه ثلاث مرات في القبس، فقد جاء هذا العنوان في ثلاث مقالات في كلّ من يونيو 1990 و فبراير 2000 و يوليو 2000 ، كما وظّف عنوان، خواطر من هنا وهناك، لمقالتين نشرهما في مجلة البيان في أكتوبر 1971 وسبتمبر 1971 أيضاً، كما أنّه استخدم عبارة ،عودٌ على بدء، بكثرة في المقالات الاستكماليّة التي أراد من خلالها متابعة موضوعات مقالاتٍ سابقة، كما في شعر الديارات عود على بدء، التي نشرها في مجلة العربي في يوليو 1966، وفي مجلة الإيمان جاءت مقالته بعنوان عود على بدء، في سبتمبر 1953، وحتى في المراحل المتأخّرة استخدم هذه العبارة كما في خواطر في العروبة والقوميّة، عود على بدء، التي نشرها في مجلة العربي مارس 2000 وجاءت مقالته ،عود على بدء، التي نشرها في جريدة القبس في فبراير 1999 استكمالاً لمقالته ،حول المناظرات والتصريحات، التي نشرها في جريدة القبس مارس 1999.

العنوانات الخبريّة: من خلال الجدولين السابقين، يمكن ملاحظة أن السقّاف نوّع في عنواناته بين الخبر والإنشاء، ويمكن القول إن معظم عنوانات مقالات السقّاف جاءت من النمط الخبري كما في، اليمن يجد في البحث عن البترول و المغرب مزيان مزيان، ورفضنا بوعي قومي أن نكون جسراً للشيوعيين، والقدس شرف الأمّة العربيّة والإسلاميّة وغويلز يتكلّم، والقومي لا يتنكر للدين، والعروبة لا تتجزّأ، وشيلوك هو شيلوك، والأمر لا ينطبق على مرحلة تاريخيّة معيّنة، بل شمل سنوات العطاء الأدبيّ للسقّاف جميعاً، فيما نستثني من هذا التقييم، بعض العنوانات المؤلّفة من كلمة واحدة، أوعبارة لا يمكن عدّها جملة كاملة، وبالتالي لا يمكن الحكم عليها أكانت خبريّة أم إنشائيّة.

العنوانات الإنشائيّة: من خلال الاستقراء السابق، تبيّن أنّ هذه العنوانات كانت أقلّ من العنوانات الخبريّة بنسبة كبيرة، وهي أيضاً مبعثرة على سنوات عطائه، مع ملاحظة تكرّرها أكثر في السنوات الأخيرة الممتدّة بين 1990 ألفٍ وتسعمئة وتسعين و2003 ألفين وثلاثة، ومن هذه العنوانات، يا معشر العرب إمّا نكون أو لا نكون، ومرحى لأولئك الصناديد، ولمن، وأحقّاً أبا طارق، وفيم يتحدّثون، وأيّها الأقصى الحبيب، ومتى سنبدأ، وما هذا التمنّي المرذول، ولم الاتحاد الكونفدرالي، وماذا يجب أن نفعل، وهاتوا برهانكم.

أما العنوانات من حيث الوظيفة فيمكن الوقوف على عدّة أنواع، وفي حقيقة الأمر فقد نوّع السقّاف في عنواناتها، ومن الملاحظ أن مرحلة واحدة من مراحل عطائه لم تختص بنوعٍ معيّن من هذه العنوانات، كما أن المرحلة المتأخرة من عطائه شهدت تنوّعاً غير مسبوق في هذه العنوانات، أما عن أنواعها فهي كما سيأتي:

العنوانات الوصفية: وهي التي يصف فيها الكاتب موضوعه أو خبره؛ بجملة مختصرة معتمداً على الوصف في ذلك، ومن العنوانات الوصفيّة التي اختارها السقّاف: كلمة الكويت، تقليد، خواطر من هنا وهناك، التوجيه القومي في التعليم، ومن عنوانات مقالاته المتأخّرة؛ القوميّة العربيّة والتحدّيات، في ما قاله العقيد.

العنوانات الإخباريّة: وهي التي تدل على مضمون الخبر أو موضوع المقالة، فتعلن عن حدث، أو معلومة جديدة، ومن عنوانات السقاف التي جاءت من هذا النوع: الجنادرية، موقفان جديران بالتحيّة، ميثاق الشرف العربي، القمّة الخليجيّة، مؤتمر الأدباء الثامن ومهرجان الشعر العاشر، ومن الملاحظ قلة استخدام السقاف لهذا النوع من العنوان في قبل عام تسعين وتسعمئة وألف فيما استخدمه بشكلٍ واضح بعد ذلك لا سيّما وانّه بدأ النشر في الصحف والجرائد.

العنوانات الاستفهامية: وهي تصاغ على شكل سؤال ويستفهم بها عن مشكلة الموضوع بشكل يثير الاهتمام ويجذب القارئ، ومن عنوانات السقّاف الاستفهاميّة: لمن، وأحقاً أبا طارق، بعد عشرين عاماً على النكسة ماذا أعددنا، فيم يتحدّثون، ومن عنوانات مرحلته المتأخرة: لم الاتحاد الكونفدرالي، وما هذا التمني المرذول، ومتى سنبدأ.

العنوانات التوجيهية أو الإرشاديّة: وهي التي تقترب من الصياغة الإنشائية في التوجيه والإرشاد، ومنها: نحو مؤتمر حر، مرحى، إلى شباب العرب: جمال عبد الناصر موجود، مرحى لأولئك الصناديد، الموقف الشجاع المطلوب، يا معشر العرب إما نكون أو لا نكون.

العنوانات المقتبسة: حيث يقتبس الكاتب كلاما حرفيا لقائل أو من مثل، وهذا النوع نادر عند السقّاف وقد عثرت الدراسة على عنوان واحد هو هاتوا برهانكم.

العنوانات التوضيحية: وهي التي تشرح وتوضح موقف أو حدث أو معلوم، ومن أمثلة هذه العنوانات عند السقّاف: الوضع العربي الراهن، وكلمة في الاستفتاء الغريب، والجمعيات العربية ودور الرواد، ومع مؤتمر الأدباء ومهرجان الشعر القلق أعنف من كل مؤتمر ومهرجان، ومن العنوانات المتأخّرة؛ العروبة لا تتجزّأ والقومية والتضامن.

العنوانات الاستنتاجيّة: وهي التي تؤخذ من الفهم العام، دون أن تكون حرفيّة من المادة، ومنها صناعة الموت تفرضها الوطنية الصحيحة، ورفضنا بوعي قوميّ أن نكون جسراً للشيوعيين، والمحنة الكبرى، ومن العنوانات المتأخّرة؛ وبيريس والثمن المزعوم، وحان وقت الاختبار، وغالباً ما تأتي العنوانات الاستنتاجيّة بصيغة مجازيّة مثل السلاح الفتّاك، وشيلوك هو شيلوك و جنود في الميدان، وفي هموم ميمون القدّاح.

2. المقدمة:

هي الجزء الافتتاحي في المقالة وتأتي أهميّتها لأنها ممهّدة للمتن، ولأنها تقدّم فكرة عامة عن المقالة. إنّ المقدّمة تلخصّ موضوع المقالة وتبيّن أساس الفكرة التي بُني عليها. "وتتألف من معارف مسلَّم بها لدى القراء، قصيرة، متصلة بالموضوع، معينة على ما تعدّ النفس له من معارف تتصل به، وهي تمهيدٌ ملائم للدخول في الفكرة الرئيسة(1)".

ونظراً لأهميتها ينبغي أن تتّسم بالطرافة والحيويّة؛ لاجتذاب القارئ والاستئثار بانتباهه، فهي تحتوي على ملخص للأفكار والفرضيات الأساس، التي سيتضمنها المقال. وبقدرة المقدّمة على إثارة استغراب القارئ، القبض على اهتمامه؛ تدفعه لينجذب إليها، فيتابع قراءتها إلى النهاية، فالمقدمة؛ هي مدخل مناسب للأفكار التي سيطرحها الكاتب في مقالته، والهدف منها تمهيد القارئ للموضوع، وشد اهتمامه، وإثارة فضوله، وتشويقه لمعرفة حقائق محددةً، أو إجاباتٍ على أسئلة. وتتميّز المقدّمة بأنها فقرة واحدة قصيرة لا تتعدى أسطر، لتتيح للقارئ معرفة مدى أهمّية الموضوع بالنسبة له، وعلاقته بما يبحث عنه من معلومات وآراء وأفكار.

---

(1) محمّد، حسن علي ـ التحرير الأدبي دراسة نظريّة ونماذج تطبيقيّة، مكتبة العبيكان، الرياض ط200/2، ص 162.

والمقدّمة الجيّدة تحتوي على عبارات تدفع القارئ للانتقال إلى قلب الموضوع بصورة تلقائيّة، والكاتب الجيد يستطيع أن يربط بين المقدمة، والفقرة التي تليها بشكل منطقيّ وطبيعيّ.

وتعدّ المقدّمة الفقرة الأولى في المقالة، وتتألّف من عدّة جمل؛ جملتان تهدفان لجذب القارئ، ثمّ يليهما جملتان لتحديد الهدف من المقالة، ثمّ تنتهي المقدّمة بجملة أو جملتين، لتحديد مجال المقالة. ومن أهمّ الأمور التي يجب أن تُذكر في المقدّمة هي الجملة أو الفكرة الرئيسيّة، ولأنّها أوّل جزء من المقالة يطالعه القارئ، فإنّها تحتاج إلى عناية الكاتب واهتمامه، فهي إمّا تجذب انتباه القارئ؛ فيستمرّ في القراءة، أو تجعله يفقد الاهتمام بها، فلا يتابعها.

يصطلح على المقدّمة في لغة الصحافة بالاستهلال، ويوصف الاستهلال بأنّه مصيدة القارئ، ويستطيع الاستهلال اللطيف أن يمس جوهر الموضوع، ويهيئ القارئ للتفاعل مع موضوع المقالة. وأفضل ما تكون المقدمة أو الاستهلال عند القدرة على فتح شهية القارئ للاستزادة من القراءة، لذا فيجب ألا تطول، وأن تختار مفرداتها بعناية، فتكون واضحة ودقيقة، وأن تعرض ملخّصاً للموضوع، فتكشف المضمون، وتبرز الأهميّة، وتثير الرغبة في المتابعة.

وللمقدّمة أنواع عديدة يعرفها المختصون في فن المقالة وفي الصحافة؛ وقد وردت أنواع لمقدمات كثيرة في المراجع العربية، ومنها[1]:

مقدّمة التلخيص: وهي التي تلخص معلومات المقالة بأقل قدر ممكن من الكلمات.

مقدمة الصورة، أو مقدّمة الخلفية: وهي التي تشير لخلفية المقالة أو مناسبتها.

المقدّمة الساخنة أو المثيرة أو المقدمة القنبلة ومقدمة المفارقة: وتكون عبارة عن جملة مفاجئة، أو فكرة غريبة تدفع القارئ للمتابعة.

---

[1] ينظر: حداد، نبيل ـ فن الكتابة الصحفية، دار الكندي، عمان 2002، ص185.

مقدمة الاقتباس، ومقدمة المثل أو الحكمة، والمقدمة المجازية: وتكون الجملة في المقدمة من أقوال الأشخاص المذكورين في المادة، وقد يراد من هذا الاقتباس قولاً مأثوراً معبّراً عن المقالة، فيأتي على شكل مثل او حكمة، أو اقتباس معاني مجازية.

مقدّمة التساؤل: تبدأ بسؤال استفهامي يتعلق بمضمون المقالة، أو تدفع القارئ للبحث عن الإجابة.

المقدّمة الوصفية: عندما يراد فيها وصف الحدث، أو موضوع المقالة.

المقدّمة التفسيرية: تقدم تفسيرا لموضوع المقالة.

المقدّمة الخبرية: تركز على الخبر الموجود في متن المقالة.

مقدمة الحوار: وتكون على شكل حوار مفترض سريع.

المقدمة في مقالة السقاف:

وقد توصلت الدراسة في مبحثٍ سابق؛ إلى تنوّع المقدمة في مقالات السقّاف، إذ لم يكن هنالك خطّة معينة لهذه المقدمات، فبعض المقدمات كانت قصيرة سريعة، وبعضها طويلة وأخرى متوسطة الطول، كما أنّها تختلف من حيث النوع، ويمكن معاينة ذلك من خلال الأمثلة التالية:

ـ مقدّمة التلخيص: يقوم الكاتب في هذه المقالة بتلخيص ما سيرد في الموضوع بأقل عدد ممكن من الكلمات. ولم يستخدم السقاف هذا النوع من المقدمة كثيراً، إذ اقتصر على بعض المقالات، ففي مقالة الأنانيّة في الأفراد والشعوب، قدّم السقّاف لمقالته بمقدّمة سريعة، ولخّص موضوع المقالة، فجاءت المقدمة محتوية على الجملة المفتاحيّة التي تدور المقالة حولها، يقول:

" الأنانيّة داء عضال، ما أصيب بها إنسان إلا وأوردته موارد الشقاء، وما ابتلي بها شعب إلاّ وجلب على نفسه العداء والمقت والازدراء. (1)"

(1) السقاف، أحمد ـ الأنانيّة في الأفراد والشعوب، مجلة الإيمان، ص 151، مصدر سابق.

ومن الملاحظ أنّ المقدّمة شملت تعريفاً مبسّطاً للعنوان، ثم يمضي العرض بانسيابٍ سلسٍ لتوضيح طروحات السقّاف في هذا الموضوع، بعد أن لخّص الموضوع وما يريد منه بسرعة في المقدّمة. وكمثال آخر على هذا النوع من المقدمة يمكن أن نسوق مقالته الوضع العربي الراهن، التي يقول في مقدّمتها:

" يتفاءل الكثيرون ممن يعملون للقضيّة العربيّة بما يلوح في أفق هذا الحاضر من ومضات؛ والتفاؤل في ذاته لا يستمدّ إلا من ثقة ممتازة، ومعنويّة قويّة دافقة.(1)".

وبهذه المقدمة الملخّصة السريعة يستطيع السقّاف، أن يمهّد لمقالته ويخبر القارئ بمضمونها سريعاً، ومن الملاحظ أن السقّاف لم يستخدم هذا النوع من المقدّمة كثيراً، فالأمثلة التي عثرت الدراسة عليها قليلة، ونستطيع أن نصنّف مقدّمته لمقالة عن اليمن أيضاً(2) ضمن هذا النوع.

ـ مقدّمة الصورة أو الخلفية: في هذا النوع من المقدّمة، يقوم الكاتب بتمهيد لمقالته من خلال رسم صورة واضحة لخلفيّة المقالة، أو مناسبتها أو دواعي كتابتها، ويستخدم الكتّاب هذا النوع من المقدّمات كثيراً، ولا سيّما في صحافة الخبر، وفي المقالة السياسيّة التحليليّة. وقد اعتمد السقّاف على مقدّمة الصورة كثيراً في مختلف مقالاته، ولا سيّما في مرحلته الأخيرة، عندما أخذ يتعامل مع الصحافة، ويعلّق على الأحداث السياسيّة، ومن أمثلة مقدّماته التي من هذا النوع؛ مقدمته لمقالة النازحون، التي يقول فيها:

" ماذا أكتب، وأنا أمام صورة من أشدّ الصور إيلاماً للقلب، وأكثرها وخزاً للضمير، وأعظمها تأثيراً في النفس!..

ماذا أكتب، وأنا أمام أطفالٍ لم تبق من أجسامهم غير العظام، ونساءٍ لم يجدن من الملابس ما يستر الشيء الحرام، وعجزةٍ وشيوخٍ يدقّ في عظامهم الموت الزؤام، وكهول في كربٍ وذهولٍ لا يستطيعون الكلام!!. (3)".

---

(1) السقّاف، أحمد ـ الوضع العربي الراهن، مجلة الإيمان، ص95، مصدر سابق.

(2) السقاف، أحمد ـ عن اليمن أيضاً، مجلة البيان، ص9، مصدر سابق.

(3) السقّاف، أحمد ـ النازحون، مجلة الإيمان، ص 77، مصدر سابق.

تشكّل المقدّمة السابقة أ نموذجاً لمقدّمة الصورة، فقد رسم من خلالها صورة تحرك الوجدان، وتمهّد لموضوع المقالة، كما هو واضح من العنوان (النازحون)، كما أنّها تحتوي على الجمل المفتاحيّة التي ينبغي على الكاتب التوسع بها خلال العرض، فعند متابعة القراءة نجد أن متن المقالة جميعه كان منصبّاً على شرح ومعالجة ما جاء في المقدّمة.

وفي مثالٍ ثانٍ نجد مقدّمة مقالته لمن، التي أسهب فيها، ثمّ دخل في الموضوع بشكلٍ سلس؛ بعد أن رسم صورة واقعيّة لمناسبة المقالة؛ يقول:

" إنّ هذه المجلّة التي كتبت كثيراً عن غلاء المعيشة، وارتفاع إيجارات البيوت، وعمّا تعانيه الطبقة الكادحة من شدّة في هذه الظروف، قد استقبلت قرار إنشاء المراكز الخاصة بتسجيل العائلات المعوزة بالشيء الكثير من الارتياح، واعتبرت هذا القرار خطوة نحو الاهتمام بالكادحين البائسين من أبناء هذه الإمارة، رغم اعتقادها بأنّ توزيع النقود ــ وهو ما تمخّض عنه المشروع ــ لا يعتبر حلّاً سليماً لأزمة هؤلاء المحتاجين، غير أنّ المبالغ التي خُصّصت للعائلات الكويتيّة المعوزة قد ذهب جلّها وجلّ جلّها إلى جيوب الأجانب ممن لا علاقة لهم مطلقاً بالعائلات الكويتيّة المحتاجة. وقد تفنّن هؤلاء في الحصول على شهادات العوز والاحتياج...(1)"

يلاحظ في هذه المقدّمة طولها قياساً لطول المقالة، وعدم وضوح نهايتها، فالنقطة الوحيدة الموجودة في الفقرة السابقة، هي النقطة الأولى في المقالة، ولا تعني بحالٍ من الأحوال نهاية المقدّمة، والانتقال إلى فقرةٍ جديدة للمعالجة، إنّما هي نهاية لبداية جديدة تتابع المطروح نفسه في المقدّمة.

وفي مقالته، مع مؤتمر الأدباء ومهرجان الشعر، القلق أعنف من كلّ مؤتمرٍ ومهرجان، تناول فعاليّات المؤتمر والأحداث التي رافقت انعقاده، وقد أطال في المقدّمة؛ ليبرر تناوله مختلف الموضوعات التي عالجها في المقالة المطوّلة، لا سيّما أنّ المؤتمر نفسه كان قد شهد أحداثاً؛ ومشادات من قبل المؤتمرين، وهو ما عبّر عنه في العنوان الفرعيّ المرافق للمقالة ذاتها (القلق أعنف من كل مؤتمرٍ وكلّ مهرجان)، واستطاع من خلال هذه المقدّمة أن يقدّم صورة مثيرة تدفع القارئ للمتابعة؛ يقول:

---

(1) السقّاف، أحمد ـ لمن، مجلة الإيمان، ص 299، مصدر سابق.

" في اليوم السادس عشر من شهر مارس المنصرم عُقد في القاهرة مؤتمر الأدباء العرب السادس وقد امتدّ هذا المؤتمر إلى مساء يوم الثلاثاء، حيث اختتم بإصدار القرارات والتوصيّات، وقد خصّص الأربعاء والخميس من نفس الأسبوع لمهرجان الشعر الثامن. ولقد كان لي شرف رئاسة وفد رابطة الأدباء في الكويت إلى هذا المؤتمر، كما كان لي شرف المساهمة بالجهد الذي أستطيع في الاجتماعات التي عقدها رؤساء الوفود، وفي رئاسة بعض الجلسات وفي تقديم التوصيات وما إلى ذلك ممّا يوجبه العمل ويطلبه التعاون الأخويّ البنّاء.

لذلك رأيت أنّ من الواجب عليّ أن أبدي رأيي في المؤتمر وفي المهرجان بعد أن قرأت ما كُتب عنهما في بعض الصحف من حملات شديدة تكاد تحجب ما بذله القائمون على إعدادهما وتنظيمهما من جهود مضنية في ظرفٍ(1) يختلف كل الاختلاف عن الظروف التي عُقدت فيها مؤتمرات الادباء السابقة.

لا شكّ أنّ نجاح أي مؤتمر أو فشله إنّما يقاس بالقرارات التي تصدر عنه، فإذا ما نظرنا إلى القرارات والتوصيات التي صدرت عن مؤتمر الادباء السادس وجدنا أنّ المؤتمر قد حقّق الغرض كاملاً، ولا أعتقد أنّ المؤتمر الذي سبقه ـ وهو المنعقد في بغداد في شباط عام 1965 ـ قد أصدر من القرارات ما يفوق قرارات هذا المؤتمر. كما لا أعتقد أنّ الانسجام الذي ساد اجتماعات رؤساء الوفود كان له شبيه في المؤتمرات السابقة. ولا أعتقد أنّ اعتراضات عضو من الأعضاء التابعين لوفد من الوفود يمكن أن تقلّل من نجاح المؤتمر أو تؤثّر فيه، فمثل هذه الاعتراضات سواءٌ أكانت صحيحة أم كانت باطلة لا يخلو منها مؤتمر وهي إن دلّت على شيء فإنّما تدلّ على الحيويّة والتطلّع نحو الأحسن.(2)"

إنّ أوّل ما يلفت عناية القارئ في هذه المقدّمة هو طولها الواضح، ولذلك فقد وجدناها مقسّمة إلى فقرات، أشار في الأولى إلى منها مكان وتاريخ انعقاد المؤتمر ومساهمته فيه، أمّا الفقرة الثانية فقد أشار فيها إلى الحملات الصحفيّة، واللغط الذي أثير حول المؤتمر، والظروف التي رافقت انعقاده، أمّا الفقرة الثالثة فقد أشار فيها إلى تفوق المؤتمر مقارنةً مع المؤتمر السابق، وكثرة القرارات والتوصيات التي خرج بها، كما رأى أنّ الاعتراضات المسجّلة تشكّل دلالة جيّدة على الحيويّة.

---

(1) إشارة إلى نكسة حزيران عام 1967.

(2) السقّاف، أحمد ـ القلق أعنف من كلّ مؤتمرٍ ومهرجان، مع مؤتمر الأدباء ومهرجان الشعر، مجلة العربي، ص20، مصدر سابق.

وقد وجدت الدراسة أنّ هذه المقدمة ـ على الرغم من طولها ـ تشكّل نموذجاً جيّداً للمقدّمة العضويّة الموظّفة، فهي تجذب القارئ للمتابعة من خلال تشكيل صورة عن خلفية الموضوع دون الإفصاح، وهي تعطي أفكاراً عمّا ستتمّ مناقشته في المقالة وهذا ما حدث فعلاً، إذ شكّلت هذه المقدّمة تمهيداً جيّداً للمقالة، كما أنّها تميّزت بالإثارة؛ في حين تركت التفصيلات للمتن، الذي كشف حقيقةً عمّا دار في المؤتمر والمهرجان من أحداث.

لقد قاد الاستقراء في مقالات السقّاف، إلى أنّه اعتمد هذا النوع من المقدّمة كثيراً خلال مراحل عطائه المختلفة، وكمثال على ذلك يمكن مطالعة مقدماته لمقالات مرحى(1) وتقليد(2) ونحو مؤتمر حر(3) والجمعيات العربية والخلاص من الأتراك(4)، ومن مقالاته المتأخّرة السلاح الفتاك(5)، والجنادرية(6)، وحول الفضائيات والتصرفات(7)، وميثاق الشرف العربي(8) وغيرها.

ـ المقدّمة التفسيرية: هو نوع شائع من المقدّمة ويتضمّن شرح أو تبيان الأسباب والدوافع وراء كتابة المقالة، وقد يتداخل هذا النوع من المقدمة مع مقدّمة الصورة أو الخلفيّة. وقد اتضح بعد استقراء مقالات السقّاف أنه استخدم هذا النوع من المقدّمة كثيراً، ويمكن أن نسوق مقدّمة مقالة صناعة الموت تفرضها الوطنيّة الصحيحة كمثال على المقدّمة التفسيرية، فقد طالب السقّاف في هذه المقالة، بضرورة دعم العمل الفدائيّ، والكفاح الفلسطينيّ المسلّح، من أجل قضيّة فلسطين وعروبتها، مادام الكيان الصهيونيّ مجتمعاً يربّي أبناءه تربيةً عسكريّة في المدارس، ولذلك حاول من خلال المقدّمة تفسير وتقديم الأسباب التي دفعته لقول ذلك، يقول في المقدّمة:

---

(1) السقاف، أحمد ـ مرحى، مجلة الإيمان، ص223، مصدر سابق.

(2) السقاف، أحمد ـ تقليد، مجلة الإيمان، ص563، مصدر سابق.

(3) السقاف، أحمد ـ نحو مؤتمر حر، مجلة الإيمان، ص367.

(4) السقاف، أحمد ـ الجمعيات العربية والخلاص من الأتراك، مجلة البيان، ص 4 مصدر سابق.

(5) السقاف، أحمد، السلاح الفتاك، جريدة القبس، ص40، مصدر سابق.

(6) السقّاف، أحمد ـ الجنادرية، جريدة القبس، ص39، مصدر سابق.

(7) السقاف، أحمد، حول الفضائيات والتصرفات، جريدة القبس، ص 10، مصدر سابق.

(8) السقاف، أحمد، ميثاق الشرف العربي، جريدة القبس، ص40، مصدر سابق.

" النكسة المؤلمة التي حلت بالشعب العربيّ في الخامس من حزيران يجب أن نستفيد منها إلى أبعد حدّ، فالذي حدث كان مفاجأة أيقظت النائمين للعمل وهزّت المتحفّزين للمزيد من الاستعداد(1)".

فالواضح من هذه المقدّمة، نضوجها ومهنيّتها، فهي قصيرة تحتوي على الجملة المفتاحيّة لموضوع المقالة، التي ناقشت أفكار السقّاف على فقرات متتالية مرتبطة بالموضوع ذاته، أي تبعات النكسة وما على العرب القيام به، في حين ألمح العنوان بكنايةٍ موفّقة ـ صناعة الموت ـ إلى ضرورة دعم الكفاح المسلّح، وجعله من أولويّات الوطنيّة الصحيحة.

في المرحلة المتأخّرة من عطاء السقّاف، التي تمتدّ من 1990 تاريخ الغزو العراقيّ للكويت حتى 2003 تاريخ توقّفه عن الكتابة. أصبحت المقدّمة تؤدّي دورها الوظيفيّ العضويّ، كما أنّ طول المقدمة أصبح ينسجم مع طول المقالة، لذا فقد مالت إلى الاعتدال، ولذلك فقد استخدم المقدّمة التفسيرية ومقدّمة الصورة بشكلٍ واضح، وكمثال على المقدّمات في هذه الفترة نورد مقدّمة مقالته في ما قاله العقيد، التي تناول فيها تصريحات مستهجنة للعقيد الراحل معمّر القذافي، مذكّراً بما دأب عليه المذكور من مثل هذه التصريحات الغريبة، يقول في المقدّمة:

" ما كنت أودّ أن أتطرق إلى ما جاء في حديث القذّافي عن الكويت لولا الغضب الذي اجتاح الأوساط الكويتيّة، ذلك أنّ العقيد القذّافي قد عُرف منذ الفاتح من سبتمبر 1969، بمثل هذه التصريحات العجيبة الغريبة، ويكفي أن يعود المرء بذاكرته إلى تلك البرقيّة التي بعث بها صباح ثورته إلى الرئيس جمال عبد الناصر إذ قال له بالحرف الواحد: ((لقد تعبت أيّها الرئيس وها نحن اليوم قد نهضنا لنحمل هذه الراية)).(2)"

(1) السقّاف، أحمد ـ صناعة الموت تفرضها الوطنيّة الصحيحة، مجلة العربي، ص17، مصدر سابق.

(2) السقّاف، أحمد ـ في ما قاله العقيد، جريدة القبس، ص32، مصدر سابق

من الواضح في هذه المقدّمة أنّها فسّرت أسباب كتابة المقالة، وقد وصلت لمرحلة جيّدة من النضج متابعةً بذلك مسيرة نثر السقّاف في نموّه ونضجه، ولا سيّما في فنّ المقالة، فقد كتب لمقالته مقدّمة عضويّة ممهّدة مفسّرة، تحمل الفكرة الرئيسيّة وتقدم لأسباب معالجتها، كما تتّسم بالتشويق والإثارة، من خلال استشهاد السقّاف بمقولة سابقة للعقيد، تدفع القارئ للبحث فيما وراء هذا الاقتباس، ومتابعة القراءة. ومن المقدّمات التفسيرية مقدماته لمقالات؛ كلمة الكويت(1)، وعقيدة وهدف(2)، و يا معشر العرب إما نكون أو لا نكون(3)، وشعر الديارات(4)، وغيرها.

ـ المقدّمة الساخنة: المقدّمة الساخنة أو المثيرة أو المقدمة القنبلة ومقدمة المفارقة، هي توصيفات لهذا النوع من المقدمة، وقد يرى بعض النقاد أنّها أنواع منفصلة، لكن هذه المقدمات يجمع بينها عنصر الإثارة، وهذا الأمر قد ينطبق عل أنواع أخرى مما ورد سابقاً، وتكون الإثارة من خلال جملة مفاجئة، أو فكرة غريبة تدفع القارئ للمتابعة، وقد تكون الصورة أو دوافع المقالة نفسها سبباً لهذه الإثارة، وهذا النوع من المقدّمات مشهور بين الكتاب والصحفيين، وفي الصحافة قد يميل العنوان أيضاً نحو الإثارة، مما قد يؤثّر على الموضوعيّة.

وقد كتب السقاف في هذا النوع من المقدّمات، ولكنّه كان يعتمد في ذلك على حيويّة الموضوع وأهميّته، والأمر كان ينسجم مع عنوان مثير، فتأتي المقدّمة لتعزيز عامل الإثارة، مما يدفع القارئ لمتابعة المقالة بكلّ حواسّه. وكمثالٍ على المقدمة الساخنة، نورد مقدّمة مقالته، في هموم ميمون القدّاح، التي كتب فيها:

" كان ميمون القدّاح كما يقول المؤرّخون خادماً في ضريح الحسين، وقد اختلف المؤرّخون في صحّة نسبه، فمنهم من قال إنّه من أصلٍ مجوسيّ أو يهوديّ، ومنهم من أيّد دعواه بالانتساب إلى علّي بن أبي طالب كرّم الله وجهه(5)."

(1) السقّاف، أحمد ـ كلمة الكويت، مجلّة الأقلام، ص34، مصدر سابق.

(2) السقاف، أحمد ـ عقيدة وهدف، مجلة الإيمان، ص371، مصدر سابق.

(3) السقاف، أحمد ـ يا معشر العرب إما نكون أو لا نكون، مجلة العربي، ص28، مصدر سابق.

(4) السقاف، أحمد ـ شعر الديارات، مجلة العربي، ص28، مصدر سابق.

(5) السقاف، أحمد ـ في هموم ميمون القداح، مجلة البيان، ص 4، مصدر سابق.

والواضح أنّ السقّاف أراد من خلال هذه المقدّمة القصيرة، إلماحاً سريعاً مثيراً عن شخصيّة ميمون القدّاح، كما تضمّن فكرة المقالة الرئيسة، دون أن يغفل الإشارة إلى التشكيك في نسب الرجل، ممّا أكسب مقالته الإثارة التشويق من خلال هذه المقدّمة، فيما ترك الكشف والإفصاح عن المعلومة للمتن.

ومن هذه المقدمات أيضاً، مقدّمته لمقالة رفضنا بوعيٍ قومي أن نكون جسراً للشيوعيين، التي جاء فيها:

" لا شكّ أن القراء ينتظرون من هذه المجلة أن تقدّم لهم تفاصيل وافية عن مؤتمر الأدباء التاسع ومهرجان الشعر الحادي عشر، الذين عقدا في تونس من 73/3/18 حتى 73/3/25 فهم قد اطلعوا على في العدد الماضي على ردّ رئيس وفد الرابطة على البيان الذي أصدره رئيس اتحاد الكتاب اللبنانيين، وقبل ان نشرح للقراء الأعزاء موقف الوفد اللبناني في المؤتمر ومواقف الوفود الأخرى منه، يهمنا ان نوضّح في هذه العجالة أن وفد الرابطة لم يؤخذ على حين غرّة، فلقد كان الوفد على علمٍ بنوايا بعض القوم وقد قرر ان يتّخذ الموقف النابع من الإيمان بالقضيّة المصيريّة وقناعته المستمدّة من وعيه وتجاربه وسلوكه. ولقد سافر الوفد على تونس وكلّه امل في أن يكون المؤتمر أفضل من المؤتمر السابق، ففي مؤتمر دمشق في أواخر 1971 سمعنا من المزايدات الصبيانية ما يثير الضحك ويبعث على الرثاء، ففي ذلك المؤتمر وقف أحد الأدعياء الموتورين يصرخ بأعلى صوته قائلاً إننا نطالب بأن يكون للتقدميين مؤتمر خاص بهم، وسألنا عن هذا التقدّمي الباحث عن جو خاص يصول فيه ويجول، وجاءنا الرد من زميل من زملائه، غنّه واحد من أولئك الذين قاموا بسحل الأبرياء، وصلب النساء على أعمدة النور...(1)"

---

(1) السقّاف، أحمد ـ رفضنا بوعيٍ قومي أن نكون جسراً للشيوعيين، مجلة البيان، ص27، مصدر سابق.

ويبدو أن السقّاف لم يكتفِ بكل الإثارة التي تضمّنها العنوان، فجاءت مقدّمته ساخنة بما تضمّنته من عبارات كما أن صورة المقدّمة إجمالاً لا تعوزها الإثارة. لقد كتب السقّاف مقدّمات كثيرة لمقالاته من هذا النوع، وكانت تتضافر عوامل عدّة في تسخين المقالة، فالعنوان والمقدّمة ودوافع المقالة، والموضوع برمته، كلّها من العوامل التي تكسب المقالة مزيداً من السخونة. ومن المقالات العديدة التي استخدم فيها السقاف مثل هذه المقدّمة، مقالاته؛ خواطر من هنا وهناك(1)، القومي لا يتنكّر للدين2، ومرحى لأولئك الصناديد(3)، ومن مقالاته المتأخّرة، بيريس والثمن المزعوم(4)، وشيلوك هو شيلوك(5)، والقومية العربية والتحديات(6)، وغيرها.

ـ المقدمة الخبرية: وهو نوع من المقدمة يلخّص فيه الكاتب خبراً ما، ويكون التعويل في المقالة على مدى إثارة الخبر نفسه، ويكثر استخدام هذا النوع من المقدّمة في الصحافة ولا سيّما في الأحداث الطارئة، كما قد تستخدم في أنواع المقالات المختلفة.

وقد تعامل السقّاف مع هذا النوع من المقدّمة في سنوات عطائه المبكرة، كما استخدمها في مقالات المرحلة المتأخّرة، ومن نماذج المقدّمة التي من هذا النوع مقدمته لمقالة أشياء، التي يقول فيها:

" اتسم هذا الشهر بالحديث الجدّي في أمر الاتحاد العربي، هذا الاتحاد الذي تهفو إليه أفئدة الملايين العربيّة ممن يمشون على تراب هذا الوطن المقدّس وهم مطأطئو الرؤوس خجلاً واستحياءً لما لحق بهم من ظلمٍ واستبدادٍ واستغلال، ولما وصموا به من عارٍ بسبب نكبة فلسطين وفوز (شذّاذ الآفاق) فيها وتحقيقهم ما تصبوا إليه أنفسهم من إقامة دعائم الملك الإسرائيلي في أحسن بقعة وأقدس مكان".(7)

---

(1) السقاف، أحمد ـ خواطر من هنا وهناك، مجلة البيان، ص22 وما بعدها، مصدر سابق.

(2) السقاف، أحمد ـ القومي لا يتنكر للدين، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(3) السقاف، أحمد ـ مرحى لأولئك الصناديد، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(4) السقاف، أحمد، بيريس والثمن المزعوم، جريدة القبس، ص10، مصدر سابق

(5) السقاف، أحمد، شيلوك هو شيلوك، جريدة القبس، ص40، مصدر سابق.

(6) السقّاف، أحمد ـ القوميّة العربيّة والتحديات، جريدة القبس، ص40، مصدر سابق.

(7) السقّاف أحمد ـ أشياء، مجلّة الإيمان، ص183، مصدر سابق.

في هذه المقالة ناقش السقّاف موضوعات متفرّقة، ولكنه اختار في المقدّمة أن يقدّم لموضوعه الأول وحديثه عن تفكير الزعماء العرب بإقامة اتحادٍ عربيّ يجمع شمل الدول التي تحررت من قيود الاستعمار، فأشار في هذه المقدّمة على الخبر المعني في المعالجة، لكنه لم يغفل ان أضاف وأسهب لما يراه ضرورياً وهو مسوّغات قيام الاتحاد فيما لو قُيّض له أن يكون.

ومن مقدماته الخبرية أيضاً يمكن أن نسوق مقدّمة مقالته مؤتمر الأدباء الثامن ومهرجان الشعر العاشر، يقول:

" حدّد الاتحاد العام للكتاب العرب تاريخ انعقاد مؤتمر الادباء الثامن ومهرجان الشعر العاشر باليوم الحادي عشر من ديسمبر 1971 في دمشق. وفي صباح 71/12/11 عقدت الجلسة الأولى لرؤساء الوفود بالمجلس الأعلى للفنون والآداب، وتم استعراض شامل لسير العمل في جلسات الصباح المخصّصة لقراءة البحوث ومناقشتها، وجلسات المساء المخصّصة لمهرجان الشعر. واستعرض المجتمعون ما قام به المكتب الدائم للاتحاد العام منذ المؤتمر السابع المنعقد ببغداد في ربيع 1969."(1).

فالخبر كما يتضح هو انعقاد المؤتمر والمهرجان المعنيّان، ولذلك جاءت المقدّمة إعلاناً عن هذا الخبر ومحاولة تكثيف له. ولم يكثر السقاف من المقدّمة الخبرية في مقالته، وإنما اقتصرت على بعض المقدّمات، كما في علامات استفهام حائرة محيّرة(2)، والجنادرية(3) في المرحلة المتأخرة، ولم الاتحاد الكونفدرالي(4)، والقمة الخليجيّة(5).

---

(1) السقاف، أحمد ـ مؤتمر الأدباء الثامن ومهرجان الشعر العاشر، مجلة العربي، ص70، مصدر سابق.

(2) السقاف، أحمد ـ علامات استفهام حائرة محيرة، مجلة البيان، ص7، مصدر سابق.

(3) السقّاف، أحمد ـ الجنادريّة، جريدة القبس، ص39، مصدر سابق.

(4) السقاف، أحمد، لم الاتحاد الكونفدرالي، جريدة القبس، ص32. مصدر سابق

(5) السقّاف، أحمد ـ القمّة الخليجيّة، جريدة القبس، ص40، مصدر سابق.

3. العرض:

(أو الموضوع أو المتن أو الجسم)، يشكِّل القسم الرئيس في المقال، وفيه: يناقش الكاتب الأفكار التي يحملها موضوعه، ويحاول من خلاله إقناع القارئ بصحّة آرائه عن طريق الأدلّة والبراهين التي يسوقها لعرض أفكاره. والعرض "هو النقطة الرئيسة أو الطريقة التي يؤديها الكاتب، سواء انتهت إلى نتيجةٍ واحدة أم عدّة نتائج هي في الواقع متصلة معًا، وخاضعة لفكرة رئيسة واحدة، ويكون العرض منطقيًّا مقدمًا الأهم على المهم، مؤيدًا بالبراهين، قصير القصص أو الوصف أو الاقتباس، متجهًا إلى الخاتمة؛ لأنها مفاده الذي يقصده(1)". فهو مجموعة من الفقرات المترابطة التي تتضمن أسلوب الكاتب في شرح أفكاره وعرضها بصورة مفصّلة، وتحتوي على المعلومات والحقائق والشواهد التي تثبت صحّة أفكار الكاتب وكذلك الأدلة والبراهين التي يحتاجها الكاتب لإقناع القارئ وحمله على الإيمان بالأفكار الرئيسة للمقال.

كما يتمّ خلال المتن " تعميق الموضوع، وتوضيحه، والغوص في جزئياته ومناقشة كلّ زواياه، بحيث يزدحم بالتوضيحات، والتفاصيل والمناقشات والامثلة، وقد درج الكثيرون من أهل العربيّة وكتّابها على الانتقال من المقدّمة إلى العرض بقول (أما بعد)"(2).

ويتميّز الموضوع الجيّد بترابط فقراته، وأن يتم الانتقال من فقرة إلى التي تليها بصورة منطقيّة سلسة؛ فيها تواصل للأفكار دون انقطاع أو فجوات أو تكرار أو تداخل، بل إنّ كلّ فقرة تحتوي على أساليب لغويّة وتعبيرات ومثيرات مشوقة تدفع القارئ إلى الشعور بالحاجة إلى قراءة الفقرة التالية، لإكمال فكرة أو إثباتها أو التدليل عليها أو توضيحها أو استخلاص عبرة معينة. وعلى هذا، فالعرض يتألّف من عدّة فقرات، تتّسم بالوحدة والتماسك والترتيب المنطقيّ، بحيث تتّصل بالفكرة الرئيسية، ويأخذ بعضها برقاب بعض، ويتمّ عرض الأفكار فيها بتسلسل منطقي، وتختم كلّ فقرة منها بجملةٍ استنتاجيّه. وهناك جملةٌ مبادئ تساعد الكاتب على صياغة أفكاره في الفقرة بأسلوب ملائم هي(3):

---

(1) محمّد، حسن علي ـ التحرير الأدبي دراسة نظريّة ونماذج تطبيقيّة، ص 162، مرجع سابق.

(2) أبو حمدة، محمد علي ـ فن الكتابة والتعبير، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، 1981م، ص38.

(3) ينظر: محمود، حسني، وزملاؤه ـ فنون النثر العربي الحديث، ص 138 وما بعدها.

الترتيب الزمنيّ: الذي يثير في القارئ حب الاستطلاع، إذ يدل على ماذا حدث ويجيب عن التساؤلات المفترضة التي تثيرها المقالة في ذهن الكاتب.

الترتيب المكانيّ: الذي يدلّ على ما يوجد في المكان، بحيث يكشف علاقة وجود الأشياء بعضها ببعض، من خلال نظام يجمعها.

الترتيب من الخاص إلى العام: وفيه تتجه المقالة نحو التعميم، إذ تقود الأجزاء إلى الكلّ.

الترتيب من العام إلى الخاص: وفيه تتجه المقالة نحو التخصيص، إذ يقود الكلّ إلى الأجزاء.

الترتيب من السهل إلى المعقّد: وهي طريقة منطقيّة للشرح، إذ تبدأ بالسهل للوصول إلى المعقد.

الترتيب من المألوف إلى غير المألوف: وهي طريقة مُربحة للقارئ، إذ يتعلم أموراً غير معروفة بناء على أمور معروفة.

والمقال الجيد التنظيم، يجعل القارئ يشعر أنّه في رحلة ممتعة من الناحية الفكريّة والثقافيّة، ويشعِر القارئ وكأنّه يتعلّم شيئاً، أو يضيف شيئاً، إلى معلوماته كلّما استمرّ في القراءة، ومن المعايير التي يُؤخذ بها عند كتابة الفقرات، أن تكون الفقرة قصيرة مثل خمسة أسطر، وهذا يريح عين القارئ ويساعد ذهنه على الاستمرار في متابعة الأفكار.

وكانت الدراسة قد توصّلت في مبحثٍ سابق إلى أنّ مقالة السقّاف بشكلٍ عامّ؛ وخلال المراحل الأربع اتسمت بالتشويق والتسلسل المنطقيّ في طرح الأفكار وتنقّله بينها، فكان يعالج قضاياه بشكل جزئيّ أحياناً وبشكلٍ شموليّ أحياناً أخرى، كما أظهر السقّاف في مقالاته جميعها تحمّسه للموضوعات التي يطرحها من خلال سعيه الدائم لتثبيت طروحاته وأفكاره بالبراهين والأدلة، كما اعتاد السقّاف على تحديد بيئة زمانية ومكانية لمقالاته بشكلٍ غير مباشر، لأنّه كان يعتمد المناسبة موعداً لمقالاته. وفي العرض يقدّم السقّاف فقرات منسجمة بترتيب منطقي، ينظمها خيطٌ واحد، وهي أنّها تدور في فلك الفكرة الواحدة. وواقع الحال أنّ العرض بين أجزاء مقالة السقّاف؛ هو الجزء الأكثر ثباتاً والأكثر نضجاً منذ البداية، ومع مراعاتنا للفوارق الأساسيّة في المعالجة التي يقتضيها نوع المقالة وموضوعها؛ فإننا لا نلاحظ فروقاً جوهريّة أو ذات بال بين مختلف المتون التي قدّمها خلال مسيرة عطائه الأدبيّ،

فخلال تلك السنوات، كان السقّاف يقدّم عرضاً يعتمد التشويق والتسلسل المنطقي والوضوح، مع اختلاف نوع المعالجة حسب ما يقتضيه الموضوع، كما كان يبدي حماساً في عرض أفكاره. ولذلك سنكتفي بدراسة نموذج عن العرض الذي كان يقدّمه السقّاف في مقالته:

والنموذج التالي من مقالة قديمة نسبياً جاءت بعنوان ،خواطر في بعض مشكلات العروبة، وقد قدّم لها بالفشل الذي واكب مؤتمرات الأدباء ومهرجانات الشعر، ورأى أنّ سبب ذلك الارتجاليّة التي تسيطر على سلوكنا في كلّ شؤون حياتنا، وقد تصادف ذلك مع عقد أمسيةٍ شعريّة للشاعر اللبنانيّ الأخطل الصغير، فكانت غايةً بالجمال والانسجام وحسن الإعداد، حتّى أنّ السقاف تمنّى لو أنّ كل مؤتمراتنا ومهرجاناتنا تسير على هذا النحو، الأمر الذي حرّك عليه مواجعه، فناقش في متن المقالة عدّة موضوعات أشار إليها في العنوان على أنّها خواطر، أمّا عرضه فهو التالي:

" إنني شخصياً من المؤمنين بعمق، بضرورة استمرار تلاقي أدباء العروبة سواء أكانوا شعراء أم كانوا كتاباً، ولكني في الوقت نفسه أؤمن بنفس الحماس والعمق بضرورة البحث بجد عن طريقة تؤدّي إلى نجاح هذه المؤتمرات وهذه المهرجانات، فمن الظلم لأيّ دولةٍ عربيّة أن تتحمّل ما تتحمّل، إعداداً وضيافةً وإعلاماً، ثمّ تكون النتيجة تكراراً مملّاً لما قيل، مع زيادةٍ في الارتجال ورداءة في العرض. والأسوأ من كلّ هذا أن يسارع أحد المغرمين بالتأليف والنشر إلى طبع ما قدّمه الشعراء أو الكتّاب من قصائد أو بحوث دون استئذانٍ أو استئناس، ويزداد السوء سوءاً حين يطّلع الشاعر على قصيدته مطبوعةً في كرّاس مع قصائد الآخرين وهي مشوّهة بترجمةٍ غريبة عجيبة مختَلقة من ألفها إلى يائها كقصّةٍ من قصص ألف ليلى وليلة. ولقد حدث هذا بكل يسرٍ وبساطة عقب مؤتمر بغداد. وحين كنت مستغرباً جاء الردّ عجيباً غريباً. ولقد زاد شكّي بعد الترجمة التي قارنت قصيدتي فيما نقرأ من تراجم وسير وأخبار. وإذا كان هذا قد حدث للأحياء القادرين على التكذيب، فكيف تكون تراجم الأموات وكيف تُكتَب سيرهم وأخبارهم!؟

أحاديث ملؤها التحريف والتخريف

وعلى أيّة حال فإننا في هذا الوطن الكبير ما زلنا نعلن عن عدم حرمتنا لحقوق الأدباء والشعراء وأرباب الفنّ بصورةٍ عامّة، وما زالت الجرأة المتوحّشة ترافق تصرّفنا أمام ما يقدّمه هؤلاء من عصارة القلب والفكر والأعصاب، ولقد اعتدنا أن نقرأ في صحفٍ يوميّة أو أسبوعيّة أحاديث ملؤها التحريف والتخريف ولكن الناس لا يجعلون من أحاديث هذه الصحف مصادر علميّة أو تاريخيّة أو سياسيّة يحتجّون بها حين يحاضرون أو يكتبون، وإلّا فإنّ أيّ قارئٍ من قرّاء صحيفة المصوّر القاهريّة يستطيع أن يقول إنّ هيفاء(1) السقّاف فتاةٌ فلسطينيّة ثار والدها في وجه اليهود لاغتصابهم فلسطين فأرداه اليهود قتيلاً، وقد نشر هذا الكلام في الصحيفة المذكورة في العدد 2412 بتاريخ 1 يناير 1971 في حديث طويل للمطرب عبد الحليم عن قصيدة لنزار قبّاني بعنوان ((راشيل)). وحقيقة الأمر أنّ عبد الحليم سمع من ابنتي هيفاء السقّاف في إحدى زياراته لمنزلي في الكويت قصيدة نزار قبّاني، فأعجب بالقصيدة، وحين دافع عن نزار تذكّر ـ وهو على فراش المرض ـ القصيدة، ولا بدّ أنّه أتى على ذكر هيفاء السقّاف التي قرات له القصيدة وطلبت منه أن يغنّي بعض مقاطعها، ولكن الصحفيّ الهمام الذي أعدّ الحديث اختلط عليه الأمر فزعم أنّ هيفاء هذه فتاة فلسطينيّة قُتل أبوها في فلسطين.(2)".

في فقرة لاحقة جاءت بعنوان (أديب ضلّ سواء السبيل) يقول السقّاف:

" وإنّه لمن المؤلم حقّاً أن نقرأ لأديبٍ(3) مقروءٍ مسموع، أيام محنة الأردن(4) في أيلول الماضي، مقطعاً من مقالٍ يقول فيه:

((كان العرب يتقاتلون وهم يمتطون الدواب وهاهم اليوم يتقاتلون وهم يمتطون الدبابات والسيارات المصفّحة فمتى نلغي أدب الصحراء من مدارسنا !!)).

---

(1) هيفاء السقّاف هي ابنة الأديب أحمد السقّاف.

(2) السقّاف، أحمد ـ خواطر في بعض مشكلات العروبة، مجلة العربي، ص 39وما بعدها، مصدر سابق.

(3) على عادة السقّاف فإنّه لا يذكر أسماء خصومه في مثل هذه المواقف وكان قد تناول هذه القصة في أكثر من موضع، أمّا الأديب المقصود فهو سعيد عقل كما أشرنا سابقاً.

(4) يقصد مذابح أيلول الأسود بين الفدائيين الفلسطينيين والجيش الأردني.

فإذا كان هذا الأديب قد ساءه ما حدث في الأردن فإنّ ما حدث قد هزّ كيان الأمّة العربيّة بأسرها. ولكن ما حدث على بشاعته وهوله لا يجيز لأديب محسوبٍ على الأمّة أو غير محسوبٍ عليها أن يقول ما قال. ويبدو لي أنّ هذا الأديب لم يسمع عن الحرب الطائفيّة في إيرلندا الشماليّة، ولم يعرف شيئاً عن المعارك الدامية بين البيض والسود في الولايات المتّحدة الأمريكيّة. وكلّنا يعرف أنّ فتنةً رهيبة قد هبّت في بلد(1) هذا الأديب منذ أكثر من عشر سنوات ولم يعلق أحدٌ على تلك الفتنة بمثل هذا التعليق، ويقيني أنّ مثل هذه التعليقات الحاقدة إنّما تصدر عن عقدٍ طائفيّة مغلّفة بالنعرة الإقليميّة ومهما أنسَ فلن أنسى ذلك الحوار الذي دار بيني وبين هذا الأديب في أواخر عام 1969 حول اللغة والقوميّة، والحرف العربيّ والتشكيل. ويعتقد هذا الأديب الذي يكتب بالعربيّة، وينظم الشعر بالعربيّة، ويحاضر بالعربيّة أنّ رسالته في الحياة تقوم على ثلاث شعب الأولى هدم القوميّة العربيّة، والثانية هدم اللغة العربيّة، والثالثة القضاء على الحرف العربيّ ليحلّ محلّه الحرف اللاتينيّ، وكلّنا يعلم أنّ دعوةً كهذه خير هديّة تقدّم إلى أعداء الأمّة العربيّة في مثل هذه الظروف.

إنّ الأمّة العربيّة في صراعها الجبّار تعتمد قوميّتها في هذه المعركة المصيريّة، ولولا الشعور القوميّ الذي يشدّ أواصر الأمّة من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسيّ لاكتسحت الصهيونيّة العالميّة بمؤازرة الاستعمار سورية ولبنان وضربت ضربته في العراق وامتدّت غرباً إلى دلتا النيل وهبطت جنوباً إلى مكّة.

ولولا اللغة العربيّة

ولولا اللغة العربية التي توحّد شعور ومشاعر أبناء الشعب العربيّ لما شعر المصريّ بما يعانيه الفلسطينيّ ولما فهم المغربيّ ما يدور في مشرقه العربيّ من أحداث.

(1) يقصد الحرب الأهلية في لبنان.

أمّا الحرف العربيّ فهو برشاقته وبساطته أفضل مائة مرة ومرة من الحرف اللاتيني، والدعوة إلى هجره وإحلال الحرف اللاتيني محلّه كانت محاولة من نفرٍ يعدّ على أصابع اليد أو هم أقل في زمنٍ كانت فيه البلاد العربيّة تنوء بأغلال الاستعمار. أمّا اليوم فقد شبّ عمرو عن الطوق كما يقول المثل، وهيهات ثمّ هيهات أن تعود عقارب الساعة إلى الوراء، فلقد تخلّصت الأمّة العربيّة من ذلك الهراء الرخيص، وكشفت هذه الامّة بأصالتها المعهودة المقاصد الحقيقيّة لأولئك الدعاة. ولا أنكر بعد هذا أنّ اللغة العربيّة تواجه تحدّياً عنيفاً في هذا العصر بسبب كثرة الاختراعات العلميّة وما يصاحب هذه الاختراعات من أسماء جديدة يصعب على اللغة العربيّة بوضعها الراهن اللحاق بها، ولكني على ثقةٍ من أنّ اللغة العربيّة تستطيع أن تقّرب المسافة بينها وبين هذه الوثبة العلميّة الجبارة إن تنبّه أولو الشأن إلى ما يجب أن يكون.

مشروعان جليلان

ولقد سررت ذات يومٍ لخبرٍ قرأته في إحدى صحف الكويت عن تصريحٍ لرئيس الوزراء يقول فيه إنّه يفكّر في طريقة لعودة الأدمغة العلميّة العربيّ من مهاجرها الغربيّة ليكون علمها وجهدها لخير الأمة العربيّة، ولا شكّ أنّ الكويت تستطيع كما تستطيع ليبيا وبعض بلدان الخليج العربيّ أن تتبنّى مثل هذا المشروع، وتضيف عليه مشروعاً آخر هو إنشاء مركز ذي شأن لتعريب كافة الأسماء العلميّة وما يجود به عصر التكنولوجيا من مصطلحات ولا أنكر أنّ هذين المشروعين الجليلين (...) يحتاجان إلى تضافر الجهود العربيّة مجتمعة. والوحدة العربيّة إن كنا من دعاتها حقّاً لن تتحقّق بالسحر والشعوذة والتنويم المغنطيسي ... (1)".

تشكّل المقاطع السابقة جزءاً من عرض السقّاف في هذه المقالة، وهو يتألّف من عدّة وحدات فكريّة تدور حول موضوعٍ واحد ذكره في العنوان وأشار إليه في المقدّمة، وهو (بعض مشكلات العروبة)، وقد جعل هذه الوحدات الفكريّة على شكل مقاطع معنونة؛ تحدّد نهاية وبداية كلّ مقطع، وعند التدقيق في عنوانات هذه المقاطع نتأكّد من الوحدة الفكريّة التي تدور في فلكها، فالفقرة الأولى جاءت استكمالاً لما جاء في المقدّمة، فيما جاء العنوان الأوّل أحاديث ملؤها التحريف والتخريف، أمّا العنوان الثاني، فهو أديب ضلّ سواء السبيل، والعنوان الثالث ولولا اللغة العربيّة، والعنوان الرابع مشروعان جليلان، والعنوان الخامس الصهيونيّة العالميّة في حركة دائبة لا تفتر أبداً(2)،

---

(1)السقّاف، أحمد ـ خواطر في بعض مشكلات العروبة، مجلة العربي، ص 39وما بعدها، مصدر سابق.

(2) العنوان والفقرة التابعة له لم ترد في النص المقتبس.

والأمر لا يحتاج عناءً، لندرك أن ما أورده هو بضعٌ من مشاكل العروبة، فقد بدأ بارتجاليّة المؤتمرات العربيّة، ثم انتقل إلى سوء الأداء الصحفي، ثم عرّج إلى علو الأصوات الحاقدة على القوميّة العربيّة، ولا سيّما محاربتها للغة العربيّة؛ التي وجد فيها الركن الرئيس في الشعور القوميّ العربيّ، وكان ذلك مدخلاً للحديث عن أهميّة اللغة العربيّة، والاحتفاء بمشروعٍ افتتاح مركز للتعريب، وتدشين مشروع لاستقطاب الأدمغة العربيّة المهاجرة، ثمّ انتقل للتذكير بالجهد الذي تقوم به الصهيونيّة العالميّة في الدفاع عن مكتسباتها، ومخططاتها الجشعة، وتدمير الأمة العربيّة بالوقت نفسه. ولا شكّ أنّ هذا العرض المنطقي، المنسجم مع محوره، يولّد في النفس تشويقاً يغمر المقالة وموضوعها، كما أنّ العرض بهذا الشكل؛ يكتسي طابع الشمول، إذ أنّ السقّاف لم يحدّد أنّه سيعالج كل مشاكل العروبة؛ بل بعضها كما أعلن من خلال العنوان، أمّا المعالجة الجزئيّة، فهي واضحة من خلال اعتماده على مثالٍ واحد لأديبٍ ضلّ سواء السبيل ـ حسب وصفه ـ أو صحفيّ واحد عن الصحافة المملوءة بالتحريف والتخريف ـ على حدّ وصفه أيضاً ـ وهو لم يشأ المضي قُدماً في ذلك، لأن معالجة أي موضوع من هذه الموضوعات، تستحق حبراً كثيراً، وهو مالا ينسجم مع طبيعة المقالة.

من ناحيّة أخرى، فإنّ عرض السقّاف يكتسي ثوب الحماس، فهو لا يفتر يدعّم موضوعه بالبراهين والأدلة، التي تؤكّد على مقولاته، وهو ما ساقه في التدليل على أهميّة اللغة العربيّة، وما وصف به الصحافة العربيّة، وما ساقه عن الأديب الحاقد الذي ضلّ سواء السبيل، وهو يقصد به أدباء كثر أشار إليهم عندما رأى أنّ صيحة استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربيّة؛ ولّت مع أصحابها إلى غير رجعة.

لقد استطاع السقّاف أن يتعمّق في موضوعاته وتفصيلاتها على هيئة فقرات لم تبتعد عن صلب الموضوع، وعلى هذا يبدو العرض مشكّلاً من فقرات تميّزت بالوحدة والتجانس والترابط، وهي تدور حول فكرة رئيسة جسّدتها الجملة الرئيسة، وجمل مساعدة وجمل أخرى مساندة ترتبط بها، بحيث تساعد القارئ على فهم الفكرة الرئيسة في الفقرة، أو توضيح رؤية الكاتب المجسّدة في المقالة. لذا فقد جاء العرض في مقالات السقّاف منطقياً ومقبولاً مقدّماً الأهم على المهم، ومؤيّداً ما يريد قوله بالأدلة والأمثلة والبراهين والوصف والاقتباس والتعريفات، ومركّزاً معالجته على الأفكار الرئيسة ليجلي ما يريده للقارئ بطرق متنوّعة وموزّعة على الأمثلة والتفاصيل والحكايات والحقائق والإحصائيّات، كما اعتمد على التحليل والتصنيف والتوضيح، والمقابلة والمقارنة والمناقشات، وبحث السبب والتأثير خاصّة في مقالاته الطويلة، ذات الأفكار المتعددة، وذات النقاش الواسع الذي يفرضه الموضوع؛ لأنها تعيد انتباه القارئ لأهم أفكاره (السقاف).

4ـ الخاتمة:

هي ملخّص المقالة وموجزها، ونتيجتها ونهايتها، وهي بضعة جمل مركزة وموجزة وواضحة، تكون في الفقرة الأخيرة (الختامية)، تحتوي على الخلاصة أو النتيجة التي يريد أن يبلّغها الكاتب للقارئ، يقدّم فيها الكاتب ملخّصاً لرأيه واستنتاجاته من خلال ما تقدّم من عرض، وتشكّل خلاصة ما يريد أن يقوله، كأن يطلب للآخرين اتخاذ موقف أو استنتاج عبرة. وقد تحتوي الخاتمة على حل لمشكلة طرحها الكاتب في مقاله، أو خطوات عملية لمواجهة تحدي ما، أو خطوات للتعامل مع ظاهرة ما، وربّما تكون الخلاصة مصاغة على شكل عبارات مركزة كالحكم والأمثال الشعبية، على سبيل المثال، بحيث يسهل على القارئ فهم مغزى المقالة واستيعاب مقولاتها. وعلى هذا فالخاتمة الجيّدة تميل إلى الإيجاز والتركيز، وقد يُكتفى فيها بفقرةٍ واحدة، ويلخّص فيها الكاتب هدف المقال والنتيجة التي وصل إليها. ولها أهميّة أخرى في أنّها نهاية قول الكاتب، وآخر ما يطرق آذان القراء، فتكون الفرصة الأخيرة لاجتذاب العواطف، وتعمّق المعنى في الأذهان، ولا يتمّ ذلك إلا بتوفر الدقة والإيجاز والإحكام فيها، بحيث تكون قصيرةً وقويّة وصدى لما تقدّم في الموضوع. ومهما يكن، فالخاتمة الجيّدة توجّه انتباه القارئ إلى النقاط الرئيسية، وتذكّر بها. والخاتمة هي ثمرة المقالة وعندها يكون السكوت، "فلا بد أن تكون النتيجة طبيعية للمقدمة والعرض، واضحةً، صريحةً، ملخّصة للعناصر الرئيسة المراد إثباتها، حازمةً تدلّ على اقتناعٍ ويقين، لا تحتاج إلى شيء آخر لم يرد في المقالة(1)".

وكما المقدّمة، فإن الشكل الحقيقيّ للخاتمة؛ يعتمد على نوع المقالة الذي بدوره يوجّه نحو الخاتمة المناسبة. ولذلك قد تتضمن الخاتمة بعض الأدوات المقترحة في المقدمة مثل: الاقتباس، والأسئلة، لكنّ الخاتمة الجيّدة تتضمن عادةً سؤالاً أو توصيةً، أو اقتباساً، كما تتصف بالإيجاز.

---

(1) الشايب، أحمد، الأسلوب، المطبعة الفاروقية، الإسكندرية ط1/ 1939م، ص94.

الخاتمة عند السقّاف:

توصّلت الدراسة في مبحث سابق، إلى أنّ السقّاف نوّع في الخاتمة خلال مراحل عطائه الأدبيّ، ففي المرحلة الأولى غالبا ما كان ينهي مقالاته بخاتمة مفتوحة، وفي طريقة أخرى كان يلجأ للإشارة إلى فكرة وردت في المتن، ونادرا ما كان يلجا إلى تلخيص المقالة في الخاتمة. في المرحلة الثانية أصبحت الخاتمة أكثر وضوحاً، ولكن بقيت متنوعة كما في المرحلة السابقة وينطبق هذا الأمر على المرحلة الثالثة إذ لا تطوّر أو تغير جديد، كما أن هذا النهج ينطبق على خاتمة المقالة في المرحلة الرابعة، مع ملاحظة بروز الخاتمة وتوضّحها، إذ أصبحت المقالة في هذا الطور واضحة الأجزاء. ويمكن سوق بعض الأمثلة لخواتيم السقّاف خلال هذه المراحل، من خلال عرض نماذج كما يأتي:

ـ خاتمة التلخيص: والمثال الأول عن خاتمة من المرحلة الأولى، وهي خاتمة مقالته إجرام الفن، التي يقول فيها:

"جرّب أيّها القارئ الكريم، وافتح مذياعك، فماذا عساك ان تسمع من المحطّات العربيّة عند إذاعة الأدوار الغنائيّة، إنّك لن تسمع شيئاً يثبت نزاهة فنّنا، ومشاركته لنا في صراعنا، بل ستسمع ما يجعلك تعتقد معي بسوء قصد هؤلاء الذين قالوا عن أنفسهم إنّهم فنانون، وسمّوا هذه السموم القاتلة فنّاً، وقدّموها لنا في هذه الفترة لتزيد من ضعفنا وتخاذلنا، ستعتقد معي أيّها القارئ بإجرام هذا الفنّ ـ إن جاز أن نسمّيه فنّاً كما يسمون ـ وسيمجّ ذوقك أيّ لونٍ من ألوانه ما دمت متنقّلاً بقلبك وروحك وفكرك بين جثث شهداء الحقّ في بلادك فلسطين.(1)"

عالج السقّاف في المقالة السابقة قضيّة تهافت الفنّ والفنّانين، وابتعادهم عن قضايا الأمّة، ورأى أنّ الأمّة وكفاحها المرير مع العدو الصهيوني في وادٍ، بينما يقبع الفنانون العرب في وادٍ آخر، ودعا من خلال هذه المقالة التزام الفنّ لقضايا الأمّة، بدلاً من الإسفاف الذي دأب الفنانون على تقديمه. وتشكّل الخاتمة نموذجاً واضحاً للخاتمة الجيّدة، التي اعتمدت التلخيص والإيجاز،

---

(1) السقّاف، أحمد ـ إجرام الفنّ ـ مجلة كاظمة، ص 160، مصدر سابق.

ومعنى ذلك أننا نستطيع التنبؤ بما جاء في المقالة، من خلال هذه الخاتمة. ومن تلك الخواتيم التي لجأ فيها إلى الإيجاز، إلى شباب العروبة جمال عبد الناصر ما زال موجوداً(1).

ـ خاتمة التوصية: في مقالته، جنود في الميدان، عالج السقّاف قضيّة مشاكل التعليم في الكويت، ولا سيّما قضية انخفاض أجور المعلمين، وغلاء المعيشة التي اعتبرها خطوطاً خلفيّة لجيش المعلمين الذي يحارب عدوّاً غاشماً هو الجهل، وكانت خاتمته على الشكل الآتي:

" أمّا خطوط المواصلات أو الخطوط الخلفيّة فإنّها لم تكن سوى حالة المدرّس في البيت: فلقد رمت به موجة الغلاء الفاحش في أتونٍ شديد اللهب، فضاق ذرعاً بالعيش، وانفجر بعد طول الصمت! وأنتم يا من تسيّرون دفة الأمور ما زلتم متأثّرين برنّة الروبيّة القديمة مع انخفاض قيمتها الشرائيّة إلى حدّ يعيد للأذهان سقوط المارك الألماني أو تدهور الروبل الروسي. وإذا كان أغلبكم ممن لا يهمّهم الغلاء ولا يشعرون بسطوته وجبروته، فإنّهم ـ كما أعتقد ـ أناسٌ لهم قلوبٌ وضمائر وما أحسن ما يرضى به القلب، وما أطيب ما يوحي به الضمير(2)".

بخلاف الخاتمة السابقة فلم يسع السقّاف للتلخيص، بل اكتفى بمتابعة حديثه وكما يبدو فقد اختار أن تكون الخاتمة على شكل تذكير وتوصية، عن طريق التلميح، فقد خاطب فيها أولياء الأمور لينظروا في معاشات من سماهم جنودا في الميدان. ويبدو أنّ السقّاف قد استعمل هذه الطريقة في الخاتمة كثيراً في مقالاته، ولا سيّما تلك التي تختصّ بالشأن الاجتماعيّ، حيث يعرض القضيّة أو المشكلة ويختم بتوصية، كما في مقالاته لمن ، التي تحدّث في خاتمتها عن ضرورة معرفة المستحقّين الحقيقيّن للمساعدات العينيّة التي توزع في الكويت آنذاك(3)، وصناعة الموت تفرضها الوطنية الصحيحة(4)، التي طالب فيها العرب أن يهبوا لصناعة الموت أي العمل الفدائي ودعم الكفاح المسلّح للشعب الفلسطيني، وفي خواطر من هنا وهناك، حيث دعا في خاتمتها إلى مواجهة الأفكار الهدّامة بالفكر المستنير لا بالعنف لأنّ الأفكار لا تحارب إلا بالأفكار(5) .

---

(1) السقاف، أحمد ـ إلى شباب العروبة: جمال عبد الناصر موجود، مجلة العربي، ص28، مصدر سابق.

(2) السقّاف، أحمد ـ جنودٌ في الميدان، مجلة كاظمة، ص 310.

(3) السقّاف، أحمد ـ لمن، مجلة الإيمان، ص 299، مصدر سابق.

(4) ينظر: السقّاف، أحمد ـ صناعة الموت تفرضها الوطنيّة الصحيحة، ص18 مصدر سابق.

(5) ينظر: السقّاف أحمد ـ خواطر من هنا وهناك، ص7 مصدر سابق.

ـ الخاتمة الاقتباسية: وتكون هذه الخاتمة باختيار مثلٍ أو شاهدٍ شعري أو أيّ قولٍ مأثور من المتون المعروفة ليكون بمثابة خاتمة، وربّما يرد في نهاية الخاتمة أو ضمنها فيكون جزءاً منها. ففي مقالته، المحنة الكبرى، عالج السقّاف موضوع احتلال فلسطين، ونشاط اليهود الصهاينة وحملتهم المسعورة التي تهدّد الأمّة في كيانها، وقد اعتبر ذلك أكبر محنةٍ تصيب العرب في العصر الحديث، إلى أنْ وصل إلى الخاتمة التي يقول فيها:

" ولعمري إنّها لمحنةٌ شديدة وابتلاءٌ قاس، فمن هبّ لشرفه، وسارع لحفظ تراثه فقد أدّى الواجب، وأراح الضمير، وسلم من عذاب الله ولعنة الأجيال. وأمّا من بخل بالجسد وضنّ باليد، ووقف موقف المتفرّج يصفّق وهو في مكانه ـ عند الكرّ، ويذيع أنباء الهزيمة حين الفرّ ـ فقد خرج عن عروبته، ومرق من دينه، ووضع نفسه في زمرة العاقّين والجاحدين، ورحم الله ابن دريد القائل:

وإنّمَـا الْـمَرْءُ حَدِيثٌ بَعْدِهِ فَكُنْ حَدِيْثَاً حَسَنَاً لِمَنْ وَعَى.(1)"

فقد ساق السقّاف بيت دريد، واقتبسه لينهي به الخاتمة والمقالة معاً، ويبدو أن إرادته تجاوزت الاقتباس لتوظيف الشاهد، فكانت خاتمته هذه التي تضمّنت توصيةً أيضاً. وواقع الحال أن السقّاف استخدم هذه الطريقة في الخاتمة كثيراً فنجد عدداً من الخواتيم المتضمّنة اقتباسات أو مذيّلةً به من متون القرآن الكريم، والشعر والمثل، ومن ذلك خواتيمه في، الأنانيّة في الأفراد والشعوب(2)، وأشياء(3)، وغيرها.

ـ خاتمة السؤال: وهو نوعٌ من الخاتمة، وقد عمل عليه السقّاف في بضع مقالات حيث ينهي الخاتمة بسؤال فتبدو نهايةً مفتوحةً. كتب السقّاف في مقالة، في هموم ميمون القدّاح:

"(...) فهل القوم في طهران مستعدّون لإيقاف القتال ومدّ يدٍ نظيفةٍ مسالمة نحو جيرانهم العرب ليسطّروا صفحةً جديدةً على علاقاتهم، أم أنّهم ما زالوا يحلمون بالسيطرة بتصدير الفوضى والهيجان المتحجّر المرفوض إلى هذه الأجزاء من الوطن العربيّ الكبير؟(4)".

(1) السقّاف، أحمد ـ المحنة الكبرى، ص 88 مصدر سابق.

(2) السقاف، أحمد ـ الأنانيّة في الأفراد والشعوب، مجلة الإيمان، ص 151، مصدر سابق.

(3) السقاف، أحمد ـ أشياء، مجلة الإيمان، ص183، مصدر سابق.

(4) السقّاف، أحمد ـ في هموم ميمون القدّاح، مجلة البيان، ص7، مصدر سابق.

غير أنّه لم يكثر من الخاتمة التي تتم بهذه الطريقة. وأخيراً فإنّه لا بدّ من الإشارة إلى بعض المقالات التي تركت بدون خاتمة، ولعلّ ذلك طريقة حاول تجريبها السقّاف يوماً ما بحيث تبدو المقالة مفتوحة، كما في مرحى، وعودٌ على بدء، وهذه الأخيرة أكملت سلسلة مقالاته عن اليمن، ولعلّ في ذلك إشارة إلى حالة الأزمة الحقيقيّة في اليمن إذ أن الوضع كان كارثيّاً مقبلاً على مزيد من التدهور هناك.

الطول:

لقد توصلت الدراسة في مبحث سابق إلى اختلاف طول المقالة عند السقّاف حسب المراحل التاريخيّة التي مرّ بها، وطول المقالة كان يتناسب مع الموضوع ضمن الطول النموذجي والقياسي للمقالة، وقد تميّزت مقالاته المنشورة بالمجلات بالطول قياساً للمقالات التي نُشرت في الصحف. ومع ذلك يمكن أن نسجل بعض الملاحظات حول طول المقالة عند السقّاف:

إن طول المقالة غالباً ما يتناسب مع الموضوعات المعالجة، كما يتقاطع مع الحالة النفسية للسقّاف حين معالجة هذه الموضوعات، ولذلك فقد لاحظت الدراسة أن المقالات الطويلة غالباً كانت ذات طبيعة فكرية جدليّة، وكان السقّاف يحاول من خلالها تثبيت طروحاته وأفكاره، فكان يأخذه الحماس والانفعال فتطول المقالة، وهذا ما حدث مع مقالات الجمعيات العربية والخلاص من الأتراك، وانحراف الخلافة العثمانية ودور الرواد، وفي هموم ميمون القدّاح. فقد أراد من مقالاته الثلاثة السابقة تثبيت مقولاته في القومية العربية وكشف التآمر الإيراني والتركي على القومية العربية، والتعامل مع موضوعات شائكة مثل ما سبق، عادة ما يستنزف قلمه، ويدفعه بتداعياته بعيداً فتطول المقالة دون أن يشعر.

من ناحية أخرى فإن موضوع المقالة هو عامل مؤثر في طول المقالة، فالموضوعات الحساسة التي تستأثر باهتمام السقّاف تكون أطول مقالاً، في حين تقصر مقالات الموضوعات الطارئة أو التي أفاض فيها سابقاً، ولذلك جاءت مقالات السقاف عن مؤتمر الأدباء ومهرجان الشعر مطوّلة كما في مع مؤتمر الأدباء ومهرجان الشعر القلق أعنف من كل مؤتمر ومهرجان، أما مقالته إجرام الفن فكانت قصيرة نظراً لطروء الموضوع.

كما أنّ نوع المقالة يحدّد طولها عند السقّاف، فالمقالات الموضوعية تكون أطول عادة من المقالات الذاتية، ولكن تستثنى مقالة وصف الرحلات، إذ جاءت مقالة المغرب مزيان مزيان مطوّلة، ولذلك فقد جاءت مقالة مع أروى الصليحية والصليحيين وشعر الديارات مطوّلة، لأنّها موضوعيّة، في حين جاءت مقالة أحقاً أبا طارق وأيها الأقصى الحبيب قصيرة، لأنّها ذاتية، ويضاف إلى ذلك أن مقالة المجلّة عادة ما تكون أطول من مقالة الجريدة، إذ كتب السقّاف افتتاحيات في مجلة البيان في حين كتب زوايا صحفية في جريدة القبس.

ثانياً: الخصائص الفكريّة للمقالة عند السقّاف

أـ الالتزام

ينقل أحمد أبو حاقة، عن ديدرو أن الالتزام" هو ربط العمل الأدبي أو الفني بالحياة الاجتماعيّة، وتشديده على المضمون الاجتماعي والفكري والخلقي، واعتباره أنّ الخالي من المضمون الفكري لا يعتدّ به من وجهة النظر الاجتماعيّة، ولو اشتمل على قيمة فنّية كبرى، فالفنان مطالب بأن يجعل الفضيلة محبّبة، والرذيلة منكرة، ولأن يختار موضوعاته، ويبدع لوحاتٍ جديرة بأن تحرّك المشاعر وتهذّب النفوس"(1).

وعلى هذا، فالالتزام أن يلتزم الأديب قضايا الجماهير، فيشاركهم همومهم الاجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة على كلّ الأصعدة، وينظر الأديب إلى نفسه بصفته واحداً منهم يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم، ويرسم آماله بجانبهم ويربط مصيره بمصيرهم، "ويقوم الالتزام بالدرجة الأولى على الموقف الذي يتّخذه المفكّر أو الأديب أو الفنان، وهذا الموقف يقتضي صراحةً ووضوحاً وإخلاصاً وصدقاً واستعداداً من المفكّر، لأن يحافظ على التزامه دائماً ويتحمّل كامل التبعة التي تترتّب على هذا الالتزام(2)". ولعلّ الالتزام كانت الخاصّيّة التي ميّزت الأدباء القوميين جميعاً خلال عهود السبعينيّات وحتى التسعينيّات، فظهر الأدب الملتزم وازدهر، وارتفعت أصوات الأدباء الملتزمين، وقد آمن هؤلاء بضرورة التغيير، منطلقين من بؤس الواقع الاجتماعيّ والثقافيّ والسياسيّ للإنسان العربيّ، وحملوا على عواتقهم تطلعات الإنسان العربيّ بإيمان وعقيدة. ولا يخفى أنّ الأدب بالنتيجة حدثٌ اجتماعيّ يأتي مشبعاً بمادته،

---

(1) أبو حاقة، أحمد ـ الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت ،1979، ص 22.

(2) المصدر السابق، ص 14.

وعلى الأديب أن يحسن تقديم مادته وأن يحسن تقديم أفكاره، لاسيّما وأنّه مؤمن بها، يقول سارتر: " مما لاريب فيه أنّ الأثر المكتوب واقعةٌ اجتماعيّة، ولا بدّ أن يكون الكاتب مقتنعا به عميق اقتناع، حتى قبل أن يتناول القلم. إنّ عليه بالفعل، أن يشعر بمدى مسؤوليته، وهو مسؤول عن كلّ شيء، عن الحروب الخاسرة أو الرابحة، عن التمرّد والقمع. إنّه متواطئٌ مع المضطهدين إذا لم يكن الحليف الطبيعي لهم(1) ".

والحقيقة أنّ السقّاف بفكره وأدبه يمثّل أنموذجاً للأديب الملتزم، فقد شكّل أدبه شعراً ونثراً وصحافةً، وثائق نضالية تشهد له كما تشهد عليه. فمنذ بداياته الأدبيّة اختار الوقوف إلى جانب الإنسان العربيّ البسيط والفئات الكادحة من الشعب، فحمل أعباءهم الاجتماعيّة أولاً، وثنّى بالدفاع عن قضاياهم العادلة، وثلّث بالتمسك بآمالهم وتطلّعاتهم، كما أنّه رأى في نفسه الموجّه الأمين والناصح الثقة، بل إنّه عدّ نفسه صاحب رسالة في الأدب، يقول:

" والحقيقة أنني لم أرض لنفسي في يومٍ من الأيام أن أكون أديباً بلا رسالة، وإذا لم يكن هنالك نفعٌ للناس من كلمة أديبٍ مخلصٍ أو قصيدة شاعرٍ مؤمن، فإنّ الخبازين والحلاقين والكنّاسين يصبحون أكثر نفعاً للناس من الأدباء والشعراء(2)".

وهذا ما يفسر مختلف القضايا التي عالجها السقّاف في أدبه، فقد كان يبحث دائماً عمّا يؤرّق الإنسان العربيّ في كلّ بقعة عربيّة، ويذهب أبعد من هذا إذ يقول:

"فالأدباء والشعراء ضمائر شعوبهم ونتاجهم الأدبيّ يصوّر بصدق ــ إن كانوا حقّاً ملتزمين الآلام والآمال لهذه الشعوب(3)".

فهنا نراه يحضّ الأدباء على ذلك ويطالبهم بالالتزام بشكلٍ واضح، يقول:

---

(1) سارتر، جان بول ـ الأدب الملتزم، ترجمة جورج طرابيشي، منشورات دار الآداب، بيروت، ط2 /1967، ص: 44.

(2) السقّاف، أحمد ـ خواطر من هنا وهناك، مجلة البيان، ص7، مصدر سابق.

(3) السقّاف أحمد ـ كلمة يجب ان تكتب، مجلة البيان، ص7، مصدر سابق.

"فكلنا يعلم ما اضطلع به الأدباء والشعراء في تاريخ كفاحنا الوطنيّ الطويل، وكلّنا يعلم أيضاً ما عاناه الأدباء والشعراء من اضطهادٍ وتضييقٍ عبر تاريخ هذا الكفاح، فثورة فلسطين ما اندلعت على سبيل المثال إلاّ بقصائد الشعراء المخلصين، وبخطب الأدباء الملتزمين، وكانت وما زالت هذه الثورة تستمد قوّتها وعنفوانها من الكلمة النظيفة الشريفة المؤمنة(1)".

ولعلّ ما سبق يشكّل بياناً صادقاً عن رسالة السقّاف، وتوجّهه الأدبيّ وما يراه حقّ الكلمة. وبعد هذا العرض الموجز عن الالتزام عند السقّاف فإن ما يجدر بنا تحديدُ القضايا الفكريّة والمقولات التي ناضل من أجلها.

مقولات السقّاف وقضاياه الفكريّة:

إنّ الفكرة الأساسيّة التي يدور حولها مشروع السقّاف الأدبيّ والنضاليّ؛ هي فكرة القوميّة العربيّة، التي ظلت تلازمه حتّى آخر رمقٍ في حياته، وهي القضية الأخطر في فكره؛ إذ تعدّ الحجر الأساس الذي ينبني عليه كل الصرح المفاهيمي وما بثّه في أدبه من أفكارٍ ومقولاتٍ، ومعنى ذلك أنّ معالجة المشاكل الاجتماعيّة للإنسان العربيّ، ترتبط بالفكرة القوميّة، والصراع مع الكيان الصهيوني، ومناهضة الاستعمار، ومناهضة الشيوعيّة، والحزبيّة الدينيّة، وقضيّة التوفيق بين العروبة والإسلام، وخطاب التغيير، وقضيّة التعريب وغيرها، إنّ كلّ معالجاته في هذه القضايا ترتهن إلى مفهومه عن القوميّة العربية.

النزوع القوميّ:

ينتمي السقاف إلى التيار الوطنيّ القوميّ، الذي سخّر أدبه للهدف السياسيّ الاجتماعي الملتزم، وقد أصبح هذا التيار من أكثر التيّارات حضوراً في الساحة الأدبيّة، وقد ظلّ مواكباً أحداث التحرّر في خمسينيّات القرن العشرين وما تبعها، بحيث تحوّلت هذه الأحداث إلى قضايا حياتيّة وفنيّة، "وقد برز من هذا التيار شعراء القصيدة ذات الدعوة المباشرة التي تقدّم شعر التحفيز والحماسة والمنابر السياسيّة، فرفعوا الدعوة القوميّة شعاراً وشعراً، وجمعوا بين العمل السياسيّ والاجتماعيّ والكتابة النثريّة لخدمة أهدافهم"(2).

---

(1) المصدر السابق، ص7.

(2) الشطي، سليمان ـ الشعر في الكويت، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط1/2007، ص77.

وتتجّلى قوميّة السقّاف من خلال نتاجه الأدبيّ نثراً وشعراً، فقد أعلن انحيازه بشكلٍ واضحٍ لقضايا البسطاء والحقّ والعدل منذ البداية، وقد تحرّك في كلّ الدوائر لتبقى القضيّة القوميّة وفكرة العروبة هاجسه الأوّل وفكرته الأثيرة. فلا يمكن لباحث تناول السقاف وريادته الثقافية والأدبيّة دون ملاحظة اتجاهه القوميّ القويّ، الذي شكّل محور نشاطه الأدبيّ بشقيّه الشعريّ والنثريّ من جهة، ونشاطه السياسيّ والصحفي من جهةٍ أخرى؛ حتّى وُصف بأنّه "عمودٌ من أعمدة إيقاظ الوعي القوميّ في الكويت ورافدٌ من روافده(1)"، ولا غرابة في ذلك، إذ أنّه "أسّس النادي الثقافيّ القوميّ في الكويت عام 1951 ألفٍ وتسعمئةٍ وواحدٍ وخمسين"(2). وكان له سبقٌ في مثل ذلك أيضاً، إذ "أقدم ـ وهو في الثانويّة المركزيّة ببغداد ـ مع لفيفٍ من زملائه في الدراسة، على تكوين تجمّع قوميّ سمّوه (لجنة الضاد القوميّة) (...)، ونجحوا من خلالها في دعوة كبار الأساتذة والمعلّمين من مختلف الكليّات، للمحاضرة في التربية القوميّة، والتوجيه الفكريّ القوميّ. بالإضافة إلى أنشطةٍ داعمةٍ للثورة الفلسطينيّة(3)". وفي الكويت فقد ترأّس تحرير مجلّة الإيمان لسان حال النادي القومي الثقافيّ، "التي أراد من خلالها بثّ المزيد من الوعي القوميّ والوطنيّ، دون أنْ ينسى الشأن المحليّ الذي كان له موطئا في الملحق الأسبوعيّ لمجلّة الإيمان"(4). "فقد آمن السقّاف منذ نشأته بأنّ خلاص الأمّة يكمن في اختيارها النهج القوميّ، وعدّه الخيار الناجع للطائفيّة والقبليّة والتشرذم الإقليمي(5)". وكان مفهومه للقوميّة مفهوماً ثقافيّا حضاريّاً برؤيةٍ إنسانيّةٍ ساميةٍ، فلم يكن يتحدّث عن عرق بل كان مفهومه للقوميّة يرتكز إلى اللسان واللغة، ولذلك فقد امتلك تعريفاً للعربيّ، يقول:

" العربيّ ذلك الإنسان الذي اتخذ اللغة العربيّة لغةً له، واعتزّ بالثقافة العربيّة، وأخلص لها، واندمج في المجتمعات العربيّة، سواءٌ أكان في الأساس من أصولٍ عربيّة أم لم يكن(6)".

---

(1) محفوظ، حافظ ـ أقلام خليجيّة، ص54، مصدر سابق.

(2) الشايجي، خالد ـ أحمد السقاف شاعرا ومعلما وأديبا ومناضلا، مجلة البيان ع484 نوفمبر 2010، ص10.

(3) عصلة، أحمد بكري ـ أحمد السقّاف القابض على جمر الإبداع، ص16، مصدر سابق.

(4) السداح، محمد ـ أحمد محمد السقاف مجموعة من المواهب، مجلة البيان ع484 نوفمبر 2010، ص27.

(5) الوقيان، خليفة ـ أستاذي وأبي أحمد السقاف، مجلة البيان ع484 نوفمبر 2010، ص11.

(6) عصلة، أحمد بكري ـ أحمد السقّاف القابض على جمر الإبداع، ص 72، مصدر سابق.

وقد استشهد على ذلك بحديثٍ للرسول الكريم (ص)، يقول السقّاف:

" ((إنّ العربيّة ليست منكم بأبٍ ولا امّ ولكن من تكلّم لغتنا فهو منا)) ولا شكّ أنّ الرسول الكريم قد عنى أولئك الذين كانوا يتكلّمون العربيّة عن حبٍّ ومواطنةٍ وولاء، أمّا الذين لا يكنّون ولاءً لبلاد العرب ولا يهزّ وجدانهم ما يجيش في صدور العرب فهم دون شكّ غرباء عنا وإن تكلّموا لغتنا(1)".

كما أنّه في فكره القومي؛ "يعدّ الإسلام أحد أهمّ الإنجازات والإسهامات الحضاريّة للعرب، كما أنّه اتّخذ موقفاً مناقضاً لدعاة الأمميّة الإسلاميّة الذين أنكروا العروبة"(2)، لقد كان موقفه من العروبة واتجاهه العميق أمراً مبدئيّاً، ولا يقبل النقاش، يقول:

" لست مجاملاً ولا أحب أن أكون مجاملاً في القضايا القوميّة(3)".

ولذلك لم تكن دعوة السقاف للقوميّة عاطفةٍ أو مزاجاً، بقدر ما كانت رسالةً لها مقوّماتها التاريخيّة والواقعيّة، "كما كانت مبرراتها واضحةً، وهو يتحدّث أو يكتب عنها، فكان يملك من التسلسل الفكريّ والشاهد التاريخيّ والمنطق المنسجم مع نفسه والوضوح ما يكفي"(4).

ليس من المبالغة القول إنّ أدب السقّاف بمجمله؛ لا يخرج عن إطار فكرة القوميّة، ولا يخرج عن هذا الإطار إلاّ النزر اليسير، الذي ليس من شأنه أن يفسد هذا التعميم والإجمال، بل إنّ القضايا الأخرى الّتي عالجها السقّاف، ليست إلاّ هوامش تخدم متنه الذي أنفق حياته فيه. والحقيقة أنّ السقّاف كان "يعيش تسلّط فكرة القوميّة لدرجة ما يمكن اعتباره أعلى من اليقين بل إنّ فكرة القوميّة نتيجةً؛ هي رسالة السقّاف وموضوعه، وهدفه المعلن لكلّ ما يكتب"(5).

---

(1) السقّاف، أحمد ـ يا معشر العرب إمّا نكون أو لا نكون، جريدة القبس، ص32، مصدر سابق.

(2) الشطي، سليمان ـ عن رائد الدرب الجميل أحمد السقاف، مجلة البيان، ص33، مصدر سابق.

(3) السقّاف، أحمد ـ حديث عن الجزائر وليبيا، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(4) الشطي، سليمان ـ عن رائد الدرب الجميل أحمد السقاف، مجلة البيان، ص34، مصدر سابق.

(5) عبد الله، محمد حسن ـ الشعر والشعراء في الكويت، دار ذات السلاسل للنشر، الكويت ط1/ 1987، ص185.

عند مقارنة السقاف بأدباء عصره من القوميين، سنجد أنّ بعضهم وصل إلى اليأس، ومن ثمّ فقد لاذ بالصمت، في حين اتّجه شعراء آخرون إلى الطفولة العربيّة الّتي رأوا فيها حلماً قد يتحقق بعد أن يئسوا من الواقع العربيّ، وثمّة شعراء آخرون انحازوا إلى أقطارهم فأصبحت فكرة القوميّة مفصّلة على قدّ القطر والحزب والحاكم الذي تحولّ ليكون أساساً للقومية. كانت هذه الاتّجاهات القوميّة واضحةً بعد نكسة 1967 ألفٍ وتسعمئةٍ وسبعةٍ وستين، ولم يُفلت من تبعات النكسة من الشعراء القوميين إلاّ القليل، في حين ظلّت فكرة القوميّة في أدب السقّاف بشعره ونثره صافيةً نقيَّة أكثر وضوحاً وإصراراً(1).

نشر السقّاف عدداً من الكتب تدور حول القضيّة القوميّة، تبحث في أصل الفكرة وتفنّد حجج خصومها وتناقش اجتهادات معتنقيها، "وقد وضع ذات نفسه في كتبه وهذا ما يصدر عن السقّاف فكراً وعملاً وعقيدةً ولغةً ومصطلحاً"(2). وكان للسقّاف اليد الطولى في تأسيس وتحرير ونشر مجلّة العربي، التي أراد لها أن تكون مجلةً جامعةً لكلّ العرب مهتمةً بالثقافة العربيّة." لقد حمل السقاف لواء العروبة، وتطلّع إلى تقارب هذه الأمّة، وكلّما لاح بارق أملٍ لجمع كلمة العرب من زعيمٍ أو حاكم، وقف يناصره بشعره وخطبه على المنابر الوطنيّة"(3)، فكان يتقدّم في المناسبات ويدعو إلى المظاهرات تأييداً للقضايا العربيّة، وليست قضيّة تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثيّ على مصر إلاّ سهما في كنانة، "ورغم الهزائم والانكسارات فإنه لم يفقد الأمل بمستقبل الأمّة، فكان يرى الوحدة ماثلةً أمام عينيه بل يلمسها بيده"(4). ثمّ إنّه ما كان يكفّ عن إدانة كلّ من يضع قيداً أو شرطاً تقيّد به حركة العربيّ في أرض العرب. ثمّ " اندفع بقوّة ليشيد بكل الثورات العربيّة وشخصيّاتها ويسجّل الأحداث الكبيرة، وحيّا العواصم العربيّة التي شهدت هذه الأحداث، وامتدّت تحيته إلى حركات التحرّر العالميّ(5)". " ولا يكتمل الحلم القوميّ إلاّ بوجود البطل (...)

(1) عبد الله، محمد حسن ـ الشعر والشعراء في الكويت، ص185، مرجع سابق.

(2)عبد الله، محمد حسن ـ الشعر والشعراء في الكويت، ص189، مرجع سابق.

(3) ينظر: الوقيان، خليفة ـ أستاذي وأبي أحمد السقاف، مجلة البيان، ص14، مصدر سابق.

(4) عبد الله، محمد حسن ـ الشعر والشعراء في الكويت، ص 192.مرجع سابق.

(5) الشطي، سليمان ـ الشعر في الكويت، ص80، مرجع سابق.

فالبطولة هي الجانب المجسّد للحلم(1)" فكان يعتزّ بعبد الناصر وينعته بـ "القيادة القومية" مستبشراً بدوره التاريخيّ في مناصرة الثورة اليمنيّة، ووجود دور فاعل لمصرَ وراء حركات الاستقلال والنهضة في أكثر البلدان العربيّة، مما تمتلئ به صفحات كتبه، "كما أنّ هزيمة حزيران لم توهن من عزيمته أو تغيّر رأيه بالقائد"(2). ومن هذا المنطلق تحمّس للعراق في حربها مع إيران، وبمثل هذه الحماسة؛ عبّر عن تصوّره لدور الثروة العربية في النهوض بالمناطق العربية المختلفة. و"لم يكن يرى في قوميّته أيّ تعارضٍ أو تناقضٍ مع وطنيّته"(3). "ورغم العواصف والرياح التي عصفت بالعمل العربيّ المشترك في الوقت الذي كفر به كثيرون بالعروبة وتخلى عنها آخرون بقي السقّاف صامداً شامخاً لم يغيّر أو يبدّل مواقفه"(4). لقد تغّنى للوطن والحريّة، وتغنى بالعروبة ونهضة العرب والقوميّة العربيّة، ودافع عنها بصلابة، وتعب من أجلها حتى يوم الثاني من أغسطس 1990 م ألفٍ وتسعمئة وتسعين ميلادية، حين اجتاحت القوات العراقيّة أرض الكويت ودنّستها، فأصبحت قصائده بعد كارثة الاحتلال قصائدَ حزينةً تفوح بالألم والشعور بالخذلان، مفجوعةً لهول الحادث والمصيبة، وهو العروبيّ القوميّ الملتزم بقضايا وطنه وأمّته.

قضايا الإنسان العربيّ:

كانت هموم الإنسان العربيّ إحدى القضايا التي تبنّاها في مجمل أدبه، فهذا الإنسان تعرض للاضطهاد والفقر والحرمان، وحُرم من أبسط حقوقه في الحياة الحرّة الكريمة، ولذلك حمل السقّاف على عاتقه مشاكل هذا الإنسان وآماله وتطلّعاته، من المحيط إلى الخليج يبحث عنه ويرفع لواءه. فقد طالب ملك المغرب بضرورة إعادة الحياة الدستوريّة إلى البلاد، إذ عايش ـ أثناء زيارته إلى المغرب ـ التململ، ولمس حجم الغضب الذي اكتنف المغاربة جراء تعطيل الحياة الدستوريّة هناك، وقد وجّه رسالةً إلى الملك المغربيّ؛ يوصيه بضرورة ذلك، مؤكّداً أن الحقّ الإلهيّ في المُلك والتسلّط على الناس أضحى شيئاً من الماضي، وأنّ المغاربة الذين يشاهدون البرّ الأوربيّ رأي العين؛ يتطلّعون إلى حياة تسيّرها الأسس الديمقراطيّة والحريّة، يقول:

---

(1) المرجع السابق، ص81.

(2) عبد الله، محمد حسن ـ الشعر والشعراء في الكويت، ص 190، مرجع سابق.

(3) المرجع السابق، ص193.

(4) الوقيان، خليفة ـ أستاذي وأبي أحمد السقاف، مجلة البيان، ص16، مصدر سابق.

" إنّهم(1) يعتقدون أنّ فقدان الحكم الديمقراطي البرلماني يبعدهم عن واجبهم نحو تلك المعركة(2)، وإذا لم يكن من النصح بدٌّ فإنّ كلمتي في هذا المقام موجّهةٌ للحكم المغربيّ (...) إنّ المغرب المجاور لأوربّا يصعب عليه أن يهضم الحكم الفرديّ مهما كانت مسوّغات ذلك الحكم ومبرّراته، وإنّ المغرب المليء بالرجال الأفذاذ لا يقبل أن يتفرّج على إدارات ومؤسّسات لا تخضع للرقابة الشعبيّة(3)".

ولقد صدق حدس السقّاف وتنبؤه؛ إذ لم تمض أسابيع، حتّى حدثت محاولة الانقلاب(4) على الملك الحسن الثاني، لكنّه نجا وتلا ذلك حملة إعدامٍ لكبار الضباط ومن شارك في الانقلاب، ولم تمض شهور، حتّى حدثت محاولةٌ انقلابيّة ثانية(5)؛ لقد قال السقّاف يومها بالحرف:

" إن الأفكار الخطيرة المدمّرة لا تنتشر إلا في مجتمعات متذمّرة حاقدة(6)".

فالإنسان العربيّ كان هاجسه المؤرّق، ولذلك تناول مختلف القضايا التي تهمّه منذ بواكير مقالاته، فقد ناقش قضايا الفقراء في الخليج والكويت قبل النفط، وهاجم الإقطاع وبقاياه في العالم العربي وعده عاراً لحق بالعرب منذ العصور الوسطى ولم يتخلّصوا منه حتّى الآن. كما عالج سوء أوضاع المعلمين في الكويت، ونبّه إلى ضرورة التوجيه القومي في التعليم، وتناول سوء أوضاع الشعب اليمني وفقره المدقع في سلسة مقالاته عن اليمن، كما اهتمّ بقضيّة النازحين الفلسطينيين.

---

(1) الضمير يعود على الجماهير المغربية.

(2) يقصد معركة العروبة مع أعدائها الصهاينة.

(3) السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان4، مجلة البيان، ص7، مصدر سابق.

(4) انقلاب الصخيرات 1971: قامت مجموعتان عسكريتان في يوليو 1971 تابعتان للمدرسة الحربية الملكية بمداهمة قصر الصخيرات الملكي أثناء الاحتفال الذي كان يجري بمناسبة عيد ميلاد الملك، مما أدى إلى مقتل عشرات من المدعوين والضباط وأركان البلاط والمشاهير والشخصيات المحلية والعالمية، وكان المتمردون قد أحكموا السيطرة على محطة الإذاعة، بعدما عمدوا إلى القيام بهجوم مسلّح على قصري الصخيرات والرباط. وفي وقت لاحق نجح الملك بإحكام سيطرته على الوضع، وعاد إلى الإمساك بزمام الأمور.

(5) هي محاولة انقلاب أوفقير أو عملية بوراق جرت في 16 أغسطس 1972 قام بها أفراد من سلاح الجو المغربي لاغتيال الملك الحسن الثاني عن طريق مهاجمة طائرة البوينغ الملكية القادمة من برشلونة، لكنها فشلت أيضاً.

(6) السقّاف، أحمد ـ المغرب مزيان مزيان4، مجلة البيان، ص7، مصدر سابق.

مناهضة الاستعمار والصهيونيّة:

إنّ أبرز وجوه التزام السقّاف كان نضاله في سبيل القضيّة الفلسطينيّة، فقد كانت المحرّك الأساس لتعزيز انتمائه العروبي وتعميقه، ففلسطين وشعبها قضيّة العرب الأولى والمركزيّة، ولهذا كره الصهاينة اليهود، وجعل منهم خصوماً لا يستحقون إلا اللعن في ماضيهم وحاضرهم، ولهذا فقد وصفهم بأشنع الأوصاف وأقذر العبارات، فهم (الرجس، والبغي وأحفاد القردة والخنازير(1))، وعندما ضرب مثالاً عن شعباً يتميّز بالأنانيّة المقيتة عبر التاريخ لم يجد غيرهم، يقول:

"فالمتتبع لتاريخ العبرانيين يدرك ما جرّته الانانيّة على هذه الطائفة من محن وأرزاء؛ فقد حصر العبرانيون كلّ اهتمامهم في تصيّد المال، والعمل على ابتزازه من كافّة الشعوب المجاورة لهم لينعموا بالسعادة ويلذّوا بالطيبات من ملذات الحياة، فكانوا مثالاً لأقذر ما تكون عليه الأمثلة للأنانيّة وحبّ الذات...(2)).

والواقع أنّ قضيّة فلسطين، شكّلت القضيّة التي بقيت على الدوام محرّكاً لنشاطه القوميّ وأدبه، ولا غرابة في ذلك، إذ طالما بقي الصهاينة لا يتورّعون عن ارتكاب المجازر واقتراف الجرائم، منذ ما قبل تأسيس كيانهم وحتّى اليوم، ولذلك فقد وظّف قلمه نصرةً للقضيّة الفلسطينيّة والدفاع عن حقوق العرب والفلسطينيين، بنفس الوقت الذي كافح فيه الصهيونيّة وجرائمها، ولهذا نراه يتألّم لمصاب الفلسطينيين النازحين ويرفض وصفهم باللاجئين، فهم بين أهلهم يقول:

" ماذا أكتب، وأنا أمام صورةٍ من أشدّ الصور إيلاماً للقلب، وأكثرها وخزاً للضمير، وأعظمها تأثيراً في النفس!.. ...صورٌ مجسّمةٌ مخيفة للفقر القاتل، والمرض المتلف، والهوان المحزن المميت!! وتمرّ الأيام إثر الأيام، والشهور تلو الشهور، والأعوام بعد الأعوام، وكارثة الإنسانيّة أمام أعين الإنسانيّة، وعار العروبة في وجه العروبة...(3)".

---

(1) السقاف، أحمد ـ المحنة الكبرى، مجلة كاظمة، مصدر سابق.

(2) السقّاف، أحمد ـ الانانيّة في الأفراد والشعوب، مجلة الإيمان، ص 152، مصدر سابق.

(3) السقّاف، أحمد ـ النازحون، مجلة الإيمان، ص 77، مصدر سابق.

وظلّ على عهده هذا تجاه فلسطين وكلّ ما يمثّل فلسطين ولا سيّما المسجد الأقصى، يقول: " أيّة كلماتٍ يستطيع هذا القلم المرتجف أن يخطّ في هذه المأساة، ومن أين يستطيع أن يستلهم العبارات القادرة على الاقتراب من سرر الجرحى، وقبور الشهداء الذين لفظوا أرواحهم وهم يؤدون الصلاة في رحابك(1)".

ولأنّ الحكّام العرب قد أضاعوا البوصلة، في جامعتهم العربيّة، وفشلوا في تحقيق الهدف، وجمع الجهود لتحرير فلسطين؛ فإنّ الحريّ بالشعوب العربيّة، أن تقوم بذلك وأن تدعو لمؤتمر حرّ يصوغ الأهداف ويوحّد الجهود ويعلن بدء العمل على التحرير، يقول:

" ولذلك فنحن نرى اليوم أن على العناصر الوطنيّة في جميع انحاء البلاد العربية أن تجمع امرها على مقاومة كلّ خطة يرمي من ورائها الاستعمار إلى جعل وطننا ميداناً للحروب الذريّة والهيدروجينيّة ولن يتحقّق لهذه العناصر الطيبة التوفيق الكامل في إحباط الخطط الجهنّمية والمشاريع الاستعماريّة مالم تبادر فوراً إلى عقد مؤتمر شعبي عام في إحدى المدن العربية ـ ولتكن دمشق مثلاً ـ تتخذ فيه من القرارات الصارمة ما يكفل سلامة هذا الوطن من كل دسيسة استعماريّة، وما يقضي على كلّ هاجس في رأس أي مأجورٍ من مأجوري دعاة الاستعمار"(2).

كما دعا لضرورة دعم العمل الفدائيّ والكفاح المسلّح للشعب الفلسطينيّ، وبما أنّ الصهيونيّة تعلّم أبناءها في المدارس على الحياة العسكريّة فمن الواجب أن يقوم العرب بذلك ويهيّؤوا أنفسهم للمعارك القادمة مع العدوّ الصهيونيّ، يقول:

" لقد سمعنا وما زلنا نسمع عن رغبة وزارة التربية في فرض نظام الفتوة على المدارس المتوسطة والثانوية والكليات الجامعية والمعاهد الأخرى، ونظام الفتوة نظام عسكري يدرّب الطالب والطالبة على استعمال السلاح، مع ما يبثّه هذا النظام في نفوس الطلاب والطالبات من الصفات النبيلة كالتضحية والفداء والشجاعة والإقدام، ولكن هذه الرغبة لم تبرز إلى الوجود، ولعلّ هذه النكسة تعجّل في تحقيقها، فنرى ابناءنا يتدرّبون على حمل السلاح ويودّعون حياةً لا تليق بهم ولا بماضيهم على غير رجعة"(3).

---

(1) السقّاف، أحمد ـ أيّها الأقصى الحبيب، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.

(2) السقّاف، أحمد ـ نحو مؤتمر حرّ، مجلة الإيمان، ص367، مصدر سابق.

(3) السقّاف، أحمد ـ صناعة الموت تفرضها الوطنيّة الصحيحة، مجلة العربي، ص17، مصدر سابق.

لكنّ القضيّة لم تنتهِ آنذاك ولمّا تنتهِ، ولذلك بقي السقّاف على عهده تجاه فلسطين إلى أن توقّف عن الكتابة، ففي عمليّة السلام أكّد على كذب هؤلاء الصهاينة اليهود، يقول:

" إنّ السلام شيء والاستسلام شيء آخر، والتطبيع شيء والتركيع شيء آخر، والأمة العربية لا تنام على ضيم، وهي أمة محاربة قوية ذات شمم وإباء، وتاريخها القديم والحديث يشهد على ذلك، (...) إنّ رابين نسخة مكرّرة من شيلوك، وقد أراد بالسلام الذي لوّح به أمام العرب أن يزعزع وحدة الكفاح الفلسطيني، ويخمد ثورة الحجارة المباركة، ويخدع دول العالم التي أخذت تستيقظ على حقيقة إسرائيل"(1).

إنّ السلام الذي يزعمون ليس إلاّ مجرّد ذرائع لاقتطاع ما بقي من فلسطين وتهويدها، فالكيان الصهيوني غير معنيّ بالسلام وشيلوك هو شيلوك(2) كما يقول السقّاف.

ولأن هذا الكيان المختلق مرتبط بالاستعمار ارتباطاً وجوديّاً، ولأنّ كلّ مكاسبه تعتمد على علاقاته الوطيدة بالإمبرياليّة ـ فهو ربيبها وحفيدها المدلّل ـ كان لا بدّ من مناهضة الاستعمار قبل إسرائيل وبعدها، وفي كلّ شبرٍ من التراب العربيّ، ومهما كان شكل هذا الاستعمار أو دينه، قديمه وحديثه فهو استعمار مادام يقوم على استغلال الشعوب ونهب ثرواتها واحتلال أراضيها، ولذلك لاحقه بلا هوادة، في مقالاته بدءاً بالاستعمار العثمانيّ للبلاد العربيّة، يقول:

"وبعد خلاص الأمة من الاستعمار العثماني الرهيب وخضوعها للاستعمار الأوربي تأجّجت الروح القوميّة أكثر بكثير مما كانت عليه في أواخر العهد العثماني، وهبّ مفكّرو الامّة يشحذون العزائم لمقاومة الاستعمار..."(3).

كما تناول كفاح العراق ضد الاستعمار البريطانيّ وأذنابه، وإمارات الخليج وعدن، ولم ينس الجزائر والمغرب وتونس وليبيا التي كان يهلّل لثورتها وانتصارها شعراً ونثراً، يقول:

---

(1) السقّاف، أحمد ـ شيلوك هو شيلوك، جريدة القبس، ص40، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق، ص40.

(3) ينظر: السقّاف، أحمد ـ انحراف الخلافة العثمانيّة ودور الرواد، مجلة البيان، ص 7، مصدر سابق.

" وأكبر دليل على أن الوطن اليوم يلاقي كلّ ما يخيف من مكائد الاستعمار ودسائسه هذا الصلف الذي تدل به فرنسا في تونس والجزائر ومراكش، وما يلاقيه الأحرار في هذه الأجزاء الثلاثة من الوطن من ظلمٍ دونه ظلم النازيين لهذه الدولة الآثمة، ففي كلّ يومٍ يستشهد مئات من الشباب المؤمنين المناضلين، وتنسف البيوت الكثيرة على السكان الأبرياء الآمنين، ويزجّ بالشيوخ والعجزة في السجون والمعتقلات حتّى يلاقوا حتفهم جوعاً وتعذيباً. ثمّ نظرة واحدة إلى ليبيا ـ هذه الدويلة العربية الحديثة ـ كافية لتبديد كلّ حجة يلجا إليها المغرقون في التفاؤل و التخدير، فلقد أردناها تجتني عنباً بعد كفاحها الرائع، وصمودها في وجه الطغيان الفاشستي، فإذا بها تتنكب طريق الكروم، فتجتني المرد، متصامّة عن نداء الأدلاء، متعامية عن تلويح أرباب الفيافة الحاذقين!!... (1)"

وبعد، فالواضح أن السقّاف كان واسع الاهتمام بقضايا الإنسان العربي في كل البقاع العربيّة، ولم يمنعه انتماؤه إلى بلده الصغير وبعده عن قلب الحدث ان يتعاطف مع أشقّائه العرب في كل مكان يحيي صمودهم ويحثهم على البذل والعطاء ويدافع عنهم، ويدلهم على سواء السبيل.

مناهضة الشيوعيّة:

ناهض السقّاف في أدبه ومقالاته الحركات الشيوعيّة في الوطن العربيّ؛ إذ اعتبرها عائقاً من معوّقات الحركة القوميّة؛ بسبب مواقفها من القوميين العرب ومناداتها بالأمميّة؛ التي همّشت دور العروبة والعرب. والسقّاف في موقفه هذا لا ينطلق من مصادرات تحتكم إلى عاطفة؛ إنّما كان لديه من الأسباب والدوافع ما يحدد موقفه تجاه هؤلاء الشيوعيين، فهو يعرف مبادئهم وقمعهم للحريّات وتكميم الأفواه، يقول:

" والغريب العجيب أنّ الشيوعيين الذين لا يؤمنون بحريّة التعبير ولا يؤمنون بالديمقراطيّة هم اليوم أكثر المتباكين على حريّة التعبير في مصر(2)".

(1) السقّاف، أحمد ـ الوضع العربي الراهن، مجلة الإيمان، ص96، مصدر سابق.

(2) السقّاف، أحمد ـ رفضنا بوعيٍ قومي أن نكون جسراً للشيوعيين، مجلة البيان، ص28، مصدر سابق.

وعن انقلابهم الدمويّ في العراق يقول:

" إنّنا لن ننسى أنّ الاتحاد السوفييتي قد انجرف وراء هؤلاء الشيوعيين في مطلع 1959 حين حاول الحزب الشيوعيّ العراقي أن يقفز إلى كراسي الحكم في العراق فأُغرق في الدماء والدموع والآلام(1)".

فقد ندّد بحكم عبد الكريم قاسم في العراق، الذي لاحق القوميين العرب فلاقوا منهم الموت والتنكيل، كما ندّد بانقلابهم الأرعن(2) في السودان وارتكابهم المجازر بحق السودانيين، يقول:

" فحين فتحت الشيوعيّة في العراق النار على القوميّة العربيّة في مطلع عام 1959 أدرك الواعون أن الحزب الشيوعيّ العراقيّ قد وُضع في مخطّطٍ استعماريّ صهيونيّ يتوخّى ضربه وضرب القوميّة العربيّة في آنٍ واحد، وسحل الشيوعيّون أحرار العراق ونكّلوا بالقوميّة العربيّة أبشع تنكيل، ونجح المخطّط وسقط الحزب الشيوعيّ في العراق. ولقد كنت أعتقد أنّ الأحزاب الشيوعيّة قد اتّعظت بما حدث في العراق ولكنّ أحداث السودان جعلتني في حيرةٍ من الأمر. ولكم وددت لو أنّ المنتصرين في السودان قد تجنّبوا البطش الرهيب(3). إنّهم قد جعلوا من الشيوعيين أبطالاً وشهداء وسبغوا عليهم عطفاً في كلّ مكان. (4)".

فالسقّاف يرى أنّ الشيوعيين وضعوا أنفسهم ألعوبةً بيد الاستعمار، وبدل أن يكونوا في الصفّ الأماميّ مع المناضلين القوميين ضد الاستعمار والصهيوني؛ حاربوا القوميّة العربيّة، ولأنّه أديبٌ يتحلّى بالإنسانية وقيمها فقد ساءه المجازر التي ارتُكبت بحقّهم في السودان، بعد فشل انقلابهم على يد نظام جعفر النميريّ، وتمنى لو أنّ المنتصرين تحلوا بالمروءة والسماحة، بدلاً منن سيلان الدم؛ ذلك أن " الأفكار لا تُحارب إلاّ بالأفكار(5)" كما يقول. ولأنّ الشيوعيين يعتبرون أنفسهم امتداداً للاتحاد السوفييتيّ والثورة الأمميّة الشيوعيّة في العالم، فقد طالب الاتحاد السوفييتي " أن يفرّق بين هذه الشراذم المحسوبة عليه وبين صداقته للشعوب العربيّة(6)".

---

(1) المصدر السابق، ص28.

(2) على حدّ وصفه في المقالة.

(3) انقلب الشيوعيون بقيادة هاشم عطا على نظام جعفر النميري وارتكبوا المذابح خلال ثلاثة أيّام لكنّ النميري عاد مجدّداً ليجمع قوّته ويستولي على الحكم وقاد حملةً كبيرة بالتعاون مع الإسلاميين لتطهير السودان من الشيوعيين إلى أن اعتقل المناضل الشيوعي عبد الخالق محجوب وأعدم فيما بعد.

(4) السقّاف أحمد ـ خواطر من هنا وهناك2، مجلة البيان، ص7، مصدر سابق.

(5)السقّاف أحمد ـ خواطر من هنا وهناك2، مجلة البيان، ص8، مصدر سابق.

(6)السقّاف، أحمد ـ رفضنا بوعيٍ قومي ان نكون جسراً للشيوعيين، مجلة البيان، ص28، مصدر سابق.

مناهضة الحزبيّة الدينيّة:

ناهض السقّاف منذ بداياته أفكار الجماعات الدينيّة ولا سيّما أفكار تيار الإخوان المسلمين(1)، وتيارات التشدّد الإسلاميّ في الخليج، وتيار التشدّد الإسلاميّ في إيران. وموقفه ينطلق من معاداة هذه التيارات لفكرة العروبة وحركة القوميّة العربيّة، أمّا عن رأيه بالإسلام؛ فهو يرى أنّه صناعة عربيّة ورسالة خالدة قدّمها العرب للبشريّة، وأنّ العروبة والإسلام وجهان لعملةٍ واحدة، وقد تصدّى لكلّ المحاولات التي دأبت على النيل من العرب، وكان يصف كلّ من يعادي تيار العروبة بالشعوبيين(2). لقد عدّ عداء العرب والفكر القوميّ جريمةً شنعاء، فـ "أكبر الجرائم دون شكّ معاداة الفكر القوميّ(3)".

وقد شنّ هجوماً حاداً على أستاذٍ جامعي ينتمي لتيار الحزبيّة الدينيّة، كان قد أجاز مساواة العروبة بالصهيونيّة في معرض جوابه على سؤالٍ يقول:

" رادف بعض المسلمين(4) بين العروبة والصهيونيّة فهل ترى المساواة في ذلك صحيحة؟(5)".

ففنّد رأيه، وقارعه بالحجّة والمنطق في مقالةٍ حملت طابع النزال، ودافع عن العرب قائلاً إنّ "التضحيات التي بذلت في ساحة فلسطين كانت تضحيات عربيّة صرفة، فنحن لم نجد منذ ثورة 1936 حتّى هذه الساعة بندقيّةً واحدةً غير عربيّة تدافع عن فلسطين، ولا موقفاً صادقاً غير موقف العروبيين الملتزمين بالقوميّة العربيّة، ومع احترامنا الشامل والكامل لعبارة العالم الإسلاميّ فإنّ هذا العالم الإسلاميّ هذا لم يقدّم لفلسطين ما يستحقّ منه المسجد الأقصى من بذلٍ ومؤازرةٍ فالدول الإسلاميّة كتركيّا وإيران وإندونيسيا وباكستان كانت وما زالت ترتبط بشكلٍ أو بآخر بالولايات المتّحدة الامريكيّة، وهذا الارتباط لا يسمح لها بنجدة فلسطين(6)".

---

(1) رغم كلّ ما كتب السقّاف عن الإخوان المسلمين ومناقشته لأفكارهم فإنّه لم يذكرهم على الإطلاق، فقد اكتفى بالحديث عن الحزبيّة الدينيّة والأمميّة الإسلاميّة.

(2) السقّاف، أحمد ـ حاشية على الاستفتاء الغريب، مجلة البيان، ص6، مصدر سابق.

(3) السّقّاف، أحمد ـ علامات استفهام حائرة محيّرة، مجلة البيان، ص5، مصدر سابق.

(4) المقصود هنا أحد قادة إيران في ذلك الوقت.

(5) السقّاف، أحمد ـ كلمة في الاستفتاء الغريب، مجلة البيان، ص7، مصدر سابق.

(6)السقّاف، أحمد ـ كلمة في الاستفتاء الغريب، مجلة البيان، ص7، مصدر سابق.

ثمّ يتابع السقّاف فيهاجم هذا الأستاذ الجامعيّ، وجماعته الدينيّة، ويوضح قصر نظر هذه الجماعة ـ من وجهة نظره ـ يقول:

"إن الإنسان عدو ما جهل، والحزبية الدينيّة منذ انبثاقها في مصر في أواخر الثلاثينيّات وهي مغمضة العينين لا تستطيع أن ترى نور العروبة .....(1)".

ويتابع في تفصيل الأسباب التي جعلتها على هذه الحالة، من خلال الشاهد التاريخيّ والدليل والبرهان، ويرى أخيراً، أنّه كان على هذه الحزبيّة الدينيّة أن تعيد بناء خطّة عمل جديدة، مستفيدة ممّا استجدّ على الساحة العربية آنذاك، وكان "على الذين يسيرون على هذا النهج في الكويت، ألاّ يتمسّكوا بالموقف القديم من العروبة. لكنّهم ساروا على هذا الطريق، وهم في ذلك لن يستدرجوا غير السذّج ولذلك هم مهزومون لا محالة"(2).

وقد ناهض السقّاف فكرة تعلّق هؤلاء بالخلافة العثمانيّة، في حين أنّ لديه من الأحاديث المطوّلة والشاهد التاريخيّ؛ ما يفيض عن أنّ هذه الخلافة لم تملك من الحكم الإسلاميّ إلاّ الاسم كما أنّها حاربت العنصر العربيّ الواقع تحت حكمها كما حاربت اللغة العربيّة وفرضت التتريك، وقام جزّاروها وطغاتها بإقامة المشانق لأحرار العرب، يقول:

" وهؤلاء الضائعون، يعتقدون بتوجيه من الحزبية الدينية المتنافرة المتصارعة أن انتفاضة العرب على الاتراك أثناء الحرب العالمية الأولى كانت سببا في التصدّع الذي نشكو منه اليوم، وإن النصر لا يمكن تحقيقه دون عودة الخلافة، وإذا قيل لهم عن الأتراك: هم الذين تنكّروا للعرب فأعلنوا سياسة التتريك وحاربوا اللغة العربية، وابتعدوا عن الإسلام ولم يبق من الخلافة بعد سقوط عبد الحميد غير الاسم فتحوا أفواههم مستغربين"(3).

---

(1) المصدر السابق، ص7.

(2) المصدر السابق، ص8.

(3) ينظر: السقّاف، أحمد ـ الخلافة العثمانيّة ودور الرواد، مجلة لبيان، ص 5، مصدر سابق.

إنّ لدى السقّاف من المنطق والدليل التاريخي ما يمنحه حق القول ورفع الصوت، ولهذا فحبّ العرب هو فضيلة وهو العروة التي يجب التمسّك بها؛ يقول مستشهداً بالحديث الشريف: "حبّ العرب واجبٌ لثلاث، لأنّي عربيّ، والقرآن عربيّ، ولسان أهلّ الجنّة عربيّ"(1).

التوفيق بين العروبة والإسلام:

لقد ارتبطت مناهضة السقّاف للحزبيّة الدينيّة بفكرة التوفيق بين العروبة والإسلام، فلم يكن يرى أي تعارضٍ بينهما، بل كان يعتبرهما وجهان لعملةٍ واحدة، فالإسلام يقوى بالعرب والعروبة، والعروبة قويّة بتمسكها بالإسلام، يقول:

" لن تنتصر دعوةٌ تتمسّح بالدين مادامت تحارب العروبة (...) ولن تنتصر عروبة جوفاء بعيدةٌ عن رسالة السماء تكره الدين وتحاربه وتطعن في التراث تحتقره (...) فلا حياة تُرجّى لهذه الأمّة مالم تقرّ بأنّ قوميّتها ترتكز على مبادئ محمّدٍ العظيم(2)".

ومعنى ذلك أنّ فكرته عن القوميّة ترتبط بالإسلام، الذي عدّه أشرف رسالة قدّمها العرب للعالم، وقد كافح الأفكار التي كان يبثّها الإسلاميون المتشدّدون الذين وصلوا بتطرّفهم إلى كره العرب وبغضهم، وكلّ من ينادي بالعروبة والقوميّة، يقول:

" ولا ندري في أيّ زمنٍ من الأزمنة محا الإسلام العروبة، وقال للعربيّ أنت مسلم وحذار حذار أن تذكر العرب(3)".

---

(1) ينظر: السّقاف، أحمد ـ القوميّ لا يتنكّر للدين، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق. ورد هذا الحديث بلفظٍ آخر «أُحبّوا العرب لثلاثٍ لأنّي عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنّة عربي» وهو ضعيف، ينظر: الألباني، محمّد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، مكتبة دار المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ط2009/1، مج 1 ص1777 رقم الحديث 8934.

(2) السقّاف، أحمد ـ يا معشر العرب إمّا أن نكون أولا نكون، مجلة العربي، ص29، مصدر سابق.

(3) السقّاف، أحمد ـ حاشية على الاستفتاء الغريب، مجلة البيان، ص5، مصدر سابق.

فهو يستغرب من هذا الطرح ولا يجده متناسباً مع تعاليم الدين الحنيف، وقد أنكر أيضاً ما وجده تلفيقاً عن بغض العروبة للإسلام، وأنّ الحركة القوميّة نشأت على أيدي ثلّةٍ من العرب المسيحيين الذين حاربوا الخلافة العثمانيّة، وعلى العكس فهو يجد " العروبةَ تتمسّك بالإسلام وتفتخر به، فهو مجدها الخالد وشرفها الذي لا يضاهيه شرفٌ على ظهر هذه الأرض(1)"، كما أنّ القوميين الأوائل ثاروا على الاضطهاد الذي مورس بحقّهم من قبل العثمانيين الذين لم يفرّقوا آنذاك بين مسلمين أو مسيحيين، ونصبوا لهم المشانق في ساحات بيروت ودمشق وكان أكثر هؤلاء الأحرار من المسلمين المتنوّرين(2).

ب ـ الموسوعيّة:

إنَّ الموسوعية هي الدافع المؤسس لتطور الفكر البشري، وهي التي تتيح للمبدع رؤية الطرق المناسبة لتوجيه دفة الإبداع في العلوم الطبيعية كما في العلوم الإنسانية. كما أن الموسوعية تمنح المفردات المعرفية المناسبة، للارتقاء بالتفكير ومنطقه الجمالي. فكلما كان لدى المبدع خبرات معرفية أوسع وأشمل، أصبح يمتلك فرصا أكبر وأفضل للتمتع بجماليات الآداب والفنون، كما يصبح أكثر قدرة على الإنتاج والعطاء.

برز السقّاف أديباً وناقداً وشاعراً ومفكراً، وتناول في مقالاته شتّى فنون المعرفة، واتّسم عطاؤه الفكري بالتنوع والشمول، وشملت قراءاته الأدب العربي شعراً ونثراً، وكتب في كثيرٍ من الموضوعات المختلفة، وما كتابته في الموضوعات الأدبيّة والنقديّة، والتاريخيّة والاجتماعيّة والثقافيّة والسياسيّة وغيرها، مما تجلّى في أدبه المقالي، إلاّ دليلٌ على سعة اطلاعه وعمق ثقافته، كما أنّ أسفاره وتجواله في البلدان العربيّة والأجنبيّة شكّلت ينبوعاً غزيراً لتعميق ثقافته واطلاعه وهو ما برز في نثره.

(1) المصدر السابق، ص5.

(2) ينظر: السقّاف، أحمد ـ الخلافة العثمانيّة ودور الرواد، مجلة لبيان، ص 5، مصدر سابق.

ويُجمع النقاد على أنّ الفترة التي قضاها السّقاف في العراق، تركت أعظم الأثر في تكوينه الثقافي وفكره القوميّ، وكان للعلماء الذين لقيهم في العراق أثرٌ كبير في زاده الثقافي، و"كان السقّاف شغوفاً بالدراسات الأدبيّة، مكبّاً على عيون الأدب العربيّ شعره ونثره قديمه وحديثه، يطالعها ويحفظ منها الكثير، فكان له من ذلك زادٌ ومدد مكّنه من بلوغ منزلةٍ تضعه في مصافّ الأدباء والشعراء العرب المحدثين والمجدّدين"(1).

ج. التحرّر من النثر القديم:

رغم أنّ السقّاف نشأ في بيئةٍ محافظة، تميل إلى التراث، ورغم موسوعيّته وسعة اطلاعه على التراث العربي القديم نثره وشعره، إلاّ أنّ السقّاف لم يبدِ تأثراً بالنثر العربيّ المتكلّف، في بيئةٍ نظرت إليه مُعبّراً أصيلاً عن التراث، بتكلّفه وسجعه وزخارفه وزينته، وعلى العكس من ذلك فقد سار السقّاف في تيار تجديد النثر منذ مقالته الأولى، مبتعداً عن الزخرف والتلوين، وسرعان ما وجد نفسه بعيداً عن الأدباء المتنطّعين والمتحذلقين، فجاء نثره حراً طلقاً واضحاً بلا غموض أو تقعّر؛ رغم أنّه امتلك من الثقافة اللغويّة ما يمكّنه من ذلك، بل "أخذ السقّاف من القدماء مالا يجب التفريط فيه وما لا يستغني الأديب عنه؛ الصحّة اللغويّة والدقّة في التعبير عن الفكرة، واستقامة الجمل وترابطها بحيث تأخذ القارئ إلى صفحاتها المنسابة من البداية حتّى تسلّمه إلى النهاية، كما أخذ من أساليب المحدثين أطيب ما عندهم، فهو بعيد عن التعقيد والتغنّي بالإغراب وشطحات الفكر والخيال، ملتزمٌ لوحدة الموضوع في المقالة الواحدة(2)"، وما سبق يعبر عن حقيقةٍ واضحة سيراها كلّ من عاين مقالات السقّاف. ومع ذلك فإن الدراسة لا تغفل أنّ السقّاف وقع أحياناً في فخ السجع، والتزيين اللفظي، كما في مقالة نازحون لكنّ هذه المقالة، وغيرها؛ تبدو نوعاً من التجريب إذ لم يجازف السقّاف ويتابع في هذا النمط، ولا يعني ما سبق أنّها كانت مقالةً رديئةً بسبب السجع الذي استخدمه السقّاف حينها، بل على العكس فما يمكن قوله إنّها جيّدة واختياراته في تلك السجعات كانت موفّقة ولم تبعده عن موضوع المقالة، يقول:

(1) السقاف، أحمد ـ نخبة من مقالاته ومقابلاته، ص10، مصدر سابق.

(2) عبد الله، محمد حسن ـ الحركة الادبيّة والفكريّة في الكويت، ج1 ص385، مرجع سابق.

" ماذا أكتب، وانا أمام أطفالٍ لم تبق في أجسامهم غير العظام، ونساء لم يجدن من الملابس ما يستر الشيء الحرام، وعجزة وشيوخ يدقّ في عظامهم الموت الزؤام، وكهولٍ في كرب وذهولٍ لا يستطيعون الكلام!!.(1)".

ثمّ تابع السقّاف المقالة بنثر طلق، مبتعداً عما بدأه قبل قليل، وهذا المثال وغيره من الحالات النادرة التي عمد فيها السقاف إلى السجع، وعلى كلّ حال، فالسقّاف الأديب المثقّف يعلم جيّداً أنّ الكِتَابة بأسلوب القدماء، لا تلائم العصر الذي يعيش فيه، ولا تلائم الصحف، ولذلك سعى لأن يكتب بلغة العصر، مسايراً دأب كتّاب المقالة من معاصريه المعروفين. وعلى ذلك فإنّ فنّ المقالة في أدب السقّاف وازن بين عناصر الأصالة والتجديد.

د. الخروج على شكل المقالة:

إن أساليب التحرير عند السقّاف ترتبط بشكلٍ لصيق برؤيته الفنية والفكرية، وهذه الرؤية تحدد التنظيم المرئي والشكلي للمقالة وأجزائها، وطبيعةَ كلّ جزء من هذه الأجزاء، والقواعد التي تحدد وتحكم العلاقة بينها، ذلك أنّ اهتمامات السقّاف وموسوعيّته، ومعرفته بطبيعة قرّائه، وممارسة العمل الصحفيّ والكتابة الإبداعيّة، عوامل متداخلة تحدّد الشكل المعبّر عنه في المقالة، وتتدخّل هذه العوامل مجتمعةً لتحديد سمات الوضوح والترابط والشمول فيها.

إنّ ما سبق يسمح لرؤية السقّاف الفنيّة والفكرية، أن تتعامل مع الشكل المعهود للمقالة، بنوعٍ من الأريحيّة، فهو بالنتيجة لا يتعامل مع قوالب جامدة ليصبّ فيها معارفه، وما يريد من أفكار، بل على العكس، فقد أصبحت المقالة الوعاء الذي يتأقلم مع السقّاف، وهذا ما دفعه حقيقةً في كثير من الأحيان إلى الخروج على الأشكال المألوفة للمقالة، وإلى توسيع الأبعاد الفنيّة لها، بحيث تحقّق هذه الرؤية الفنّيّة الاستجابة السريعة للموضوعات الطارئة والقضايا الملحّة، وهذا ما يمكن رؤيته بوضوح في مطالعة مقالات السقّاف، خاصّةً تلك التي نشرت في الصحف اليوميّة.

[1] السقاف، أحمد ـ النازحون، مجلة الإيمان، ص77، مصدر سابق.

إن رؤية السقّاف الفنية والفكرية، على هذا المنحى تخلق نموذجًا جديداً للعالم وللأشياء، وعلى هذا النموذج ألاّ يبتعد عن الصورة الحقيقيّة، والواقع الملموس، لأنّ " المجتمع الحديث لا يقع في مجال الرؤية المباشرة لأحد، كما أنّه غير مفهوم على الدوام، وإذا فهمه فريقٌ من الناس، فإنَّ فريقًا آخر لا يفهمه(1)"، ولذلك تتدخّل الرؤية الفنيّة عند السقّاف لتحدّد أساليب التحرير المناسبة من خلال الشرح والتفسير والتعليق بشكلٍ تكامليٍّ، ويرتهن ذلك لمعرفةٍ واعيةٍ بالقوانين الداخلية المنطقية الموضوعية التي تحكم فنّ تحرير المقالة، ولتوضيح ذلك تقترح الدراسة معاينة مقالة خواطر من هنا وهناك، التي يقول فيها:

"حين عدت من المغرب في العام المنصرم كتبت خواطري المغربية تباعاً في هذه المجلّة، وجاءتني كتبٌ كثيرة تستحسن ما كتبت، واقترح بعض الفضلاء جمع تلك السلسلة في كتاب، وكان في مقدّمة هؤلاء رئيس تحرير هذه المجلّة، ولم يكتف بإبداء هذا الاقتراح وإنّما أبلغني حين عاد من القاهرة في الربيع رغبة أصدقائه من أدباء مصر في جمع تلك السلسلة ونشرها بالعنوان الذي اخترته لها في البيان، ولقد هممت بتنفيذ الاقتراح غير أني شغلت بأمورٍ ذات بال حالت دون التنفيذ، ثمّ سافرت على لبنان للاستجمام، وبعد أيام انفجر الوضع في المغرب وعدت لما كتبت عن ذلك القطر الجميل الساحر، فوجدت أني قد أديت رسالة الكلمة الحرة الشريفة، ونصحت صادقاً مخلصاً، وأذكر أني قد استلمت رسائل كثيرة من المغرب تثني على ما كتبت وتطلب في الوقت نفسه مني المزيد، غير أني كعادتي أوثر الإيجاز مؤمناً بأن من لم يتّعظ بأسطرٍ تتوهّج بنور الصراحة والصدق فلن يتّعظ بشيءٍ مهما طال النصح وكثر التنبيه.

وبعد انفجار الوضع في المغرب تلفّت نحو أدباء المؤتمرات وشعراء المهرجانات فلم اطّلع على شيءٍ حول المغرب، واتحاد أدباء المغرب مرتبط بالاتحاد العام للأدباء العرب، ومن حقّهم أن يتلفّتوا نحو زملائهم أدباء المشرق، فالصمت في ساعات المحن كريه كالثرثرة في أوقات العمل والجد.

---

(1) إمام، إبراهيم ـ دراسات في الفن الصحفي ص 117، مرجع سابق.

إن من يرغب أن يطّلع على ما كتبت عن المغرب فليرجع إلى مجلة البيان وسيجد سلسلة بعنوان " المغرب مزيان مزيان" وسيعرف أني قد قلت إن المغرب يغلي كالمرجل، ومن الظلم أن يحكم ذلك القطر بذلك الأسلوب المتخلّف، وقلت فيما قلت إن الملك الذي لا تعوزه الفطنة ولا ينقصه الذكاء عليه أن يعلم أن نظرية الحق الإلهي في الملك قد ذهبت إلى غير رجعة، وإن كفاح الشعوب في هذا العصر لترفض رفضاً قاطعاً تلك النظريّة السخيفة، وكل حكمٍ لا يستند إلى قواعد ثابتة من العدل محكومٌ عليه بالزوال. وكتبت في موضوعات كثيرة عن اللغة العربية، وموقف السلطة المغربيّة منها، وعن الأحزاب المغربيّة وموقفها من الحكم المطلق، وناشدت الملك الذكي أن يعي روح العصر، فهو يحكم بلداً تكاد تكون ملتصقةً بأوربا، وليس من المنطق في شيء أن تعيش البلاد دون دستور ودون مجلسٍ نيابي حرّ نزيه.

ولا شكّ أن تلك النصيحة قد اطلع عليها المسؤولون في المغرب فالبيان ترسل لاتحاد كتاب المغرب وهم ينشرون في صحفهم ما ينشر عنهم في صحف المشرق. ولا شكّ أيضاً أن المسؤولين لم تعجبهم تلك النصائح شأنهم شأن غيرهم ممن لا يحبون أن يسمعوا تجريحاً لباطلٍ، أو نقداً لظلمٍ ما داموا قد ألفوا نفاق المقرّبين، ودجل المشعوذين، أولئك الذين يزينون الظلم ويخترعون ألف مسوّغ للباطل. والحقيقة أني لم أرض لنفسي في يومٍ من الأيام أن أكون أديباً بلا رسالة وإذا لم يكن هنالك نفعٌ للناس من كلمة أديبٍ مخلصٍ أو قصيدة شاعرٍ مؤمن، فإنّ الخبازين والحلاقين والكنّاسين يصبحون أكثر نفعاً للناس من الأدباء والشعراء.

ونحن نعلم أن الآلاف من الناس يستطيعون ان يصبحوا حلاقين وكناسين وخبازين في يومٍ أو يومين، ويستطيع غيرهم أن يصيروا موظفين كباراً يشار إليهم بالبنان بمرسوم يصدره حاكم من الحكام، أما الشاعر الموهوب والأديب المحلق المبدع فإنّهما من هبات الخالق جلّ شأنه، فليس في مقدور أي حاكم أن يخلق الشعراء والأدباء مهما كان نفوذه وماله وسلطانه. وإذا علم الشعراء والأدباء هذا ــ ولن يعلم هذا إلا القليلون منهم ــ فإنّ من الواجب أن يتقرّبوا إلى الله بالقول الحق والموقف الكريم النبيل. وكما سكتت أقلام الأدباء في محنة المغرب سكتت في محنة السودان. وإذا كان الوضع قد انفجر في المغرب متأخّراً فإنّه قد انفجر في السودان مبكراً، فالاصطدام بالقومية العربية ليس هذا أوانه. إن الأمة العربية تخوض أخطر معركةٍ تعرّضت لها في وجودها، إنّها هجمةٌ شرسة حاقدة لئيمة، مدعّمة بالمال والصلف العنصري، ومزوّدة بجميع أسلحة العصر الحديث،

وفي مقدّمة هذه الأسلحة العلم والإعلام الحديث المؤثّر، والعرب كل العرب مدعوون لصدّ هذه الهجمة الصهيونيّة الحاقدة دون تمييز بين قوميّ أو ماركسي، أو بين اشتراكي أو رأسمالي. فحين فتحت الشيوعيّة في العراق النار على القوميّة العربيّة في مطلع عام 1959 أدرك الواعون أن الحزب الشيوعيّ العراقيّ قد وُضع في مخطّطٍ استعماريّ صهيونيّ يتوخّى ضربه وضرب القوميّة العربيّة في آنٍ واحد، وسَحل الشيوعيّون أحرار العراق ونكّلوا بالقوميّة العربيّة أبشع تنكيل، ونجح المخطّط وسقط الحزب الشيوعيّ في العراق. ولقد كنت أعتقد أنّ الأحزاب الشيوعيّة قد اتّعظت بما حدث في العراق ولكنّ أحداث السودان جعلتني في حيرةٍ من الأمر. ولكم وددت لو أنّ المنتصرين في السودان قد تجنّبوا البطش الرهيب(1). إنّهم قد جعلوا من الشيوعيين أبطالاً وشهداء وسبغوا عليهم عطفاً في كلّ مكان.

لقد كان يكفي أن يصور المسؤولون في السودان الضحايا البريئة ممن قُتلوا غدراً وهم في الأسر وينشروا تلك الصور على الناس، ثم يساق المذنبون إلى المحاكم مع الاحتفاظ بضبط النفس والحفاظ على وشائج الشعب الطيب المسالم. إنّ الأفكار لا يمكن القضاء عليها بالعنف! إنّ الأفكار لا تحارب إلا بالأفكار(2)".

يمكن القول: إن المقالة السابق تمثّل أنموذجا خاصا بالسقاف، فالمقالة من حيث الشكل لا تختلف عن المقالة المعاصرة لها، لكن يمكن ملاحظة أنّها معتدلة الطول، ثمّ أن العنوان جاء خواطر من هنا وهناك في حين أنّ السقاف ناقش في المقالة موضوعين. كما أنّ المقدّمة جاءت طويلة وفيها إشارة إلى سلسلة مقالات سبق أن نشرها بعنوان المغرب مزيان مزيان، كما أنّ المقدّمة اشتملت على تنبيه لمراجعة ما كتبه في تلك المقالات ولا سيّما توصيته ونصيحته بشأن المغرب. أمّا المتن فقد ناقش فيه موضوعين، والمفترض أن يناقش موضوعاً واحداً، لا سيما أن المقدمة لم تشر إلى موضوع السودان. أما الخاتمة، فقد جاءت قصيرة مفاجئة على شكل اقتباس سريع أنهى به كل ما يمكن أن يقال.

---

(1) انقلب الشيوعيون بقيادة هاشم عطا على نظام جعفر النميري وارتكبوا المذابح خلال ثلاثة أيّام لكنّ النميري عاد مجدّداً ليجمع قوّته ويستولي على الحكم وقاد حملةً كبيرة بالتعاون مع الإسلاميين لتطهير السودان من الشيوعيين إلى أن اعتقل المناضل الشيوعي عبد الخالق محجوب وأعدم فيما بعد.

(2) السقاف، أحمد ـ خواطر من هنا وهناك، ص 6و7، مجلة البيان، مصدر سابق.

أمّا المقالة من حيث المضمون، فهي تؤكّد على اهتمامه بالقضايا العربية الماضية والمعاصرة، وهو ينظر للأمور بشكلٍ شمولي، فالموضوعان مرتبطان حقيقة بالهم القومي. ففي موضوع المغرب كان همّه التأكيد على توصيته السابقة، وأنه لمس الاحتقان في الشارع المغربي أثناء زيارته إلى المغرب، وقد نبّه إلى أنّه سلط الضوء على غليان الشارع المغربي، وتنبّأ بالكارثة التي وقعت، وقد شرح ذلك بمنظار الحكيم العارف بالأمور. ولقد أثار استياءه عدم الأخذ بالنصيحة التي فسّرها بأن القائمين على الأمور أو بطانتهم أهملوا تلك النصيحة، فهم يصطنعون أشياعاً لا ينصحونهم ولا يكفون عن التزلّف. ولذاك جاء التعليق التالي مناسبا؛ فالمفكّرون والأدباء والشعراء الحقيقيون الناصحون الحكماء لا يُصنعون؛ إنما يظهرون بتدبير الخالق، وهؤلاء هم فقط من يمكن الاعتماد عليهم. وهنا تكمن أهمية الأديب الملتزم صاحب الرسالة كما يرى السقاف.

لقد ذكّره عدم اكتراث الأدباء بحال المغرب، والأحداث ثائرة، بسكوتهم أيام عصفت أحداث خطيرة في السودان، والسقّاف في الحالتين المغربية والسودانية يرى تآمراً على الأمة العربية، فهي بغنى عن الصراعات البينية، لأن أعداءها ينتظرون، للانقضاض عليها في أي مكان. إنّ هذا الوضوح للقضية برمتها في ذهن السقاف، دفعه لمقارنتها وربطها بمشاكل عربية أقدم، ولذلك استذكر ما حدث في العراق من صراع الشيوعيين والقوميين، وقد خرج بنتيجة لا يمكن أن يقدّمها غيره، فالشيوعيون بانقلابهم الدموي في العراق نكّلوا بالقوميين ولكنهم في النهاية مهدوا الطريق للقضاء على أنفسهم في العراق بسبب دمويّتهم، وكان من المفروض أن يتّعظ شيوعيو السودان بسبب ذلك. إن المخطط الواضح في ذهنه والذي يحاول أن يقدّمه للقارئ، أن هذه الصراعات في المغرب وفي السودان وقبله في العراق، ليست إلا صراعات بينية، دمر العرب من خلالها أنفسهم وسُفكت دماء كان الأولى أن تدّخر لقضيتهم المركزية فلسطين. لم يستطع السقّاف أن يترك الحديث عن السودان دون التعليق على الطابع الانتقامي الذي قضى عليهم، فهو ضد هذه العملية جملة وتفصيلا، وهو ضد سفك الدماء العربية، إن هذا الانتقام لن يولّد إلا مزيداً من الحنق والغضب، ولن يقتل الأفكار الهدامة، لأن الأفكار ـ كما يقول في الخاتمة ـ لا تحارب إلا بالأفكار.

إن تقديم المقالة بهذا الشكل من حيث مقدّمة طويلة ومعالجة موضوعين اثنين بأفكار متعدّدة، ومن ثمّ الانتهاء بخاتمة اقتباسية خاطفة، ومن حيث شرح الأفكار والتعليق عليها ومحاولة التفسير ثم الربط بينها هو ما يعطي انطباعاً عن خصوصية المقالة السقّافية، وهو ما يفسر الادعاء بخروجه عن شكل المقالة.

فالحقيقة التي يدركها السقّاف وكلّ مبدعٍ أنّ الشكل الفنّي ليس قمقماً مغلقاً، أو صندوقاً محكم الإرتاج، ذلك أنّ التعبير عن المضمون يتمُّ من خلال الشكل وفي إطاره، وهنا من واجب الكاتب ألا يبقى لصيقاً بالشكل المعهود للمقالة، متمسّكاً بأصالة النثر الأدبي؛ دون أن يتعارض ذلك مع فهمه لحريّة الإبداع، والتماس الشكل الجديد للتعبير عمّا يريد. إنّ كتابة المقالة على كلّ حالٍ لهي تجربةٌ إبداعيّة ذات بعد اتصاليّ، إذ أنّ قيمتها الحقيقيّة تُسبر بعد قراءتها من قبل الجمهور، وإنّ إدراك السقّاف لهذا الأمر؛ يفتح الباب أمام التجديد في المقالة، فالتمسك بالقوالب الجامدة يصبح هراءً قد يعوق عمليّة الإبداع ويبعدها عن الهدف.

بهذا الفهم يمكننا إدراك أنّ خروج السقّاف عن شكل المقالة قليلاً أو كثيراً، يبقى ضمن الحلول الإبداعيّة التي تنسجم مع المضمون، كما ترتهن للرسالة التي قد تكون أهم ما في المضمون، وهذا الأمر في الحقيقة ينطبق على حالة السقّاف الأديب الواقعيّ الملتزم، وهنا يمكن أن نشير مثلاً إلى ترك المقالة بدون خاتمة أحياناً، ومعالجة عدة موضوعات في المقالة الواحدة، أو خروج مقالته التاريخيّة عن شكلها، بسبب تحمّسه للرسالة التي يؤدّيها كما حدث مثلاً في مقالة ،في هموم ميمون القدّاح، كما يصبّ في هذا الفهم ميل السقّاف في مجمل نتاجه الأدبي من المقالة، لدمج الذاتي بالموضوعي، وما أكثر أن تغرق المقالة الذاتيّة بالموضوعيّة، أو تتحول المقال الموضوعيّة إلى مقالةٍ ذاتيّة، وأهمّ من هذا وذاك تغيّر شكل المقالة تبعاً لوسيلة نشرها، فلاشكّ أن مقالات السقّاف التي نشرها في الجرائد، تختلف عن تلك التي نشرها في المجلات.

هـ ـ الخصائص الفكرية:

تعبر الخصائص الفكرية عن فكر الشاعر وثقافته، وقياس جدواها في النص يكون بالبحث عن مدى صحتها، ومدى تأثيرها في المتلقي، من خلال تحديد الفكرة المحورية والأفكار الجزئية، والقيم التي يقدمها النص. ويمكن نقدها بالبحث عن مدى التجديد والابتكار في النص، والعمق، وسمو المعنى، والصدق، وغير ذلك.

إنّ الفكرة أساس العمل الأدبي، وهي مادته الخام، ولا يمكن أن يقوم إلا بها، وتعرف هذه الخصائص بالعنصر العقلي. وتعد الفكرة أساساً في جميع الآثار الأدبية القيمة، فالأدب عاطفة وخيال وفكرة وعبارة، وفي النثر الفني تكون العاطفة غايته الأولى والفكرة سنداً وعوناً، وهناك النوع العام الذي تتقدم فيه الفكرة فتأخذ مكان العاطفة؛ لأن الفكرة غايته الأولى، والعاطفة وسيلة تبعث في الحقيقة روعة، وتكسب الإنشاء صفة الأدبية.

إنّ الأفكار في النثر بشكلٍ عام أكثر أهمية، وهي ذات حظٍّ أكبر في أشكال الأدب الموضوعي، كالمسرح، والقصة، الرواية، لأنـها تأخذ في هذه الأشكال من الأدب دور القضية أو الموقف، حيث يكون الفكر مُرتَكزاً أساسياً لها. ومن الخصائص الفكرية، يمكن الحديث عن، سمو الأفكار، والترابط، والعمق، والصدق.

1ـ سمو الأفكار: يقصد بسمو الأفكار، الأفكار الرفيعة التي تسهم في رفع قدر الإنسان، ودفعه إلى تجاوز أوضاعه الراهنة والتطلع إلى أوضاع أفضل، والأدب الرفيع شرطه أن تكون فكرته سامية جديرة بأن تثار العواطف لأجلها، وأن ترسخ في الذهن، ويشتغل بها العقل ليزداد بها تمسكاً ويعتصم بنفعها، ولا تكون الفكرة كذلك إلا إذا تجنبت الابتذال والسخافة ومسايرة القراء.

ويمكن القول بثقة أن هذه الخصيصة متحقّقة في أدب السقاف شعراً ونثراً، بل إنّ نمط الأفكار التي عالجها خلال سنوات عطائه الأدبي والفكري تتصف إجمالاً بانتمائها إلى المعاني السامية، التي كان يهدف من ورائها إلى رفع قدر الإنسان وصونه، فالإنسان في السقاف رفض مشاهد الدم والقتل التي اجتاحت السودان رغم خصومته مع الشيوعيين، ولم يدفعه ذلك إلى التشفي بهم، يقول:

" لقد كان يكفي أن يصور المسؤولون في السودان الضحايا البريئة ممن قُتلوا غدراً وهم في الأسر وينشروا تلك الصور على الناس، ثم يساق المذنبون إلى المحاكم مع الاحتفاظ بضبط النفس والحفاظ على وشائج الشعب الطيب المسالم"(1).

---

(1) السقّاف أحمد ـ خواطر من هنا وهناك2، مجلة البيان، ص7، مصدر سابق.

إن الأفكار والمعاني تكسب سموّها بترفعها واقترابها من المثالية، فهي لا تذعن لقهر الواقع ولا تخضع لمعطيات النكسة والخيبة والموت، بل تبحث عن البديل الذي يغمر البسطاء والمؤمنين بالعروبة بالتفاؤل، ويفتح باب الحياة أمامهم إذ لا يرتضي أن يغلق، يقول:

"إنّ جماهيرنا العظيمة التي اعتادت أن تهتف لانتصارات البطل العظيم ستة عشر عاماً هالها الانكسار المحزن في حزيران!! لقد كانت تتساءل كيف ينهزم جمال عبد الناصر وهو الذي هزم الإنكليز فأخرجهم مدحورين من مصر؟؟ كيف ينهزم من صفع محتكري السلاح حين مدّ يده إلى الشرق وجلب منه السلاح؟؟ كيف ينهزم مؤمم القناة والمتحدي لغزو ثلاث دول باغية عاتية؟؟ كيف ينهزم من بنى السد العالي رغم أنوف الحاقدين من مطايا الصهيونيّة العالمية الآثمة؟؟ كيف ينهزم من حطّم حلف بغداد فوق رؤوس مخطّطي حلف بغداد؟؟ كيف ينهزم من أعلى شان التصنيع وأحيا الأراضي البور؟؟ ورفع هامات الملايين من الفلاحين والعمال؟؟ كيف ينهزم من حرر العراق من حكم ظالم، وأنقذ الجزائر من احتلال دائم. واقتلع القواعد الأجنبية من تونس الحبيب؟؟ كيف ينهزم من دكّ عرش بيت حميد الدين...(1)".

إن المعاني السامية في النص السابق تكمن بالوقوف إلى جانب البسطاء ودعمهم، ومحاولة توجيههم إلى أن النكسة ليست إلا كبوة فارس، وإن الإنجازات التي عدّدها لعبد الناصر هي الطريق لإكمال درب الثورة والإنجازات، فالمطلوب عدم الانتكاس ومواصلة المسيرة.

2ـ ترابط الأفكار: ويقصد بالترابط الانتقال من فكرة إلى أخرى تشرحها وتدعمها، وتزيدها وضوحا، مع حسن الوصل بين الأفكار وربط بعضها ببعض، فتتابع منسقة حسنة التنسيق لا يزعجها انتقال مفاجئ أو استطراد يعكر على القارئ صفاء الاستمرار، فتشكل نسيجاً متجانساً وكلاً متكاملاً يوضح الفكرة العامة للمقالة.

ينطلق السقاف من موضوعٍ واقعيّ يريد معالجته، والترابط في هذا المجال ينظر إليه من مستويين؛ الأوّل يتعلّق بالفكر والثاني يتعلّق بالمقالة، فأمّا الذي يتعلّق بالفكر فهو ترابط منطقي يتشكّل من منظومة فكريّة، قوامها عدد كبيرٌ من الأفكار المترابطة والمنسجمة، فإذا نظرنا إلى فكر السقّاف نجد الترابط وشيجاً بين كلّ ما يؤمن به، إذ لا تناقض بين ما يحمله من أفكار، ففكرته عن القوميّة ترتبط بأفكاره عن الإنسان العربيّ البائس، وترتبط بها أيضاً أفكاره عن فلسطين ومناهضة الصهيونيّة والاستعمار،

---

(1) السقاف، أحمد ـ إلى شباب العروبة جمال عبد الناصر موجود، مجلة البيان، ص12، مصدر سابق.

وما إلى ذلك من قضايا وأفكار آمن بها كقضيّة التعريب، والتوفيق بين العروبة والإسلام ومناهضته للحزبية الدينيّة والشيوعيّة، كلها تبدو منسجمةً مترابطة ضمن إطارٍ منطقيٍّ خاصّ ينظم علاقاتها ببعضها كأفكار، ولذا فلا غرابة أن تستدعي فكرةٌ واحدةٌ مما سبق؛ أخواتها من الأفكار المترابطة، لتتمّ المعالجة في مقالة واحدةٍ، وبذلك يظهر الترابط أيضاً على مستوى المقالة، فالسقّاف لا يجمع أشتاتاً فكريّة إذ أنّ له صرحه المفاهيميّ الخاص ومنظومته الفكريّة. ويبدو الترابط سمة فكرية واضحة في مقالة السقّاف، فالفكرة الشارحة أو المفسرة أو حتى التعليق تنسجم مع الفكرة السابقة بشكل واضح، كما أن الاستطراد يبقى ضمن هذا الترابط المنطقي مرهوناً بموضوع الفكرة والمقالة بشملٍ عام، ويمكن لنا معاينة المثال التالي لتوضيح المقصود، ففي مقالة مملكة كهنة وامة مقدّسة، يسرد السقاف مقاطعاً من التوراة ويبيّن تناقضها، ويشرح حيثياتها، يقول:

"فحمل إبراهيم زوجته، واصطحب لوطاً ابن أخيه مع الدواب وما يملكون، وساروا إلى أرض كنعان في فلسطين، وحينما حلّ بهم الجوع غادروا فلسطين إلى مصر، وهذا إقرار صريح بأن الأرض التي يزعمون بأن إلههم يهوه قال لهم أتركوا الأردن الشحيحة بالخير واذهبوا إليها هي أرض كنعان هذا الشعب الكنعاني الذي سكنها بعد أن سبقه إليها اليبوسيون، واليبوسيون والكنعانيون موجتان خرجتا من جزيرة العرب واستقرتا في فلسطين.

ولم يتوقّف الحلم الصهيوني، فقد ظهر في الإصحاح الخامس عشر من سفر التكوين بالحرف الواحد (في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ـ الذي تحوّل بعد ذلك إلى إبراهيم ـ ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات). (...) ومع ذلك فالتوراة تعترف بأن فلسطين أرض الفلسطينيين وأن بني إسرائيل طائفة دينية خرجت هاربة من مصر وقرار تقسيم فلسطين قرار ظالم ولو ان لدى الدول الغربية قسطاً من العدل لألزمت الذين قدموا إلى فلسطين في عهد الانتداب البريطاني بالعودة على أوطانهم التي قدموا منها، ومن المضحك المبكي أن يرفض هؤلاء الغزاة إعادة ما حتلوه عام 1967 ليعود التقسيم كما كان عليه، والحقيقة ان ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة(1)."

(1) السقاف، أحمد ـ مملكة كهنة وأمة مقدّسة، مجلة البيان، ع356، مارس 2000، ص4.

يربط السقاف في المقطع السابق بين الحلم الصهيوني المعاصر، وأحلام اليهود كما جاء في التوراة، بل إنّ هذا الحلم يراه قديماً قدم التوراة، ومعنى أنه حلم أي أنه غير حقيقي، وغير واقعي، ويهود اليوم يبنون أوهامهم على أوهام من يتوهّمون أنّهم أسلافهم، وتكمن المفارقة في أن السقاف يحاجج فيما يدّعون أنه دليلهم وبرهانهم أي التوراة، ويثبت كذبهم وأباطيلهم من خلاله، ويستنتج في الخاتمة أن هذا الزور والبهتان، لا يستدعي البحث عن حقيقة، فما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.

3ـ عمق الأفكار وشمولها: ويقصد به تلك الأفكار التي لا تدرك للوهلة الأولى، والتي يتولد عنها أفكار ومعاني أخرى عند إمعان النظر فيها. والحق أن قيمة الأثر الأدبي تكبر بما فيه من عمق وغزارة في المعاني، ولا يتحقّق العمق إلا بالشمول والانفتاح على الآفاق المعرفيّة.

وهذه الخاصيّة تتحققّ في مقالات السقّاف أي في نتاجه الأدبيّ، الذي توسّع موضوعيّاً فشمل كثيراً من الموضوعات، والأمر يتحقّق في مقالة السقّاف الذي يرتكز إلى ثقافةٍ موسوعيّة، أكسبته القدرة على التعمق في الأفكار ومعالجتها. ومن جهةٍ أخرى فإنّ ترابط الأفكار في مقالة السقّاف يقود إلى المعالجة الشموليّة، فالفكرة الواحدة تستدعي الأفكار المترابطة معها لتتمّ المعالجة في مقالةٍ واحدة، ولذلك فقد تميّزت معالجات السقّاف الفكريّة بهذا العمق والشمول على صعيد نتاجه الأدبي بشكلٍ عام، ويمكن القول: إنّ المقالة تكتب برؤيةٍ شموليّة فيمكن لها أن تنفتح على مقاربات وتأويلات أخرى سببها التعمق في المعالجة، في مقالاته كانحراف الخلافة العثمانيّة ودور الرواد، ثم الجمعيات العربية والخلاص من الأتراك، فهاتين المقالتين كان موضوعهما الخفي مناهضة الحزبيّة الدينيّة، وعند النظر إليها كمجموع يمكن القول إنّها معالجة شموليّة لهذا الموضوع، كما أنّ تناول جوانب مختلفة لقضيّة واحدةٍ في عدّة مقالات مبعثرة يشكل معالجةً عميقة ومستفيضة لهذا الموضوع. ويمكن التمثل بنموذج آخر يكشف هذه الخاصية من مقالته العرب والعروبة والقوميّة العربيّة، التي يقول فيها:

" منذ الثاني من أغسطس 1990 والعرب يتساءلون عن مفهوم العرب والعروبة والقومية العربية، فلقد كان الغزو العراقي الآثم في ذلك اليوم الكئيب طعنةً نجلاء في الظهر، فاهتزت جميع المفاهيم السائدة التي يرتكز عليها التضامن العربي، وأخذ الكثيرون يتشكّكون في بديهيات لا تحتمل الحيرة والشك، فالخروج على التضامن العربي يمكن أن يقع في أي وقت، وحدوثه منتظر في ظل بعض أنظمة الحكم الشمولي الأهوج، والقضية لا تعني العروبة وحدها، فهناك من تعلو أصواتهم باسم الإسلام وهم في الوقت نفسه يعملون ليل مهار لتخريب التضامن بين المسلمين.

ويكفي ان نلقي نظرة نحو الأفغانيين وهم يقتتلون باسم الإسلام، ولكلّ فريقٍ مسوّغاته وحججه، ولمَ لم نتذكّر المعارك المفزعة التي دارت رحاها بين المسلمين في صدر الإسلام كمعركة الجمل ومعركة صفّين وكلّها دارت باسم الإسلام وباسم مستقبل المسلمين.

لقد وجد على بن أبي طالب كرّم الله وجهه من يقف إلى جواره مؤمناً بحقّه في الخلافة ـ فهو الخليفة الرابع ـ دون ريب ـ ووجد معاوية من يقف إلى جانبه من الطامعين في الصِلات والعطايا ومتاع هذه الحياة، وما تساءل أحد فقال أين هذا من الإسلام؟ فالإسلام شيء والمسلمون شيء آخر، وكذلك الحال اليوم لدى الحديث عن جريمة العصر التي نفّذها الجاهل العنصري الأرعن صدام حسين في الثاني من أغسطس 1990 أو الحديث عن أيّة نكسة تصيب الامة العربية على يد واحد من طغاتها المتسلّقين.

وإذا كان الإسلام بريئاً مما يفعله المتحدّثون باسمه، فإنّ القوميّة العربيّة بريئة أيضاً مما فعله المتشدّقون بها في الشرق العربي ومغربه"(1).

يبرز المقطع السابق خصائص فكرية عديدة لنثر السقّاف، وللحق فإنّ هذه الخصائص تبدو منسجمة بحيث يصعب فصلها، فمن الملاحظ في هذا المقطع الوضوح والترابط والعمق، والشمول والسمو والصدق. وفي خاصة العمق والشمول يلاحظ تعدد الأفكار في هذا المقطع وشمولها مختلف جوانب القضية المطروحة للنقاش، وهي العروبة والقومية العربية، وهو يستعين بالتاريخ القديم وبالحدث المعاصر ليحاجج، فيكشف عن منطق حكيم في معالجة القضيّة، وهو ما يسبغ على أفكاره العمق أيضاً

---

(1) السقّاف، أحمد ـ العرب والعروبة والقوميّة العربيّة، مجلة البيان، ع293 يناير 1994، ص10.

4ـ الصدق والوضوح : يقصد بالصدق أن يقدّم الكاتب أو الأديب معاني نرتضيها ونقبلها في إطار العمل الأدبي، بشرط أن تكون تلك الأفكار صادقة في الإحساس والشعور، ونميز هنا بينه نوعين من الصدق هما الصدق العلمي والصدق الأدبي، والأمر يتحدّد بنوع المقالة فالمقالة الموضوعية تتطلّب الصدق العلمي ولا بأس بأن يلبس بثوب الاستعارة قليلاً، في حين تتطلب المقالة الذاتية الصدق الأدبي، بمعنى أن يكون الأديب مخالفاً للحقيقة والواقع لكنه صادق في نقل خلجات وجدانه إلينا، بشرط ألا تكون تلك الأفكار منافية للحقائق الكونية أو الآراء الفلسفية، إن الصدق بنوعيه يتّسم بالوضوح فالأفكار الصادقة تكون واضحة.

يشكّل الصدق والوضوح والابتعاد عن الغموض السمة الجوهريّة في نثر السقّاف، فمادام يرى نفسه صاحب رسالة؛ فإنّ قضيّته الأولى إيصال هذه الرسالة إلى أصحابها، ولن تصل هذه الرسالة ما لم تكن صادقة واضحةً، إنّ اللغة فكرٌ، وما دامت إحدى هاتين الثنائيّتين واضحةً، فلا بدّ أن تنعكس على الأخرى. إنّ وضوح فكرة القوميّة ومدى صدقيّتها عند السقّاف، ووصولها حدّ اليقين، مردّه وضوح كلّ ما يتعلّق بها من أفكارٍ أخرى، والوضوح هنا يرتبط بأن هذه الأفكار هي حقائق صادقة ومصادرات لا يمكن مناقشتها. ولا شكّ أنّ تبحّره في العربيّة يساعده في التعبير بكلّ سلاسةٍ ووضوح عن هذه الأفكار، إنّ وضوح السقّاف فكرياً ولغويّاً هو اختيارٌ لا اضطرار، ومادام السقّاف يرى نفسه صاحب رسالة؛ فإنّ وضوح الرسالة وصدقها مقوّم أساسيّ في العمل الإبداعيّ، وهذا الوضوح والصدق حريّ بأن يتّصف به كلّ أديبٍ واقعيّ.

ثالثاً: الخصائص الأسلوبية للمقالة عند السقاف

أـ اللغة والأسلوب:

نقصد باللغة في هذا السياق " مجموعة الألفاظ والصيغ اللغوية وخصائص الأساليب الكلامية التي يتميّز بها مؤلّف ما أو طائفة اجتماعية، فنقول مثلاً لغة المعري أو ابن خلدون، ولغة القانونيين أو العسكريين وهكذا(1)". أما الأسلوب: فـ"هو بوجه عام طريقة الإنسان في التعبير عن نفسه كتابة، وهذا المعنى المشتق من الأصل اللاتيني للكلمة الأجنبية الذي يعني القلم. (...)، وفي الوقت الحديث أصبح الأسلوب موضوعاً من الموضوعات التي يعالجها علماء اللغة عامة، وعلماء الأسلوب خاصة، فيعتبرونه بمنزلة تعبير عن الاختيار الذي يقوم به مؤلف النص من مجموعة محدّدة من الألفاظ والعبارات والتركيبات الموجودة في اللغة من قبل والمعدّة للاستعمال. فيقابل الأسلوب بهذا المعنى الاختيار بين عدّة برامج لفظيّة شبيهة بالبرامج الخطية الخاصة بالحاسب الآلي، فيمكن بذلك تحديد السمات الاسلوبية لنص ما من خلال تحليل مظاهره اللفظية والنحوية والدلالية(2)".

ويقوم الأسلوب الأدبي على ثلاثة عناصر هي المعاني، والصور، والعبارات، فالمعاني تتعلّق بالأفكار التي يبثّها الكاتب، والصور تتعلق بالخيال والتشبيه والاستعارة، أمّا العبارات فتتعلّق باللغة من ألفاظ وتراكيب، وهناك روح مهيمنة على هذه العناصر، ترتبط بذات المبدع وهي العاطفة التي تتخذ عنصر الخيال وسيلة للإفصاح عنها، ولذلك يرتبط أسلوب الكاتب بشخصيّته فيكون معبّراً عنها ولذلك قيل الأسلوب هو الرجل في تفرّده وطريقة تعبيره ومنطقته للأشياء.

ثمّة مأزق يواجه الدارس حين يقرأ لشاعرٍ أو "مبدع أفرغ إبداعاته الفنّيّة في موضوعٍ واحد"(3)، فالأمر لا شكّ سيقود إلى التكرار على مستوى الفكرة وعلى مستوى العبارة، إلا أنّ السقّاف تجاوز التكرار الذي يوصف بالممل بتضخيم قضيّته، حيث ناقش فكرة القوميّة العربيّة بدقائقها وأجزائها. من ناحيةٍ أخرى يمكن أن نجد توازناً يبيّن تحقّق الأصول الجماليّة عند السقّاف، من خلال التفاعل بين النثر والشعر عن السقّاف،

---

(1) وهبه، مجدي، وكامل المهندس ـ معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، مكتبة لبنان، ط2/1984، ص385.

(2) المرجع السابق، ص35.

(3) عبد الله، محمد حسن ـ الشعر والشعراء في الكويت، ص 186، مرجع سابق.

وربّما تحقّق هذا التوازن من خلال امتداد كتاباته إلى البحث في النظريّة والإيديولوجيا، وسنرى انّه كتب عدداً من الدراسات ليست بالقليلة، وعدداً من المقالات السياسيّة أخذت من طبيعة الشعر؛ على الرغم من محاولة تأصيل المحتوى علميّاً، وسبب ذلك عند السقّاف غلبة الذاتيّ على الموضوعي أو تواطؤ الشاعر لديه على الناثر، فالشعر كان المنفذ الوحيد الذي يمكن أن يكون أداة توصيلٍ مناسبة تستطيع أن تحمل هذه الطاقة اللاهبة من الحماسة للفكرة الواحدة. إنّ قدراً من شعر السقّاف فيه طابع النثر بسبب وضوح الفكرة والإصرار عليها، و"إن نثره أخذ قدراً من الشعر بسبب تحمّسه لهذه الفكرة"(1). "إنّ تعليقات السقّاف حول مصرع الثلايا(2)، والطريقة التي قتل بها رفاقه في ثورة اليمن 1955 وما كتب السقّاف تحت صورهم من عبارات ترقى إلى الشعر، وإنّ كثيراً من حواراته القوميّة تنتمي إلى المستوى الشعريّ المعبّر عن شغف متصوّف، ومع هذا فإنّه حين يضع تأملاته موضع التصور المتأهّب للمنهجة والعمل نراه يطرح الوقدة الشاعريّة ملتحماً بالواقع"(3)، "فنثر السقّاف كثيراً ما يبدو واقعيّاً متزناً مترويّاً، لكنه يتخلى عن ذلك كلّه في الشعر فنجده كاسحاً واثقاً مغامراً"(4).

لقد اعتمد السقّاف على التراث وأخذ منه كلّ جميل وقاعدّي ممّا لا يُستغنى عنه، فالصحّة اللغويّة والدقّة في التعبير أهمّ ما يميّز عرضه للأفكار وخلق المعاني، كما سار في ركاب الأدباء المعاصرين وجاراهم في أساليبهم، ولذلك فقد ابتعد عن التعقيد اللفظي، والتقعّر اللغويّ فابتعد بذلك عن الغموض وشطحات الفكر والخيال. "وما يميّز أسلوبه عدم الالتزام بوحدة الموضوع في المقالة الواحدة وميله للاستطراد ضمن الخط الفكري للمقالة،

---

(1) عبد الله، محمد حسن ـ الشعر والشعراء في الكويت، ص 187، مرجع سابق.

(2) المقدم أحمد يحيى الثلايا ضابط يمني، كان قائدا الجيش في عهد الامام أحمد حميد الدين، وهو القائد المدبرلانقلاب 1955 في اليمن للإطاحة بحكم الامام أحمد والتي باءت بالفشل ولم تستمر أكثر من 10 أيام كانت نهايتها إعدام الثلايا في ميدان (الشهداء)، في مدينة تعز وهو قائل العبارة المشهورة: قبحت من شعبٍ أردت لك الحياة وأردت لي الموت.

(3) عبد الله، محمد حسن ـ الشعر والشعراء في الكويت ص191، مرجع سابق.

(4) المرجع السابق، ص192.

ولكنّه يعوّض ذلك بالوحدة النفسيّة فيمضي مع فكرته حتّى يجلوها من شتّى جوانبها، ويكشف عن موقف أصيل، ويخاطب قارئه من مستوى العقل والعاطفة معاً، ويكتب إليه من موقف المتحدّث اللاصق، لا المستعلي الذي يتباهى بمعرفته، ولا الخطيب الذي تفصلك عنه بضعة أمتار، هذا الأسلوب يستمدّ انسيابه من وحدة الفكرة، ثمّ ترتيب جزئياتها، ومن عدم العبث باللغة، فهي تستخدم في حدود ما يتطلّب الموقف من حجج العقل وإثارة الوجدان، بقدرٍ من التوازن والتمازج رائع"(1). "ولم يكن السقّاف يتكلّف الكتابة، تقرأ أسلوبه فتجد نفسك في اعتباره وكأنك جليسه، ورغم المناصب الرسميّة التي شغلها فإنّه لم يحترف لغةً حمالة الوجوه او غامضة، ولم يجد لعبة المداورة، بل كان واضحاً في كلّ ما يكتب وضوحاً يتّسق مع فكره وقضيّته"(2).

نماذج لدراسة أسلوب السقاف

وفيما يلي ثلاثة مقاطع مختارة من مقالات السقاف الأولى ذاتية والثانية موضوعية والثالثة صحفيّة؛ تطمح الدراسة في نهايتها كشف خصائص أسلوب السقاف:

المقطع الأول من مقالة أيها الأقصى الحبيب وهي مقالة ذاتية، يقول السقاف:

"أيّة كلماتٍ تستطيع أن تطلب منك الصفح والمغفرة!؟ ذنبنا عظيمٌ عظيم؛ لا تمحوه الكلمات ولا القصائد ولا التظاهرات ولا الإضرابات!! أنت تعلم أيّها الأقصى الحبيب ـ كما يعلم العالم كلّه ـ أننا قادرون على إنقاذك؛ فكيف نستطيع أن نخدعك بالتقرب إليك بخطبنا وقصائدنا وتظاهراتنا واضطراباتنا؟!

ذنبنا عظيمٌ في حقّك، وذنبنا عظيمٌ في حقّ أجدادنا وفتوحاتنا وأمجادنا، وذنبنا عظيمٌ عظيمٌ في حقّ أنفسنا، وفي حقّ الأبناء والاحفاد؛ فنحن اليوم في نظر التاريخ صخب لا يؤثّر في التاريخ، ونحن اليوم في نظر الأمم غثاء كغثاء السيل!! بالأمس القريب أحرقك الصهاينة الحاقدون فانتفخت حناجرنا بالخطب والقصائد، وماجت شوارعنا بالتظاهرات والمسيرات، وجلجلت إذاعاتنا بالبيانات والتصريحات، ونظرت إلينا وأنت محترق، وكأنّك تقول: حسبكم هذا الجهد؛ فالنجدة ليست لديكم، وإن كانت من شيم أجدادكم، فانعموا بما أنتم به من نعمٍ ولذاذات؛ فإنّها كل اهتماماتكم ومنتهى شموخكم وطموحاتكم!!

(1) عبد الله، محمد حسن ـ الحركة الادبيّة والفكريّة في الكويت، ص385 و386، مصدر سابق.

(2) ينظر: عبد الله، محمد حسن ـ الشعر والشعراء في الكويت، ص190، مصدر سابق.

لا ندري ــ أيها الأقصى الحبيب ــ أنحن من أولئك الذين دوّخوا الدنيا، وكانوا رماحاً في أعين المتجبّرين وسيوفاً في أمعاء المتطاولين؛ أم أنّ أولئك الصناديد لم تنجب لهم زوجاتهم اولاداً؛ فبحثوا عن أطفالٍ مشرّدين في أصقاع هذه المعمورة؛ فكنّا أولادهم بالانتماء الكسيح!!

أيّة كلمات يستطيع هذا القلم المرتجف أن يخط في هذه المأساة، ومن أين يستطيع ان يستلهم العبارات القادرة على الاقتراب من سرر الجرحى، وقبور الشهداء الذين لفظوا أرواحهم وهم يؤدون الصلاة في رحابك"(1).

على مستوى الشكل

في المقطع السابق، وهو نموذج لمقالة ذاتيّة، عالج فيها السقّاف محنة إحراق الأقصى من قبل الصهاينة، ويمثل هذا المقطع بلغته نموذجاً حقيقيّاً لأسلوب السقاف على مستوى الشكل (اللغة)، في المقالة الذاتية، فالملاحظ أنه اختار ألفاظاً فصحى، وهي عموماً مناسبة لموضوعه ومأنوسة، وليس بينها أي لفظ غريب، كما أنّها تنوّعت بين ألفاظ سهلة وأخرى جزلة فخمة، كما حشد في المقطع كثيراً من الألفاظ الموحية مثل (خطب، عظيم، أشباه، الرجال، الجرحى، الشهداء، رحاب، لذاذات)، أما التراكيب فقد جاءت قصيرة بشكلٍ عام، وهي ميزة واضحة في مقالته الذاتية، مع وجود بعض، كما ناوب في المقطع بين الجمل الخبريّة من قبيل (ذنبنا عظيمٌ في حقّك، وذنبنا عظيمٌ في حقّ أجدادنا وفتوحاتنا وأمجادنا، وذنبنا عظيمٌ عظيمٌ في حقّ أنفسنا)، والجمل الإنشائية مثل (أيّها الأقصى الحبيب، فكيف نستطيع أن نخدعك بالتقرب إليك بخطبنا، أنحن من أولئك الذين دوّخوا الدنيا، أيّة كلمات يستطيع هذا القلم المرتجف أن يخط في هذه المأساة). كما يلاحظ وضوح التراكيب لقصرها بشكلٍ عام، مع وجود بعض التراكيب الطويلة التي اعتمد فيها على الوصف والإطناب والتأخير. ومن ناحية النحو والصرف فلا ملمح مميّزاً في هذا المقطع، إذ يسير على نهج نحوي سليم، كما أنّه لا يعتمد على صيغ صرفيّة دون أخرى، ولا يحاول الاشتقاق أو التجريب.

---

(1) **السقاف، أحمد، أيها الأقصى الحبيب، مجلة البيان، ص4، مصدر سابق.**

على مستوى المضمون

تتفشى النزعة العروبية القومية في مقالة السقّاف السابقة بشكلٍ واضح، وموضوعه السياسي في هذه المقالة يتجاوز البعد السياسي نحو الاجتماعي والثقافي، وينتمي إلى موضوعه المحوري في القومية العربية، ولذلك فإن المعاني والأفكار المطروحة كلّها في هذه المقالة، لا تخرج عن هذا المحور، وأهم الأفكار التي تناولها السقّاف في المقطع السابق، فداحة ذنب الشعب العربي (ذنبنا عظيمٌ عظيم)، والتذكير بماضي العرب المجيد (وفتوحاتنا وأمجادنا)، وبؤس الواقع العربي (فنحن اليوم في نظر التاريخ صخب لا يؤثّر في التاريخ، ونحن اليوم في نظر الأمم غثاء كغثاء السيل)، إحراق المسجد الأقصى (أحرقك الصهاينة الحاقدون)، ضعف الرد العربي ويأسه (فانتفخت حناجرنا بالخطب والقصائد، وماجت شوارعنا بالتظاهرات والمسيرات، وجلجلت إذاعاتنا بالبيانات والتصريحات)، إن الأفكار السابقة التي عبّر عنها السقّاف تنتمي إلى عقيدته القومية، كما تشرح وجهة نظره وآرائه في الواقع العربي البائس بشكلٍ عام وحادثة إحراق الأقصى بشكلٍ خاص. وهو في كل ذلك يسم أفكاره بالوضوح مبتعداً كل البعد عن الغموض، كما أنه مال إلى التكرار لبعض المفردات والتعبيرات (عظيمٌ عظيم، أيها الأقصى الحبيب)، لتبيان فداحة الأمر وعظمه في نفسه، وهو يبتغي في ذلك إيصال رسالته، لم يقم السقّاف في هذه المقالة بالاقتباس، لكنه استخدم الحجاج المنطقي من خلال المقارنة بين الواقع العربي والماضي المجيد، ويدفعه إلى ذلك الحماس لإبراز ما يطرحه من أفكار. لم يلجأ السقّاف في هذه المقالة للاستطراد كما هي عادته، ولعلّ مقدار الألم الذي يعيشه أبقاه في جو الموضوع والتركيز عليه.

تندرج هذه المقالة تحت النوع الذاتي، ولذلك فإن المقالة تفرض على السقّاف الإنشائية واستخدام الصور والخيال وإشباع النص بالعاطفة، وفي واقع الأمر فقد أذعن السقاف لذلك، فالنص مكتنز بالصور والاستعارات التي اقتضتها طبيعة الموضوع، كما فرضها نوع المقالة، ومن استعاراته في النص السابق؛ قوله (كلماتٍ تستطيع، أنت تعلم أيّها الأقصى ، نخدعك، فنحن اليوم في نظر التاريخ صخب ، ونحن اليوم في نظر الأمم غثاء كغثاء السيل، فانتفخت حناجرنا بالخطب، وماجت شوارعنا ، وجلجلت إذاعاتنا ، ونظرت إلينا ، دوّخوا الدنيا، وكانوا رماحاً في أعين المتجبّرين وكنا سيوفاً في أمعاء المتطاولين، فكنّا أولادهم ، بالانتماء الكسيح). وتتميز الاستعارات السابق والصور على كثرتها بالوضوح،

وحتّى لا بخس السقّاف حقّه فإنّ بعض الصور جميلة كقوله (نحن صخب، كانوا رماحاً، الانتماء الكسيح) لكنها بالوقت نفسه لا ترقى لأن توصف بأنّها مبتكرة. فهي تبقى ضمن المعهود والمستعمل في اللغة، كما أنّه لا يستعمل التشبيه إلا ما ندر وقد استخدمه في المقطع السابق مرة واحدة بقوله (ونحن اليوم في نظر الأمم غثاء كغثاء السيل)، فيما استحضر الكناية في قوله (القلم المرتجف، لفظوا أرواحهم، نحن صخب).

تبرز عاطفة السقاف جلية صادقة في المقطع السابق، وهي مشاعر تتنوع بين الحزن واليأس والإشفاق والألم، وتنطلق من عاطفة قوميّة صادقة تجاه العرب والقوميّة وكل ما يخصّ هذا الموضوع وهو هنا فلسطين. وقد اعتمد السقّاف على ثلاث ركائز لإبراز مشاعره في النص فاختار ألفاظه بعناية، ومن ألفاظه في هذا السياق(الصفح والمغفرة، الحبيب، نخدعك، ذنبنا، غثاء، الحاقدون، جلجلت، شيم، ولذاذات، شموخ، الصناديد، مشرّدين، المرتجف، المأساة، الجرحى، قبور)، وجميع هذه المفردات ألفاظ تنبض بالعاطفة، كما انّها تلائم موضوعه، كما أن التراكيب والصور تساعد السقّاف في سكب العاطفة في النص كما في (ذنبنا عظيمٌ في حقّك، وجلجلت إذاعاتنا، ونظرت إلينا وأنت محترق، وكانوا رماحاً في أعين المتجبّرين وسيوفاً في أمعاء المتطاولين، وغيرها)، كما أن الاستعارات كانت تكشف صدق شعوره وتوهّج عاطفته مما أدّى لغلبة الذاتيّ على الموضوعي وبروز الطابع الشعري في هذا النص من خلال الألفاظ والتراكيب والصور السابقة، وكلها تفيض بالمشاعر العاطفيّة، وتكشف عن صدق عاطفة السقّاف تجاه موضوعه، كما أنّ هذا الكم من العاطفة في نصّ واحد لا شكّ سيصنّف هذه المقالة ضمن المقالة الذاتيّة، ولا شكّ أنها الوعاء الأمثل للمناجاة والنجوى، فهي مقالة ذاتية تأخذ طابعاً تأمّلياً.

المقطع الثاني من مقالة من مواقف الرجال وهي مقالة موضوعية:

" إن للعراق الأبي تاريخاً عطراً حافلاً بالأمجاد والبطولات، ومهما نسي العربي فلن ينسى ما قدّمه العراق للامة العربية من تضحيات، ولا سيما تضحياته العظيمة في سبيل القضية الفلسطينية، فالحرب التي شنها الإنجليز على جيش العراق الناشئ ذي المعدات القليلة عام 1941م ما اشتعلت إلا من أجل فلسطين، ولو انحنى العراق لمطالب الإنجليز لما وقعت تلك الحرب، ولما تحمّل العراق ما تحمّل من خسائر في الرجال والمعدّات، لقد رفض قادة الجيش العراقي وساسة العراق المخلصون تلبية المطالب البريطانية وفي مقدّمتها اشتراك العراق في حرب الصحراء الغربية بفرقتين من فرق الجيش الأربع بعد أن رفض المستر أيدن وزير الخارجية البريطانية في مطلع عام 1941 طلب الحكومة العراقية إصدار تعهّد يقضي بإلغاء وعد بلفور مع إيقاف الهجرة الصهيونيّة إلى فلسطين. وكان رأي القادة العسكريين والساسة القوميين صائباً حين قالوا لنوري السعيد وزمرته كيف تطلبون منا الموافقة على الاشتراك في حرب الصحراء إلى جانب الحلفاء وفلسطين تئنّ تحت كابوس الاحتلال البريطاني والهجرة الصهيونيّ الاستيطانية مستمرة؟ ماذا عسى ان يقول إخواننا في فلسطين حين نمرّ عليهم ونحن في طريقنا إلى مصر؟ أنستطيع ان نقول لهم أننا ذاهبون للقتال مع البريطانيين وإذا قالوا لنا ونحن أيّها الأشقاء ماذا فعلتم لمستقبلنا؟ فهل هناك من ردّ معقولٍ مقبول؟! إنّ العربي المنصف لن ينسى وهو يتحدّث عن تلك الأيام الخالدة بطلاً من أبطال الامة العربية العظيمة. إنّه أبو موسى عبد القادر الحسيني شهيد القسطل. لقد كان أبو موسى مدرساً في المدرسة العسكرية ببغداد بعد أن لجأ إلى العراق بعد انتهاء ثورة فلسطين عام1939 مع من لجأ من الفلسطينيين وفي مقدّمتهم مفتي فلسطين الحاج امين الحسيني، فنزل المفتي بدارٍ في شارع الزهاوي قرب الوزيرية، ونزل أبو موسى في منزلٍ متواضع في الكرادة الشرقيّة، وكانت دار المفتي تعجّ بالقوميين العرب كلّ يومٍ من الصباح حتّى منتصف الليل وحين اندلعت الحرب بين العراق وبريطانيا في الثاني من مايو عام 1941بعد أن رفض العراق المطالب البريطانية، ورفضت بريطانيا مطالب العراق، استعدّ أبو موسى للمشاركة في المعركة بمن لهم صلة به من الشبان المتحمّسين للذود عن الأرض العربية، وكانت الانباء المتواردة من جبهات القتال لا تبشّر بالخير، لتفوّق البريطانيين، واستعدادهم المدروس لإنهاء الحرب في أقصر وقت(1)".

---

(1) السقاف، أحمد ـ من مواقف الرجال، مجلة البيان، ع205، أبريل 1982، ص4.

على مستوى الشكل

المقطع السابق من مقالة من مواقف الرجال، وهي مقالة موضوعية تاريخيّة، ناقش فيها فترة من تاريخ العراق أثناء الحرب العالمية الثانية. ويمثل هذا المقطع بلغته نموذجاً حقيقيّاً لأسلوب السقاف على مستوى الشكل (اللغة)، فالملاحظ أن السقاف اختار كلماتٍ فصيحة باستثناء (الإنجليز، مستر، آيدن)، والألفاظ عموماً مناسبة لموضوعه ومأنوسة، وليس بينها أي لفظ غريب، كما أنّها تنوّعت بين ألفاظ سهلة وأخرى جزلة فخمة، كما طرّز المقطع ببعض الألفاظ الموحية مثل (تضحيات، عظيمة، قادة، الرجال، متحمّسين، ذود، حياض)، أما التراكيب فقد جاءت طويلة بشكلٍ عام، وهي ميزة واضحة في نثر السقاف، مع وجود بعض التراكيب القصيرة، وأكثر ما يميّز تراكيبه الطويلة في هذا المقطع اعتماده أسلوب الشرط (ولو انحنى العراق لمطالب الإنجليز لما وقعت تلك الحرب)و (ومهما نسي العربي فلن ينسى ما قدّمه العراق للامة العربية من تضحيات) ،وتراكيب أخرى طويلة من قبيل (فالحرب التي شنها الإنجليز على جيش العراق الناشئ ذي المعدات القليلة عام 1941م ما اشتعلت إلا من أجل فلسطين) و (وكانت الانباء المتواردة من جبهات القتال لا تبشّر بالخير)، حيث تأخّر الخبر كثيراً في الجملتين. كما اعتمد في المقطع على الجمل الخبريّة من قبيل (إن للعراق الأبي تاريخاً عطراً حافلاً بالأمجاد والبطولات) و(لقد رفض قادة الجيش العراقي وساسة العراق المخلصون تلبية المطالب البريطانية) و(وكان رأي القادة العسكريين والساسة القوميين صائباً)، واستخدم الجمل الإنشائية أيضاً حينما اقتضى المقام والسياق، (كيف تطلبون منا الموافقة على الاشتراك في حرب الصحراء إلى جانب الحلفاء وفلسطين تئنّ تحت كابوس الاحتلال البريطاني والهجرة الصهيونيّ الاستيطانية مستمرة؟ ماذا عسى أن يقول إخواننا في فلسطين حين نمرّ عليهم ونحن في طريقنا إلى مصر؟ أنستطيع ان نقول لهم أننا ذاهبون للقتال مع البريطانيين وإذا قالوا لنا ونحن أيّها الأشقاء ماذا فعلتم لمستقبلنا؟ فهل هناك من ردّ معقولٍ مقبول؟!). كما يلاحظ وضوح التراكيب بالرغم من طولها الزائد أحياناً، فلا تعمّد في التقديم، إنّما يأتي التأخير لاعتماده على الوصف والإطناب؛ قبل الوصول إلى ركن الجملة الثاني. ومن ناحية النحو والصرف فلا ملمح مميّزاً في هذا المقطع فهو يسير على نهج نحوي سليم، كما أنّه لا يعتمد على صيغ صرفيّة دون أخرى، ولا يحاول الاشتقاق أو التجريب.

على مستوى المضمون

تظهر النزعة العروبية القومية في المقالة السابقة بشكلٍ واضح، فالموضوع تاريخيّ ولكنه عروبي بالوقت نفسه، فهو يخصّ مرحلة تاريخيّة هامة من التاريخ العربي المعاصر كانت أحداثها في العراق. ومن الواضح أيضاً أن منطلقاته القومية هي المقياس الذي ميّز فيه بين الصواب والخطأ، فما صح عروبيا من وجه نظره هو الصحيح، وما خالف هو الخطأ. ولذلك استنكر مطالب نوري السعيد وزمرته وإذعانهم لمطالب بريطانية، أما عن الأفكار التي ناقشها في المقطع السابق فهي؛ أهمية العراق ودوره العربي القومي المحوري (إن للعراق الأبي تاريخاً عطراً حافلاً بالأمجاد والبطولات)، إعلان بريطانيا الحرب على العراق (فالحرب التي شنها الإنجليز على جيش العراق، وكانت الانباء المتواردة من جبهات القتال لا تبشّر بالخير)، العراقيون القوميون يرفضون الإذعان لمطالب بريطانية (لقد رفض قادة الجيش العراقي وساسة العراق المخلصون تلبية المطالب البريطانية)، العراقيون القوميون يطالبون بريطانيا بإلغاء وعد بلفور(طلب الحكومة العراقية إصدار تعهّد يقضي بإلغاء وعد بلفور)، استنكار اقتراحات نوري السعيد وزمرته (ماذا عسى ان يقول إخواننا في فلسطين حين نمرّ عليهم ونحن في طريقنا إلى مصر؟ أنستطيع ان نقول لهم أننا ذاهبون للقتال مع البريطانيين وإذا قالوا لنا ونحن أيّها الأشقاء ماذا فعلتم لمستقبلنا؟ فهل هناك من ردّ معقولٍ مقبول؟)، بطولة عبد القادر الحسني (إنّه أبو موسى عبد القادر الحسيني شهيد القسطل). والأفكار السابقة جميعها تنتمي إلى موضوعه الكبير في القومية العربية، وهي تفصيلات يعرفها كلّ قوميّ مثل السقّاف. وتتسم هذه الأفكار بوضوح الطرح ومحاولة الكشف عن التفاصيل، ولم يلجأ إلى التكرار اللفظي في هذا المقطع بيد ان الأفكار تؤكّد بعضها من خلال الترابط وإعادة السرد لبعض التفصيلات، فهو مهتم بالقضايا التي يناقشها، ويلح عليها من أجل إيصال الرسالة إلى قارئه، كما ظهر ميله إلى الاستشهاد من خلال إيراد نقاش مفترض حدث بين العراقيين القوميين، ولعله نقل معنى الحديث الذي دار بينهم وبين نور السعيد إذ أن السقّاف لم ينصص ما أورده في هذا السياق، الذي قال فيه

(وكان رأي القادة العسكريين والساسة القوميين صائباً حين قالوا لنوري السعيد وزمرته كيف تطلبون منا الموافقة على الاشتراك في حرب الصحراء إلى جانب الحلفاء وفلسطين تئنّ تحت كابوس الاحتلال البريطاني والهجرة الصهيونيّ الاستيطانية مستمرة؟ ماذا عسى ان يقول إخواننا في فلسطين حين نمرّ عليهم ونحن في طريقنا إلى مصر؟ أنستطيع ان نقول لهم أننا ذاهبون للقتال مع البريطانيين وإذا قالوا لنا ونحن أيّها الأشقاء ماذا فعلتم لمستقبلنا؟ فهل هناك من ردّ معقولٍ مقبول؟!)، وهذه الرغبة بالاستشهاد نفسّر بالحماس والسعي لتثبيت مقولاته وأفكاره، من خلال إيراد الشاهد والمحاججة بالمنطق. ويظهر في المقطع السابق ميل السقاف إلى الإطناب من خلال الوصف، والاستطراد؛ يقول: (إن للعراق الأبي تاريخاً عطراً حافلاً بالأمجاد والبطولات، ومهما نسي العربي فلن ينسى ما قدّمه العراق للامة العربية من تضحيات) و (إنّه أبو موسى عبد القادر الحسيني شهيد القسطل) إذ كان كافياً لمقالته التاريخية أن يذكر عبد القادر الحسيني بالاسم دون أن يكنّيه أو يلقبّه، وكان يكفي في الجملة الأولى أن تختصر في بضع كلمات، دون هذا الإطناب والاستطراد.

تندرج المقالة السابقة تحت نوع المقالة الموضوعيّة، ولذلك فنوعها يفرض على السقّاف الابتعاد عن الإنشائية أو استخدام الصور والخيال أو تطعيم النص بالمشاعر العاطفيّة، لكن السقّاف لا يستطيع التملّص من ذلك ولذلك يدمج الذاتي بالموضوعي مع غلبة الموضوعيّة إذ أن المقالة تاريخيّة، فعلى الرغم من الأسلوب الذي تفرضه المقالة ونوعها، نجد النص لا يخلو من الصور والاستعارات، إذ يمكن ملاحظة استخدامه (تاريخاً عطراً، انحنى العراق، وفلسطين تئنّ تحت كابوس الاحتلال) وهي قليلة إجمالاً لكنها تقع ضمن الاختيارات العفوية التي تأتي عفو الخاطر، وهي أيضاً تتميز بالوضوح، وتبقى ضمن الاستعمال وما يعهد لدى الأدباء أنها غير مبتكرة، وتأتي بدون تكلف.

إن العنصر الأسلوبي الذاتي من خلال الصورة والاستعارة، المغيّب عن المقالة يتم تعويضه من خلال التراكيب الإنشائيّة والألفاظ، فالعاطفة التي تهيمن على موضوع المقالة هي عاطفة قوميّة وهي تفصح عن نفسها من خلال الألفاظ المفعمة بالمشاعر العاطفية (الأبي، عطراً، حافلاً، الأمجاد، البطولات، تضحيات، العظيمة، انحنى، المخلصون، زمرته، تئنّ، كابوس، الأشقاء، شهيد)، وهذه الألفاظ تفيض بمشاعر متنوعة حسب سياقاتها من فخر، وإجلال، احترام، وبغض، واعتزاز، وهي جميعاً مشاعر صادقة ترتكز إلى عاطفة قومية حقيقية صادقة يتميّز بها السقّاف، ثمّ تأتي التراكيب لتساعد في تقوية العنصر الذاتي

إذ استخدم السقاف تراكيباً إنشائية تنوّعت بين الاستفهام، والتعجب، كما في قوله: (كيف تطلبون منا الموافقة على الاشتراك في حرب الصحراء إلى جانب الحلفاء وفلسطين تئنّ تحت كابوس الاحتلال البريطاني والهجرة الصهيونيّ الاستيطانية مستمرة؟ ماذا عسى أن يقول إخواننا في فلسطين حين نمرّ عليهم ونحن في طريقنا إلى مصر؟ أنستطيع أن نقول لهم أننا ذاهبون للقتال مع البريطانيين، وإذا قالوا لنا ونحن أيّها الأشقاء ماذا فعلتم لمستقبلنا؟ فهل هناك من ردّ معقولٍ مقبول؟!)، ويقوى الإنشاء بخروج الاستفهام نحو الاستفهام الإنكاري، وهو مما يزيد الشحنة العاطفيّة شدّةً، إن هذه التراكيب الإنشائيّة، وقبلها الألفاظ المفعمة بالعاطفة تكشف صدق مشاعر السقاف، وتوهّج عاطفته، وقوّتها، مما أدّى لبروز الذاتيّ في هذه المقالة الموضوعيّة، من خلال الألفاظ والتراكيب، وكلها تفيض بالمشاعر العاطفيّة، لكن ذلك لا يبعد هذه المقالة عن الموضوعيّة إذ تبقى ضمن هذا النوع، ولكنه يكشف عن ميل السقّاف لدمج الذاتي بالموضوعي أو إبراز الجانب الذاتي على الأقل، فإذا كان بعض الكتاب يعالجون في المقالة موضوعاتٍ تهمّهم، فإنّ السقّاف يعالج دائماً موضوعاً يحبّه.

المقطع الثالث من مقالة ما هذا التمني المرذول وهي مقالة صحفيّة:

" لا أدري ما الذي يدعو بعض الكتاب والشعراء إلى ترويج اليأس والإحباط والهزيمة في مجتمعاتنا العربية، فذاك يتمنّى أن يبشّروه بوفاة الأمة العربية، وهذا يزايد على ذاك، فيعلن بكلّ صفاقةٍ وجرأة أن الأمة العربية قد فطست، ولا نعرف سبباً لهذا التحامل الذي ترفضه مسيرة الامة العربية على مدى تاريخها الحديث.

إن الأمة العربية أيّها اللاهون في بلاد الضباب أقوى من جميع التحديات، فهي قد صارعت الأهوال، وعركت المحن والشدائد وخرجت تهزأ بجميع الأعداء والطامعين، فلا يجوز أيها اللاهون في بلاد الضباب أن تقفوا على أطلال نفوسكم المهزومة لتطلقوا أمانيكم وأماني أعداء الامة على صفحات الجرائد رغبة في الظهور والمزايدة.

لقد سبقتكم إلى مثل هذه الأماني جميع الأحزاب الشيوعيّة والماركسية في الوطن العربي كله، تحاملا على الأمة العربية التي رفضت السير خلف الشيوعيّة الدولية، وها هي تلك الأحزاب قد انهزمت بهزيمة الشيوعية والماركسية، وبقيت الأمة العربية تواصل مسيرتها بثبات على الرغم مما أصابها من غدرٍ وعدوان.

لقد شبّه أحد الشعراء الأمة العربية بحذاء قديم ممزق، بعد هزيمة يونيو 1967، فأحدث ضجّة في جميع ديار العروبة، وماهي إلا سنوات حتى قفز الجيش المصري في السادس من أكتوبر 1973 يدكّ خط بارليف ويجتاز قناة السويس خطّة عسكرية أذهلت جميع جيوش العالم وكان الجيش السوري في الوقت نفسه يتقدّم بعزيمة لا تقهر في مرتفعات الجولان، وفرض مجلس الامن الدولي وقف إطلاق النار ليأخذ كلّ ذي حقّ حقّه، فازداد المؤمنون بالأمة إيماناً، وباء ذلك الشاعر بالهزيمة.

لقد كنا نعلم أن هزيمة يونيو لا يمكن أن تسجّل على الجيش المصري، وليس من العدل أن تسجّل عليه، فلقد صدرت إليه الأوامر بالتقهقر بعد ضرب المطارات وفقدان السلاح الجويّ وحينما تمّ إبعاد القيادة السابقة واستعد الجيش وباغت العدو سجّل أعظم انتصارٍ في التاريخ.

إن المنصفين يدركون أن العرب سلّموا زمام أمورهم إلى العثمانيين باسم الخلافة فتخلّفوا تخلّفاً تقشعرّ له الأبدان، ولما خرجوا من السيطرة العثمانية وجدوا الاستعمار الأوربي قد سدّ الفراغ الذي تركه العثمانيون، فقضوا عشرات السنين يكافحون الأعداء للحصول على الحرية والاستقلال، فلا غرابة إذا ما ظهر في بعض أقطارهم بعض القادة الذين لا يصلحون للقرون الوسطى."

على مستوى الشكل

يمثل المقطع السابق أنموذجاً للمقالة الصحفيّة عند السقاف، وهو من مقالة بعنوان ما هذا التمني المرذول، ناقش السقاف فيها اشتداد الحملة على العروبة والقومية وصدور تصريحات وتعليقات شامتة، وأخرى مبشّرة بموت الأمة العربية من قبل مفكّرين وأدباء لم يسمّهم.

ويمثل هذا المقطع بلغته نموذجاً حقيقيّاً لأسلوب السقاف على مستوى الشكل (اللغة) في المقالة الصحفية، فمن الملاحظ أن السقاف اختار كلماتٍ فصيحة باستثناء (الماركسية، يونيو، بارليف)، والألفاظ عموماً مناسبة لموضوعه ومأنوسة، وليس بينها أي لفظ غريب، كما أنّها تنوّعت بين ألفاظ سهلة وأخرى جزلة فخمة، كما طرّز المقطع ببعض الألفاظ الموحية مثل (اشتداد، عظيمة، تقشعر، الاستقلال، التقهقر، باغت، حق)، أما التراكيب ناوب فيها السقّاف بين تراكيب طويلة وأخرى قصيرة، وهي ميزة واضحة في مقالته الصحفية، كما اعتمد في المقطع على الجمل الخبريّة من قبيل (لقد شبّه أحد الشعراء الأمة العربية بحذاء قديم ممزق، وفرض مجلس الأمن الدولي وقف إطلاق النار،

إن المنصفين يدركون أن العرب سلّموا زمام أمورهم إلى العثمانيين باسم الخلافة، فقضوا عشرات السنين يكافحون الأعداء)، وندر في هذا المقطع استخدم الجمل الإنشائية فاكتفى بجملة واحدة هي (أيها التائهون) . كما يلاحظ وضوح التراكيب بالرغم من أنها تميل للطول أحياناً. ومن ناحية النحو والصرف فلا ملمح مميّزاً في هذا المقطع فهو يسير على نهج نحوي سليم، كما أنّه لا يعتمد على صيغ صرفيّة دون أخرى، ولا يحاول الاشتقاق أو التجريب.

على مستوى المضمون

في المقالة السابقة تظهر النزعة القومية واضحة المعالم، فالسقاف يتّخذ موقف المحامي المدافع عن الامة العربية، ويأخذ هذا الموضوع السياسي لديه أبعاداً اجتماعية وثقافية، فيلجأ إلى المقياس الناظم الذي يحدّد من خلاله الصواب والخطأ، فيصحح ويصوب. أما الأفكار التي تناولها في المقطع السابق فهي: إعلان بعض الكتاب عن موت الامة العربية (يدعو بعض الكتاب والشعراء إلى ترويج اليأس والإحباط والهزيمة) وقوة الأمة العربية وصمودها عبر التاريخ (فهي قد صارعت الأهوال، وعركت المحن والشدائد وخرجت تهزأ بجميع الأعداء والطامعين)، و الشيوعيون الذين تمنوا موت القومية العربية فشلوا وفشلت معهم ماركسيتهم العالمية والأمة العربي ما زالت حيّة (انهزمت بهزيمة الشيوعية والماركسية، وبقيت الأمة العربية تواصل مسيرتها بثبات)، و البطولة العربية في حرب أكتوبر1972(قفز الجيش المصري في السادس من أكتوبر 1973 يدكّ خط بارليف ويجتاز قناة السويس في خطّة عسكرية أذهلت جميع جيوش العالم وكان، الجيش السوري في الوقت نفسه يتقدّم بعزيمة لا تقهر في مرتفعات الجولان) ، وهزيمة العرب في يونيو1967 (هزيمة يونيو لا يمكن أن تسجّل على الجيش المصري)، تعرض الامة العربية للاستعمار والاحتلال عبر تاريخها (إن المنصفين يدركون أن العرب سلّموا زمام أمورهم إلى العثمانيين باسم الخلافة فتخلّفوا تخلّفاً تقشعرّ له الأبدان، ولما خرجوا من السيطرة العثمانية وجدوا الاستعمار الأوربي). وهو في كل ذلك يسم أفكاره بالوضوح مبتعداً كل البعد عن الغموض، كما أنه يميل إلى التكرار من خلال التأكيد على الفكرة بفكرة مشابهة، وسبب ذلك اهتمامه بمجمل القضايا التي يطرحها والإلحاح عليها، ورغبته بإيصال.

كما يظهر ميله إلى الاستشهاد منذ البداية حيث أن المقالة جاءت رداً على من قال بموت الأمة العربية، كما نصّ عليه في المقدمة، ثم استشهد بقول نزار قباني ولم يسمّه وهو الذي قال إن الأمة العربية تبدو كحذاء قديم ممزق، ومن خلال هذين الاستشهادين لجأ إلى الحجاج المنطقي مستدلاً بالتاريخ، فالعرب الذين هزأ منهم نزار في 1967 هم من انتصر في 1973، كما أنّه ناقش في هزيمة حزيران وبحث في أسبابها الموضوعيّة، وجادل في أن تسجّل هزيمة على الجيش المصري.

لم يعمد السقاف إلى الاستطراد في هذه المقالة، ويبدو أن المقالة الصحفية لا تسمح بذلك لقصرها الموضوعي، إلا ان السقّاف لجأ إلى الإطناب من خلال الإطالة في الجمل، كقوله (فلقد صدرت إليه الأوامر بالتقهقر بعد ضرب المطارات وفقدان السلاح الجويّ) و(حينما تمّ إبعاد القيادة السابقة واستعد الجيش وباغت العدو سجّل أعظم انتصارٍ في التاريخ) و (إن المنصفين يدركون أن العرب سلّموا زمام أمورهم إلى العثمانيين باسم الخلافة فتخلّفوا تخلّفاً تقشعرّ له الأبدان) و(فلا غرابة إذا ما ظهر في بعض أقطارهم بعض القادة الذين لا يصلحون للقرون الوسطى).

يصبح السقاف أكثر تحرّراً في المقالة الصحفيّة، ولذلك يدمج الذاتي بالموضوعي، فتتجلى الموضوعيّة من خلال استخدام الألفاظ في معانيها المعجمية المعيارية، وعدم الإيغال في الاستعارات والصور والأخيلة، ومن خلال الجفاف العاطفي في النص، أما الذاتية فتظهر من خلال الإنشائية الواضحة والصور والألفاظ والتراكيب ومن خلال العاطفة الطافحة في النص، إن الحرية التي تتيحها المقالة الصحفية للكاتب تسمح له أن يدمج بين المجموع السابق ليقول قوله، ويؤدي رسالته. وفي النص السابق يمكن ملاحظة الأسلوبين الذاتي والموضوعي في النص، فالذاتية تتجلى من خلال استعاراته (ترويج اليأس، يبشّروه بوفاة الأمة، الأمة العربية قد فطست، بلاد الضباب، صارعت الأهوال، وعركت المحن والشدائد وخرجت تهزأ، أطلال نفوسكم ، لتطلقوا أمانيكم ، قفز الجيش)، رغم أن طبيعة الموضوع قد لا تتطلّب هذا الكم من الصور والاستعارات، كما انّه لجأ إلى الكناية، في قوله (أيها اللاهون في بلاد الضباب)، ولا يخفى ما تحفل به هذه الصور من وضوح، وهي ضمن المعهود في اللغة والاستعمال الأدبي. أما الأسلوب الموضوعي فيظهر من خلال استخدام التراكيب ضمن حدودها الاستعمال بعيداً عن المنحى الأدبي كـ (فلقد صدرت إليه الأوامر بالتقهقر بعد ضرب المطارات وفقدان السلاح الجويّ وحينما تمّ إبعاد القيادة السابقة واستعد الجيش وباغت العدو).

لا يستطيع السقاف الخلاص من تعلّقه بموضوع المقالة، ولذلك تبرز عاطفة السقاف جلية صادقة في المقطع السابق، ويتقدّم بأسوبه الذاتي؛ فتبرز مشاعر تتنوع بين الحزن والإشفاق والألم والتفاؤل والغضب؛ وهي جميعا تنطلق من عاطفة قوميّة صادقة تجاه العرب وقضاياهم، وقد اعتمد السقّاف على ثلاث ركائز لإبراز مشاعره في النص فاختار ألفاظه بعناية، ومن ألفاظه في هذا السياق(اليأس والإحباط والهزيمة ، يبشّروه، صفاقةٍ، فطست، اللاهون، المحن والشدائد، انهزمت، غدر، ممزق، أذهلت، بعزيمة، المنصفين، تخلّفاً، تقشعرّ)، وجميع هذه المفردات ألفاظ تنبض بالعاطفة، كما أنّها تلائم موضوعه، كما أن التراكيب والصور تساعد السقّاف في سكب العاطفة في النص، كما في (ترويج اليأس، يبشّروه بوفاة الأمة، فيعلن بكلّ صفاقةٍ وجرأة ، الأمة العربية قد فطست، أيّها اللاهون في بلاد الضباب ، صارعت الأهوال، وعركت المحن والشدائد ، أطلال نفوسكم المهزومة، بحذاء قديم ممزق، قفز الجيش المصري، خطّة عسكرية أذهلت جميع جيوش العالم ، بعزيمة لا تقهر، أعظم انتصارٍ في التاريخ، تخلّفاً تقشعرّ له الأبدان، لا يصلحون للقرون الوسطى)، إن الاستعارات والصور والتراكيب السابقة تنضح بالمشاعر العاطفية، وقد كشف السقّاف في هذه الغزارة مرّة أخرى عن ميوله القومية وحقيقة مشاعرها، ومدى صدقيّتها. إنّ ما سبق أدّى لغلبة الذاتيّ على الموضوعي وبروز الطابع الشعري في هذا النص من خلال الألفاظ والتراكيب والصور السابقة، كما أنّ هذا الكم من العاطفة في نصّ واحد لا شكّ سيصنّف هذه المقالة ضمن المقالة الذاتيّة، ولا شكّ أنها الحرية التي تمنحها المقالة الصحفية للكاتب حيث يزاوج بين الذاتي والموضوعي.

خصائص أسلوب السقّاف في المقالة

على مستوى الشكل:

الألفاظ: يستخدم السقاف المفردات العربية استخدام المتمرس ويجيد انتقاء الألفاظ المناسبة مبتعداً عن التقعّر والإغراب، ضمن ما يناسب التعبير عن مختلف المعاني والأفكار، ويستخدم الألفاظ المناسبة والموحية والفخمة والمأنوسة حسب ما يتطلبه الموقف، وينطبق هذا الحكم على مقالة السقاف في جميع أنواعها.

التراكيب: يستخدم السقاف التراكيب ضمن أسلوب السهل الممتنع، بخلّوه من التكلّف والغريب، واقترابه من المعاصرة، واعتماده على الجمل القصيرة والطويلة، كما تتسم تراكيبه بالبساطة والوضوح، والمزج بين الخبر والإنشاء لطرح المعاني وشحنها حسب الضرورة المقالية. ففي المقالة الذاتية يعتمد التراكيب القصيرة، والمناوبة بين الخبر والإنشاء،

ويميل أحياناً إلى الإطناب. أمّا المقالة الموضوعية فيعتمد التراكيب الواضحة والوصف والإطناب والاعتماد على الجمل الخبرية بشكل عام، واستخدام الإنشاء عند الضرورة. أما المقالة الصحفية فيناوب فيها بين التراكيب الطويلة والقصيرة ويعتمد على الجمل الخبرية واستخدام الإنشاء حينما يقتضي السياق.

النحو والصرف: تأتلف عبارة السقاف في نهج نحوي سليم لا يخرج عن قواعد اللغة، وتنسجم اختياراته الصرفية مع المعهود من سنن العربية فلا يشتق أو يجرّب، والأمر على هذا الشكل ينطبق حرفياً على مقالة السقاف بكلّ أنواعها.

المحسنات البديعية: لا يعتمد السقاف على المحسنات البديعيّة إلا ما جاء عفو الخاطر، فهو يكتب بأسلوب معاصر يميّز نثره البعيد عن التكلّف، وينطبق هذا الحكم على مقالة السقاف عموماً.

على مستوى المضمون

المعاني والأفكار والآراء والعقائد ووجهات النظر:

تتفشى النزعة العروبية القومية في مقالة السقّاف بشكلٍ واضح، ويتناول موضوعاته من الواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي للوطن العربي. والقومية العربية هي المحور الناظم لمقولات السقّاف جميعاً، وهي المقياس الذي يميّز فيه بين الصواب والخطأ، فما صح عروبيا من وجه نظره هو الصحيح، وما خالف قيمه القومية هو الخطأ. ومن هذا الأساس الفكري تخرج كل المعاني والأفكار ووجهات النظر، فموضوعاته لا تعالج إلا في ضوء عقيدته في القومية العربيّة، وهي عقيدة حرة غير حزبيّة استقاها من قوميي العراق الذين عرفهم في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، وكان ملهمهم ساطع الحصري، فهذا النبع القومي هو مورد السقّاف في عروبته وقوميّته؛ قبل الناصرية والبعثية. وأهم ما ناقشه السقّاف في مقالاته وبثه من أفكار كان التعريف بالعرب والعروبة والقومية والتوفيق بين العروبة والإسلام ومناهضة الشعوبية على أنواعها، والدفاع عن قضايا العرب ولا سيّما قضية فلسطين، واللغة العربية، وهذه جميعاً محاور رئيسة يتفرّع عنها أفكار أكثر تفصيليّة، ولكنها تنسجم جميعاً تحت عنوانه الكبير الوحيد " القومية العربية"، والأمر ينطبق على مقالات السقاف جميعاً.

وهو في كل ذلك يسم أفكاره بالوضوح مبتعداً كل البعد عن الغموض، كما أنه يميل إلى التكرار وسبب ذلك اهتمامه بمجمل القضايا التي يطرحها والإلحاح عليها، بسبب رغبته العارمة بتعميق المعنى وإيصال الرسالة إلى قارئه. كما أن يميل إلى الاستشهاد والاقتباس فغالباً ما يلجأ إلى ذلك للتدليل على ما يذهب إليه وسبب ذلك الحماس والسعي لتثبيت مقولاته وأفكاره من خلال الحجاج وتقديم الحجج المنطقية. ويميل السقّاف إلى الاستطراد بشكل واضح في معظم مقالاته، والاستطراد يظهر بشكل الإطالة في الجمل والإطناب، كما يظهر من خلال التحول إلى موضوعات أخرى ضمن المقالة لمجرّد إشارة في المتن، والملاحظ أن استطراده وإطنابه يكون مع المعاني والأفكار التي تستحوذ بؤرة الشعور لديه، ولا سيّما ما يتعلق بقضايا متفرعة عن موضوعه الكبير في القومية العربية. وتظهر ذاتية السقاف في مقالاته الموضوعية كما هي الحال في المقالة الصحفية.

الصورة والخيال والعاطفة:

كتب السقّاف فن المقالة ونوّع فيها، ولقد اقتضى ذلك تعدّد أساليبه حسب نوع المقالة، فالمعروف أن أسلوب المقالة الذاتية هو غيره في الموضوعية وهو غيره كذلك في المقالة الصحفيّة، والمعروف أيضاً أن نوع المقالة هو الذي يفرض الأسلوب على الكاتب، فالمقالة الذاتية تعتمد على الصور والخيال والإنشاء، فيما يقل ذلك في الموضوعيّة وتقترب اللغة فيها من المعيارية دون أن تبلغها. واللافت في نتاج السقّاف أن تنويعه في الأسلوب بين المقالات لا يختلف كثيراً، فهو لم يكتب المقالة الذاتية المحض كما أن مقالته الموضوعية فيها شيء من الذاتية، وفي الحالتين فثمّة جانباً متغلّباً يسمح بالكشف عن نوع المقالة. ومهما يكن الأمر فإنّ الوضوح على مستوى الصور والخيال هو ما يميّز نثر السقاف وأنواع مقالاته التي كتبها. فلا يلاحظ ابتكارات بديعة على مستوى الصورة، أما استعاراته فهي ضمن المعهود والمستعمل في اللغة، كما أنّه لا يستعمل التشبيه إلا ما ندر فيما يستحضر الكناية ويكثر منها. ففي المقالة الذاتية تتضح ميوله الأدبية من خلال الانزياحات التي غالباً ما تحدث بالاستعارة، فيما يقلّ ذلك في المقالة الموضوعية، والمقالة الصحفية.

وتبرز عاطفة السقاف جلية صادقة باعتماده على ثلاث ركائز هي الألفاظ والتراكيب والصور، ولعلّ استخدام السقّاف للألفاظ الموحيّة المعبرة في بعض مقالاته الموضوعيّة كان يفضح عاطفته تجاه موضوعه وما يتفرّع عنه من أفكار، كما برز في عديد من المقالات، كما أن الاستعارات كانت تكشف صدق شعوره وتوهّج عاطفته مما أدّى لغلبة الذاتيّ على الموضوعي وبروز الطابع الشعري في أسلوبه النثري أحياناً.

ب ـ الانزياح وأنواعه:

الانزياح لغة من " زاح الشيء، يزيح زيحاً وزيوحاً وزيحاناً، وانزاح ذهب وتباعد"(1). وفي الاصطلاح، فثمّة تعريفات اصطلاحية متباينة للانزياح؛ فـ" هو انحراف الكلام عن نسقه المألوف، وحدث لغوي يظهر في تشكيل الكلام وصياغته، ويمكن بواسطته التعرف إلى طبيعة الأسلوب الأدبي، ويمكن كذلك اعتبار الانزياح هو الأسلوب الأدبي ذاته"(2)، وقد نقل المسدي عن ريفاتير تعريفه للانزياح بأنّه " يكون خرقاً للقواعد حيناً، ولجوءاً إلى ما ندر من الصيغ حيناً آخر، فأما في حالته الأولى فهو من مشمولات علم البلاغة فيقتضي إذن تقييماً بالاعتماد على أحكام معياريّة، وأما في صيغته الثانية فالبحث فيه من مقتضيات اللسانيات عامة والأسلوبيّة خاصّةً"(3)، وقد خرج النقد العربي المعاصر بكثير من التعريفات لهذا المصطلح؛ فقد عرّفته يمنى العيد بأنه " البعد عن مطابقة القول للموجودات"(4)، وعرّفه نعيم اليافي بأنه " خروج التعبير عن السائد أو المتعارف عليه قياساً في الاستعمال، رؤيةً ولغةً وصياغةً وتركيباً(5) ".

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم ـ لسان العرب، مج5 ص1805 مادة (زي ح)، مصدر سابق.

(2) بو خاتم، مولاي علي ـ مصطلحات النقد العربي السيماوي، الإشكالية والأصول والإمتداد، دمشق :اتحاد الكتاب العرب، 2004، ص271.

(3) المسدي، عبد السلام ـ الأسلوب والاسلوبية، الدار العربية للكتاب، ط3، ص 103.

(4) العيد، يمنى ـ في القول الشعري (الشعرية والمرجعية-الحداثة والقناع) الفارابي، 2008، ص20.

(5) اليافي، نعيم ـ أطياف الوجه الواحد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ت، ص92.

والانزياح مفهوم جديد نسبيّاً، كشف النقد الغربيّ النقاب عنه، وكان النقّاد العرب القدامى قد تعاملوا مع مفهومه ـ نوعاً ما ـ باصطلاحات أخرى: كالعدول والانحراف والتجاوز والالتفات. ويعدّ جان كوهين أوّل من خصّ هذا المصطلح بحديث مستفيض في مجال حديثه عن لغة الشعر، فقد قامت نظرية الانزياح لديه على مجموعة من الثنائيات؛ ضمن إستراتيجية الشعرية البنيوية في كتابه "بنية اللغة الشعرية " مستفيداً من الأسلوبية، وخرج بالنهاية ليقول: "إن الشعر انزياح عن معيار هو قانون اللغة فكل صورة تخرق قاعدة من قواعد اللغة أو مبدأ من مبادئها هو انزياح "(1).

وحتّى لا تغوص الدراسة في تشعّب المفهوم، وتعدّد المصطلح؛ ستكتفي بمفهوم مبسّط عن الانزياح. فهو يعني الابتعاد عن مطابقة الكلام للواقع واللغة المعجميّة، بالاستفادة من أدوات لغوية متعددة كالاستعارة والتشبيه والتصوير والمجاز والرمز وغيرها من فنون البلاغة، كما أنّه مفارقة الأصل الدلاليّ المعجميّ المتواضع عليه أو المتعارف بتوليد المعاني من خلال اقتران الكلمات في علاقات غير معهودة. بل إنّه أكثر من ذلك، إن الانزياح يشمل أجزاء النص لفظاً وتركيباً وجملاً ومعنى وتصويراً، فالانزياح يأتي في أيّ مما سبق، ولذلك تندرج أشكال الانزياح تحت نوعين رئيسين هما الانزياح الدلالي والانزياح التركيبي.

1ـ الانزياح التركيبي:

هو نوع رئيس من الانزياح، و" هو انزياحٌ عن الأصول (المتواضع عليها) بواسطة الحذف والإضمار أو الفصل أو تشويش الرتبة بالتقديم والتأخير أو التنويع في الإعراب(2)"، ويقوم على خرق الجانب التركيبي في اللغة، فيحدث تغييرات على مستوى الكلمات والجمل، ويحدث " من خلال ربط بين الدوال بعضها ببعض في العبارة الواحدة أو التركيب أو الفقرة(3) "، ويتم من خلال قواعد " تتصل بالسلسلة السياقيّة الخطّيّة، للإشارات اللغويّة عندما تخرج على قواعد النظم والتركيب، مثل الاختلاف في تركيب الكلمات(4)".

---

(1) كوهين، جون ـ بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي، ومحمد العمري، دار توبقال، المغرب، ط1/1986، ص6.

(2) حسّان، تمّام ـ الأصول ـ دراسة إبستمولوجيّة للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة 2000 ص130.

(3) ويس، أحمد محمّد ـ الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبيّة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع 2005، ص111.

(4) بو دوخة، مسعود ـ الأسلوبيّة وخصائص اللغة الشعريّة، عالم الكتب الحديث، إربد 2011 ص43.

ويحدث الانزياح التركيبي من خلال الربط بين الدوال بعضها ببعض في العبارة الواحدة أو في التركيب والفقرة؛ بطريقة ما. إنّ الأساسيّ هنا أن تركيب العبارة الأدبيّة والشعريّة بشكلٍ خاص تختلف في تركيبها عن الكلام العادي أو النثر المعياري. وما يفترض أن تخلو تراكيب هذين النمطين من أية قيم جمالية، في حين أن التركيب الأدبي قابل لان يحمل في كل علاقة من علاقاته قيمة جماليّة، والمبدع هو الذي يستطيع تشكيل اللغة وتطويعها وتلوينها وإخراجها عن نطاق المعهود والمألوف لتصل لتحقيق المفارقة وبالتالي اكتساب القيمة الجمالية المتوخّاة من النص الأدبي.

وبشكلٍ بسيط فإن الانزياح التركيبي يعني الخروج على أسس وقواعد التركيب، وأهم مظاهر الانزياح التركيبي التقديم والتأخير والحذف والتكرار.

2ـ الانزياح الدلاليّ: هو الخروج " عن قواعد الاختيار للرموز اللغويّة، مثل وضع المفرد مكان الجمع، أو الصفة مكان الموصوف، او اللفظ بدل المألوف(1)"، ويرتكز هذا النوع من الانزياح على الاستعارة والمجاز والكناية والتشبيه.

إن الانزياح الدلالي يتعلّق بجوهر المعنى اللغوي ودلالته، وتمثّل الاستعارة عماد هذا النوع من الانزياح نظراً لأهمّيتها في بناء النص الأدبيّ. ويتمثّل الانزياح الاستدلالي بخرق القاعدة والعدول عن المعهود من أجل بناء النص الادبيّ الذي يظهر كنموذج مغاير وخارج عن اللغة إذ يتوخى الترصيع بالقيم الجمالية من خلال هذه المغايرة وهذا الخروج.

لقد توصل النقاد والباحثون إلى قوانين وأنواع الانزياح بالتطبيق على اللغة الأدبية، ولا سيّما الشعر، ولذلك فإنّ مظاهر الانزياح وأنواعه تظهر بشكلٍ واضح في الشعر واللغة الشعرية. أما في حالة دراسة الانزياح في النثر ـ وإن كان بطابعٍ أدبيّ ـ فإنّ الدراسة ستواجه صعوبات تتضح في انحسار مادة التطبيق، فلا شكّ أن الانزياح ظاهرة لغويّة موجودة في اللغة، ولكن دراستها في الشعر تكون أكثر جدوى، ولذلك فقد عمدت الدراسة إلى اختيار مقالة ذاتية، في سبيل الوقوف على مظاهر الانزياح عند السقّاف، وقد وقع الاختيار على مقالة أيّها الأقصى الحبيب(2)، وقد تعمدت الدراسة ذلك، لأن هذه المقالة وما يشبهها، تكون أكثر زخماً وأغزر مادة لدراسة الانزياح.

---

(1) بودوخة، مسعود، الأسلوبيّة وخصائص اللغة الشعريّة، ص43.

(2) السقّاف، أحمد ـ أيّها الأقصى الحبيب، مجلة البيان، ص4 وما بعدها، مصدر سابق.

نماذج لدراسة الانزياح عند السقاف:

كتب السقاف في مقالة، أيها الأقصى الحبيب:

"أيّة كلماتٍ تستطيع أن تطلب منك الصفح والمغفرة!؟ ذنبنا عظيمٌ عظيم؛ لا تمحوه الكلمات ولا القصائد ولا التظاهرات ولا الإضرابات!! أنت تعلم أيّها الأقصى الحبيب ـ كما يعلم العالم كلّه ـ أننا قادرون على إنقاذك؛ فكيف نستطيع أن نخدعك بالتقرب إليك بخطبنا وقصائدنا وتظاهراتنا واضطراباتنا؟!

ذنبنا عظيمٌ في حقّك، وذنبنا عظيمٌ في حقّ أجدادنا وفتوحاتنا وأمجادنا، وذنبنا عظيمٌ عظيمٌ في حقّ أنفسنا، وفي حقّ الأبناء والاحفاد؛ فنحن اليوم في نظر التاريخ صخب لا يؤثّر في التاريخ، ونحن اليوم في نظر الأمم غثاء كغثاء السيل!! بالأمس القريب أحرقك الصهاينة الحاقدون فانتفخت حناجرنا بالخطب والقصائد، وماجت شوارعنا بالتظاهرات والمسيرات، وجلجلت إذاعاتنا بالبيانات والتصريحات، ونظرت إلينا وأنت محترق، وكأنّك تقول: حسبكم هذا الجهد؛ فالنجدة ليست لديكم، وإن كانت من شيم أجدادكم، فانعموا بما أنتم به من نعمٍ ولذاذات؛ فإنّها كل اهتماماتكم ومنتهى شموخكم وطموحاتكم!!

لا ندري ــ أيها الأقصى الحبيب ــ أنحن من أولئك الذين دوّخوا الدنيا، وكانوا رماحاً في أعين المتجبّرين وسيوفاً في أمعاء المتطاولين؛ أم أنّ أولئك الصناديد لم تنجب لهم زوجاتهم اولاداً؛ فبحثوا عن أطفالٍ مشرّدين في أصقاع هذه المعمورة؛ فكنّا أولادهم بالانتماء الكسيح!!

أيّة كلمات يستطيع هذا القلم المرتجف أن يخط في هذه المأساة، ومن أين يستطيع ان يستلهم العبارات القادرة على الاقتراب من سرر الجرحى، وقبور الشهداء الذين لفظوا أرواحهم وهم يؤدون الصلاة في رحابك.

سيبقى صباح الأحد الحادي عشر من نيسان عام1982 تاريخاً لمفهوم الفكر الصهيوني في العالم؛ فلقد أدركت الدنيا كلّها ــ أيّها الأقصى الحبيب ـ بعد هذا العدوان الجبان المفزع على المصلّين أنّ الفكر الصهيوني عصارة مكثّفة مستخلصة من جميع الأفكار الحاقدة المدمّرة التي عرفتها البشريّة منذ بدء الخليقة حتى اليوم! وسيبقى هذا التخاذل الذي نعانيه صفحةً سوداء تضاف إلى ما سطر الشعوبيون في تاريخنا المعاصر من صفحاتٍ قبيحة مرفوضة.

وعلى الرغم هذا الليل، وعلى رغم ما زرع الانتهازيّون من فتنٍ وتمزّقٍ في هذه الأمّة، فإنّ الفجر ــ أيّها الأقصى الحبيب ـ لقريب، وما هذه الجحافل المظفّرة التي تصنع أزهى البطولات والأمجاد في العراق إلا بشائر لاقتراب موعد فجرنا المشرق العظيم".

نماذج الانزياح التركيبي عند السقاف:

1ـ الحذف: هو ظاهرة بلاغيّة دأب المبدعون على توظيفها للإسهام في تحقيق أدبيّة خطاباتهم الشعريّة والنثريّة، حيث يشترك المتلقي في تأوّل المحذوف، بالاعتماد على ما يترك الشاعر من إيماءات وتلميحات في متنه، كما أنّ المحذوف يولّد عنصر المفاجأة ويدفع إلى استثارة الذهن إذ أنّ غياب العناصر المحذوفة أبلغ من ذكرها، لما تخلّفه من أثرٍ بلاغيّ. ومن أمثلة الحذف في المقالة السابقة قول السقاف: (أيّة كلماتٍ تستطيع أن تطلب منك الصفح والمغفرة)، فقد حذف السقّاف المنادى الذي نكتشفه بعد قليل، وهو المسجد الأقصى، ولا شكّ أنّ هذا الحذف قد أثار ذهن القارئ ودفعه للبحث عن المقصود، فكان الحذف للإيجاز، وغرضه التعظيم، دلالةً على علو مكانة المسجد الأقصى عند العرب والمسلمين. ومن الحذف أيضا قوله (في حقّ الأبناء والأحفاد) فالحذف كان لجملة (ذنبنا عظيمٌ)، وسبب الحذف هو العلم بهذا المحذوف، بسبب تكراره في الجمل السابقة، كما أنّ هذا الحذف يؤكّد على عظم الذنب الذي نسعى نفسيّاً لتجاهله وإخفائه.

2ـ التكرار: هو ظاهرة أسلوبيّة بارزة، وتلعب دوراً فعّالاً في بناء النص الأدبيّ قديماً وحديثاً، ولا يأتي التكرار جزافاً، إذ لابدّ من قيمةٍ بلاغيّة يؤكّد عليها، ويحمل التكرار وظائف جماليّة لإبراز الجوانب المراد الإفصاح عنها، والتأكيد عليها، ومن أمثلة التكرار في المقالة السابقة، وقد عوّل السقّاف عليه كثيراً:

ـ تكرار اللفظ: فقد لوحظ تكراره لكلمات (عظيم ومظاهرات والأقصى وغثاء وقصائد وصخب والتاريخ)، ومظاهر التكرار السابقة على مستوى الألفاظ، جاءت جميعاً للتوكيد على المعنى والدلالة، فتكرار عظيم جاء للتأكيد على فداحة المصاب والشعور به، وقد كرّرت عشر مرات تقريباً، أمّا تكرار مفردة الأقصى فقد جاء للتأكيد على منزلة الأقصى في قلوب العرب والمسلمين، والتذكير بهذه الحقيقة، وهكذا.

ـ تكرار الجملة: كرّر السقاف في المقالة السابقة جمل (ذنبنا عظيم، أيها الأقصى الحبيب)، وهدف هذا التكرار التأكيد على فداحة المصاب وجلله، وفي تكرار جملة (أيّها الأقصى الحبيب) دلالة على أهمّية المومى إليه ومكانته، وما هذا الإلحاح إلا دليلاً آخر على شدّة التعلّق به، وإعطاء بعدٍ معنوي ونفسيّ عميق تجاهه.

ـ تكرار الأدوات: نشير هنا إلى تكرار أداة النداء (أيّها) التي يخرج النداء بها مع تكرارها إلى معاني الندب والتفجّع وقلّة الحيلة.

ـ تكرار الأساليب: وقد وضح فيما سبق تكرار أسلوب النداء، ونضيف إليه هنا تكرار أسلوب الاعتراض، الذي يؤكّد على التخبّط، وسوء الحالة النفسيّة التي يعيشها السقّاف بسبب هذه الجريمة الشنعاء؛ التي فقد أمامها الحيل، فمسجدٌ يحترق و أناسٌ يقتلون بينما كانوا يصلّون، وموقف العرب البعيد المتخاذل الذي يكتفي بالخطب الجوفاء والبيانات المقزّزة بسطحيّتها وغبائها المكرور، إن هذه الجمل المعترضة التي عبّرت عن هذا الاضطراب؛ ظهرت تحقّقاً في المقالة، عندما عطف السقّاف المظاهرات على الاضطرابات بشكلٍ فجائي، في حين أن القارئ يتوقّع الإضرابات.

نماذج الانزياح الدلاليّ عند السقاف:

1ـ الاستعارة: الاستعارة في البلاغة العربية ـ كما عرفها السكاكي ـ هي تشبيه حذف منه المشبه أو المشبه به، ولا بدّ أن تكون العلاقة بينهما المشابهة دائماً، كما لا بدّ من وجود قرينة لفظيّة او حالية مانعة من إرادة المعنى الأصلي للمشبه به أو المشبه، والغرض منها إيضاح الفكرة وإبراز الصورة البلاغية بمظهر جميل يؤثر في العاطفة ويلهب الخيال"(1).

وتعدّ الاستعارة ظاهرة بلاغيّة بارزة في النثر كما في الشعر، وهي عنصر أساسيّ في إبراز الأبعاد الفنيّة والجماليّة لهما، وتكمن أهميّتها في النثر، في أنّها تعوّض جانب الوزن والإيقاع الذي يختصّ بالشعر، وهي آليّة من آليات الإبداع تكشف عن مدى العبقريّة، ومستوى الشعريّة التي وصل إليها المبدع. وقد أكثر السقّاف في المقالة السابقة من الاستعارة، ولعلّ الموقف لا يتحمّل، حيث البحث عن الحقيقة؛ والرغبة الجامحة في التعبير عنها تتوسّل بالمجاز معيناً لها، ومن هذه الاستعارات:

---

(1) وهبه، مجدي، وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص27، مرجع سابق.

(انتفخت حناجرنا): انزاحت العبارة هنا عن معناها الحقيقي إلى معنى مجازي، حيث جعل الحناجر تنتفخ، وهي صفة غير حقيقيّة تقترن عادة بالطبل أو ما ينفخ كالبالون مثلاً، واستخدم قرينة النفخ ليدلّ على شدّة الإعياء والتعب بسبب الهتاف، والقصائد والخطابات، ولكنها للأسف بلا فائدة، فكأنّها فقاعة أو بالون أي حجم بلا مضمون أو معنى.

(نخدعك): وهو يقصد المسجد الأقصى، وقد اعتمد التشخيص في هذه الاستعارة، إذ شبّه الأقصى بإنسان يخدع؛ إنّ هذا التشخيص للأقصى في هذه الاستعارة يفسّر مناداته بالحبيب بشكلٍ مكرّر في هذه المقالة، ويعمّق البعد النفسي فيها.

(ماجت شوارعنا): في هذا الانزياح أكسب السقّاف الشوارع صفة الحركة، وفي هذه الاستعارة أيضاً مجاز عقلي فالمقصود هو الجماهير التي اندفعت كالأمواج في هذه الشوراع، ولكنه أكسب صفة الموج للشوارع، فانزاحت العبارة كليّاً عن المعنى الحقيقي مما أكسبها قيمة جمالية إضافية.

(جلجلت إذاعاتنا): في هذه الاستعارة شبّه الإذاعات بالرعد الذي يعلو صوته في ضجيج مخيف وهدير فارغ، فانزاحت العبارة نحو معنى جديد عبّر عنه من خلال هذه الاستعارة.

(نظر التاريخ): اعتمد في هذه الاستعارة على التشخيص، إذ منح التاريخ صفة إنسانية مما أكسب المعنى بعداً جديداً، حتّى تمثل التاريخ بشخص ضخم يقف وينظر.

(نظرت إلينا، أنت تعلم): عاد في هاتين الاستعارتين للتشخيص، فانزاح بالمعنى نحو أفق الغرابة والدهشة، فالأقصى حقيقة لا يعلم ولا ينظر، ولكنه عاصر كل الأحداث وكان شاهد عيان على ما حدث ويحدث.

(كانوا رماحاً في أعين المتجبّرين وسيوفاً في أمعاء المتطاولين): لجأ السقّاف إلى الاستعارة التصريحيّة هذه المرة، فقد شبّه السقّاف أجداد العرب العظام بالرماح مرّة والسيوف مرةً أخرى فحذف المشبّه وأبقى على المشبه به، فانزاح بالمعنى نحو صفة المضي والقوة التي يمكن اجتراحا من المشبه به في الحالتين وهما الرمح والسيف، ولعل الغاية البلاغيّة في هذه الاستعارة تؤكّد على عظمة الأجداد، وجلالهم لدرجة أنّهم أدوات قتالٍ فتاكة لا رجالاً شجعاناً؛ فالتعبير بهذه الطريقة أعمق وأشد أثراً، وأدعى إلى التحسر والحزن، والمشهد يبدو أكثر قسوةً بالمقارنة مع وضاعة الأحفاد وصغارهم.

2ـ التشبيه: " هو الدلالة على انّ شيئاً أو صورة تشترك مع شيء آخرأو صورة أخرى في معنى او صفة، وهو يتكوّن من مشبّه ومشبّه به وأداة تشبيه، ووجه شبه هو الصفة المشتركة بين الشيئين أو الصورتين ويجب أن يكون في المشبه به أقوى منه في المشبه(1)".

كما ظهر في المقالة السابقة، فقد استخدام السقّاف التشبيه ومنه قوله:

(نحن صخب): وهو تشبيه بيلغ حذف منه الأداة ووجه الشبه، ومن خلال هذا التشبيه فقد انزاح المعنى الحقيقي لتوضيح معنى مجازي مراد هو مدى الهباء والصغار الذي وصل إليه العرب، فهم ضجيج وصخب، أو ما يقال في لغة العصر "ظواهر صوتيّة" سريعة الزوال بلا أدنى فائدة، كما ان التجسيد الصوتي للقوم الذين عناهم وهم العرب أضاف قيمة جمالية أخرى لهذا التشبيه تظهر من خلال انزياح المعنى كما اتضح قبل قليل.

(نحن غثاء كغثاء السيل): تشبيه تام الأركان، فقد أكّد السقّاف على هباء العرب وشيئيّتهم وانعدام فائدتهم، فالانزياح المعنوي واضح هنا، إذ وجه الدلالة، نحو نصّ تراثي يمكن تناوله في دراسة التناص، كما يفهم من هذا الانزياح ضعف العرب في واقعهم وعدم جدواهم.

3ـ الكناية: وهي " لفظٌ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي، وكما عرّفها السكاكي؛ ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما هو ملزومه، لينتقل من المذكور إلى المتروك(2)". وقد استخدم السقّاف الكناية مرّتين في المقالة السابقة في قوله:

(الانتماء الكسيح): وهي من الكنايات الجميلة؛ إذ كنّى بها عن ضعف الرابط بين الأجداد العظماء والأحفاد المعاصرين الذين لا يملكون من أجادهم غير الأسماء، وهي كناية عن صفة، وقد حقق الانزياح في هذه العبارة بعداً في غاية الإثارة والإدهاش، لا سيّما أنّه قرن المعنوي بالمادي، فجعل الصفة السلبيّة (كسيح) وهي مادية، في المعنوي هنا وهو (الانتماء).

---

(1) وهبه، مجدي، وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص27، مرجع سابق.

(2) المرجع السابق، ص310.

(القلم المرتجف): وهي كناية عن موصوف، وقد كشف في هذه الكناية عن مدى العجز الذي وصل إليه، فهو يعلم ويرى بيد انه لا يقدر أن يفعل شيئاً حيال هذه المصيبة، وتظهر القيمة الجمالية لهذه الكناية من خلال التشخيص الذي منحه للقلم، ومن خلال انزياح المعنى من الكاتب المرتجف إلى القلم المرتجف.

وبعد؛ فإنّ المقالة السابقة ـ لا شكّ ـ تحتمل من هذه التصنيفات البلاغيّة؛ ضمن مفهوم الانزياح ما هو أكثر؛ وإنّ الغاية فقط هي الكشف عن بعضها لا كلّها، من أجل مقاطعتها مع ما عاينته الدراسة من انزياح في مجمل نتاج السقّاف. وستشير الدراسة إلى نماذج من هذه الانزياحات في مقالات أخرى، مع الإشارة إلى مصادرها من أجل الخروج بنتائج عنها:

نموذج الانزياح	نوعه	جنسه البلاغي	المقالة
صناعة الموت تفرضها الوطنيّة الصحيحة	تركيبي + دلالي	تقديم + استعاري	صناعة الموت تفرضها الوطنيّة الصحيحة
الجرأة المتوحّشة	دلالي	استعاري	خواطر في بعض مشكلات العروبة
الهراء الرخيص	دلالي	استعاري	خواطر في بعض مشكلات العروبة
أتون الحزن	دلالي	استعاري	أحقّاً أبا طارق
تتكالب على العروبة المعروكة أطماع القرود مسلّحةً بأحقاد الخنازير	دلالي تركيبي	استعاري + تأخير	المحنة الكبرى
قطعان الشر	دلالي	استعاري	المحنة الكبرى
أنّات لسعات الجوع	دلالي	استعاري	النازحون
تكبيل أبنائه بالحماقات والسخافات	دلالي	استعاري	عود على بدء
شبّ عمرو عن الطوق	دلالي	كنائي	خواطر في بعض مشكلات العروبة

البغي والرجس	دلالي	مجاز	المحنة الكبرى
فما يوم حليمة بسر	دلالي	كنائي	الوضع العربي الراهن
أعداء العرب ينبحون	دلالي	استعاري	النادي القومي في الكويت
فكان لهم القدح المعلّى	دلالي	كنائي	عن اليمن أيضاً
الطغيان	دلالي	كنائي	ديمقراطيّة الطغيان
شيلوك هو شيلوك	دلالي	كنائي	شيلوك هو شيلوك
لم يبحث عن مصفقين	دلالي	كنائي	الصديق الذي مضى
قرن جديد سيطل	دلالي	استعاري	القوميّة العربيّة والتحدّيات
العروبة جلد الإنسان	دلالي	تشبيه	حول المناظرات والتصريحات
ديمقراطيّة الطغيان	دلالي	تنافر إضافي	ديمقراطية الطغيان
الشعوب حطّمت الأصنام والأذناب	دلالي	كنائي	ديمقراطية الطغيان
حال هؤلاء الناس كحال اهل الكهف	دلالي	تشبيه	ديمقراطية الطغيان
إعلام متشنّج	دلالي	استعاري	ديمقراطية الطغيان
مغامرة حمقى	دلالي	مجازي	ديمقراطية الطغيان
اقتلعته من طرف الجزيرة	دلالي	استعاري	ديمقراطية الطغيان
عزّ الصديق وأظلم الطريق	دلالي	كنائي	ديمقراطية الطغيان
أدرك أن السفينة تغرق	دلالي	كنائي	ديمقراطية الطغيان
يثير أحد الكتّاب زوبعةً	دلالي	كنائي	الجنادريّة

جدول (3) نماذج عن الانزياح في مقالة السّقّاف

لا تسعى الدراسة للقول بحالٍ من الأحوال، إن نثر السقّاف يتميّز بالانزياح أو أنّه ليس كذلك، فالانزياح ـ لا شك ـ خاصّة لغويّة توجد في اللغة نثراً وشعراً، ويمثّل الجدول السابق عيّنة عشوائيّة لنماذج من الانزياح من مقالات السقّاف، وقد أفرزت هذه العيّنة مجموعة من الملاحظات يمكن مقاطعتها مع ملاحظات المقالة السابقة بخصوص الانزياح، وما عاينته الدراسة أيضاً في مقالات أخرى لم تُذكر، وقد توصلت الدراسة لما يأتي:

يرتكز الانزياح عند السقّاف على النوع الدلاليّ، فيما يقلّ النوع التركيبي، ولعل السبب في ذلك أنّ الانزياح التركيبيّ سمة ألصق بالشعر، على أنّ هذا النوع من الانزياح ليس غريبة على النثر وفنونه، فلا شكّ أن المقالة عندما تنحو نحو الذاتيّة وتتزيّا بلغةٍ شعريّةٍ تصبح أرضاً خصبة لهذا الانزياح، ولذلك ظهر الانزياح التركيبي في مقالة أيّها الأقصى الحبيب، قبل قليل، في حين سيقلّ هذا النوع من الانزياح في المقالة الموضوعيّة لأنّ لغتها عادة ما تكون أقرب إلى المعياريّة.

يظهر الانزياح الدلالي كثيراً عند السقّاف، ويتنوّع ضمن ما تتيحه البلاغة من خيارات.

يظهر الانزياح الدلالي أكثر ما يظهر على شكل انزياح استعاري ومجازي وبنسبة كبيرة، يليه في ذلك الانزياح الكنائي ثم التشبيه على أنواعه.

يمثل ظهور الانزياح الكنائي ملمحاً بارزاً في مقالة السقّاف، ويبدو أنه يلجأ إلى الكناية كثيراً، علماً أن الكناية ظاهرة بلاغية أقل ظهوراً من الاستعارة، عند الكتاب لكن بروزها بهذا الشكل، والكثرة عند السقّاف يجعل منها ظاهرة.

يقلّ استخدام الانزياح بواسطة التشبيه عند السقّاف، ولعلّه يعوّض ذلك بالاستخدام المفرط للاستعارة والكناية.

ج. التناص وأنواعه:

يشير عبد الباسط مراشدة في كتابه التناص في الشعر العربي الحديث، إلى أن كثرة الدراسات التي تناولت التناص تهدف أساساً إلى فهمه، وعلى ذلك فلم يخلُ كتاب أو مقال من ت عريف التناص، حتى أصبح الأمر يشكّل ظاهرةً تحدو الباحث لمناقشة تعريف التناص في النقد العربي، وأن الأمر يشكّل ظاهرة(1)،" وتجدر الإشارة إلى أن بعض النقاد قد درس التناص من خلال فهمٍ خاص له"(2). وحقيقة الأمر أن التناص قد حظي باهتمام منقطع النظير بين الباحثين، حتى حظي مفهومه بتفاوت كبير بينهم، وارتبط بدراسات وموضوعات قديمة كالسرقة والمعارضة والتضمين، وموضوعات حديثة كالتلقي والقراءة والشعريّة، وقد أشار مراشدة إلى مثل هذا في أكثر من موضع في كتابه. وأمام هذا الواقع فإنّ الدراسة ستتجاهل تعريف التناص مكتفية بتوضيح فهمٍ للمفهوم.

ولتحديد ماهية التناص يتوجّب تحديد مفهوم النصّ أولاً؛ ذلك أنّ مفهوم التناص وُلد في بيئة معرفية وفلسفيّة مغايرة لما هو معهود عن مفاهيمنا السابقة للنصّ. فالنصّ كما يعرّفه بارت "نسيجٌ من الاقتباسات والإحالات والأصداء من اللغات الثقافيّة السابقة أو المعاصرة التي تخترقه بكامله(3)"، ومعنى ذلك أنّ النصّ عبارة عن طبقاتٍ متراكمة من نصوصٍ سابقةٍ عليه، وهذا ما جاءت به جوليا كريستيفا ـ صاحبة مصطلح التناصّ ـ التي تقول: " إنّ النصّ مبنيٌّ على طبقاتٍ، وتتكوّن طبيعته التركيبيّة من النصوص المتزامنة له والسابقة عليه(4)". إنّ هذا الفهم الجديد للنصّ هو الذي خرج إلينا بنظرية التناصّ في النقد المعاصر، غير أنّ الأمر تشعّب كثيراً وجرى تشظٍّ غير منضبطٍ في هذه النظريّة،

---

(1) ينظر: مراشدة، عبد الباسط، التناص في الشعر العربي الحديث (السياب ودنقل ودرويش نموذجاً)، ط1، دار ورد ودار التكوين، دمشق، سوريا 2006، ص48.

(2) المصدر السابق، ص69.

(3) بارت، رولاند ـ من العمل إلى النص، ترجمة: محمد خير البقاعي، دراسات في النص والتناصيّة (مجموعة مقالات) مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط2/ 2004، ص16.

(4) خمري، حسين ـ إنتاج معرفة بالنص، دراسات عربية، بيروت، ع11-12، أيلول - تشرين الأول 1987، ص115.

وكان بين ذلك أن أصبح التناصّ قدر كلّ النصوص، إذ لا يقوى نصٌّ على الخروج منه فـ "كلّ نصّ هو تناصّ(1)". فالحقيقة التي كانت تغيب عن الأذهان وجاء النقاد ليكشفوا النقاب عنها، هي أنّ النصّ الجديد يقوم بفهم وتمثّل وتحويل النصوص التي سبقته، دون أن ينجو منها، ذلك أنّ عملية كتابة النص؛ هي كتابةٌ فوق الكتابة، وهذه الكتابة التي نكتب فوقها ليست إلا أشلاء نصوص نختزنها؛ وهي مقروآتنا وما تخزّنه الذاكرة سواء أوعينا بذلك أم لم نعِ.

إن التناص هو الطريقة والآلية التي تشتغل بالكشف عن هذه النصوص، وفي الوقت نفسه أداةٌ لتشكيل النصوص بمعنى كتابتها.

والتناص بصفته شكلاً من أشكال إنتاج النصوص يتّخذ عدّة أشكال، ويتعّلق ذلك بالإرادة الواعية أو غفلتها أثناء الكتابة، فتظهر لدينا أشكالٌ واضحة من التناصّ تتمّ بطريقة إراديّة؛ وأخرى تحدث بطريقةٍ لا إراديّة لا يتدخّل فيها المبدع، فلا يكون له دورٌ في استحضار النصوص، ويلعب اللاوعي دوراً كبيراً في استدعاء النصوص، ولكنْ بشكلٍ غير منظّم فيُبعدها عن مصادرها، لتظهر مُنسابةً في النصّ الجديد بشكلٍ جديد في حال تمّ اكتشافها. ومادام النصّ مدوّنةً من الاستدعاءات العفويّة وغير العفويّة فلاشكّ أنّ هذا التناصّ سيظهر بطريقةٍ أو أخرى، لكنْ غالباً ما سيكون التناصّ ـ في حالة غياب الوعي والإرادة ـ هنا بعيداً عن يد المتلقّي فيصعب عليه إمساكه أو ملاحظته، إذ يكون كلمةً أو جملةً مبعثرةً أو محوّرة في النصّ الجديد؛ وبشكلٍ يبتعد عن الأصل بطريقةٍ ما. وما دام التناصّ بأشكاله جميعها يخضع لمخزون الكاتب، فإنّ اكتشافه في النصّ يحتكم لمعرفتنا بمصادر المبدع من جهة؛ كما يحتكم لثقافة المتلقّي من جهةٍ أخرى؛ فهو يقبع في منتصف الطريق بين المتلقّي والمبدع، ولاكتشاف هذا النوع من التناصّ؛ لا بدّ أن يكون القارئ على علمٍ ودرايةٍ بنصوص المبدع كافّةً، وذلك يعتمد على معرفة القارئ المسبقة بجمل المبدع وعباراته وتراكيبه وأساليبه كذلك بالإضافة إلى معرفته بمصادره، واهتماماته الثقافيّة والمعرفيّة.

---

(1) بارت، رولاند ـ نظريّة النصّ، ترجمة: محمد خير البقاعي، دراسات في النص والتناصيّة (مجموعة مقالات) مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا ط2004/2، ص 35.

إنّ عمليّة استيعاب أو استضافة نصٍّ في آخر، تفرض وجود مظاهر مختلفة للاندماج والدخول في النصّ المضيف، أمّا إذا كان التناصّ إرادياً فإنّه يتجلّى في النصّ الجديد، وفق تشكّلاتٍ متباينة تتدرج من التنصيص الصريح إلى الإشارة الخفيّة.

وتحاشياً للإطالة، واعتماداً على معطيات المقالة في أدب السقّاف، ستعمد الدراسة إلى اختيار مقاطع من مقالاته، والتعليق عليها ودراستها لاستكشاف ما فيها من نصوص غائبة، وطرق تعامل السقّاف معها، ضمن أنواع التناص الممكنة.

1ـ التناص بالتضمين الجزئي:

إنّ إعادة الكتابة وتحقيق نصّ انطلاقاً من مخطّطاته يعني ترتيبها أو إشراكها، وإقامة الروابط أو النقلات التي تتطلّبها العناصر الحاضرة. وإنّ كلّ كتابةٍ هي لصقٌ وتركيبٌ واقتباسٌ وشرحٌ(1). وليس التناصّ مجرّد اقتراض ساذج يمكن من خلاله تثقيف النصّ وترصيعه، بل هو عمليّة اختراق مقصودة للبنية اللغوية، تظهر بشكل إشعاعاتٍ دلاليّة تجعل من النصّ وعاءً لما يمكن أن نتوقّعه وما لا نتوقّعه، فالنصّ يضمر أكثر ممّا يبدي ويقول أكثر ممّا يظهر، وإنّ ربط النصّ بجنسه وبالثقافة التي يصدر عنها وبالمرجعيّة التي يوحي بأنّه انحدر منها ليتطلّب منّا أن نقف كثيراً وطويلاً عند التناصّ؛ فهنا ينكشف التناصّ على أنّه البعد الأعمق في النصّ. كما أنّ الحضور الذهني المشترك الذي تفرزه إشارات النصّ بين المبدع والمتلقّي يسهم في جعل النصّ مفتوحاً بغير حدود.

في هذا النوع من التناص يقترض الكاتب نصّاً دون يهتمّ بحرفيّته فما يهمّه هو المعنى، ولذلك سيبدو النص المقترض أشلاءً، بحيث لا يفصح عن وجوده، لكن قرينة المعنى تكشفه خاصةً إذا أبقى الكاتب على شيءٍ من مفردات النص المقترض الغائب، وكمثال على ذلك نورد المقاطع التالية من مقالات السقّاف:

---

(1) **ينظر: ساميول، تيفين ـ التناصّ ذاكرة الأدب، ترجمة: نجيب غزاوي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2008، ص22.**

نماذج للتناص بالتضمين الجزئي عند السقاف

مقطع (1) يقول السقّاف: " واليوم تتكالب على العروبة المعروكة أطماع القرود مسلّحةً بأحفاد الخنازير، فظهرت قطعان الشرّ في أغنى جزءٍ وأهمّ موقع وأقدس مكان لتندفع منه إلى كافّة أجزاء الوطن المهيب، وقد استطاع الشرّ أن يمثّل معانيه ويظهر مدلوله في كلّ شبرٍ وقع أسيراً بين يديه.(1)"

تقف الدراسة في المقطع السابق عند عبارة (واليوم تتكالب على العروبة المعروكة أطماع القرود مسلّحةً بأحفاد الخنازير)، والواقع أننا لا نستطيع تجاوز هذه العبارة ما دام السقاف قد قرن لفظة القردة بالخنازير، فالأمر لاشك على علاقةٍ بالموروث الإسلاميّ، ولاشكّ أنّ عند السقّاف تناصّاً مع قوله تعالى: (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ(2)) وقوله تعالى (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ(3))، فالنص الغائب واضحٌ من خلال هذه القرينة اللفظية التي أشارت إليه مباشرةً، والسقّاف لا يجدّ بداً من وصف هؤلاء اليهود ونعتهم كما عُرفوا في التراث الإسلامي وفي الذاكرة الجمعيّة العربيّة، وما فعله اليهود أو ما كان يتناهى إلى أسماع العرب عن جرائمهم في فلسطين آنذاك، والمقالة وكاتبها شاهدان على الأحداث وهذا يؤسس لحقدٍ دفين تجاههم، جراء كلّ ما ارتكبته أيديهم من جرائم في فلسطين. وماحدث هو تضمين لنص آخر في هذا النص، لكنّه تمّ بشكلٍ محرف أو جزئي فإرادة المعنى هي التي شكّلت هذا النص الجديد على هذه الطريقة.

مقطع (2): " ولم يغرب عن بال أولئك المؤسسين أنّ لكلّ دعوةٍ نبيلةٍ أعداء لا سيّما الدعوة القوميّة المرتكزة على الخصائص العربيّة الصحيحة في محيطٍ متخومٍ بالدخلاء، مزحومٍ بالشعوبيين، مكتظٍّ بالجهلة والمغرضين! فكان ما يجب أن يكون؛ إذ انبرى أعداء العرب ينبحون تارةً، وينهقون تارةً أخرى والشبّان المؤمنون بوجودهم ووجود أمّتهم يعملون صامتين؛ كقافلةٍ تغذّ السير؛ لا تلوي على شيءٍ؛ مما تثيره الكلاب بالنباح الشديد، والعواء الطويل ...(4)".

---

(1) السقّاف، أحمد ـ المحنة الكبرى، مجلة كاظمة، ص87، مصدر سابق.

(2) سورة المائدة، الآية 60.

(3) سورة البقرة، الآية 65.

(4) السقاف، أحمد ـ النادي القومي في الكويت، مجلة الإيمان، ع13 مارس 1954 ص 281.

تقف الدراسة في المقطع السابق على عبارة السقّاف (إذ انبرى أعداء العرب ينبحون... والشبّان المؤمنون .... يعملون صامتين؛ كقافلةٍ تغذّ السير؛ لا تلوي على شيءٍ؛ مما تثيره الكلاب بالنباح الشديد...). ومن الواضح أنّ السقّاف تناص في العبارة السابقة مع القول الشعبي المأثور (الكلاب تنبح والقافلة تسير)، وعبارة السقّاف لم تفلح في إخفاء النص المقترض الغائب، إذ ترك في النص أيقونات دالّة هي (القافلة والكلاب والنباح وتسير)، وما حدث أنّ السقّاف طوّع النص، فهشّمه وبعثر أجزاءه في إرادةٍ لتعميق المعنى وتوسعته، وكما في المقطع السابق فإنّ هذا النوع من التناص هو من نوع التضمين الجزئي إذ أنّ النص الغائب واضح بالمعنى والقرائن غير أنّه محرّف وجزئي وغير منصّص.

مقطع (3): " تهديد ووعيد، وإرغاء وإزباد، وإنذارات وتصريحات، واجتماعات وتهويشات، ثمّ ماذا؟ جعجعةٌ بلا طحن، فما كادوا يقدمون حتى أحجموا وتخاذلوا، وتناحروا وتنافروا، وتنابزوا. وكال بعضهم التهم لبعض كيلاً.(1)"

تقف الدراسة في هذا المقطع؛ عند قول السقّاف (جعجعة بلا طحن)، والواضح أيضاً أن ثمّة إرادة للاستفادة من معنى المثل الشهير (أسمع جعجعةً ولا أرى طحنا(2))، فحدث هذا التناص، ولم يشأ السقّاف أن ينصّص المثل، أو أن يسوقه بحرفه، بل استعمل جزءاً منه في تركيبٍ جديد، ليبدو نصّه على هذا الشكل، ولعله أراد بهذا التناص الإشارة إلى وجود الجعجعة والصخب رغم عدم بحثه عنها أو عدم الالتفات لها، وفي هذا المثال أيضاً اختار السقّاف في التضمين الجزئي أو المحرّف.

---

(1) السقّاف، أحمد ـ فيم يتحدّثون، مجلة كاظمة، ص 273، مصدر سابق.

(2) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد ـ مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت، ج1، ص168.

2. التناص بالتضمين التام:

يورد عبد الباسط مراشدة عن أحد الباحثين "أنّ الاقتباس والتضمين وغيرهما هما جزء من التناص، إذ إن التناص مجالٌ رحب يستوعب المصطلحات القديمة التي تشير إلى أي تداخل لنص بآخر، وقد نعت هذا النمط باسم التناص المباشر. والتناص المباشر أن يُقتبس النصّ بلغته التي ورد فيها، مثل الآيات والأحاديث والأشعار والقصص"(1). والحق أن التضمين والاقتباس يقع ضمن الممارسات التناصيّة، وفيه يقوم المبدع باستدعاء نص سابق من متن مشهور، ثمّ يضمّنه في نصّه الجديد، وقد عرّف ابن أبي الإصبع المصري الاقتباس بـ "أن يضمّن المتكلّم كلامه كلمةً من بيتٍ أو آية أو معنًى مجرّدٍ من كلام، أو مثلاً سائراً، أو جملةً مفيدةً، أو فقرةً من كلمةً(2)"، وبذلك لم يفرّق بين التضمين والاقتباس. أمّا التضمين عند البلاغيين والنقّاد؛ فهو أخذ لفظٍ أو معنًى وتنسيقُه داخل النصّ لغاياتٍ متعدّدةٍ كالاستشهاد أو التشبيه أو التمثّل.

إن النصّ المضمّن أو المقتبس يصبح وفق استعماله استشهاداً، لاسيّما أن المبدع يأتي بهذا النص ليدلل أو يشرح أو يقارن، وقد عدّ النقّاد المعاصرون التضمين والاقتباس والاستشهاد ممارسات تناصيّة(3)، يهدف من خلالها المبدع للاستفادة من الطاقة الدلالية التي يفيض بها النصّ المقتبَس، لاسيّما وأنّ هذه النصوص المقتبسة تنتمي إلى متونٍ معروفة ومشهورة في ثقافتنا العربيّة الإسلاميّة، وقد وُجِد كثير من المبدعين كتاباً وشعراء يقتبسون من القرآن الكريم، والحديث الشريف، كما يقتبسون من مصادر أخرى كالأمثال والأقوال المأثورة ومن الشعر أيضاً. والسقّاف كغيره من الشعراء والكتّاب يقوم بهذا الشكل من التناص هادفاً من ذلك إلى إغناء نصّه وتعضيد مقولاته. وإذا كان التناصّ بمعنًى من المعاني استدعاءً لنصوصٍ يحدث بكيفيّات مختلفة، فلعلّ طريقة التداعي التي يقوم عليها بناء النص الأدبيّ هي المسؤول الأوّل عن وجود النصوص الأخرى في نصّ المبدع. أما عن تناصّات السقّاف التي من هذا النوع:

---

(1) مراشدة، عبد الباسط، التناص في الشعر العربي الحديث، ص61، مرجع سابق.

(2) المصري، ابن أبي الإصبع ـ تحرير التحبير، تح: حفني محمّد شريف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، القاهرة 1995(ص140).

(3) قدم أنطوان كومبانيون كتابه اليد الثانية أو اشتغال الاستشهاد، عام 1979، حيث عدّ الاستشهاد ممارسة تناصيّة.

نماذج للتناص بالتضمين التام:

مقطع (1): " ها هم يتبارون في معاملتها والاتجار معها سرّاً وعلانيةً، فالمهم المهم أن يكسبوا ويجمعوا ثروةً للأبناء المدلّلين، ولو سُحقت مئة فلسطين وفلسطين، وعُقرت كرامة سبعين مليوناً من أبناء العروبة الغرّ الميامين!! ومن وراء أشلاء فلسطين؛ الأردن ووضعه معروف، فما يوم حليمة بسرّ!! ثمّ العراق ــ وفيه الحبّانيّة والشعيبة ــ وسوريا ولبنان ... أمّا الجزيرة وما أدراك ما الجزيرة ...(1)".

في المقطع السابق يدين السقّاف بعض العرب من أصحاب الأموال والتجارة والنفوذ لتعاملهم مع الدولة العبريّة على الرغم من كل ما فعله اليهود بالعرب والفلسطينيين، ثمّ يتساءل عمن هم السبب في النكبة والهزائم فهم العرب أيضاً ثم يتناولهم دولةً دولةً، ليشرح الوضع السياسي لهم وليؤكّد مسؤوليتهم في ذلك. وما يهمّ في هذا المقطع أنّ السقّاف استعمل المثل العربيّ القديم (وما يوم حليمة بسر(2))، والمثل يساق في مقامات الشهرة، فكل الناس تعرف، وليس في الأمر ما يخفى، وهذا ما أراده من خلال هذا التناص الموفّق، الذي وفّر عليه عبارت الشرح عن سوء حال الأردن، بعد اغتيال الملك عبد الله عام 51 واحدٍ وخمسين وتسعمئة وألف، وما تبع ذلك إلى حين تنصيب الملك الراحل الحسين بن طلال. لقد استطاع السقّاف توظيف المثل والاستفادة من طاقته الدلالية بحنكة، ووفر على نفسه عناء التفصيل والإسهاب، وقد ضمّن السقاف المثل كاملاً دون نقصان، وهو وإن لم يشر إليه بعلامتي تنصيص، فإن النص المضمن يشير إلى نفسه بسبب تنافر السياقات، ولهذا فقد حدث هذا التناص بالتضمين التام.

---

(1) السقاف، أحمد ـ الوضع العربيّ الراهن، مجلة الإيمان، ص95، مصدر سابق.

(2) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد ـ مجمع الأمثال، ج2، ص445.مصدر سابق. حَلِيمَةَ: هي حليمة بنت الحارث بن أبي شمر، وكان أبوها وَجَّهَ جيشاً إلى المنذر بن ماء السماء، فأخرجت لهم طِيباً من مِرْكَن فطَيَّبتهم، وقَالَ المبرد: هو أَشْهَرُ أيام العرب، يُقَال: ارتفع في هذا اليوم من العَجَاج ما غَطَّى عَيْنَ الشمسِ حتى ظهرت الكواكبُ يضرب مثلاً في كل أمرٍ مشهور.

مقطع (2): " أمّا الحرف العربيّ فهو برشاقته وبساطته أفضل مائة مرّة ومرّة من الحرف اللاتينيّ، والدعوة إلى هجره وإحلال الحرف اللاتينيّ محلّه كانت محاولة من نفرٍ يُعدّ على أصابع اليد، أو هم أقل في زمن كانت فيه البلاد العربيّة تنوء بأغلال الاستعمار. أمّا اليوم فقد شبّ عمرو عن الطوق كما يقول المثل، وهيهات ثمّ هيهات أن تعود عقارب الساعة إلى الوراء، فلقد تخلّصت الامّة العربيّة من ذلك الهراء الرخيص، وكشفت هذه الامّة بأصالتها المعهودة المقاصد الحقيقيّة لأولئك الدعاة.(1)"

ما نلاحظه من المقطع السابق، أن السقّاف استعار المثل (شبّ عمرو عن الطوق(2)) وهذا القول مثل عربي مشهور، يضرب في تزيين الكبير بزينة الصغير، أو في أنّ الصغير قد يليق به ما لا يليق بالكبير، وما يريد قوله السقاف، أن تلك سنّة قد خلت، وأن ذلك الزمن قد تغيّر فالشعوب العربيّة لم تعد مثلما كانت في ذلك الوقت، وأصبحت تملك زمامها، وتعرف ما تريد وما لاتريد، ورغمّ أنّ السقّاف لم ينصّص المثل، فقد أشار إلى تضمينه؛ بقوله (كما يقول المثل) وعلى هذه الشاكلة فقد تحتّم عليه أن يورد اقتباسه؛ نصّاً وحرفاً، وهذا ما حدث، فكان هذا النوع من التناص تضميناً تاماً.

مقطع(3):" وعزاؤنا أنّ المدّ القوميّ في ازدياد، ولن ينحسر بإذن الله ما دامت العروبة غير عادية ولا باغية ((أمّا الزبد فيذهب جفاءً وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض))(3).

يقتبس السقّاف في النصّ السابق من القرآن الكريم جزءاً من الآية الكريمة: ((أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ(4)))،

(1) السقّاف، أحمد ـ خواطر في بعض مشكلات العروبة، مجلة العربي، ص48، مصدر سابق.

(2) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد ـ مجمع الأمثال، ج2، ص137.مصدر سابق. يضرب للابس ما دون قدره.

(3) السقّاف، أحمد ـ كلمة في الاستفتاء الغريب، مجلة البيان، ص4 وما بعدها، مصدر سابق.

(4) سورة الرعد، الآية 17.

وقد وفّق السقّاف أيضاً في هذا الاقتباس إذ أسبغ القدسيّة على فكرته من خلال هذا الاقتباس، كما أنّ وضوح الآية سيغنيه عن كثيرٍ من الشرح، وتعني فيما تعنيه أيضاً، ننتظر لنرى بدون أن نتخاصم أو نتشاحن، لأن الحقائق ظاهرة ولا تحتاج من يدافع عنها. ومع أنّ السقّاف اقتطع جزءاً من الآية الكريمة، إلا انّها تشكّل نصّاً تاماً يحمل دلالة واضحة غير منقوصة، كما أن السقّاف عمد إلى تنصيصها، وبذلك أصبح هذا النموذج من التناص تضميناً تاماً.

مقطع (4): "ولم يشأ أن يتوارى، وقد عزّ الصديق وأظلم الطريق، وابتعد عنه الرفيق والشقيق، وأصبح محصوراً من الجهات الأربع، وكلّما ولول في الظلام جاء هاتفٌ من الغيب يقول: أعطيت ملكاً فلم تحسن سياسته ... وأدرك الطغيان أن السفينة تغرق...(1)".

يتحدّث السقّاف في المقالة السابقة عن الرئيس العراقيّ الراحل صدّام حسين بعد غزو الكويت، وعمليّة عاصفة الصحراء حيث خرج (مدحورا) ولم يجد من يلوذ به بعد خيبته، وقد اقتبس السقّاف صدر بيتٍ شهير لابن زريق البغدادي يقول فيه:

أُعْطِيْتُ مُلْكَاً فَلَمْ أُحْسِنْ سِيَاسَتَهُ وَكُلُّ مَنْ لَا يَسُوْسُ المُلْكَ يُنْزَعَهُ

وما يظهر أنّ السقّاف كان قد أراد البيت كاملاً ليقتبسه، وهذا ما عبّر عنه بالنقاط بعد صدر البيت، لكنّه بقي واضحاً رغم هذا الإضمار، وفي ذلك معنى بلاغيّ كبير فـ (الطاغية) سيُنزع يوماً ويحذف كما حذف عجز هذا البيت، ونشير إلى تحويرين اثنين في صدر البيت المقتبس، فقد غيّر السقّاف الضمير في أعطيتُ وقد كان الشاعر يخاطب نفسه، في حين عمد القاف إلى تحويل الخطاب إلى صدّام عن طريق بناء الضمير على الفتح، كما اقتضى هذا التغيير الطفيف أن يغير حرف المضارعة وينقله من المتكلم إلى المخاطب، ومع ذلك فقد بقي هذا التحوير طفيفاً لا يكاد يلاحظ، ولا تظهر لدى السقّاف أي إرادة لتحوير البيت، ولذلك نضع هذا النموذج من التناص ضمن التضمين التام.

(1) السقّاف أحمد، ديمقراطيّة الطغيان، القبس ص40، مصدر سابق.

وخلاصة القول إن التناص في مقالة السقّاف يتجسّد كما يأتي(1):

يقتصر التناص عند السقّاف على شكلين رئيسين هما التناص بالتضمين الجزئي والتناص بالتضمين التام، فيما لا تظهر أنواع التناص الأخرى إلا نادراً ولا تشكّل مادةً للدراسة.

إنّ اقتصار التناص في مقالة السقّاف على النوعين السابقين يكشف عن الإرادة الواعية في الاستدعاء، غير أنّ التناص رغم ظهوره بشكلٍ واضح لا يشكّل ظاهرة في نثر السقّاف ولا سيّما فنّ المقالة، بمعنى أنّ هذا النثر لا يمتلك استراتيجيّة بناء النصوص على أشلاء نصوصٍ سابقة برغبة ملحّة، وبالتالي فإن التناص هنا رغم نجاحه في معظم الأمثلة السابقة واستخدامه الموفّق، فإنّه لا يشكّل هاجساً لدى السقّاف يتوسل من خلاله الإبداع، بل يبقى طريقةً تسهم في تشكيل النصّ، دون أن تكون استراتيجيّة.

يقترض السقّاف نصوصه من عدّة مصادر ومتون تعكس ثقافته الموسوعيّة. أمّا مصادر نصوصه فهو يقتبس ويتناصّ مع القرآن الكريم، والحديث الشريف ومع الشعر العربيّ القديم، كما يستخدم الأمثال العربيّة الفصيحة(2).

---

(1) إن مفهوم التناص يعاني من تشظّ واسع بسبب غزارة الدراسات في النظرية والتطبيق، وهنالك من يقترح نسب مصدر النص الغائب أو المقترض في التناص إلى مصطلح التناص، فينوّع بين تناص ديني وتناص قرآني وتناص تاريخي إلخ، ومن الأجدر أن ينظر إلى هذه القضية في سياق دراسة مصادر التناص عند المبدع. ومن جهة أخرى فإنّ التناص كظاهرة لغويّة وحتى أسلوبية لا يشكّل حقلاً أو مادة للدراسة في مقالة السقّاف، ذلك أنه لا يعتمد التناص استراتيجيّة في تشكيل النصوص، ولذلك فقد تمّ العزوف عن دراسة مصادر التناص عند السقّاف والاكتفاء بمعاينة الأنواع التي يتعامل معها.

(2) يشير صبري حافظ، وغيره من الباحثين، إلى أن دراسة التناص لا تعني دراسة للمؤثرات والمصادر، ينظر: مراشدة عبد الباسط، التاص في الشعر العربي الحديث، ص43.

الخاتمة

لقد حاولت الدراسة إلقاء الضوء على فنّ المقالة عند أحمد السقاف، بهدف تشكيل صورة أقرب إلى الحقيقة تدخلنا في حيز الخاصّ مبتعدة عن التوصيف العام، واستطاعت في النهاية الوقوف على مجموعة من النتائج:

سعت الدراسة في التمهيد إلى تعريف المقالة في اللغة والاصطلاح، والبحث عن جذور فن المقالة وظهورها، ثم النظر في محدداتها وعناصرها. وقد حددت الدراسة أنواع المقالة بثلاثة هي الذاتية والموضوعيّة والصحفيّة، وقد وجدت أنّ المقالة تتنوّع كثيراً ضمن هذه الأنواع الرئيسة وأن هنالك اختلافاً بيناً بين الدارسين في ذلك كما أنّها تعاني من تداخل الاصطلاحات في هذا المستوى. ثم انتقلت الدراسة لبحث المقالة العربية الحديثة ونشأة المقالة في الكويت وتطوّرها، وصولاً للحديث عن فن المقالة عند السقاف.

في الفصل الأول، تناولت الدراسة روافد المقالة عند السقاف وحددتها بدراسته الدينية، واهتمامه باللغة العربيّة، وسفره إلى العراق، حيث تعمّق اتجاهه القوميّ، كما أن أسفاره تركت أثرها في أدبه. وفي مبحث تطور المقالة عند السقاف، حددت الدراسة جملة من العوامل أثرت في أدب السقّاف وهي عوامل سياسيّة، وعوامل الثقافيّة، والعوامل الاجتماعيّة والصحافّة، والتيارات الأدبيّة. وتبعاً لذلك فقد تمّ تأطير فن المقالة عند السقاف في أربعة مراحل هي مرحلة البدايات، ثمّ مرحلة التأصيل، ثم مرحلة التطوّر ثم مرحلة النضج حيث ظهرت المقالة الصحفيّة. وقد خرجت الدراسة بنتائج عن خصائص مقالة السقاف ضمن كل مرحلة وقد جاءت هذه النتائج على مستويات، العنوانات، والمقدّمة، والموضوع، واللغة والأسلوب، والخاتمة، وشخصية الكاتب، ونوع المقالة، والطول.

الفصل الثاني جاء بعنوان أنواع المقالة وموضوعاتها عند السقاف، وقد تناولت الدراسة فيه أنواع المقالة عند السقاف، وتبيّن أن السقاف كتب المقالة الذاتية والموضوعيّة والصحفيّة، أما المقالات الذاتيّة التي كتبها السقاف فتندرج ضمن مقالة النقد الاجتماعي، ومقالة وصف الرحلات، والمقالة التأملية، في حين أنه كتب المقالة النقديّة والمقالة التاريخيّة في إطار المقالة الموضوعيّة، أما المقالة الصحفيّة فقد كتب فيها المقالة الصحفية السياسية والمقالة الصحفية الاجتماعية ومقالة التقرير ومقالة الموضوعات المتعدّدة، والمقالة النزالية، وقد تناولت الدراسة ضمن هذه الأنواع الموضوعات التي طرقها السقاف في مقالاته،

وقد وجدتها متنوعة، وكانت أهم موضوعات مقالته الصحفية السياسية الموضوعات السياسية المحلية والموضوعات القومية، وسياسات البلدان العربية، أما مقالته الصحفية الاجتماعية فقد كانت موضوعاتها معنية بقضايا اجتماعية كالزواج والتعليم وبعض القضايا المحلية.

أما الفصل الثالث فقد جاء بعنوان خصائص المقالة عند السقاف، وقد جاء على ثلاثة مباحث خصص الأوّل لدراسة الخصائص الشكلية، فتناول العنوان والمقدمة والعرض والخاتمة، والطول، ووجدت الدراسة أنّ السقاف يستخدم أنواعاً مختلفة من العنوانات تمّ تفريعها إلى شكلية ووظيفيّة، وكان من أنواع العنوانات التي يستخدمها وظيفياً، الوصفية والإخبارية والاستفهامية والتوجيهية والإرشادية والتوضيحية والاستنتاجية. كما انّه تناول أنواعاً مختلفة من المقدمات من بينها مقدمة التلخيص، ومقدمة الصورة، والمقدمة التفسيرية، والمقدمة الساخنة، والمقدمة الخبرية، أما الخاتمات، فكان من أنواعها خاتمة التلخيص وخاتمة التوصية والخاتمة الاقتباسية وخاتمة السؤال.

وفي المبحث الثاني سعت الدراسة لبحث الخصائص الفكرية للمقالة فحدّدتها بالالتزام والموسوعية والتحرر من النثر القديم والخروج على شكل المقالة. وقد تحددت الخصائص الفكرية بسمو الأفكار، وترابط الأفكار، وعمق الأفكار وشمولها، وبالصدق والوضوح.

أما مقولات السقاف وقضاياه التي يفرضها عليه التزامه الأدبي والفكري؛ فقد تحددت بالنزوع القومي، والتزام قضايا الإنسان العربي، ومناهضة الاستعمار والصهيونية، ومناهضة الشيوعية، ومناهضة الحزبية الدينية، والتوفيق بين العروبة والإسلام.

وقد جاء المبحث الثالث لدراسة الخصائص الأسلوبية للمقالة عند السقاف، وقد درست على ثلاثة محاور، كان الأول لدراسة اللغة والأسلوب، فكن ذلك على مستويين شمل الأول مستوى الشكل أما الثاني فقد شمل مستوى المضمون. وقد تمّ تناول مستوى الشكل من خلال الألفاظ والتراكيب والنحو والمحسنات البديعية، أمّا مستوى المضمون فتم تناوله من خلال المعاني والأفكار والعقائد ووجهات النظر، والصورة والخيال والعاطفة، وتم تطبيق ذلك على نماذج مختارة من مقالات السقاف.

أما المحور الثاني فقد خصص لدراسة الانزياح في مقالة السقاف، وقد تم تناوله على مستويين هما الانزياح التركيبي، والانزياح الدلالي، ومن ثم تم استعراض نماذج من الانزياح التركيبي تناولت ظواهر الحذف والتكرار، أما نماذج الانزياح الدلالي فقد تناولت ظواهر الاستعارة والكناية والتشبيه. وقد خصص المحور الثالث لدراسة التناص عند السقاف وقد وجدت الدراسة أن التناص يتجلى في شكلين رئيسين هما التناص بالتضمين الجزئي والتناص بالتضمين التام.

المصادر والمراجع

أولاً. المصادر

القرآن الكريم

مقالات أحمد السقاف

أبو نواس ـ مجلة البيان، ع343، فبراير 1999، ص4.

إجرام الفن، مجلة كاظمة، مجلة الكويت، ع هـ ديسمبر 1948.

أحقا أبا طارق، مجلة الإيمان، الكويت، ع10 ديسمبر 1953.

أشياء، مجلة الإيمان، مجلة الكويت، ع 12 فبراير 1954.

إلى شباب العروبة: جمال عبد الناصر موجود، مجلة البيان، الكويت، ع56 نوفمبر 1970.

الأنانية في الأفراد والشعوب، مجلة الإيمان، الكويت، ع3 مارس 1953.

انحراف الخلافة العثمانية ودور الرواد، مجلة البيان، الكويت، ع193 إبريل 1982.

إنعاش القرية الكويتية، مجلة كاظمة، الكويت، ع7 يناير1949

أهلاً بالعيدين، نخبة من مقالاته ومقابلاته، جريدة القبس، الكويت، فبراير 2000.

إيران تخرج من العزلة، نخبة من مقالاته ومقابلاته، جريدة القبس، الكويت فبراير 1997.

أيها الأقصى الحبيب، مجلة البيان، الكويت، ع194 مايو 1982.

بعد عشرين شهرا من هزيمة حزيران، مجلة العربي، الكويت، ع123 فبراير 1969.

بيريس والثمن المزعوم، جريدة القبس، الكويت ع8075 (1995/12/14).

بين القلم والطغيان، جريدة القبس، الكويت ع8040 (9،11،1995).

تتمة، مجلة الإيمان، الكويت، ع8 أكتوبر 1953.

التعليم القروي في الكويت، مجلة كاظمة، الكويت، ع25 أغسطس 1948.

التعليم رسالة لا مهنة، مجلة كاظمة، الكويت، ع6 ديسمبر 1948.

تقليد، مجلة الإيمان، الكويت، ع9 نوفمبر 1953.

التوجيه القومي في التعليم، مجلة كاظمة، الكويت، ع4 ديسمبر 1948.

ثلاثة أعياد، نخبة من مقالاته ومقابلاته. الكويت، جريدة القبس، فبراير 2003.

الجمعيات العربية والخلاص من الأتراك، مجلة البيان، الكويت، ع195 يونيو 1982.

الجنادرية، جريدة القبس، الكويت، ع7824، (1995/4/3).

الجنادرية، عود على بدء، جريدة القبس، الكويت ع7843 (1995/4/22).

جنود في الميدان، مجلة كاظمة، الكويت، ع 9 مارس 1949.

حاشية على الاستفتاء الغريب، مجلة البيان، الكويت، ع187 أكتوبر1981.

حان وقت الاختبار، جريدة القبس، الكويت، ع8603 الكويت (1997/6/15).

حديث عن الجزائر وليبيا، مجلة البيان، الكويت، ع146 مايو 1978.

حول الفضائيات والتصرفات، جريدة القبس، الكويت، ع 8603(1999/3/13).

حول المناظرات والتصريحات، جريدة القبس ع 9195 (1999/1/24).

الخلافة العثمانيّة ودور الرواد، مجلة لبيان، ص 5، مصدر سابق.

خواطر في العروبة والقومية، نخبة من مقالاته ومقابلاته، مجلة العربي، الكويت، ع499 ديسمبر 1999.

خواطر في بعض مشكلات العروبة، مجلة العربي، الكويت، ع148 مارس 1971.

خواطر من هنا وهناك، مجلة البيان، الكويت، ع 67 أكتوبر 1971.

خواطر من هنا وهناك2، مجلة البيان، الكويت، ع 68 نوفمبر 1971.

ديمقراطية الطغيان، جريدة القبس، الكويت، ع8022 (1995/10/22).

رفضنا بوعي قومي أن نكون جسرا للشيوعيين، مجلة البيان، الكويت، ع86 مايو 1973.

السلاح الفتاك، جريدة القبس، الكويت، ع7855 (1995/5/4).

شعر الديارات، عود على بدء، مجلة العربي، الكويت، ع92 يوليو 1966.

شعر الديارات، مجلة العربي، الكويت، ع90 مايو 1966.

شعراء في محراب الجمال، مجلة البيان ع300، يوليو 1995.

شيء من مبالغات السخفاء، نخبة من مقالاته ومقابلاته، جريدة القبس، يناير 2001.

شيلوك هو شيلوك، جريدة القبس، الكويت، ع7870 (1995/5/21).

الصديق الذي مضى، جريدة القبس، الكويت، ع8253، (1996/6/15).

صفحات من التراث، مالك بن الريب، مجلة البيان ع308، مارس 1996.

صناعة الموت تفرضها الوطنية الصحيحة، مجلة العربي، الكويت، ع105 أغسطس 1967.

عام رحل وعام أطل، نخبة من مقالاته ومقابلاته، جريدة القبس، الكويت، يناير 2000.

العرب والعروبة والقوميّة العربيّة، مجلة البيان، ع293 يناير 1994.

العرب وكارثة آب، نخبة من مقالاته ومقابلاته، مجلة الكويت، الكويت أغسطس 1997.

العروبة لا تتجزّأ، جريدة القبس، الكويت ع 7766 (1995/2/1).

عقيدة وهدف، مجلة الإيمان، الكويت، ع6 مايو 1953.

علامات استفهام حائرة محيرة، مجلة البيان، الكويت، ع185 أغسطس 1981.

علي بن الجهم، مجلة البيان، ع336-337، يوليو 1989.

عن اليمن أيضا، مجلة البيان، الكويت، ع43 يونيو 1969.

عودٌ على بدء، جريدة القبس، ع 9210 (1999/2/8).

عود على بدء، مجلة البيان، الكويت، ع41 أغسطس 1969.

غويلز يتكلّم، نخبة من مقالاته ومقابلاته، جريدة القبس، الكويت، مايو 2001.

في ذكرى الاستقلال، نخبة من مقالاته ومقابلاته مجلة الكويت، الكويت، فبراير 1997.

في ذكرى العدوان، نخبة من مقالاته ومقابلاته، مجلة الكويت، الكويت، أغسطس 1998.

في قضايا التخلّف والتقدم، نخبة من مقالاته ومقابلاته. مجلة القبس، الكويت، أكتوبر 1999.

في ما قاله العقيد، جريدة القبس، الكويت، ع8246 (1998/6/8).

في هموم ميمون القداح، مجلة البيان، الكويت، ع197 أغسطس 1982.

فيم يتحدّثون، مجلة كاظمة ع8 فبراير 1949.

القدس شرف الامة العربية، نخبة من مقالاته ومقابلاته، مجلّة الكويت، الكويت، مايو 1997.

القلق مع مؤتمر الأدباء ومهرجان الشعر أعنف من كل مؤتمر وكل مهرجان، مجلة العربي، الكويت، ع115 يونيو 1968.

القمة الخليجية، جريدة القبس، الكويت ع8603 (1997/6/15).

القومي لا يتنكر للدين، مجلة البيان، الكويت، ع145 إبريل 1978 ع184.

القومية العربية والتحديات، جريدة القبس، الكويت ع7736 (1995/1/2).

القومية والتضامن، جريدة القبس، الكويت، (1995/12/2).

كلماتنا الأولى، مجلة الإيمان، الكويت، ع1 يناير 1953.

كلمة الكويت، مجلة الأقلام، العراق، ع10 أكتوبر 1966.

كلمة في الاستفتاء الغريب، مجلة البيان، الكويت، ع 186 سبتمبر 1981.

كلمة يجب أن تكتب، مجلة البيان، الكويت، ع144 مارس 1978.

لم الاتحاد الكونفدرالي، جريدة القبس، الكويت ع 8045 (1995/11/14).

لمن، مجلة الإيمان، الكويت، ع 5 مايو 1953.

ما هذا التمني المرذول، جريدة القبس، الكويت ع 7848 (1995/4/27).

متى سنبدأ، جريدة القبس، الكويت ع8265 (1996/6/27).

المحنة الكبرى، مجلة كاظمة، الكويت، ع3 فبراير 1948.

مرحى لأولئك الصناديد، مجلة البيان، الكويت، ع183 يونيو 1981.

مرحى، مجلة الإيمان، الكويت، ع 4 إبريل 1953.

مصر وحقها في مجلس الامن، جريدة القبس، الكويت ع8603 (1997/6/15).

مصنع ذو شأن هو بداية لثورة صناعية في اليمن، مجلة البيان، الكويت، ع40 يوليو 1969.

مع أروى الصليحية والصليحيين، مجلة البيان، الكويت، ع44 نوفمبر 1969.

المغرب مزيان مزيان، الحلقة الأخيرة، مجلة البيان، الكويت، ع62 مايو 1971.

المغرب مزيان مزيان1، مجلة البيان، الكويت، ع52 يوليو 1970.

المغرب مزيان مزيان2، مجلة البيان، الكويت، ع53 أغسطس 1970.

المغرب مزيان مزيان3، مجلة البيان، الكويت، ع54 سبتمبر 1970.

المغرب مزيان مزيان4، مجلة البيان، الكويت، ع55 أكتوبر 1970.

المغرب مزيان مزيان5، مجلة البيان، الكويت، ع58 يناير 1971.

المغرب مزيان مزيان6، مجلة البيان، الكويت، ع59 فبراير 1971.

المغرب مزيان مزيان7، مجلة البيان، الكويت، ع61 إبريل 1971.

مملكة كهنة وأمة مقدّسة، مجلة البيان، ع356، مارس 2000.

من بعيد، نخبة من مقالاته ومقابلاته، جريدة القبس، الكويت، أبريل 2000.

من بعيد، نخبة من مقالاته ومقابلاته، جريدة القبس، الكويت، يوليو 2000.

من بعيد، نخبة من مقالاته ومقابلاته، جريدة القبس، الكويت، يونيو 2000.

من مواقف الرجال، مجلة البيان، ع205، أبريل 1982.

مؤتمر الأدباء الثامن ومهرجان الشعر العاشر، مجلة العربي، الكويت، ع160 يونيو 1972.

الموقف الشجاع المطلوب، مجلة البيان، الكويت، ع184 يوليو 1981.

موقفان جديران بالتحيّة، جريدة القبس، الكويت ع7731 (1994/12/26).

ميثاق الشرف العربي، جريدة القبس، الكويت، ع 8065 (1995/12/14).

النادي القومي في الكويت، مجلة الإيمان، الكويت ع13 مارس 1954.

النازحون، مجلة الإيمان، الكويت، ع2 فبراير 1953.

نحو مؤتمر حر، مجلة الإيمان، الكويت، ع14 إبريل 1954.

النميري، مجلة البيان، ع314، سبتمبر 1996.

هاتوا برهانكم، نخبة من مقالاته ومقابلاته، جريدة القبس، الكويت، ديسمبر 2000.

وادي ريفر وأشياء أخر، نخبة من مقالاته ومقابلاته، جريدة القبس، الكويت، أكتوبر 1999.

الوضع العربي الراهن، مجلة الإيمان، الكويت، ع11 يناير 1954.

يا معشر العرب إما نكون أو لا نكون، مجلة العربي، الكويت، ع163 يونيو 1972.

اليمن الجنوبي يجد في البحث عن البترول، مجلة البيان، الكويت، ع39 يونيو 1969.

ثانيا. المراجع

المراجع العربية

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.

أبو إصبع، صالح ومحمد عبيد الله، فن المقالة (أصول نظريات نماذج)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 2001.

أبو حاقة، أحمد، الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، 1979.

أبو حمدة، محمد علي ـ فن الكتابة والتعبير، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، 1981.

أبو ذكرى، السيّد مرسي، المقال وتطوّره في الأدب المعاصر، دار المعارف، مصر، 1982.

أبو زيد، فاروق ـ فن الكتابة الصحفية، ط4، عالم الكتب، القاهرة، 1990.

أدهم، إبراهيم ـ فنون التحرير الصحفي بين النظرية والتطبيق، المقال الصحفي، مكتبة الأنجلو مصرية، د.ت.

الأشتر، عبد الكريم، تعريف بالنثر العربي الحديث، منشورات جامعة دمشق، 1983.

الألباني، محمّد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ط1، مكتبة دار المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 2009.

إمام، إبراهيم ـ دراسات في الفن الصحفي، ط1، القاهرة، 1972.

بو خاتم، مولاي علي ـ مصطلحات النقد العربي السيماوي، الإشكالية والأصول والإمتداد، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 2004.

بو دوخة، مسعود، الأسلوبيّة وخصائص اللغة الشعريّة، عالم الكتب الحديث، إربد، 2011.

حداد، نبيل، في الكتابة الصحفية، ط1، دار الكندي، الأردن، 2002.

حسّان، تمّام ـ الأصول ـ دراسة إبستمولوجيّة للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، 2000.

حمزة، عبد اللطيف، أدب المقالة الصحفية في مصر، دار الفكر العربيّ، مصر، د.ت.

حمزة، عبد اللطيف، المدخل إلى فن التحرير الصحفي، ط5، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002.

خضور، أديب، مدخل إلى الصحافة (نظرية وممارسة)، ط3، دار الحارث، دمشق، 2008.

خليفة، إجلال، اتجاهات حديثة في فن التحرير الصحفي، ط2، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1981.

الدسوقي، عمر ـ نشأة النثر الحديث وتطوّره، دار الفكر العربي، القاهرة، 1976.

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، د.ت.

زهدي، عبد الرؤوف وسامي يوسف أبوزيد، فن المقالة، ط3، مكتبة الفلاح، الأردن، 2003.

السقاف، أحمد، حكايات من الوطن العربيّ الكبير، الكويت، 1980.

الشايب، أحمد، الأسلوب، ط1، المطبعة الفاروقية، الإسكندرية، 1939.

شرف، عبد العزيز ـ فن المقال الصحفي، دار قباء للنشر والتوزيع القاهرة، 1980.

شرف، عبد العزيز ـ فن المقال في أدب طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974.

شرف، عبد العزيز، الأساليب الفنية في التحرير الصحفي، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.

شريف، محمود ـ فن المقالة (الأدبية، والموضوعيّة، والصحفيّة)، مكتبة دار العروبة، الكويت، د.ت.

الشطّي، سليمان، الشعر في الكويت، ط1، مكتبة دار العروبة، الكويت، 2007.

صالح، ليلى محمّد، أدباء وأديبات الكويت، ط1، رابطة الأدباء في الكويت، الكويت، 1996.

عبد الخالق، ربيعي ـ فن المقالة الذاتية في الأدب العربي، دار المعرفة الجامعيّة الإسكندرية، مصر، د.ت.

عبد الله، محمد حسن، الحركة الأدبية والفكرية في الكويت، رابطة الأدباء في الكويت، الكويت، 1973.

عبد الله، محمد حسن، الشعر والشعراء في الكويت، ط1، دار ذات السلاسل للنشر، الكويت، 1987.

عصلة، أحمد بكري، أحمد السقّاف القابض على جمر الإبداع، ط1، رابطة الأدباء في الكويت، 2008.

العيد، يمنى، في القول الشعري (الشعرية والمرجعية-الحداثة والقناع)، ط2، الفارابي، بيروت، 2008.

القاضي، محمد وآخرون ـ معجم السرديات، ط1، دار محمد علي للنشر والتوزيع، تونس، ودار الفارابي، لبنان، 2010.

محفوظ، حافظ ـ أقلام خليجيّة، ط1، الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، 1981.

محمّد، حسن علي ـ التحرير الأدبي دراسة نظريّة ونماذج تطبيقيّة، ط2، مكتبة العبيكان، الرياض، 2000.

محمود، حسني وإبراهيم أبو هنطش، وصالح أبو أصبع، فنون النثر العربي الحديث، ط1، منشورات جامعة القدس المفتوحة، د.ت.

مراشدة، عبد الباسط، التناص في الشعر العربي الحديث (السياب ودنقل ودرويش نموذجاً)، ط1، دار ورد ودار التكوين، دمشق، سوريا، 2006.

المسدي، عبد السلام ـ الأسلوب والاسلوبية، ط3، الدار العربية للكتاب، د.ت.

المصري، ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير، تحقيق: حفني محمّد شريف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، القاهرة 1995.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد ـ مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت.

نجم، محمد يوسف، فن المقالة، دار الثقافة، بيروت، 1963.

هزايمة، محمد عوض، القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، ط1، دار الحامد الأردن، 2011.

الوقيان، خليفة، أحمد السقاف، حياته ومختارات من شعره، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2011.

وهبة، مجدي وكامل المهندس ـ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.

ويس، أحمد محمّد، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبيّة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2005.

اليافي، نعيم، أطياف الوجه الواحد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ت.

المراجع الأجنبية

University Terms, Oxford Oxford Dictionary of Literary The Concise - Chris Baldick, 2001. - Press

المراجع المترجمة

بارت، رولاند ـ من العمل إلى النص، ترجمة: محمد خير البقاعي، ط2، دراسات في النص والتناصيّة (مجموعة مقالات) مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، 2004.

بارت، رولاند ـ نظريّة النصّ، ترجمة: محمد خير البقاعي، ط2، دراسات في النص والتناصيّة (مجموعة مقالات) مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، 2004.

بلعابد، عبد الحق ـ عتبات (جيرار جينيت من النصّ إلى المناص)، ط1، الدار العربيّة للعلوم ناشرون ـ بيروت، ومنشورات الاختلاف ـ الجزائر، 2008.

سارتر، جان بول، الأدب الملتزم، ترجمة: جورج طرابيشي، ط2، منشورات دار الآداب، بيروت، 1967.

ساميول، تيفين، التناصّ ذاكرة الأدب، ترجمة: نجيب غزاوي اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2008.

كوهين، جان، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي، ومحمد العمري، ط1، دار توبقال، المغرب، 1986.

ثالثاً. المجلات والدوريات

إدريس، نجمة ـ الشاعر الفارس أحمد السقاف يترجل وينام بسلام، مجلة البيان، الكويت ع484 نوفمبر 2010.

خمري، حسين، إنتاج معرفة بالنص، مجلة دراسات عربية، بيروت، ع11-12، أيلول – تشرين الأول 1987.

السبعان، ليلى خلف، أوجه التنمية الثقافية في الكويت، جريدة الاتّحاد، الملحق الثقافي، الإمارات، 20 يناير 2011.

خلف، عبد الله، الأستاذ السقاف رائدا، مجلة البيان، الكويت ع484 نوفمبر 2010.

السداح، محمد ـ أحمد محمد السقاف مجموعة من المواهب، مجلة البيان ع484 نوفمبر 2010 الكويت.

الشايجي، خالد، أحمد السقاف شاعرا ومعلما وأديبا ومناضلا، مجلة البيان، الكويت ع484 نوفمبر 2010.

الشطّي، سليمان، عن رائد الدرب الجميل أحمد السقاف، مجلة البيان، الكويت ع484 نوفمبر 2010.

المسباح، صالح خالد، إصدارات الراحل أحمد زين السقاف، مجلة البيان، الكويت، ع484 نوفبمر 2010.

الوقيان، خليفة ـ أستاذي وأبي أحمد السقاف، مجلة البيان، الكويت، ع484 نوفمبر 2010.

رابعاً. الرسائل الجامعية

الرشيدي، بدر نايف، صورة المكان الفنية في شعر أحمد السقاف، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، عمان، الأردن، 2012.

خامساً. المصادر الإلكترونية

http://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/essai.

http://www.alittihad.ae/details.php?id=6877&y=2011&article=full

الملاحق

ملحق رقم (1)

المصطلحات النقدية المستخدمة في الدراسة

الاستعارة: الاستعارة في البلاغة العربية هي تشبيه حذف منه المشب أو المشبه به، ولا بدّ أن تكون العلاقة بينهما المشابهة دائماً، كما لا بدّ من وجود قرينة لفظيّة او حالية مانعة من إرادة المعنى الأصلي للمشبه به أو المشبه، والغرض منها إيضاح الفكرة وإبراز الصورة البلاغية بمظهر جميل يؤثر في العاطفة ويلهب الخيال.

الأسلوب العلميّ: هو الأسلوب الذي يستخدم عادة في المقالة الموضوعية، ومن خصائص هذا الأسلوب؛ الوضوح والدقة والقصد، وتسمية الأشياء بمسمياتها.

الأسلوب: هو بوجه عام طريقة الإنسان في التعبير عن نفسه كتابة، وهذا المعنى المشتق من الأصل اللاتيني للكلمة الأجنبية الذي يعني القلم. وهو تعبير عن الاختيار الذي يقوم به مؤلف النص من مجموعة محدّدة من الألفاظ والعبارات والتركيبات الموجودة في اللغة من قبل والمعدّة للاستعمال.

الالتزام: هو ربط العمل الأدبي أو الفني بالحياة الاجتماعيّة، وتشديده على المضمون الاجتماعي والفكري والخلقي، واعتباره أنّ الخالي من المضمون الفكري لا يعتدّ به من وجهة النظر الاجتماعيّة، ولو اشتمل على قيمة فنّية كبرى، فالفنان مطالب بأن يجعل الفضيلة محبّبة، والرذيلة منكرة، ولأن يختار موضوعاته، ويبدع لوحاتٍ جديرة بأن تحرّك المشاعر وتهذّب النفوس.

الانزياح التركيبي: هو نوع رئيس من الانزياح، و" هو انزياحٌ عن الأصول (المتواضع عليها) بواسطة الحذف والإضمار أو الفصل أو تشويش الرتبة بالتقديم والتأخير أو التنويع في الإعراب، ويقوم على خرق الجانب التركيبي في اللغة، فيحدث تغييرات على مستوى الكلمات والجمل، ويحدث من خلال ربط بين الدوال بعضها ببعض في العبارة الواحدة أو التركيب أو الفقرة، ويتم من خلال قواعد تتصل بالسلسلة السياقيّة الخطّيّة، للإشارات اللغويّة عندما تخرج على قواعد النظم والتركيب، مثل الاختلاف في تركيب الكلمات.

الانزياح الدلاليّ

الانزياح الدلاليّ: هو الخروج عن قواعد الاختيار للرموز اللغويّة، مثل وضع المفرد مكان الجمع، أو الصفة مكان الموصوف، او اللفظ بدل المألوف، ويرتكز هذا النوع من الانزياح على الاستعارة والمجاز والكناية والتشبيه.

الانزياح الكنائي: هو انزياح دلالي يحدث بآلية بلاغية هي الكناية.

الانزياح: هو انحراف الكلام عن نسقه المألوف، وحدث لغوي يظهر في تشكيا الكلام وصياغته، ويمكن بواسطته التعرف إلى طبيعة الأسلوب الأدبي، ويمكن كذلك اعتبار الانزياح هو الأسلوب الأدبي ذاته.

ترابط الأفكار: ويقصد بالترابط الانتقال من فكرة إلى أخرى تشرحها وتدعمها، وتزيدها وضوحا، مع حسن الوصل بين الأفكار وربط بعضها ببعض، فتتابع منسقة حسنة التنسيق لا يزعجها انتقال مفاجئ أو استطراد يعكر على القارئ صفاء الاستمرار، فتشكل نسيجاً متجانساً وكلاً متكاملاً يوضح الفكرة العامة للمقالة.

التشبيه: هو الدلالة على انّ شيئاً أو صورة تشترك مع شيء آخر أو صورة أخرى في معنى او صفة، وهو يتكوّن من مشبّه ومشبّه به وأداة تشبيه، ووجه شبه هو الصفة المشتركة بين الشيئين أو الصورتين ويجب أن يكون في المشبه به أقوى منه في المشبه.

التناص بالتضمين التام: في هذا النوع من التناص يقترض الكاتب نصّاً ويضمنه في نصه مه اهتمامه بحرفيّة النقل، بطريقة تشبه الاستشهاد.

التناص بالتضمين الجزئي: في هذا النوع من التناص يقترض الكاتب نصّاً دون يهتمّ بحرفيّته فما يهمّه هو المعنى، ولذلك سيبدو النص المقترض أشلاءً، بحيث لا يفصح عن وجوده، لكن قرينة المعنى تكشفه خاصةً إذا أبقى الكاتب على شيءٍ من مفردات النص المقترض الغائب.

جمال الأسلوب: وذلك عن طريق استخدام الألفاظ والصور الخيالية المناسبة والمحسنات البديعية البعيدة عن التكلف.

الحزبيّة الدينيّة: اصطلاح خاص بالسقاف كان يطلقه على جماعات الإسلام السياسي.

الخاتمة الاقتباسية: وتكون هذه الخاتمة باختيار مثلٍ أو شاهدٍ شعري أو أيّ قولٍ مأثور من المتون المعروفة ليكون بمثابة خاتمة، وربّما يرد في نهاية الخاتمة أو ضمنها فيكون جزءاً منها.

خاتمة السؤال: وهو نوعٌ من الخاتمة، وقد عمل عليه السقّاف في بضع مقالات حيث ينهي الخاتمة بسؤال فتبدو نهايةً مفتوحةً.

الخاتمة: هي ملخّص المقالة وموجزها، ونتيجتها ونهايتها، وهي بضعة جمل مركزة وموجزة وواضحة، تكون في الفقرة الأخيرة (الختامية)، تحتوي على الخلاصة أو النتيجة التي يريد أن يبلّغها الكاتب للقارئ، يقدّم فيها الكاتب ملخّصاً لرأيه واستنتاجاته من خلال ما تقدّم من عرض، وتشكّل خلاصة ما يريد أن يقوله، كأن يطلب للآخرين اتخاذ موقف أو استنتاج عبرة.

الخطّة: تتكون خطة المقالة من المقدمة والعرض والخاتمة.

شخصيّة الكاتب: بقصد به تعدد شخصية الكاتب في المقالة حيث يظهر بشخصيات مختلفة فقد يكون باحثاً أو خطيباً أو ناقداً.

الصدق والوضوح: يقصد بالصدق أن يقدّم الكاتب أو الأديب معاني نرتضيها ونقبلها في إطار العمل الأدبي، بشرط أن تكون تلك الأفكار صادقة في الإحساس والشعور، ونميز هنا بينه نوعين من الصدق هما الصدق العلمي والصدق الأدبي.

العرض:(أو الموضوع أو المتن أو الجسم)، يشكِّل القسم الرئيس في المقال، وفيه: يناقش الكاتب الأفكار التي يحملها موضوعه، ويحاول من خلاله إقناع القارئ بصحّة آرائه عن طريق الأدلّة والبراهين التي يسوقها لعرض أفكاره. والعرض "هو النقطة الرئيسة أو الطريقة التي يؤديها الكاتب، سواء انتهت إلى نتيجةٍ واحدة أم عدّة نتائج هي في الواقع متصلة معًا، وخاضعة لفكرة رئيسة واحدة، ويكون العرض منطقيًّا مقدمًا الأهم على المهم، مؤيدًا بالبراهين، قصير القصص أو الوصف أو الاقتباس، متجهًا إلى الخاتمة؛ لأنها مفاده الذي يقصده.

عمق الأفكار وشمولها: ويقصد به تلك الأفكار التي لا تدرك للوهلة الأولى، والتي يتولد عنها أفكار ومعاني أخرى عند إمعان النظر فيها. والحق أن قيمة الأثر الأدبي تكبر بما فيه من عمق وغزارة في المعاني، ولا يتحقّق العمق إلا بالشمول والانفتاح على الآفاق المعرفيّة.

عناصر المقالة: هي المادة والأسلوب والخطة.

العنوان: مجموعة العلامات اللسانيّة، من كلمات وجمل وحتّى نصوص، قد تظهر على رأس النصّ لتدلّ عليه وتعيّنه، تشير لمحتواه الكلّي، ولتجذب جمهوره المستهدف.

العنوانات الإخباريّة: وهي التي تدل على مضمون الخبر أو موضوع المقالة، فتعلن عن حدث، أو معلومة جديدة.

العنوانات الاستفهامية: وهي تصاغ على شكل سؤال ويستفهم بها عن مشكلة الموضوع بشكل يثير الاهتمام ويجذب القارئ.

العنوانات الاستنتاجيّة: وهي التي تؤخذ من الفهم العام، دون أن تكون حرفيّة من المادة.

العنوانات التوجيهية أو الإرشاديّة: وهي التي تقترب من الصياغة الإنشائية في التوجيه والإرشاد.

العنوانات التوضيحية: وهي التي تشرح وتوضح موقف أو حدث أو معلوم.

العنوانات المقتبسة: حيث يقتبس الكاتب كلاما حرفيا لقائل أو من مثل ليكون عنواناً.

العنوانات الوصفية: وهي التي يصف فيها الكاتب موضوعه أو خبره؛ بجملة مختصرة معتمداً على الوصف في ذلك.

الغنائيّة: يقصد بها الذاتية.

قوّة الأسلوب: وذلك عن طريق البعد عن ضعف العبارة وتنافر الحروف والحشو والتطويل في الجمل.

الكناية: وهي لفظٌ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي، ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما هو ملزومه، لينتقل من المذكور إلى المتروك.

اللغة : مجموعة الألفاظ والصيغ اللغوية وخصائص الأساليب الكلامية التي يتميّز بها مؤلّف ما أو طائفة اجتماعية.

المادّة: هي أحد عناصر المقالة وهي موضوعها.

المتن: يقصد به جسم المقالة بخلاف المقدمة والخاتمة.

المحاولات: هو المصطلح الأول للمقالة كما اختاره مونتاني مبتكر المقالة.

محددات المقالة: يقصد بذلك مواصفاتها التي تقود إلى تعريفها وهي النثرية والطول والإنشائية واللغة والأسلوب.

المقالة الأدبيّة: هي مصطلح مرادف للمقالة الذاتية.

المقالة التاريخية: هي التي "تعتمد على جمع الروايات والأخبار والحقائق، وتمحيصها وتنسيقها وعرضها، ويتّجه فيها الكاتب اتجاهاً موضوعيّاً صرفا تتوارى فيه شخصيّته.

المقالة التأمّليّة: تعرض لمشكلات الحياة والكون والنفس الإنسانيّة، وتحاول أن تدرسها درساً لا يتقيّد بمنهج الفلسفة ونظامها المنطقيّ، بل تكتفي بوجهة نظر الكاتب وتفسيره الخاصّ للظواهر التي تحيط به.

مقالة التقرير: هو مقال يُوضِّح موقِفاً أو تصّوراً اجتماعِيّاً، أو اقتصادِيّاً، أو ثقافِيّاً، ويتّم فيه توضِيح الموقِف، وإبراز إيجابياتُه وسلبياتُه، ويُمكِن عرض وجْهات النّظَر والأفكار من خلاله، ويُفيد في التّوثِيق، وتسجيل الأحدَاث والوقائع والمعلومات، والتي يُمكِن الرُجوع إليها والاستِفادة منها، والتّقارِير من أكثر الوسائل التي تُساعِد على فهِم واستِيعاب المعلومات والحقائِق.

المقالة الجداليّة: مصطلح مرادف للمقالة النزالية.

المقالة الذاتيّة: تلك العصارة الحيّة التي يثمرها التجاوب الذاتي للأديب، والكاتب تجاه تجربة يعانيها، ويعايشها نبضاً، وفكراً ثمّ يفرزها في تدفّقٍ وحيويّة نسيجاً حيّاً يميّز أسلوب شخصه، وينطق بلسان حاله، ويجسّد كيان ذاته.

المقالة الصحفيّة الاجتماعيّة: يتناول الكاتب في المقالة الصحفية الاجتماعية، مختلف القضايا الاجتماعيّة بلغةٍ بسيطة عمليّة وأسلوبٍ سهل، ويناقش فيها القضايا المطروحة بروحٍ موضوعيّة، دون أن يتخلّى عن الذاتيّة، إذ يطمح في النهاية للتأثير في القراء.

المقالة الصحفيّة السياسيّة: وفيها يتناول الكاتب "مشكلة حزبيّة أو فكرة سياسية وطنيّة أو دوليّة ويبصّر الجمهور بما يدور حوله ويستثيره للزود عن مقدّساته بأسلوبٍ سهل بعيد عن الزخرفة، ويعتمد فيه على إثارة العواطف.

المقالة الصحفية: هي الأداة الصحفيّة التي تعبّر بشكلٍ مباشر عن سياسة الصحيفة، وعن آراء بعض كتّابها في الأحداث اليوميّة الجارية، وفي القضايا التي تشغل الرأي العام المحلّي او الدولي، ويقوم المقال الصحفي بهذه الوظيفة من خلال شرح وتفسير الأحداث الجارية، والتعليق عليها بما يكشف أبعادها، ودلالاتها المختلفة.

مقالة العلوم الاجتماعيّة: وهي تعرض لشؤون السياسة والاقتصاد والاجتماع وأحوال المجتمع، عرضاً موضوعيّاً يعتمد على الإحصاء والمقارنة والتحليل والتعليل والتنبّؤ.

المقالة الموضوعيّة: يحكمها منطق البحث ومنهجه الذي يقوم على بناء الحقائق على مقدماتها، ويخلص إلى نتائجها.

المقالة النزاليّة: فنٌّ خاصٌّ يُكتَبُ لأهدافٍ معيّنة، في مقدمتها التأثير على القرّاء من جهة، ومناوأة الاتّجاهات المضادّة من جهة أخرى، وقد ينطلق الكاتب في هذا النوع من المقالة من آراء مسبَّقة، تؤيّد كاتب المقال وتحمل القارئ على اعتناقها، مُستخدمًا الأسلوب النزاليّ الذي يحتمل شجب الآراء المخالفة وتسفيهها.

مقالة النقد الاجتماعيّ: تهتمّ بنقد العادات النافرة والتقاليد البالية التي ترسبت في المجتمع، كما تتابع الأزياء الطارئة والبدع المستحدثة ولا تعفيها من سخريتها وعبثها، وعدّة الكاتب في هذه المقالات ملاحظاتٌ دقيقةٌ، وقدرةٌ على إحكام الوصف وإجادة التحليل واتزانٍ في الحكم وعمقٍ في التأويل وبراعةٍ في التهكم والسخرية.

المقالة النقديّة: تعالج المقالة النقدية موضوعاتها في حقول الأدب والفنّ، وهي ثمرة من ثمرات ظهور المجلات الأدبيّة في العالم، وتعتمد على قدرة الكاتب على تذوّق الأثر الأدبيّ، ثمّ تعليل الأحكام وتفسيرها وتقويم الأثر بشكلٍ عام.

المقالة متعدّدة الموضوعات: هي المقالة التي تناقش موضوعات متعدّدة وهادة ما تكون مطوّلة.

مقالة وصف الرحلات: تعدّ مقالة وصف الرحلات، من الإبداع الأدبيّ الحديث، الذي احتل حيّزاً واسعاً في عالم الصحافة بعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهو لون مقالي تناول من خلاله الأدباء موضوعات كثيرة؛ مثل وصف معالم الرحلات، والأماكن المرتحل إليها، ووصف الأماكن، والطبيعة، والعادات، والتقاليد، وغيرها من الموضوعات، و"تأتي قيمة هذه المقالة من أنها تصوّر لنا تأثّر الكاتب بعالم جديد لم يألفه، والانطباعات التي تركها في نفسه، ناسه وحيوانه ومشاهده الطبيعيّة وآثاره.

المقالة: تأليفٌ كتابيّ متوسّط الطول، يعرض فيه صاحبه موضوعاً محدّداً، وقد نظر إليه من زاويةٍ معيّنة، ووجهة نظرٍ يأخذ بها صاحب المقال.

مقدمة الاقتباس: وتكون الجملة في المقدمة من أقوال الأشخاص المذكورين في المادة، وقد يراد من هذا الاقتباس قولاً مأثوراً معبّراً عن المقالة، فيأتي على شكل مثل او حكمة، أو اقتباس معاني مجازية.

مقدّمة التساؤل: تبدأ بسؤال استفهامي يتعلق بمضمون المقالة، أو تدفع القارئ للبحث عن الإجابة.

المقدّمة التفسيرية: تقدم تفسيرا لموضوع المقالة.

مقدّمة التلخيص: وهي التي تلخص معلومات المقالة بأقل قدر ممكن من الكلمات.

مقدمة الحوار: وتكون على شكل حوار مفترض سريع.

المقدّمة الخبرية: تركز على الخبر الموجود في متن المقالة.

المقدّمة الساخنة: وتكون عبارة عن جملة مفاجئة، أو فكرة غريبة تدفع القارئ للمتابعة.

مقدمة الصورة، أو مقدّمة الخلفية: وهي التي تشير لخلفية المقالة أو مناسبتها.

المقدّمة الوصفية: عندما يراد فيها وصف الحدث، أو موضوع المقالة.

المقدمة: هي الجزء الافتتاحي في المقالة وتأتي أهميّتها لأنها ممهّدة للمتن، ولأنها تقدّم فكرة عامة عن المقالة. إنّ المقدّمة تلخصّ موضوع المقالة وتبيّن أساس الفكرة التي بُني عليها. وتتألف من معارف مسلَّم بها لدى القراء، قصيرة، متصلة بالموضوع، معينة على ما تعدّ النفس له من معارف تتصل به، وهي تمهيدٌ ملائم للدخول في الفكرة الرئيسة.

ممارسات تناصيّة: مجموعة من الممارسات والظواهر الأسلوبية الواعية وغير الواعية تظهر من خلال اكتشاف نصوص أخرى في النص قيد الدراسة.

الموسوعيّة: إنَّ الموسوعية هي الدافع المؤسس لتطور الفكر البشري، وهي التي تتيح للمبدع رؤية الطرق المناسبة لتوجيه دفة الإبداع في العلوم الطبيعية كما في العلوم الإنسانية. كما أن الموسوعية تمنح المفردات المعرفية المناسبة، للارتقاء بالتفكير ومنطقه الجمالي. فكلما كان لدى المبدع خبرات معرفية أوسع وأشمل، أصبح يمتلك فرصا أكبر وأفضل للتمتع بجماليات الآداب والفنون، كما يصبح أكثر قدرة على الإنتاج والعطاء.

النزوع القومي: يقصد به الظهور القوي للمظاهر للفكرية ذات البعد القومي في أدب السقاف.

نوع الأسلوب: وهو يتوقف على نوعيّة المقال، هل هو أدبي أم علمي، فالأدبي يمتاز بالنزوع العاطفي، بينما يمتاز العلمي بالنزوع العقلي التجريدي.

الوضوح: ونقصد به الوضوح في اللغة بالابتعاد عن الألفاظ الغريبة والوضوح في الخيال والصور، وعكسه الغموض.

ملحق رقم (2)

التعريف بأحمد السقّاف

هو أحمد زين محمد السقّاف، من مواليد 1919 في اليمن.

درس العلوم الدينيّة والعربيّة، ونال إجازة في تدريس اللغة العربية.

درس دراسة نظامية ودخل كلية الحقوق في بغداد.

دخل سلك التعليم في الكويت عام1944.

أنشأ ندوة أدبية في منزله ثم أصبحت متنقلة تعقد في الديوانيات بالتتابع وتوقفت 1946.

أصدر عام 1948 مجلة كاظمة بالاشتراك مع عبد الحميد الصايغ، وكانت اول مجلة تطبع في الكويت.

أنشأ في عام 1952 مع مجموعة من رفاقه النادي الثقافي القومي في الكويت، وترأس تحرير مجلة الإيمان الناطقة باسمه.

في عام 1956 انتقل للعمل في دائرة المطبوعات والنشر فأشرف على مطابع الحكومة، ودرب اعداداً من الشباب الكويتيين.

في ديسمبر 1957 كلف بالسفر للتعاقد مع مجموعة من الأدباء في الأقطار العربية من جل إصدار مجلة العربي كما كلف بطبع المخطوطات بالتعاون مع معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية.

في عام 1962 عين وكيلا لوزارة الإرشاد والانباء (وزارة الإعلام).

في عام 1965 نقلت خدماته إلى الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي بدرجة سفير، وكانت مهمته العمل على تقديم العون الاخوي للدول العربية في الجزيرة.

في عام 1991 استقال السقّاف من عمله السابق.

كان عضواً في رابطة الادباء في الكويت، وكان امينها العام حتى ربيع 1984، ويعد أحد أبرز أعضاء الرابطة، وتولى رئاسة وفدها إلى المؤتمرات الأدبية والمهرجانات لمدة تزيد عن عشر سنوات.

شارك في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب من عام 1972 وحتى 1976.

عاصر النهضة الثقافية الحديثة في الكويت ووضع أسسها فعدّ أحد رواد التاريخ الثقافي والادبي في الكويت.

يعد السقّاف أحد دعاة الحرية ورموز توحيد العرب.

يحمل وسام مأرب من الجمهورية العربية اليمنيّة، ووسام الاستقلال من جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، تقديرا لما قدّمته الكويت لهذين البلدين من خدمات أثناء إشرافه على الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي.

مؤلفاته:

الأوراق في شعر الديارات النصرانيّة.

تطور الوعي القومي في الكويت 1983.

العنصرية الصهيونية في التوراة 1984.

أنا عائد من جنوب الجزيرة 1985.

شعر أحمد السقّاف (ديوان) 1986.

في العروبة والقومية.

المقتضب في معرفة لغة العرب 1990.

صيف الغدر 1992.

قطوف دانية 1995.

نكبة الكويت (شعر) 1996.

الطرف في الملح والنوادر والأخبار والأشعار 1996.

Abstract

The Article art at Ahmad Alsaqqaf

Objective and Artistic study

By: Mubarak Adel Ali Al-Mie

Supervision: Dr. Muntaha Hrhasha

This study deals with the articles of the Kuwaiti writer Ahmad Zein Al-Saqqaf. His articles were distinguished with characteristics and attributes let him enjoys with his private literary entity and shaped these within his Kuwaiti and Arab environment. These features were determined by a number of stylistic, formal and technical characteristics of the article, as well as the intellectual expressions expressed in his overall literary output.

The article in Al-Saqqaf's literature gained the legitimacy of the study due to the lack of studies available on this subject, as it was limited to two studies that did not cover the subject of the article in Al-Saqqaf's. They are for Dr. Muhammad Hassan Abdullah and Dr. Ahmed Bakri Asala, and there is a master thesis on Al-Saqqaf but only from the poetic point of view. The previous status formed a justification for the legitimacy of the study and its importance, as the writer Ahmed Al-Saqqaf left a great heritage of the proses manifested in the article, and has addressed the contents of articles and types, and this study to highlight the various aspects of technical and stylistic and linguistic features in the Al-Saqqaf's articles.

Therefore the study came divided into the preamble and three chapters. The preamble dealt with the definition of the article in the language and terminology, the roots of the article, its appearance, determinants, elements and components, and types, and then moved to study the modern Arabic article, and ended with the study of the article in Al-Saqqaf's literature.

The first chapter was entitled "The stages of the development of the article at Al-Saqqaf's". He studied the tributaries of the article at Al-Saqqaf's, its evolution and the factors influencing its development. The chapter ends with the chronological development of the article.

The second chapter was entitled "The types of the article and its topics at Al-Saqqaf. The study has been done on the self-article, the objective article and the press article and the main classifications of these subcategories and topics that formed the focus of his articles in these types.

The third chapter deals with the characteristics of the article in Al-Saqqaf's, where the formal characteristics, the intellectual features and the stylistic properties of the article were studied. This was done by drawing on a large number of articles, in addition to the adoption of a number of references and sources that enriched the study. The study ended with a conclusion and a list of sources and references adopted in the study.